منبر الإسلام

العدد ١٢ ـ السنة ٢٣

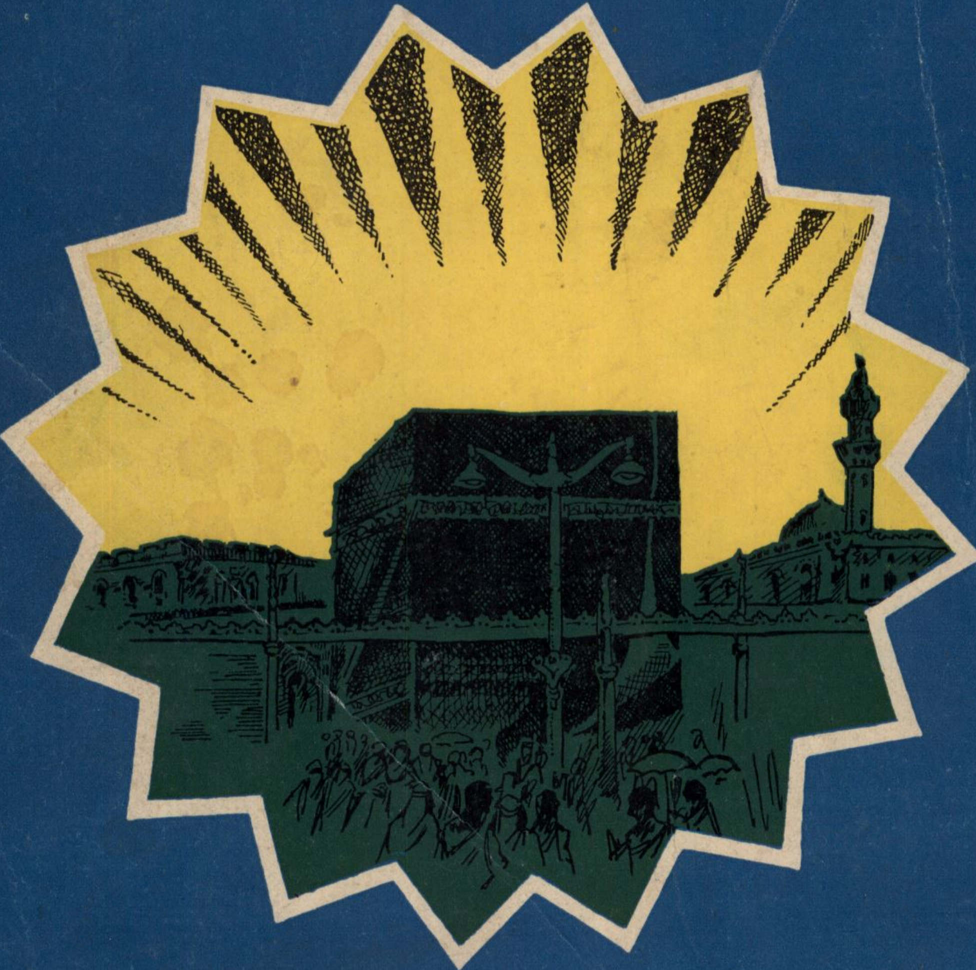

ذو الحجة ١٣٨٥ ـ ٢٣ مارس ١٩٦٦
الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ١٢ — السنة ٢٣

ذو الحجة ١٣٨٥ — ٢٣ مارس ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* **خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الوحدة الثامن**
* **الرئيس عبد السلام عارف فى القاهرة**
* **السيد زكريا محيى الدين رئيس الوزراء يتكلم فى مجلس الامة عن الجهود التى تبذلها الجمهورية العربية المتحدة لخدمة رسالة الاسلام**
* ليلتان سعيدتان فى رحاب الله ورحاب رسوله :
  فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* من مبادىء المجتمع الاسلامى :
  فضيلة الشيخ عبد الله المشد
* من حضارة الاسلام — يوم عرفة !
  الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل
* من شعائر الحج : ذبائح الفداء والهدى لفقراء البيت الحرام :
  فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* الحلف الاسلامى استعمارى قلبا وقالبا !
  فضيلة الشيخ حنفى عبد المتجلى
* خلف وليس حلفا :
  فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل
* فى تجاه البيت العتيق :
  المستشار محمد احمد رجب
* الحلف المزعوم :
  الشاعر عبد الله شمس الدين
* الاعياد فيض العواطف السامية والمشاعر النبيلة :
  فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه :
  الدكتورة عنايات الطحاوى
* الهدية (قصة العدد) :
  الاستاذ حسين القبانى

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة ٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى هذه العملة فى البلاد الاخرى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٢٣٤٨٩

معالم الطريق

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الوحدة الثامن (٢٢ فبراير ١٩٦٦)

أيها المواطنون :

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أشكر السيد رئيس الوفد العراقى الذى يشترك معنا فى هذا الاحتفال بعيد الوحدة ، وأحمله تحية شعب الجمهورية العربية المتحدة الى شعب العراق المناضل ، والرئيس البطل عبد السلام عارف ٠

ان التلاقى بين القاهرة وبغداد ضد مؤامرات الاستعمار والرجعية ، هذا التلاقى قوة للنضال العربى ، ونحن نسير فى طريق الوحدة ٠٠ نسير فى طريق االوحدة أمل الأمة العربية كلها ، وهذه الوحدة تستدعى تضافر كل القوى الوطنية لمجابهة الاستعمار والرجعية التى تتآمر على الوطن العربى ٠

أيها الاخوة :

نحتفل اليوم بعيد الوحدة ٠٠ بذكرى هذا اليوم العظيم فى سنة ١٩٥٨ ٠

فى هذا اليوم استطاعت الأمة العربية بارادتها الحرة أن تحقق الوحدة وأن ترسم المستقبل لأول مرة فى العصر الحديث بعد أن كان الاستعمار هو الذى يخطط الفواصل والحدود ٠ ولهذا فان هذا اليوم يتطلع اليه الكفاح القومى العربى بالاعزاز لأن الجماهير التى صنعت الاستقلال، الجماهير التى صنعت الحرية ، الجماهير التى تخلصت من الاستعمار كانت هذه الجماهير هى صانعة الوحدة يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨

الجماهير التى رفعت شعار القومية العربية وحمت القومية العربية ودعمت القومية العربية وبثت فيها القوة ٠

الجماهير المناضلة المكافحة تنظر الى هذا اليوم باعزاز وأمل لأن الوحدة كانت دائما أمل ٠ ولم تكن الوحدة أبدا عمل شخص لأن الاستعمار كان دائما يتصدى للوحدة يتصدى للقومية العربية ٠ كان الاستعمار يتصدى لفكرة التحرر ٠ كان الاستعمار يتصدى لأى محاولة للقضاء على الاستغلال ٠٠ كان الاستعمار يضع بلادنا فى داخل مناطق نفوذه ويعمل على التجزئة ويعمل على التفرقة ٠ والاستعمار مش كان بس ضد الوحدة ولكن الاستعمار كان ضد توحيد الكلمة أو ضد توحيد الهدف وضد التعاون وضد السلام وكانت الوحدة فى سنة ٥٨ كانت تعبيرا عن نصر للجماهير العربية على ارادة الاستعمار الذى أكد التجزئة فى العالم العربى وقسم العالم العربى ٠ اسرائيل أيضا التى أقامها الاستعمار فى قلب الأمة العربية ٠٠ كانت دائما تقف ضد دعوة القومية العربية ٠٠ وكانت تقف ضد دعوة الوحدة وكانت أيضا تقف ضد وحدة الكلمة ٠ اسرائيل كانت باستمرار تحاول بالتعاون مع الاستعمار أن تبذر بذور الفتنة عشان التفرقة بين العالم العربى ولكن هذا لم يمنع أبدا الدول العربية من ان تسير فى طريق القومية العربية وطريق الوحدة ، وأن تبنى نفسها ذاتيا من أجل تحرير فلسطين ومن أجل التخلص من الاستعمار الصهيونى رغم الأسلحة التى حصلت عليها اسرائيل سنة ٤٨ وحصلت عليها بعد سنة ١٩٤٨ ورغم منع الأسلحة عنا الا اذا قبلنا أن ننضم الى الأحلاف حتى استطعنا فى سنة ٥٥ أن نكسر احتكار السلاح ونحصل على السلاح من الكتلة الشرقية ٠ واستمر الغرب يسلح اسرائيل حتى تكون على قوة متكافئة مع الدول العربية كلها وكانت هناك صفقات على شكل هدايا وصفقات سرية آخرها صفقة السلاح الامريكى لاسرائيل التى تعبر عن تشجيع اسرائيل والتى تعبر عن سياسة أمريكا فى حماية اسرائيل وتدعيم اسرائيل والتى تعبر عن سياسة معادية للامة العربية وللشعب العربى وللجماهير العربية ولم يكتف الامر بهذا ، ولكن أيضا اسرائيل استطاعت ان تحصل على

مفاعل ذرى ويلمح قادة اسرائيل أنهم فى سبيل انتاج أسلحة ذرية ..

طبعا انتاج أسلحة ذرية فى اسرائيل هو تهديد للامة العربية . انتاج أسلحة ذرية فى اسرائيل لن تستطيع اسرائيل ولكنها تستطيع اذا أمدها الغرب بالمعونة وبالفنيين ونحن اذا شعرنا أن اسرائيل تتجه نحو انتاج سلاح ذرى ليس امامنا سبيل الاالحرب الوقائية ..

الاستعمار ضد الوحدة

اننا بهذا نحمى الجماهير العربية من مؤامرات الصهيونية وعدوان الصهيونية ومن مؤامرات الاستعمار وعدوان الاستعمار . اسرائيل وقفت دايما ضد الوحدة .. اسرائيل وقفت دايما ضد القومية العربية ، لأن اسرائيل تشعر أن الوحدة ونجاح دعوة القومية العربية معناها القضاء عليها ، وتشعر ان التفرقة تؤخر اليوم الذى يستعيد فيه شعب فلسطين أرضه وحقوقه . تشعر أن التفرقة تمكنها من أن تجد بين حكام الأمة العربية من يستعد للطعن فى الظهر ويتآمر مع الاستعمار لضرب العمل العربى الثورى من أجل تحرير فلسطين ، اسرائيل تعرف مين فى الدول العربية مستعد يقوم بالدور ، واسرائيل تعرف أن الوحدة العربية معناها القضاء على اسرائيل وعلى أحلام الصهيونية فى التوسع ، معناها القضاء على أحلام الاستعمار اللى فرق المشرق العربى عن المغرب العربى ..

الوحدة ما كانش أعداءها أبدا بس الاستعمار واسرائيل ولكن القوى الرجعية فى العالم العربى تحالفت مع الاستعمار ضد القومية العربية وضد الوحدة .

القوى المعادية للتقدم كلها تعادى الوحدة . ليه .. لأن الوحدة أعطت دائما مضمون اجتماعى ، القضاء على الاستغلال .. القضاء على تحالف الاقطاع مع رأس المال . اقامة كفاية وعدل .. اقامة مجتمع تذويب الفوارق بين الطبقات .

ولهذا فى سنة ٦١ تآمرت كل هذه القوى ضد الوحدة التى قامت سنة ٥٨ بين مصر وسوريا . تآمر الاستعمار مع الصهيونية مع الرجعية من أجل فسخ هذه الوحدة وحصلت النكسة فى سبتمبر سنة ٦١ . فهل أثر هذا فى ايمان الجماهير العربية بالوحدة ؟. أبدا .. لم يؤثر هذا فى ايمان الجماهير العربية بالوحدة لأن الوحدة للجماهير العربية تعنى العدالة الاجتماعية .. التقدم .. الحرية الاشتراكية .

الشعب السورى اللى استمر فى الوحدة ثلاث سنوات شعر بالتقدم فى هذه المدة اللى حصل فى سوريا وماكانش حصل زيه قبل كده فى كل الميادين ، فى كل الانحاء . شعر بالقوة العسكرية تحيط باسرائيل من الشمال الى الجنوب . الشعوب العربية ، القوى العربية المناضلة ، الجماهير العربية المناضلة فى كل بلد

عربى كانت تشعر وقت الوحده أن الأمة العربية تشعر وتحس بالقوة والأمان والطمأنينة .

ولكن لم نيأس

وحدث الانفصال فى سنة ٦١ وسرنا نحن فى طريقنا هنا فى مصر نحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة وننادى بالكفاح من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة ونعمل على تدعيم القومية وعلى مكافحة الاستعمار وعلى بناء قوتنا الذاتية وعلى التطوير والنبناء فى بلدنا . لأننا كنا نعلم أن هذه القوة هى من الركائز الأساسية للوحدة وان العدالة الاجتماعية والاشتراكية من الأسس السليمة للوحدة وأن القوة تمكننا من أن نواجه اسرائيل وتمكننا من أن نواجه الاستعمار . وشعرت الجماهير العربية بالحزن ولكنها لم تيأس بل سارت فى طريق الوحدة ، فى طريق القومية العربية فى طريق الأمل . وبعد هذه النكسة سنة ٦٢ قامت الثورة فى اليمن .

وبعد أن قامت الثورة فى اليمن تصدت لها قوى الاستعمار ، وتصدت لها قوى الرجعية .. ولكن كانت وحدةالنضال العربى تدعونا الى أن نساند اليمن فى وجه الاستعمار والرجعية التىكانت تحاول بعد الانفصال ان تعزز النجاح وتأخذ مواقع جديدة فى العالم العربى .

لما رحنا اليمن كنا نشعر أننا نؤدى واجب علينا ، واجب تستدعيه المبادىء التى نادينا بها .. وحدة النضال العربى .. سنة ٥٦ لما حصل العدوان الثلاثى شعرت الجماهير العربية بوعيها وبنفسها أن وحدة النضال العربى تلزمها بأن تقف بكل ما تملك بجانب مصر .

سنة ٥٦ لما تعرضنا للعدوان الثلاثى نسفت أنابيب البترول فى سوريا كعقاب للاستعمار وللمعتدين . خرج الشعب فى سوريا.. وخرج الشعب فى العراق .. وخرج الشعب العربى والجماهير العربية فى كل بلد عربى وهى تؤمن من صميم قلبها بوحدة النضال العربى ..

طبعا الرجعية مش معقول انها خرجت الرجعية كانت تستعدى علينا الاستعمار .. نورى السعيدكان يستعدى علينا ايدن علشان يهجم على مصر .

الرجعية كان عندها أفراح ، وكانت تشعر بالسرور على أساس أن مصر لن تستطيع أن تواجه انجلترا وفرنسا واسرائيل ، وأن الثورة المصرية قد انتهت .

ولكن شعب مصر كافح وقاتل والجماهير العربية فى كل بلد عربى خرجت فى كل مكان تهدد الاستعمار ومصالح الاستعمار ونفوذ الاستعمار . ووقفت جميع قوى الحرية فى العالم بجانبنا وانهزم العدوان وارتد مدحورا وبقيت الثورة .

« البقية ص ١٧٥ »

الرئيس عبد السلام عارف فى القاهرة

• القيادة السياسية الموحدة للعراق والجمهورية العربية المتحدة

• وحدة الصف ووحدة الهدف .

كان شهر فبراير الماضى هو شهر القيادة السياسية الموحدة بين القاهرة والعراق .. ففى هذا الشهر بدأت اجتماعات الدورة الثالثة للقيادة السياسية الموحدة على مستويين : الأول كان مستوى الاجتماعات التمهيدية أو التحضيرية بين الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق والسيد زكريا محيى الدين رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة . وفى هذه الاجتماعات أنجزت لجنة فرعية انبثقت عن اللجنة التحضيرية الصياغة القانونية لمشروع اللائحة الداخلية للامانة العامة للقيادة السياسية ، واللائحة توضح كيفية تنظيم العمل داخل الأمانة ، وتوزيع الاختصاصات فيها ، **كما تقرر تعيين الدكتور عبد الرزاق محيى الدين وزيرشئون الوحدة بالعراق أمينا عاما .**

والمستوى الثانى كان **بلقاء الرئيسين عبد السلام عارف وجمال عبد الناصر فى اجتماعات القيادة السياسية الموحدة .**

وقد استقبلت القاهرة الرئيس عبد السلام عارف استقبالا شعبيا حافلا يوم السبت ٩ فبراير عام ١٩٦٦ . وتنوعت اجتماعات الرئيس العراقى عبد السلام عارف مع الرئيس جمال عبد الناصر بين اجتماعات خاصة استعرض فيها الرئيسان ما أنجزته

الرئيسان عبد الناصر وعارف فى طريقهما الى حفل العشاء الذى اقيم تكريما للرئيس العراقى

اللجنة التحضيرية من موضوعات ، وصدقا على تعيين الأمين العام للقيادة السياسية واجتماعات عامة لمكتب القيادة الموحدة تركزت فى ثلاث نقاط هامة هى :

الموقف الدولى ، والموقف فى المنطقة العربية ، وتناول الشئون الداخلية بين البلدين .

وقد مثل الجمهورية العربية المتحدة فى الاجتماعات التاريخية السادة : المشير عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ونور الدين طراف وأحمد عبده الشرباصى والدكتور عبد القادر حاتم وكمال رفعت وعباس رضوان وفتحى الديب وأمين هويدى وعبد المجيد فريد ..

ومن الجانب العراقى الدكتور عبد الرحمن البزاز وعبد العزيز العقيلى وشكرى صالح زكى والدكتور محمد ناصر والدكتور عبد الرزاق محيى الدين وخضر عبد الغفور والدكتور عبد الحميد الهلالى وسليمان الضعوانى والدكتور عدنان الباجهجي ورجب عبد المجيد ..

الرئيسان عبد الناصر وعارف يؤديان صلاة الجمعة

وعقب انتهاء اجتماعات القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية والعراق صدر البيان الرسمى المشترك التالى :

البيان الرسمى للقيادة السياسية الموحدة :

متابعة للخطى الوحدوية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وتأكيدا لما احتوته اتفاقية القيادة السياسية الموحدة من أهداف اجمعت عليها ارادة الشعب فى القطرين تمت عدة لقاءات تمهيدية بين الجانب العراقى برياسة السيد عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق ، والجانب العربى برياسة السيد زكريا محيى الدين رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة فى المدة ما بين التاسع والحادى عشر من فبراير « شباط » عام ١٩٦٦، وعقدت القيادة السياسية الموحدة اجتماعها الثانى فى القاهرة فى الفترة ما بين الحادى عشر والتاسع عشر من فبراير .

وقد استعرضت القيادة السياسية الموحدة ما تم تحقيقه فى القطرين من انجازات على طريق الوحدة فى مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية . فأسفر البحث عن اتفاق وجهات النظر على ما يأتى .

أولا ـ تعد الأمانة العامة ما يلزم لتاسة الخطى الوحدوية لتقديمها الى القيادة السياسية الموحدة فى الجلسة القادمة التى يحضرها الرئيسان خلال هذا العام .

ثانيا ـ ان التحركات الاستعمارية الصريحة والخفية التى تواترت الشواهد عليها فى الاونة الأخيرة تشكل أخطارا حقيقية على حركات التحرر العربى وتهدد أمن الوطن وسلامته فضلا عن تهديدها لمسيرته نحو الوحدة والاشتراكية العربية الهادفة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، الأمر الذى يتطلب تضافر جهود البلدين وتعبئة طاقاتهما المادية والمعنوية للتصدى لهذه الأخطار .

ثالثا ـ الارتياح التام الى قوة العلاقات بين القطرين الشقيقين نتيجة طبيعية للخطوات الايجابية التى تمت فيها فى مختلف المجالات.

رابعا – الايمان الكامل بدور التنظيم السياسى فى كل من البلدين، وضرورة توسيع قاعدة العمل التنفيذى وزيادة فعاليته لنشر وتعميق الفكر الاشتراكى العربى بين الجماهير وتأكيد الوحدة الوطنية باعتبارها الدعامة الأساسية لتثبيت مكاسب قوى الشعب العاملة •

خامسا – تؤكد القيادة السياسية الموحدة وحدة التراب العراقى وتقف فى وجه أية محاولة خارجية أو داخلية لفصل أو اقتطاع أى جزء منه • وهى فى سبيل ذلك تساند العراق لانهاء التمرد القائم فى جزء منه •

سادسا – الدعم الكامل للجهود المبذولة لاحلال السلام والاستقرار فى اليمن • وهى اذ تدعم هذه الجهود ترى فيها خطوة كبرى لتيسير تعبئة القوى العربية لمجابهة الأخطار الصهيونية التى تهدد كيان الوطن العربى •

سابعا – الوقوف بكل الامكانيات المادية والمعنوية الى جانب الكيان الفلسطينى الذى تجسده منظمة التحرير الفلسطينية لاستعادة الوطن السليب ودعم الكفاح الوطنى فى الجنوب المحتل وعمان من أجل تحقيق حريتها واستقلالها •

كما تساند الشعب العربى فى الخليج والجنوب المحتل على مواجهة المؤامرة الاستعمارية التى تهدف الى طمس عروبته وتغيير طبيعته القومية •

ثامنا – الارتياح التام للتنسيق القائم فى سياسة البلدين الخارجية وتوحيد مواقفهما فى القضايا العالمية الهامة بما فى ذلك التمسك بسياسة عدم الانحياز ورفض الاحلاف والتكتلات •

تاسعا – تأييد الخطوات التى اتخذها العراق لتوثيق علاقاته بالدول المجاورة له •

عاشرا – الايمان التام بأهمية حل المشاكل الدولية بالطرق السلمية • وتؤكد القيادة ضرورة المحافظة على استقلال قبرص ووحدتها، كما تؤيد الجهود المبذولة بين الهند وباكستان لتسوية الخلافات بينهما •• وتستنكر الأساليب الاستعمارية والسياسية والعنصرية التى تدعمها الصهيونية العالمية والتى تباشرها أقلية ضئيلة ضد شعب روديسيا الأفريقى •

وترى أن حل مشكلة فيتنام يجب أن يتم وفق اتفاقية جنيف عام ١٩٥٤ •

وقررت القيادة السياسية عقد الاجتماع القادم فى القاهرة على مستوى رؤساء الحكومات عقب اجتماع رؤساء الحكومات العربية القادم ••

***

ان كل لقاء يتم بين القاهرة وبغداد هو السلاح الذى يدحض مزاعم الاستعمار ومزاعم اسرائيل للتباعد بين العرب •• وهو مشعل على طريق وحدة الصف ووحدة الهدف فى مواجهة أعداء القومية العربية فى الداخل والخارج •• وهو تأكيد للسياسة التحررية التى خطتها الثورة العربية مؤمنة بأن الوحدة الشاملة هى حتمية تاريخية تترجمها القيادة السياسية الموحدة بين البلدين فى مسيرتها الكبرى نحو الحرية والاشتراكية والوحدة •

السيد

زكريا محيى الدين

رئيس الوزراء

يتكلم فى مجلس الأمة عن الجهود التى

تبذلها الجمهورية العربية المتحدة

لخدمة رسالة الإسلام

لقد استمعت الحكومة بكل اهتمام الى تقرير لجنة الشئون العربية ومناقشة المجلس اليوم فيما تردد اخيرا عن الدعوة لقيام حلف اسلامى أو مؤتمر القمة الاسلامى ومايتصل بهذه المسألة من نشاط مريب يدور فى منطقتنا العربية .

وكانت اتجاهات مجلس الأمة واضحة وقاطعة وفى نفس الوقت هى تعبير حقيقى عن وعى هذا الشعب وعمق ادراكه ويقظته فى كشف هذه الشعارات المزيفة التى يستخدم فيها اسم الدين لخدمة اغراض الاستعمار والرجعية .

والحكومة تشارك المجلس الرأى فيما جاء بتقرير لجنة الشئون العربية ومناقشات المجلس اليوم .

ملابسات مريبة

ولقد سبق للسيد رئيس الجمهورية ان اوضح فى بيانه فى عيد الوحدة الملابسات العربية التى احاطت بهذه المسالة والحكومة لا تريد ان تكرر ما جاء فى هذا البيان الواضح الصريح . وانما اود ان اتحدث فى نقطتين تتعلقان ببعض الحقائق التى ربما ساعدت على وضوح الرؤيا أمام شعبنا المؤمن المكافح بل امام الشعوب العربية كلها .

أولا : ان خدمة الاسلام والمسلمين لا تأتى عن طريق رفع الشعارات بل فى تنفيذ تعاليم الدين الحنيف التى هى فى حقيقتها تقضى على الجمود الفكرى والظلم الاجتماعى وتدفع الى التطور والتقدم ، وذلك للوصول بالمجتمع الاسلامى الى مركز القوة .

ان الشعارات المزيفة والمفاهيم الخاطئة أو المبتدعة للدين والتى سادت المجتمع الاسلامى والتى كانت تعمل على ان يزداد الفقير فقرا والغنى غنى قد ساعدت على تفكك هذا المجتمع وتدهوره حتى غلب على أمره امام القوى الاستعمارية والصهيونية ، والآن وقد اتيحت لنا الحرية يجب ان نفكر بعمق وان نستفيد من عبر الماضى ودروس التاريخ وان نعيد للدين مفهومه الاصيل الذى يعطى هذا المجتمع أسباب التقدم والقوة – فى مصر احنا سرنا فى هذا الطريق – طريق العمل المخلص البناء فى خدمة الاسلام والمسلمين .

ثورتنا .. والدين :

من اول يوم فى ثورة ١٩٥٢ سرنا فى طريق العدالة الاجتماعية والديمقراطية السليمة حتى يمكن ان نخلق المجتمع المترابط المتماسك الذى يستطيع أن يقف بصلابة فى وجه أعداء العروبة والاسلام .

الثورة من اجل نشر المفاهيم الاسلامية الصحيحة والتمكين لها مدت يدها للأزهر بالاصلاح حتى يمكنه أن ينطلق بمزيد من القوة ومزيد من الكفاية والقدرة فى تحقيق رسالته الدينية والعلمية والاجتماعية .

بالارقام ارتفعت ميزانية الأزهر سنة ١٩٥١ – ١٩٥٢ كانت ١٠٦٨٤٠٠٠ر١ – فى سنة ٦٥ – ١٩٦٦ وصلت ٥ر٦٠٣٠٠٠ر – سنة ١٩٦١ صدر قانون تطوير الأزهر مشتملا على الاصلاحات الثورية الآتية : أولا انشاء جامعة للأزهر شملت عدة كليات علمية ودينية ليكون لدى الأمة الاسلامية متخصصون فى هذه العلوم يدافعون عن قيم الاسلام ومبادئه ويحملونها مع علمهم وخبرتهم الى ربوع العالم كله وامتدت روح الثورة لتمكن المرأة من التزود بروح الاسلام وعلومه وثقافته فأنشأت أول جامعة اسلامية للبنات ايمانا بأن الصلاة فريضة على كل مسلم ومسلمة .

فى ١٩٦١ صدر قرار بانشاء مجمع البحوث الاسلامية – هيئة عليا للبحوث الاسلامية تعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الخمول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الاصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وأن تدعو فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان لهذا أثره الكبير الذى وضح فى اجتماعات المجمع ومؤتمراته من التواصل بين

هؤلاء العلماء ثم فى عرض المشاكل التى تواجه المسلمين على اختلاف بيئاتهم وأوضاعهم وعاداتهم انطلاقا بالثقافة الاسلامية خارج الحدود الاقليمية للجمهورية العربية المتحدة، فأوفد الأزهر كثيرا من خريجيه للقيام بالدعوة الاسلامية ونشر الثقافة العربية فى ربوع العالم الاسلامى كذلك قام بارسال ملايين الكتب الاسلامية المختارة الى الهيئات والمعاهد الاسلامية الكبرى فى شتى انحاء العالم وبلغ عدد مبعوثى الأزهر الى البلاد الاسلامية من ١٩٥٢ - ١٩٦٤ أكثر من ٢٠٠٠ مبعوث متخصص - كما عنيت الدولة بعد الثورة عناية خاصة بالوافدين الى الأزهر من طلاب آسيا وافريقيا فأقامت لهم مدينة للسكن كاملة فى مدينة البعوث الاسلامية وبلغ عدد الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر سنويا نحو ٣٠٠٠ طالب على منح دراسية من ٧٥ دولة بأفريقيا واسيا وأوربا وامريكا اللاتينية

كذلك وجهت عناية خاصة فى أجهزة الاعلام المختلفة الى الثقافة الاسلامية والى التربية الدينية فخصصت لها برامج متعددة ساهمت فى انقاء الايمان الدينى - كماساهمت فى تحقيق التربية الاسلامية الصحيحة ونشر الثقافة الاسلامية الحقة - طبع ونشر آلاف من الكتب الاسلامية فى شتى فروع المعرفة والثقافة - كما خصصت لنشر الثقافة الاسلامية عدة سلاسل للتعريف بأعلام العرب والاسلام ولتعريف الأجيال الجديدة بتاريخها وحضاراتها والمصادر الأصيلة لثقافتها .

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

سنة ١٩٦٠ انشىء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يهدف الى نشر تعاليم الاسلام والثقافة الاسلامية عن طريق جمع القرآن الكريم جمعا صوتيا لأول مرة فى تاريخ الاسلام ووضع تفسير سهل للقرآن الكريم وترجمته الى اللغات الأجنبية - وجمع الأحاديث النبوية وتبويبها وشرحها شرحا موجزا - - التعريف بالاسلام فى الداخل والخارج وبيان حقائقه والرد على الشبهات التى تثار حول احكامه وتوضيح فضل الاسلام على العلم والحضارة - اصدار موسوعة الفقه الاسلامى

وعرض مناهجه عرضا علميا حديثا - ادراج ما تتضمنه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من حقائق علمية للكشف عن مدى اعجازها .

وأنشأ مكتبات اسلامية من مختلف المطبوعات وتسجيلات المصحف المرتل وتم انشاء هذه المكتبات فى مساجد الجمهورية العربية المتحدة التى يزيد عددها على ٣٠٠٠ مسجد ، كذلك فى الجمعيات الاسلامية والمعاهد الدينية والنقابات المهنية وأندية مراكز رعاية الشباب الى غير ذلك .

وقد بلغ مجموع ما قدم من مطبوعات باللغة العربية والانجليزية والفرنسية ٤٠٠ر١ ٠٠٠ر نسخة بخلاف ما طرح للبيع من مجلة منبر الاسلام وسلسلتى كتب اسلامية ودراسات فى الاسلام والتى يبلغ توزيعها الشهرى حوالى ٣٠٠٠٠ نسخة - ثم امداد العالم الاسلامى بمكتبات اسلامية كاملة باللغات العبرية والعربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والأندونيسية والسواحلية وتأثيث وتعمير المساجد والمراكز الاسلامية فى أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وتزويدهم بالمشرفين والأئمة والمدرسين وارسال بعثات الوعظ والارشاد وقراءة القرآن الكريم لبث الوعى الدينى وتبصير المسلمين بحقائق دينهم ونشر رسالة الدعوة الاسلامية والمعاونة فى احياء التراث الاسلامى .

عام ١٩٦٤ أنشأت الاذاعة محطة اذاعة للقرآن الكريم مساهمة منها فى ايصال كلمات الله الى اسماع الملايين من المسلمين فى شتى بقاع الأرض ولتصبح اذاعة دينية متكاملة تذيع القرآن وتفسيره والحديث الدينى الذى يتناول مشاكل الحياة اليومية وشئون المجتمع ويربطها بالدين .

ان الجمهورية العربية المتحدة لم تأل جهدا فى تحقيق ونشر فهم الصحيح من الدين وكانت دائما فى صف التعاون الاسلامى الحقيقى الذى يبتغى وجه الله والذى لا تستر وراءه

أهداف استعمارية ـ ان الذين يعملون اليوم من أجل العدالة الاجتماعية وايجاد مستوى لائق من الحياة الكريمة للمواطنين ويحققون العدالة والمساواة بينهم هم الذين يتفهمون الجوهر الحق ـ لقد كانت القاهرة دائما وستبقى مركزا صلبا للايمان والعمل الاسلامى الجاد من أجل مصلحة الناس ومن اجل فهم جوهر الدين الثورى .

المشاكل فى مصر :

النقطة الثانية التى أردت أن اتعرض لها فى هذه المناسبة تتصل بما ذكر بأن فى مصر مشاكل وقد أوضح السيد الرئيس هذه النقطة بالذات مبينا أن مشاكلنا مشاكل سلمية يتعرض لها كل شعب طموح يسير فى طريق العمل والبناء وزيادة الدخل القومى ورفع مستوى المعيشة ـ والذى يجعلنى اتعرض لهذه المسألة ثانية هو اعتقادى انه ربما قد اسىء فهم مناقشاتنا التى دارت بطريقة ديمقراطية حرة فى هذا المجلس والتى تدارسنا فيها سويا سياسة الحكومة الاقتصادية ـ ان هذاالفهم الخاطىء لن يجعلنا بأى حال من الأحوال نغير من سياستنا فى مواجهة الشعب بالحقائق لأننا نريد ان نبنى الفرد الحر فى المجتمع الحر ـ نريد ان نبنى وطننا بالشعب ومن أجل الشعب ـ نريد ان نبنى المجتمع العزيز الكريم الذى يبقى دائما سندا للعروبة والاسلام .

وهنا أجد لزاما على أن أذكر بعض الحقائق التى تنير لشعبنا الطريق ـ طريق المستقبل الباسم ان شاء الله .

أولا : بالنسبة للاجراءات الاقتصادية الأخيرة التى اتخذتها الحكومة فانها كانت تهدف أساسا الى خلق التوازن بين حجم الأجور والسلع المتاحة حتى يسير اقتصادنا فى طريقه السليم ـ وهذه الاجراءات قد اتخذتها من قبلنا بلاد كثيرة تسير مثلنا فى طريق التطور والتنمية ، وهذا لا يعنى بأى حال من الأحوال أن هناك موقفاخطيرا تتعرض له اقتصادياتنا .

النقطة الثانية : ان مشاكل الكمية التى تتعرض لها هى علامة صحة وأمل ـ وهى نابعة أساسا من اننا استثمرنا فى خلال الخطة الخمسية الأولى مبالغ كبيرة وتحتاج لبعض الوقت حتى تحقق العائد المرجو منها ـ وتحتاج أيضا لبعض الاستثمارات الجديدة لتحسين اقتصاديات هذه المشروعات ـ واذكر على سبيل المثال الأرض الجديدة المستصلحة لم تبلغ الجدية فى انتاجها وتحتاج عادة كما هو معروف فى الزراعة على حسب نوع الأرض من ٤ الى ٦ الى ٧ سنوات حتى تصل الى المستوى الانتاجى الاقتصادى الكمى ..

النقطة الثالثة : ان بعض الأعباء التى تتحملها هى اعباء حتمية لمواجهة الاخطار التى تتعرض لها بلادكم وتتعرض لها الأمة العربية من وجود هذه القاعدة العدوانية فى اسرائيل ـ وكما قلت ان هذه مسألة حتمية لأنها تتصل بوجودنا بل بالوجود العربى كله ـ هذه الأعباء زادت .. زادت مع زيادة وتطور التسليح للقوات الاسرائيلية الموجودة فى هذه القاعدة العدوانية على حدودنا .

وفى هذه المناسبة أود أن أذكر أن التزاماتنا التى سنتحملها فى اليمن والمحافظة على حق الشعب اليمنى فى الحياة الحرة الكريمة لا تشكل عبئا كبيرا على اقتصادنا ـ وانه بالتالى بعد تسوية المسألة اليمنية بما يحقق للشعب اليمنى الحرية والكرامة الانسانية فلن يخفف هذا كثيرا من الاعباء التى نحملها فى التنمية وان الذى سيخفف من هذه الاعباء هو مدى الجهد الذى سنبذله فى العمل والانتاج ومدى ما نتحمله من صبر على طريق الأمل ـ ولا يسع الحكومة فى ختام بيانها الا ان تؤكد ما سبق ان اعلنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر من أن الجماهير العربية الواعية التى ناضلت ضد التكتلات السياسية والاحلاف الاستعمارية على استعداد للكفاح والنضال لاسقاط هذا الحلف المزعوم وهى قادرة على القضاء على أقوى مؤامرة توجه اليها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الصوفية فى العالم

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

أما هذه المسألة التى أخبرتمونى بها فلهـــا ظروفها ، والله هو المدبر ، فليس لنا من الأمر من شىء ، انما هى آمال ولو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع ، واختيار الله لنـــا خير مما نختاره ، انما هى أســـباب يدفع الله فى قلوبنا طلب اتخاذها لينفذ أمره •

على المرء أن يسعى الى الخير جهده
وليس عليـــه أن تتم المطـــالب

وجهنى شيخى العارف بالله ســيدى عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراه فى العبــارة المتقدمة الى مبادىء أساسية فى التصــوف هى :

١ ـ التفــويض لله والرضـــا بالمقدور واتخاذ الأسباب المشروعة مع التفويض لله فى النتائج •

أما عن التفويض لله فهو من علامات تقوى المؤمن واذا بلـغ المؤمن مقام اليقين بالله أيقن أن اختيار الله له خير من اختياره لنفســه ، وقد علمنا القرآن الكريم فيما علمنـــا « وعسى أن تكرهوا شــيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شــيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون » لذلك وجب التفويض للعليم الخبير الذى يضع الأمور مواضعها لعلمه بما كان وما يكون ، والغـــائب عنا بالحجـــاب ظاهر له سبحانه وتعالى اذ لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء •

وقد يجيبنا الله الى مانســـعى له ، وقد يفوته علينا ويأتينا بغيره ، ويجب على المؤمن الرضا فى الحالتين مع الصبر على ما فات فى الحالة الثانية •

أما الرضا بالمقدور فهو عند السادة الصوفية من مقامات اليقين ، حتى أنهم قالوا اذا خيرك الله فى شىء فاياك ان تختار، وفر من اختيارك الى اختياره فانك جاهل بالعواقب والصبر على ما فات من علامات الرضـــا بالمقـــدور ، كما قالوا الرضا بالمقدور نعم الوسيلة الى درجات المعرفة

ويروى السادة الصوفية فى هذا المجال أن سيدنا داود عليه الســـلام نصح ابنه سيدنا

سليمان عليه السلام فقال له « يابنى انما يستدل على تقوى الرجل بثلاث ، حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات •

أما الأسباب عند السادة الصوفية فيرون اتخاذها ولا يرونها متنافية مع التفويض ، ومن أقوالهم فى التكسب والتوكل ، الكسب سنة الرسول وهو عباده ، والتوكل حال الرسول وهو عبودية فهما يتلازمان ولا يتنافيان وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابى حين سأله أيعقل ناقته أو يتركها ويتوكل على الله ؟ « اعقلها وتوكل » •

وغاية الأمر عندهم أنهم يوجهون المؤمن الى الاعتماد على الله تعالى فى الرزق ، فلا يرون الأسباب الا وسيلة من وسائل عطائه سبحانه ، وليست هى الرازقة ، والسلاح يعد لقتال الأعداء بأمرالله تعالى **(وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة)** ولا يتنافى ذلك مع اعتقاد أن النصر من عند الله •

وهم يفوضون كذلك فى نوع الأسباب ويرون ان الله تعالى هو المدبر والموجه فيها والدافع اليها ليتم الأمر على ما أراد ومن ثم لايحسدون أحدا على ما آتاه الله من فضله ففى الحسد سخط بالحال على المقدور ، واعتراض على تقدير العزيز العليم وان لم يتحرك اللسان بالمقال •

وقد وقع فى ذلك المقام حوار طريف بين الامام أبو القاسم الجنيد وتلاميذه حين قالوا له أين تطلب الرزق ؟ فقال : ان علمتم موضعه فاطلبوه • قالوا نسأل الله فيعطينا ، قال : ان علمتم انه ينساكم فذكروه • قالوا : ندخل البيت ونتوكل على الله ، قال : التجربة مع الله شك خطر • قالوا : ما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة •

وهو لايقصد بترك الحيلة ترك الأسباب انما يقصد به ترك آلام التفكير الطويل الحزين الذى ينتاب أكثر الناس قلقا على أرزاقهم وارزاق ذراريهم ، ومن أروع ما قرأت لهم من الحكم قولهم كن كما كنت فى بطن أمك مدبرا غير مدبر ، مرزوقا من حيث لاتحتسب ، أى انهم يقولون كيف يتكدر خاطرك من هم الرزق، وقد رزقك وأنت جنين فى بطن أمك دون عناء فى تفكير أو تدبير فكيف يتخلى عنك بعد أن كبرت ، وكيف يتخلى عنك ولا رازق سواه ، وقد ضمن الرزق لعباده لئلا يشغلهم الرزق عن الرازق •

واذا تكلم السادة الصوفية عن الزهد فانهم لايقصدون بسببه العزوف عن الطيبات التى احلها الله تعالى ، انما يقصدون بالزهد معانى رفيعة تدل على صفاء مواجيدهم ، فهم يقولون : الزهد هو الرضا بالموجود والصبر على المفقود عملا بقوله تعالى **(لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)** •

فكسب العيش محمود عندهم ، لكنهم يحذرون من الافتتان بسعة الرزق لأن الافتتان به غفلة عن الآخرة ، ولا يصح للعاقل أن يجتهد فى كسب الفانى ولا يجتهد فى كسب الباقى ويقول العارف بالله سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه « اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة فيك » •

وفى هذا المقام أرانى مضطرا لأن أسجل رسالة للمربى الكبير وأستاذ الاستاذين السيد العميد محمد حمدى اول عمداء كلية التجارة وفخر التجاريين وقد تشرفت بالتخرج على يديه • وان كانت قد تعرضت بالثناء على بحسن ظنه فى ، لكنها تضمنت معانى جليلة فى مضمار التصوف والزهد •

وقد جاءتنى رسالته تلك بعد أن تفضل بالاطلاع على بعض محاضرات لى فى التصوف ، ولست أزكى الرسالة فى بلاغتها لأنه مد الله فى عمره وبارك له فى عمله كفانى أمر التزكية بما عهد فيه من رسوخ فى العلم ورقى فى أسلوب الكتابة والخطابة باللغة العربية والأجنبية •

وها هى ذى رسالته :

مصر الجديدة فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٦٥

عزيزى الحسن الكامل التقى النقى بوركت تا الله انك لسعيد سعيد فى الدنيا والآخرة

لأنك بهذا الصفاء الربانى ، صفاء السيرة والسريرة ، كذلك وبهذا العزوف عن كروب الدنيا الدنية ، والاقبال على فيحات الآخرة الرضية ، قد وصلت الى السماك الأعلى عند غاية المنتهى •

فياعجبا كيف بدأت وثابرت حتى وصلت الى أن تعى بقلب طاهر ، ونفس مطهرة ، كل ماتحاضر نابه من الآيات البينات ، والروحانيات السمات ، فأنى لك هذا الملتقى ، وكيف يمكن أن تصل بى مما عملت رشدا ، وأن تدخلنى مدخل صدق فى هذا النور الالهى الذى تتعشقه والذى لا أكاد أدركه من محاضراتك ملفلفا فى كلام وأقوال وأحاديث وآيات لاأستطيع أن أشق اليه طريقى على بصيرة •

لقد أصبحت أتمنى لو أراك رأى العين ، لأجتلى من محياك ذياك النور الذى تحكيه ، أو أجد القبس الذى يهدينى سواء السبيل ، لأنى وأنا فى هذه السن المتأخرة والمتطلعة ، وقد نيفت على الثمانين - وبلغتها - لايمكن لى أن أخلى نفسى من هموم الدنيا وأوضارها ، لكى أفرغ وأنصب وارغب ، الى ربى الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين •

كيف أخلع وشاح الدنيا ، وأتسربل بسرابيل التقوى والصلاح ، متجردا الى الله وحده •

سمع الناس براهب تضرب الأمثال بورعه وزهده ، فتاقت نفس الى رؤياه ، فسعى جاهدا الى لقياه ، فلما وصل الى موطنه ، وجده يقطن قصرا فخما ، تحفه حديقة فيحاء غناء

فلما شق طريقه فى الدار بين أثاث ورى ، وجده يقبع فى زاوية منكرة على كرسيه ، فى ردائه الخشن ، منتعلا حذاءه النحيف فهبط الرجل باهتا لا ينبس ببنت شفة ، حتى ابتسم له الراهب قائلا :

لاتعجب يابنى ، فليس الزهد فى العدم ، وانما الزهد أن تجرد نفسك مما تملك ، أوصحيح هذا ، أهو ممكن جمعنا الله فى أسعد الأوقات •

انتهت الرسالة الكريمة وقد ضمنت ردى على تلك الرسالة الكريمة ما قاله السادة الصوفية فى الزهد فى مذاق آخر : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك ، ودللوا على صحته بموقف أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقد ملك المشارق والمغارب وكانوا فى زمانه يبحثون عمن يستحق الزكاة فلا يجدونه ، حيث عم الرخاء ، ومع ذلك زهد فى عيشته ورضى منها البساطة حتى لقد روى أن الامام الحسن البصرى وفد ضيفا عليه فأخرج له خبزا واداما يسيرا وقال له : كل يا حسن فانا فى زمن لايتسع الحلال فيه لأكثر من هذا •

وينهى السادة الصوفية عن العجز والبطالة ، لأنهم يتمسكون بآداب الشرع الشريف ، وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وقد كان للسادة الصحابة وهم سادة الأتقياء ، تجارة أشير اليها فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة فى مثل قوله تعالى : **(علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ، فاقرأوا ما تيسر منه)** فصار التجار قرناء للمقاتلين فى سبيل الله •

ومن طريف ما قرأته فى استبصار السادة الصوفية ، أن أحد ملوك الفرس سأل أحدهم : لماذا يرزق الأحمق ويحرم العاقل ، فأجاب الصوفى : دل الصانع بذلك على نفسه - ويقصد أن الرزق عن تقدير من الله العزيز الحكيم وليست الأسباب هى الجالبة له ، وانما هى تعرض لعطاء الله الذى تعبدهم بها فى سبيل الله ، وعلينا أن ننبذ الأدعياء الذين يتزيون بزى الصوفية كذبا لتوجههم الى ضرورة التكسب من الأبواب الشريفة ، فخير ما يأكل المرء من كسب يده والسعى على العيش عبادة من أجل العبادات

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

يقول : لايقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة - كما كان يقول : كنت ارى الشاب فيعجبنى منظره فاذا قيل لى لاحرفة له سقط من عينى .

والقول الفصل فى موقف السادة الصوفية من الأسباب والتوكل ما يقوله سيدى ابن عطاء الله صاحب الحكم : انه لابد لك من الأسباب وجودا ، ولا بد لك من الغيبة عنها شهودا ، فاثبتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك بأحديته .

والتفويض والتوكل لاينافيان حسن التدبير فيما كسب المؤمن من رزق ، فان الله تعالى أرشد فى كتابه الكريم ، ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشد فى سننه ، الى حسن التصرف فى الأموال فجعل الله النفقة حسنة بين سيئتين ، كما عبر امير المؤمنين الورع عمر بن عبد العزيز ، مشيرا الى قوله تعالى فى وصف عباد الرحمن (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) فنهى الله عن سيئة السرف كما نهى عن سيئة التقتير وجعل الاعتدال فضيلة بين الافراط والتفريط وكذلك قال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » أى لايتعرض لآلام الفقر من كان معتدلا فى نفقاته .

على أن السادة الصوفية لا يفهمون السرف والتقتير على الوجه الذى نعرفه ، فعندهم أن من أكثر النفقة فى مرضاة الله لايعد مسرفا ومن أنفق أقل المال فى معصيته تعالى يعد مسرفا ، وتعليلهم فى فهمهم هذا تعليل وجيه ، اذ يقولون أن جمع المال ليس غاية فى ذاته بل هو وسيلة للنفع فما أنفق منه فى وجوه البر ، يقى لصاحبه عند الله ، ألست تراه تعالى يقول (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) اما النفقة فى المعصية فتنطوى على كفران نعمة الله فقد أعطى عبده المال ليطيعه فى انفاقه ، ويكون بذلك شاكرا لأنعم الله ، فاذا أنفقه فى معصيته فقد بدل نعمة الله كفرا وقد قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) فالشكر عندهم ، كما يقول امامهم أبو القاسم الجنيد ، هو ألا تعصى الله بنعمه .

وكما انهم ينهون عن انفاق المال فى معصية الله فانهم لايقرون الغبن فى شراء ما يلزمهم ، والغبن فى نظرهم من السفه اذ يترتب عليه وضع المال فى غير موضعه ، وتروى فى هذه المناسبة رواية طريفة ، فقد قالوا أن الصحابى الجليل الورع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يهب لبيت المال مايعجبه من ماله من جياد أو ابل - ولكنه كان يساوم فى السلعة اذا اشتراها ، فتعجب الناس لأمره وقالوا له ، نراك سخيا بمالك اذا كان لبيت المال ، ونراك تساوم فى دراهم عند الشراء ، فقال فى براعة وفطنة ، وذاك مالى جدت به وهذا عقلى بخلت به .

ولا يتبرم فقراء الصوفية من ضيق الرزق بل يرونه عطاء من الله ويقولون فى هذا المضمار : اذا منعك لم يمنعك من بخل ، وانما يمنعك رحمة ، فمنع الله عطاء ولكن لايفهم العطاء فى المنع الا صديق .

والسادة الصوفية يطمئنون بالله فى كسب أرزاقهم ، وينفقونها فى مرضاته سبحانه ، ويرضون بما أقامهم فيه من بسطة العيش أو ضيقه ، فاذا وسع عليهم شكروا بكثرة العطاء واذا ضيق عليهم صبروا على البلاء

ومن الهام استاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى أمر الرزق قوله رضى الله عنه :

كفل الله للبرية رزقا
وتولاهم ثم أسبغ سترا
حينما الدود أسكن الصخر بيتا
أنبت الله فى الصخور الزهرا
تصبح الطير فى الهواء جياعا
يشبع الله بعد ذاك الطيرا

وينهى رضى الله عنه عن سؤال الناس فيقول :

لاتمد اليدين للنـاس يوما
مدها للعبـاد بالشرك أحرى
وسؤال العبـاد شرك خفى
قد حففناه حين ذقنـا السرا

واذا ما اتجهت لله فـردا
نلت يا صاحبى من الله خيرا
حسب النـاس مذ رأونى أناجى
فى جلال الرحمن أقرض شعرا

منشدا أبتغى من النـاس شيئا
أو أخص المديح زيدا وعمـرا
قلت كفوا فلست أقصـد الا
وجه ربى وقد وهبت العمـرا
فاذا عشت سـتر ربى غطائى
واذا مت لست أعـدم قبرا

ان تكن نشوة الضلوع بخمر
قد جعلنـا هداه للروح خمرا
ان ذكرنا وقد سـكرنا بروح
فسكارى ولم نذق بعـد سكرا

وأنت تراه فى الأبيات المتقدمة ، كاسـبا عيشه فى عفة ، عازفا عن سـؤال الناس ، ويرى فى سؤالهم شركا خفيـا ، ثم هو مع كسب عيشه الدنيوى كاسب عيشه الأخروى، ومأنوس بربه فيهمـا ، فحيـا جسده بكسب دنياه، وحيث روحه بكسب الباقيات الصالحات التى يقدمها لأخراه ، وكانت له بكسبها نشوة فى الضلوع تشبه نشوة السكر ولكن سكره لم يكن من خمر أهل الدنيا بل من خمر أهل الآخرة الذى يقول فيه طيب الله ثراه :

ان كان سكر الناس من عنب
ومن بلح فانى فى المحبة أسكر

ويقول أيضا :

سـكرنا لا بخمر يـد ولكن
بعلـم الله مولانا سـقينا

ويقول مذكرا بنفـع المال فى أمر الآخرة ومحذرا الغافلين به عن الله تعالى :

ألم يك فى الدنيا الذى قد جمعته
علام اذن سب الحيـاة تزاول
وما السب الا للذى زيف الهدى
ومنه على الدنيـا ترامت رذائل

فيا رائد الدنيا وصـولا لربه
لتسـعد فى الأخرى مرادك كامل
ولا تمدح الدنيـا اذا عز عيشها
فمادحها للعز فى النـاس غافل
ولا تجعل الدنيـا مرادك وحدها
فمن لم يجزها بالهـدى فهو جاهل
فان لم تكن بالذكر والفكر سـاهرا
وللدين والايمـان قلبك ناهل

وان لم تكن من أهل هذا ولم تكن
مع الله فى سر وجهر تواصـل
فسيرك فى الدنيـا فجور وعلة
وعيشك فى الدنيا مجون وباطل

وما أروع قوله رضى الله عنه :

ومهرق وجهه للنـاس مهما
رأى الاحسـان ما عز انابا
تمسك بالاله تسد حيـاة
وتحمد من أياديه الثـوابا

فان قالـوا اتخذ لك أى جاه
فخذ تقـواه جاهك والمآبا
وان قالوا اتخـذ لك أى كأس
فخـذ من كأس عزته الشرابا

وقوله رضى الله عنه :

قالوا اتخذ لك جاها قلت واعجبى
أغير ربى ايمـان وتوحيـد
أطوف بالحى صـبا فى مكارمه
يارب صب رواه البر والجـود
وانمـا أنا فان فى محبتـه
لكننى فى كتـاب الحب موجود
سـارع الى الله معتزا برحمتـه
فالكل عبد ورب الكل معبـود

ألا رحم الله أسلافنا الصالحين ، ومشايخنا المرشدين ، الذين سعدنا بارشادهم وان قصرت خطانا عن خطاهم ، ولئن اقتفينـا آثارهم ، والتزمنا طريقهم وصـلنا ماوصلوا اليـه من ايثاره تعالى على ماسواه ، فان فعلنا ، دخلنا معهم فى حماه تحت قوله تعالى (**ان عبـادى ليس لك عليهم سـلطان**) فخلص جهادنا فى سيرنا الى الله فاهتـدينا بهداه مصـداقا لقوله الكريم (**والذين جاهدوا فينـا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**)

ليلتان سعيدتان
في رحاب الله ورحاب رسوله

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

ليلتان سعيدتان لست أنساهما ماحييت ، تلقيت فيهما هديتين كريمتين ليستا مما يهديه البشر ، ولكنهما من هدايا السماء :

كلتا الليلتين كانت ليلة وداع ، وكان الأمر فيهما يجرى على غير تدبير منى ، ولكن بتدبير من الله العزيز العليم .

فأما الليلة الأولى فكانت خاتمة الليالى التى أقمناها بمكة المكرمة سنة ١٩٤٩ م بعد أن اتممنامناسك حجنا وعمرتنا ، واعددنا عدتنا للرحيل فى الصباح الباكر ، مسافرين الى المدينة المنورة ، وكنت عامئذ عضوا فى بعثة الشرف المصرية التى كان رائدها الرجل العالم الأديب الفيلسوف « عبد الوهاب عزام » ـ عليه سلام الله ورحمته ـ وفاتنى أن أشهد مع أعضاء البعثة حفلة غسل الكعبه ، تلك الحفلة التقليدية السنوية التى يهوى الى شهودها فؤاد كل حاج ـ كما فاتنى أن أدخل جوف الكعبة الشريفة فأصلى فيها .

وصليت العشاء فى المسجد الحرام ، وانا أحسب أن هذه هى آخر صلاة فيه لتلك الرحلة ، وطفت بالكعبة مودعا ، ثم خرجت قاصدا « فندق مصر » الذى كنت أنزل فيه ، قاصدا أن آوى الى فراشى مبكرا لأقوم فى صبح الغد مبكرا ، ولكنى لم أكد أخرج من باب المسجد حتى لقينى شاب سلم على باحترام ، وعرفنى بنفسه فظهر أنه احد طلابى فى كلية الشريعة ، وأنه ابن الشيخ الشيبى سادن الكعبة ـ أى حامل مفاتيحها وخادمها الخاص ـ ووظيفته « السدانة » هذه تلقاها آل شيبة بعد فتح مكة عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن رسول الله دعا كلا من شيبة بن عثمان بن ابى طلحة ، فطلب منهما مفاتيح الكعبة - وكانت معهما قبل الاسلام - فطلع العباس بن عبد المطلب الى اخذها وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضم اليه وظيفة السدانة - أى خدمة الكعبة وحمل مفاتيحها - الى وظيفة السقاية - أى الاشراف على سقى الحجاج وكانت مسندة الى العباس - فأراد العباس أن يجمع بين الشرفين ، بجمعه بين هاتين الوظيفتين الساميتين ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجب عمه العباس الى ماطلب ، بل دعا عثمان وشيبه وأعطاهما مفاتيح الكعبة وقال لهما : ((**خذاها خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم**)) . وبهذا استقرت وظيفة السدانة فيهم وفى ذريتهم من بعدهم الى يومنا هذا .

قابلنى هذا الطالب الشيبى عند الباب ، وبعد أن عرفنى بنفسه رجانى أن أزوره وأتناول الشاى معه ، فقلت له : انى أحب أن يكون آخر عمل أعمله هذه الليلة هو وداعى للكعبة المشرفة وقد ودعتها الآن ، وأنا ذاهب للأنام ، فقال لى : هل دخلت الكعبة وصليت فى داخلها ؟ قلت : لا ، لم يتيسر لى ذلك ، ولم أحظ بهذا الشرف ، قال : وكيف ! ألم تكن مع أعضاء البعثة يوم حفلة الغسل ! قلت : لا ، فقد سبقونى اليها من « منى » ، وازدحم الطريق بعدهم بالسيارات فلم أستطع الوصول الى مكة صباحا ، فبقيت ثم جئتها بعد الظهر ، قال : هيا بنا اذن لنشرب الشاى عندنا الآن ثم نعود الى المسجد فتدخل الكعبة وتصلى فيها ويكون هذا آخر ماتعمل فى مكة كما أحببت ، ففرحت بهذا العرض وقبلته من فورى وأنا لا أكاد أصدق ماسمعته أذناى ، وذهبنا الى بيت الشيبى والتقينا برجال فيه رحبوا بنا أعظم ترحيب ، وشربنا الشاى معطرا لذيذ المذاق ، وتلطف أحد أعمام هذا الطالب فأهدانى قطعة من كسوة الكعبة مطرزة بالقصب ، ولفافة من السمر الذى غسلت به الكعبة فى ذلك العام وقال : خذهما هدية لك ، حيث فاتك أن تحصل على مثل ماحصل عليه اخوانك فى البعثة ، فشكرتهم جميعا ، وقمنا الى الكعبة بعد أن توضأنا استعدادا للصلاة فيها - من الداخل - فلما دخلنا المسجد الحرام وجدنا الناس ليلتئذ أمام باب الكعبة كالكتل المتراصة ، فشق لنا أحد الجنود طريقا ، ووضع السلم الخشبى ، فامتطيته وصعدت الى الباب - وهو عال لابد من الصعود اليه - ثم دخلت ! فأخذتنى الرهبة ، وامتلأت بجلال الموقف ، قلت : رباه ! أين أنا ؟ أفى بيتك ؟ فى ضيافك ؟ لك الحمد يارب ولك الفضل ، اللهم ان المزور يكرم زائره ، وانه لاقرى فى ساحتك أكرم من رحمتك فما قلت ذلك حتى شعرت - والله - كأن قدرا من الماء صب على ، فأحسست له استرواحة من السعادة والرضا ماأحسبنى أشقى بعدها أبدا ، ولم أطل الا بمقدار ماصليت ركعتين خفيفتين ، ثم عدت أدراجى الى « الفندق » وكأنما حيزت لى الدنيا بحذافيرها ، فنمت قرير العين الى الصباح .

•

أما الليلة الثانية فكانت أعجب وأغرب ، وكان تدبير الله فيها أظهر وأبرز .

كانت ايضا خاتمة الليالى التى أقمناها بالمدينة المنورة ، بعد تسع ليالى قضيناها مقيمين فى « التكية المصية » ، ولم يكن فى تقديرى أنى سأبيت تلك الليلة بالمدينة ، فقد أعددت العدة للرحيل الى جدة على متن الهواء أنا وزميل لى من أعضاء البعثة بعد صلاة الجمعة فى المسجد النبوى ، على حين كان رئيس البعثة وسائر الزملاء قد قرروا المبيت ليلة السبت ليبدأ ركبهم السير الى جدة مع الفجر بالسيارات .

قضيت ليلة الجمعة وهى فى ظنى ليلة الوداع ، يخفق قلبى خفقة لمن أنا فى جواره، صلوات الله وسلامه عليه ، وخفقة لأهلى وولدى الذين تصورتهم فى مصر وهم

يتدافعون الى ، ويزدحمون على حضنى ، وينهالون على بالقبلات بكيا على خدودهم دموع الفرح باللقاء ، وهكذا نمت ليلتى موزعا بين خفقة الاشفاق من الفراق ، وخفقة الحنين الى اللقاء .

وصحوت فجر الجمعة على رؤيا عجيبة : رأيت انني أزور أمير المدينة ، فدخلت عليه في حجرة نومه ، فوجدته مضجعا على سريره مستيقظا كأنه نائم ، فحييته في أدب واجلال ، ثم خرجت شاكرا داعيا .

فلما قصصت رؤياى على اخوانى ، كان منهم من التفت اليها ، ومنهم من شغل عنها ، وعبرها بعضهم بأنها درجة أو وظيفة كبرى سأحظى بها - ويظهر أن شبح الوظيفة والمنصب لايفارق الناس حتى في رحلات الأرواح .

أديت صلاتى ، وشغلت باعداد متاعى ، ثم أديت صلاة الجمعة بالمسجد النبوى ، وتوجهت نحو « الروضة الشريفة » كى أصلى فيها ركعتين ، وكان الطريق اليها مزدحما بالناس كأن اليوم يوم الحشر ، فلما وصلت اليها لم أجد موضعا لقدم فيها ، غير أن الله أكرمنى فالتقيت بصديق كان قد انتهى من صلاته فأقامنى مقامه ، فلما أديت الصلاة أدركتنى حالة من الخشوع والصفاء ، من الحالات التى لاتدرك المرء الا فى القليل النادر ، فانطلقت الى المقصورة النبوية كى أزور مودعا ، فاذا نوبة من البكاء تأخذنى أخذا ، وتهزنى هزا ، حتى كدت أشرق بدمعى ، وناديت ربى قائلا : اللهم لاتجعله آخر العهد بهذا المكان الطاهر ، وحييت وانصرفت .

ولم تمض بعد ذلك ساعتان حتى كان متاعى ومتاع زميلى فى السفر معدين فى السيارة التى وقفت بساحة التكية المصرية أمام غرفتينا ، كى تنقلها الى المطار ، وركبنا وتحركت بنا السيارة ، وتحسست تذكرة سفرى بالطائرة فوجدتها فى حافظة أوراقى ، وقبل أن تخرج السيارة من الباب

العام ، توقفنا قليلا لكى نسلم على رئيس البعثة رحمه الله . فعلمنا ان شقيقه - وكان مريضا منذ أيام - قد اشتد به المرض ، وان ركب البعثة الذى أزمع السفر فى فجر الغد ، قد يتأخر حتى يتهيأ لهذا المريض مكان بطائرة الغد ، فهو لايحتمل مشقة الطريق بالسيارة ، فأدركتنى حينئذ نخوة وقلت : فليأخذ مكانى بالطائرة ، ولابق أنا الى الغد لآخذ مكانه بالسيارة - وكانت تذكرة الطائرة التى معى غير شخصية - فقبل رئيس البعثة ذلك منى بعد المراجعة التى ألفها الناس فى مثل هذا المقام . ونزلت من السيارة وجيىء بالمريض المسكين محمولا أو شبه محمول ، فأجلس مكانى ، وانزلت أمتعتى وسارت السيارة براكبيها الى المطار .

وعدت الى غرفتى فى « التكية » متعجبا ، أفكر فيما كان ، وفيما هو كائن ، وأقول فى نفسى : لابد أن وراء هذا أمرا أراده الله ، ولكن ماهو ؟ لا أدرى .

ودعانى رئيس البعثة الى رحلة قصيرة فى ضواحى المدينة ، وصلنا فيها الى « ذى الحليفة » وتوضأنا من مائها الذى اغتسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نتصور أن هذا الماء الذى توضأنا به متصل بالماء الذى مس جسد الرسول الكريم ، فهو اما مختلط بماء اتصل بماء وهكذا على مر السنين ، وأما ان تكون البئر جفت حينا ثم عاد اليها ماؤها فاتصل بترابها المشبع بالماء السابق ، وتصورنا هذا فكان لنا من تصوره لذة وصلة روحية طيبة .

ثم عدنا فصلينا المغرب والعشاء ، وابتدأنا نتأهب للنوم حتى ننشط فى الصباح لرحلتنا الشاقة التى تنتظرنا .

وبينما نحن كذلك اذ جاء رسول من أمير المدينة يبشرنا بأن الملك عبد العزيز قد أرسل برقية يأذن فيها لبعثة الشرف المصرية بزيارة الحجرة النبوية من الداخل ، وكان هذا الاذن مفاجأة سارة لنا جميعا ، ولم تأت الساعة العاشرة مساء حتى كان المسجد النبوى قد

أخلى من الزوار ، ولم يعد به على سعته الا خواص الخدم ، ووقف أمير المدينة على باب السلام يستقبلنا ونحن داخلون ، فصليت فى الروضة النبوية مرة أخرى فى ذلك اليوم ، وسرنا صامتين نتبادل النظرات ، ولاينبس أحد منا بكلمة ، وامامنا حامل المفاتيح ، وهو أحد الاغوات السود ، فدرنا حول المقصورة النبوية الشريفة حتى صرنا أمام الباب الذى يسمونه باب جبريل ، فوجدنا قريبا منه باب المقصورة ، ففتح لنا ذلك الباب ، وكانت حركات «الأغا» وهو يضع مفتاحيه الذهبيين فى مكانيهما من القفل والباب ، تأخذ من نفسى مأخذا عجيبا ، فقد خيل الى أن هذا الرجل انما هو « رضوان » خازن الجنة ، وان وجهه ليس أسود لامعا ، وانما هو أبيض وضاح الجبين ، وجعل قلبى يدق دقا عنيفا ، وذكرت ليلتى بمكة ، حين تشرفت بدخول الكعبة ، وشعرت بأننى أسعد من أظلتهم السماء ، وأقلتهم الغبراء .

ودرجنا الى الحجرة الطاهرة ، الى البقعة التى تضم أكرم جدث ، وادركنى شىء يشبه الذهول : أين أنا يارب ؟ أفى جوار رسولك وحبيبك محمد ؟ ومن أنا حتى أسعد فى مدى بضعة أيام بسعادة زيارتك فى بيتك ، وزيارة حبيبك ورسولك فى بيته ؟ لك الحمد يارب ولك الفضل !

ثم وقفت خاشعا لله ، معترفا بنعمته وفضله ، مؤمنا بعظمته وجلاله ـ تاليا قوله تعالى فى كتابه العزيز يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم **« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »** .

ثم قلت ـ وأنا أحس كأن كل شعرة من شعرات جسمى وكل قطرة من قطرات دمى تشاركنى فى هذا القول ـ : رب أبلغ عنى نبيك أزكى السلام ، واجعله شفيعى يوم الزحام ، واجعل نفسى ودينى وعقلى وجسمى فى حصانة منك حتى ألقاك ، رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

وذكرت رؤياى التى رأيتها فجر اليوم فقلت : هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا .

من حضارة الإسلام

يوم عرفة

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

موضع عرفات – علل وظنون – ركن الحج – خطبة الامام – الدفع والافاضة – قضايا وأحكام

موضع عرفات :

اتفق أهل اللغة بعد خلاف طويل على أن عرفة بلفظ المفرد وعرفات بلفظ الجمع انما هما شيء واحد ، واذا كان الثانى جمعا للاول فليس الا فى الظن والتقدير . ثم اتفقوا على أن الاسم المجموع علم غير مصروف وأنهما كلاهما لا تدخله الألف واللام لأنه علم من الأعلام .

وحدود موضع عرفة أو عرفات من المرتفع الجبلى المشرف على مكان المسيل المسمى بطن عرنة – بضم العين وفتح الراء على وزن همزة – الى الوادى هناك على تسعة أميال الى اثنى عشر ميلا من مكة . ويقال انه كان هناك قرية تدعى عرفة ذات بطائح وحياض وخضر ومزارع ، بنى أهل مكة لهم فيها دورا حسنة لتتلقاهم اذا كان يوم الموقف ، وهذه الدور على مدى صيحة من علم أركزوه على ظهر الجبل للامام فاذا نودوا خفوا من دورهم سراعا فاجتمعوا عند ذلك العلم المركوز .

وموضع عرفة من الزمان فى اليوم التاسع من ذى الحجة ، يفضى الناس اليه من يوم التروية الذى هو الثامن ويسلكون اليه بعد منى من طريق يقال له ضب ، ثم يكون الرجوع عن الجبل فى طريق المأزمين ، وكأنما يوم عرفة عيد من الأعياد قد سن فيه الخروج الى المصلى من طريق وسن الرجوع وعنه من طريق أخرى .

أما موضعه من فريضة الحج فهو ركن أركانها الذى لا يكون الحج كله الا بالوقوف فيه أو فى بعضه ولو لحظة قبل الغروب . ومع اختلاف الأئمة فى بقية الأركان فانهم لم يختلفوا حول هذا الركن لقوله – عليه الصلاة والسلام – « الحج عرفة » .

وكما احتل عرفات مكانا مقدما فى الدين احتل مكانا كريما فى الشعر والأدب ، اقتبسوه من حال المكان حين يزدحم بالحجيج ثم لا تفوتهم فيه الطهارة والعفة مع ما تدعو اليه المزدحمات من الأخطاء والأسواء .

وحتى الفن صار لعرفات مكان فيه، فغنيت به أصوات لم ير أفضل التابعين فيها من بأس فاستحسنوها ، كما روى عن سعيد بن المسيب الفقيه المدنى التابعى ابن المسيب بن حزن الصحابى أنه مر ذات يوم فى بعض أزقة مكة فطرب لصوت مطرب يغنى ويقول :

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت
به زينب فى نسوة عطرات
وليست كأخرى أوسعت جيب درعها
وأبدت بنان الكف للجمرات

وقامت تراءى يوم جمع فافتنت
برؤيتها من راح من عرفات

فلما سمع سعيد ذلك الشعر والغناء ، ضرب برجله الأرض وقال : هذا والله مما يلذ استماعه .

وما أظن ابن المسيب قد فتن الا من لمحة الطهاره التى تفوح وكأنها النفحات تمجها أفواه الأبيات والنغمات .

علل وظنون :

وقد اتجهت النفوس - كعادتها - لاتخاذ أسباب للتسمية ، وهى أشد ولعا باتخاذ هذه الأسباب متى انحدرت اليها من الاقاصيص والأخبار مما فوق التاريخ . وقد أولع بعض الأخباريين بأن يجعلوا لهذه التسمية من العربية أسبابا حتى قبل أن تكون العربية ، ولم يكن عندهم من بأس على ما تخيلوه ، فربطوا الأسباب مبالغة بأول خلق الانسان .

ومن ذلك قول بعضهم ان عرفات سمى كذلك لأن آدم لما هبط الى الأرض ازدلف الى حواء وازدلفت اليه عند المزدلفة فلما تعارفا سمى المكان عرفة ، ثم سمى مكان الاجتماع جمعا .

ويفهم من هذا الظن والتخيل أنهما حين طردا من الجنة هبطا منفردين مفترقين لتكون الوحشة عقوبة لهما فتاها فى الأرض يطلب كل منهما الآخر وما زالا فى تيه طويل حتى التقيا على هداية من الله ومشيئة فى هذه الأمكنة حول عرفات ، ثم انطلق الكلام يعدو من رمز لشخص وحال الى أن صار فى الزمن جسما لصورة يجد الناس لها حسا ويذوقون لها مساغا .

وأقرب من هذا أن ابراهيم وابنه اسماعيل - عليهما السلام - حين قالا « ربنا أرنا مناسكنا » أخذ جبريل - عليه السلام - يعلمهما المناسك حتى اذا انتهى من الالقاء والتعليم والتعريف والتفهيم ، قال لابراهيم: أعرفت .. قال : عرفت . وكان ذلك المنتهى فى المعرفة على ذلك الجبل فسمى عرفات .

وفى الامكان ان ينقطع هذا التمادى فى الظنون فتلتقى أسباب التسمية بالفكر والعقل فيكون كل ما يقع فى هذا المكان من الالتقاء والاصطحاب والتعلم والانتصاح ، وغسل الذنوب فى غيوث الاستغفار تعريفا واعلاما قد انطلق على المكان باسم عرفة . أو عرفات . واللغة تسند ذلك وتؤيده ، اذ جاء فيها أن التعريف هو الوقوف بعرفات ، ولا يكون الوقوف حسا بلا معنى ، بل لا بد أن يكون بما يموج فيه من خفق القلوب بالخوف والأمل فى عجيج من الدعاء وفيض من البكاء .

والعقل الذى يحاول دائما أن يربط الأمور بأسباب يتحسسها كما يتحسس الاصبع ملامس الأشياء يستسيغ ذلك ، ويستسيغ أيضا ما جاءت به اللغة من أن التعريف معناه التقديس والتعظيم وهما فى المعانى أشبه بما فى المحسوس من العرف والشذا والطيب .

وأقرب للعقل أيضا أن يكون اشتقاقا من لفظ التعريف بمعنى المجازاة ومنه قراءة الكسائى « عرف بعضه وأعرض عن بعض » - بتخفيف الراء فى عرف - أى جازى حفصة أم المؤمنين - رضى الله عنها - ببعض ما فعلت وتجاوز عن بعض . فتكون التسمية بعرفات لمجازاة الواقف على الجبل فى الحج بما يتبقى فى حقيبة رحله من الاثم والذنب وبما يرفع منها بما يستحقه من صفح وغفران .

وربما كانت التسمية ذات قرابة من المعرفة بمعنى الصبر ، اذ لا يحسن الوقوف بعرفات الا والنفوس صابرة على مشقة الوقوف واحتمال وقدات الحر ولفحات البرد ومصاعب الاختلاف فى الأخلاق والعادات مع اجتماع الحواس الظاهرة والباطنة على الطاعات وحسن القصد فى المعاملات حتى يكون الحج مبرورا والذنب مغفورا .

ركن الحج :

ومع أن الكعبة أقدس من عرفات حيث يتجه اليها المسلمون من كل بقاع الأرض فى صلواتهم ودعواتهم سواء أكانوا على مقربة قريبة منها ، أو على مبعدة سحيقة عنها ،

ومع أن عرفات فى خارج أرض الحرم ودائرة الاحرام وعلى الواقف عليه أن يتجه فى دعائه وصلاته الى الكعبة ، فان الوقوف بعرفة كان الركن الأول وفوق الطواف ٠

وقد عز على أعرابى من الصحابة أن لا يحسب له كل ما أنفقه من جهد وسير حين لم يبلغ عرفة ويحضر الموقف مع الناس ٠٠ فقال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن فرغ من صلاة الصبح فى المزدلفة بعد الدفع من عرفات :

يا رسول الله ، انى جئت من جبل طيىء أكللت راحلتى وأتعبت نفسى، والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه ، فهل لى من حج ؟

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه ٠٠

وكأنما كان سر ذلك الاشتراط أن الحجاج لا يرون أنفسهم وقوتهم أو يراهم غيرهم ويرى قوتهم الا اذا اجتمعوا متكاشفين فى ساحة لموم ، رحيبة الجنبات فيرى من فى أقصى الساحة من هم فى أقصاها ٠٠ ويسمعونهم ٠

وجمع العين للرؤية وسماع الاذن للهدير وسباحة المشاعر فى عجيج الدعاء ولجة الزحام يقدر منه المسلمون قوتهم ويحصون عددهم ٠ ولا يتاح مثل هذا التراثى والتكاشف فى مكة لتفرق الناس فى أرجائها وشعابها ، وتشتتهم بين رحابها ودورها فاستحال عليهم أن يتراءوا جميعا فى وقت واحد وان كانوا احيانا يزدحمون فى الطواف حول الكعبة ، وعند السعى بين الصفا والمروة ، كما لا يتاح لهم أن يجتمعوا فى مضايق منى أو عند رمى الجمار ، فلم يكن هناك صدر لمكان متسع غير سفوح عرفات ٠

وان المسلمين ليتراءون اذا قلوا أو كثروا أسباب القلة وأسباب الكثرة فى الموسم بعد التفكر والاستصبار ، وقد لا تدل الكثرة على نعمة ورخاء ولا القلة على شدة وعناء ، فقد يكثر الناس أحيانا والطرق غير ممهودة ، والأمن غير موفور لأن الناس يرون فى الصرخة عند الجبل والفزعة الى الله فوقه دفعا للخطوب وتخفيفا للذنوب ٠

ومن قبل نصح عمر بن عبد العزيز لسليمان بن عبد الملك أن لا يغتر بكثرة من فى الموسم ، فقد يكونون قد جاءوا يتضرعون ويشكون، وكان عمر فى ذلك على حق وبصيرة لأن المقاييس فى أماكن العبادة والدعاء ليست مثلها فى أسواق البيع والشراء ٠

وربما اختلف حال رجلين فى الموقف ٠ أو الحج كله ، فكان أحدهما مع ظاهر الحركات وبادى الأفعال ، وكان الآخر ذاكرا متأملا يرجو الحقائق ويستلهم الأسرار والدقائق ، ولم يفت عمر بن عبد العزيز أن يضحك من سليمان بن عبد الملك وهما فى عرفات ، وذلك حين غامت السماء وعزف الرعد وخطف البرق خطفا وعزفا شديدين حتى فزع أهل الموقف وكان سليمان أخوف الناس وأكثرهم فزعا ، فنظر الى عمر ليستند اليه ويشد أزره به ، فاذا عمر يضحك ٠ فقال له : أتضحك يا عمر وأنت تسمع وترى ما تسمع وترى ٠٠ فقال عمر : يا أمير المؤمنين هذه رحمة الله قد أفزعتك ، فكيف لو جاءك عذابه ٠٠!

وقد كان حال عمر وحال سليمان مثلا لرجلين فى الموقف ، بل وفى كل موقف : أحدهما لم يزل منصرفا عن ربه لنفسه ، وثانيهما منصرف عن نفسه الى ذكر ربه ، وقد ذعر الأول من الرحمة لأنه ظن فى صوتها رعبا وشرا ، وفطن الثانى لها فرآها غيثا وزرعا ، وكان الأول مع نفسه يريدها أن تعيش فى راحة الملك وبلهنية الراحة فجزع من المطر ، ولو كان حرا قائظا لكان أكثر فزعا وأشد جزعا ، أما الثانى فقد فنى عن نفسه فلم يحس ببرد ولا حر ولا رطوبة ولا يبس ، أو عدهما نعمة وابتلاء ، فكان الأول فى عرفات بجسمه دون نفسه فشغله وسواس الصدر وشتات الأمر ، وكان الثانى بنفسه وجسمه أو بنفسه دون جسمه فكان أظفرهما

بالصفاء والمعرفة ، وأولاهما بالقرب والنجاة ».

خطبة الامام :

وقد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهذا الموقف خطبته الجامعة ، حيث يعسر جمع الحجاج تحت راية خطيب واحد الا فى هذا الموقف • وكان من شأن هذه الخطبة أن يزيد فيها الامام على ما بقى من مناسك الحج ارشاد الناس الى ما يصلح أمورهم فى معاشهم ونظام دنياهم • وقد تبدلت اليوم هذه السنة وتركت عادة الخطبة لكثرة الحجيج واختلاف اللغات والمدارك ، فترك للمطوفين أن يعلم كل واحد منهم طائفة ويقتصر على تعريفهم بما يعرف من مناسك الحج ومشاعره ودعواته وتلبياته •

وخطبة الوداع التى خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حجته سنة عشر من الهجرة كانت بعد ان نزل عرفات عند موضع نمرة وضرب قبته فيه حتى اذا زالت الشمس أمرهم بشد رحل ناقته وركبها وأتى الموقف بعرفة ثم خطب الناس • وقد سميت الخطبة - بعد - بخطبة الوداع •• وسميت الحجة كذلك، نسبة للرسول الأكرم حيث كانت آخر حجة وآخر خطبة له فى الموقف ، أما الحجة - بالنسبة للناس - فتسمى حجة الاسلام •

وقد قيل ان صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى خطبته تلك برغم ماكان قد بلغه من السن قد أسمع كل من كانوا مكشوفين له وكل من كانوا متفرقين فى الخيام •

وقد عدوا نفاذ صوته الى كل أرجاء الموقف - من غير أداة تساعد على التبليغ حين ذلك - من بعض آياته وباهر معجزاته •

وكان الرسول العظيم - صلوات الله عليه - قد أدرك قبل الخطبة أنه واقف ليودع فاضفى على التعاليم التى ألقاها حزنا رهيبا ، لم يسبق أن داخل القلوب وأحاط بها مثله طول رسالته وقد تحداه الى ذلك أن جبريل - عليه السلام - نزل عليه فى الموقف ، أو فى الطريق اليه يبلغه أن النعمة قد تمت ، وأن الرسالة قد اكتملت ، بقول الله سبحانه « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » •

وابتدرت الكلمات من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كعادته خرزات سلك يتحدرن ، وأهرع أهل الموقف اليه وقد غابوا عن أنفسهم وذهلوا لما يسمعون • وكان أشد الكلمات وقعا على نفوس أهل الموقف يوم ذاك - بل على نفوس المسلمين جميعا فى كل مكان وكل زمان - قول النبى - صلى الله عليه وسلم - « أيها الناس ، خذوا عنى مناسككم، فانى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه ! » •

ولم يدر قط فى خيال صادق أو قلب مؤمن الا أن الجبل قد اهتز يومئذ شاهدا على مبايعة أهل الموقف ومبايعة الأمة كلها جيلا بعد جيل الى يوم القيامة حين نفذ صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى كل الأمكنة ، وكل الأزمنة يقول « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » ثم صدر أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - عن عرفات يبلغون قوله لكل مكان وكل زمان •

وقد أرسى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى خطبة الوداع قواعد الاسلام بأسرها بعد أن اقتلع أسس الشرك والجاهلية برمتها وذكر ما حرمته الملل والأديان بأمر السماء ، وخص الربا بالزراية والاهانة •• ووصى الرجال بحقوق النساء ، وأخبر الأمة أنها لن تضل ما استمسكت بكتاب الله وسنة رسوله • فلما أشهد الأمة أنه بلغها وشهدت أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة رفع اصبعه نحو السماء يقول « اللهم فاشهد •• اللهم فاشهد » •

ثم أمر رسول الله بلال بن أبي رباح أن يؤذن للصلاة والاقامة وصلى الظهر والعصر بالناس جمعا وقصرا ، ثم ركب الى الصخرات الكبار من عرفات وأخذ فى الدعاء والتضرع الى أن همت الشمس بالغروب • ومع أنه أقرب الخلق طرا الى ربه ، فقد كان فى حال دعائه بموقفه ذاك رافعا يديه نحو صدره كالقلق الخائف والضارع المسكين •

الدفع والافاضة :

فاذا ما غربت شمس يوم عرفة وابعدت قليلا فى المغيب كان على الحجيج أن يتجهزوا للدفع من عرفات على هينة وبطء ورنق وأناة من غير شد ولا سرعة ولا تعجل ومزاحمة – كما يفعل الناس اليوم – حتى تظل للموقف روعته وللحج وقاره ولا تنطلق الأبدان من السكينة للضراوة والقساوة ، ومن روعة الخشوع لترويع الجموع •

والليل الطويل حتى الفجر يسع الأمة كلها مهما بلغ تعدادها الى مضاعفات الملايين أن تدفع فى هوادة من عرفات وفى تعاون على الهدوء فلا يتأذى من أضعفته السن او اثقله المرض • أما النساء فقد رفق بهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأباح أن يسبقن الرجال الى رمى الجمار حتى لا يتأخرن فى الليل أو يتأذين بالزحام وحطمة الناس ، وكذلك رفق الرسول بالضعفاء والسقاة فأباح لهم أن يسبقوا ليكون الأذى ممتنعا ، والماء حاضرا •

وكان تأديب الرسول – صلى الله عليه وسلم – للدافعين من عرفات بقوله لهم •• أيها الناس عليكم السكينة •• ويشير على جموعهم بسوطه الذى فى يده ويقول: « اتئدوا مهلا مهلا ليس الخير فى السوق، ولا التقوى فى العجلة » • وكما كان الرسول يعلم الناس ذلك بالقول كان هو يعمل بقوله ليكون مثلا وقدوة فكان يكف ناقته عن أن تهم بالاسراع • وكما أدبه الله كان يؤدب الناس•

ولم يلتزم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرفق والاناة الا حسبما يكون الطريق ، فاذا كان ضيقا مزدحما أو كان نشزا عاليا لزمهما ، واذا اتسع قليلا أرخى زمام راحلته ليكون السير بين السريع والبطىء فاذا بلغ مكانا رحبا أو واديا فسيحا حركها بسرعة ، وكما ترى عين السائق البصير •

وقد سئل أسامة بن زيد عن دفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « كان – صلى الله عليه وسلم – يسير فى حجة الوداع حين دفع – كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص – والنص سير فوق العنق» •

وقال ابن عباس : انه دفع مع النبى يوم عرفة فسمع النبى – صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا وصوتا للابل ، فأشار لهم بسوطه وقال « أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع » •

وكان التأكيد بالتمهل والارواد لأن الادبار ليس كالاقبال ، فقد تعود الناس حين ينصرفون من الأعمال والوقائع أن يكون فيهم سرعان منهم تزدحم بهم مسالك الدفع وأبواب الخروج • وكان عرب الجاهلية يدفعون من عرفات قبل الغروب فى سرعة وعجلة يحطم بعضهم بعضا ، بل ان الحمس المتشددين فى الدين – ومنهم قريش – كانوا يدفعون من المزدلفة فيسبقون كل الناس فى الرجوع فأدبهم الله – سبحانه – بأن يفيضوا من عرفات من حيث يفيض الناس وأدبهم الرسول بأن يكون الدفع رويدا رويدا ومهلا مهلا • وليت الناس يتعودون ذلك فى أعمالهم وعباداتهم فلا تغص أبواب الدواوين والمنتديات والمساجد والمدارس بعد أداء الفرائض والفراغ من الأعمال شأنها عند كل بدء واقبال فتخلو الطريق لفرد فرد وقليل قليل •

قضايا وأحكام :

وكان التوقيت فى أول الاسلام ليالى الحج بالقمر وسيره فى قوس السماء ، اذ هو من ليلة العاشر يغيب قبل الفجر ، ثم يتمادى فى البقاء على الصفحة الخضراء حتى يكون

غيابه فى آخر ليـالى التشريق مع شروق الشمس ، وهى ليلة البدر أو ليلة التجلى •

ثم يتراءى البدر والشمس فى صبح الرابع عشر من الشهر : هى فى مشرقهـا وهو فى مغربه • وقد أخبرت أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنها - أنها كانت تقيس أوقاتها بعد المزدلفة ببقاء القمر وغيابه • وكانت أسماء من الظعائن التى أباح رسول الله لهـن أن يرمين الجمار قبل الناس - ولعل الاجمال الذى جاء فى قوله - سبحانه - « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » يكون من تفصيله وتأويله مراقبة مدارج القمر ومنازله كما أخبرت أسماء •

وأروع منازل القمر ما يسير اليها من يوم عرفة الى آخر أيام التشريق حيث يبلغ البدر منزلة التجلى ، فما هى هذه المنزلة يا ترى ؟ وقد أشرنا اليها فى مقالنا عن أسرار الموسم -

ان حقيقة التجلى تكيف فى طبيعة الكون من اتخاذ مواضع بذاتها للشـمس والقمر والأرض فتعتدل الأضواء على القمر وتعم سطحه المقابل للارض كله من حيث لا تحجب ظلال الأرض منه شيئا • ومن ثم كان هـذا الاعتدال الذى أرسل ضوء الشمس على القمر كله مناسبا أن يكون رمزا للضوء الغامر فى حال من الرحمة الشاملة فيعمان الخلق بفضل الله ونوره من غير أن يكون هناك حاجب من التلبس بالآثام أو التعلق بالشهوات •

وقد كان يصح أن تضرب للتجـلى أمثلة أخرى من الطبيعة وغيرها ولكن ضرب المثل بالقمر حين يكون بدرا مثل تراه كل عين فى آفاق الأرض كلها على مقياس واحد وصورة واحدة فصح أن يكون المثـل الفريد الذى يضرب للتجـلى فى الكون الماثل والعـالم الشاهد •

ومن حيث يختلف الناس فى طريقهم الى عرفات بين مكبرين أو ملبين كل حسـبما يبتغى ، وبين مفطرين وصائمين مع تفضيل الافطار ليقووا على الوقوف واللهج بالدعـاء والتضرع ، فانه على الحاج أن يبذل من ذات نفسه لله فى هذا الموقف أقصى ما يسـتطيع أن يبذل من جهد ودعاء من غير أن يستعين القادر منهم بأحد ما دام قادرا فان خطام ناقة الرسول - عليه الصلاة والسلام - سقط وهو واقف بعرفة يدعو رافعا يديه ، فلما سقط الخطام تناوله الرسول باحدى يديه وهـو رافع يده الأخرى لم يقطع الدعاء ولم يخفض عينيه عن سمت السماء •

وكان أكثر دعاء النبى فى يوم عرفة - كما روى الامام أحمد فى مسنده - قوله « لا اله الا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير » ، وذكر البيهقى أن هذا الدعـاء لم يكن دعاء النبى وحـده يوم عرفه ، بل كان أكثر دعائه ودعاء الأنبياء من قبله •

على أن فقهاء الأمة رأوا من أفضل الدعـاء وأحبه الى نفوس العباد أن يدعو كل حاج ربه على عرفات - وهو موطن اجابة - أن لا يجعل الله موقفه على الجبل من عامه الذى يحـج فيه - مهما تكرر - آخر العهد به ، بل يرزقه الرجوع اليه نية اقامة الموسم وان كان قد قضى حجة اسلامه لتظل الفريضة مـؤداة ، والموسم قائما •

وقد أعد الاسلام لمن مات فى عرفة مقاما كريما ، فقد سقط فى حجة الوداع رجل عن راحلته بعرفات فوقصته الدابة فمات ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسـلم - أن يغسل بالماء والسـدر وان يدرج فى ثوبى احرامه وأن لا يطيب ولا يغطى راسـه ولا وجهه وقال « انه يبعث ملبيا » •

وحسب كل صاحب حج مبرور أن يعود بالتوبة ومغفرة الذنب كريم الوجـه ، نقى الصفحة كيوم ولدته امه ، ثم لا جزاء له الا ما ضمنه الله له من الجنة • ولا بغيـة فى السعادة لابن آدم أكثر من صـفو الحياتين وكرامة الدارين •

مظاهر العدل الإلهى في تفسير الزمخشرى

الدكتور أحمد الحوفى

- ٢ -

من أصول مذهب المعتزلة وصف الله تعالى بالعدل ، كما وصفوه بالوحدانية ، ولهذا سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد .

واذا كانوا قد شعبوا مباحثهم فيما يتصل بالتوحيد ، فانهم قد تعمقوا فيما يتصل بالعدل ، وشققوا منه عدة مباحث :

١ - فالله سبحانه وتعالى عادل ، والظلم منفى عنه ، قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد » وقال تعالى : « فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

٢ - وهو سبحانه وتعالى يريد لعباده خير مايكون .

٣ - ولا يريد الشر ، ولا يأمر به .

وذلك لأن مريد الخير خير ، ومريد الشر شرير ، فلو كانت ارادة الله تعالى متعلقة بكل ماقى العالم من خير وشر لكان الخير والشر مرادين له ، فيكون المريد موصوفا بالخيرية وبالشرية ، والوصف الأخير محال على الله .

ولهذا قالوا ان الله تعالى اراد ماكان من الأعمال خيرا أن يكون ، وماكان شرا الا يكون وما لم يكن خيرا ولا شرا فهو تعالى يريده ولا يكرهه .

ومعنى هذا أن الله مريد لما أمر به من الطاعات أن يكون ، فهو يريد منا الصلاة والزكاة ، ولا يريد منا المعاصى ، وأما المباحات فلا يريدها ولا يكرهها .

ذلك رأى المعتزلة ، وأما غيرهم فيعتقدون ان الله مريد لجميع ماكان ، غير مريد لما لم يكن ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

ويترتب على هذا الخلاف أن كفر الكفار وعصيان العصاة لم يرده الله فى رأى المعتزلة ، وأراده فى رأى غيرهم .

وقد أيد الزمخشرى رأى المعتزلة ، **فقال فى تفسير قوله تعالى : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » :**

ان شر من يدب على الأرض . أو ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لايعقلونه ، ولو علم الله فى هؤلاء الصم والبكم انتفاعا باللطف للطف بهم ، حتى يسمعوا سماع المصدقين ، ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف ، فلذلك منعهم ألطافه ، أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا .

وعلق ابن المنير السنى بقوله :

اطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود ، فان اللطف هو اسداء الجميل والالطاف به ، واسمه اللطيف من ذلك ، فاذا أسدى الجميل الى العبد بأن أسمعه اسماع لطف به فتلك الغاية المرجوة ، ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق فى قلبه قبول الحق وحسن الاصغاء اليه والاهتداء به ، ولكن لايتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأى الفاسد فى خلق الأفعال ، لأن مقتضاها أن العبد هو الذى يخلق لنفسه قبول الحق والهداية وحسن الاستماع ،

وأن الله لايشارك العبد فى خلق ذلك ، بل الذى ينسبونه الى الله تعالى ارادة الهداية من جميع الخلق ، ولايلزم حصول مراده على العموم ».

وهذا التأويل الذى ذهب اليه الزمخشرى غير مستقيم ، لأن حاصله ولو علم الله فيهم خيرا للطف بهم ، ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف ، فيلزم على هذا وقوع خلاف المعلوم لله تعالى ، وذلك محال عقلا .

وأقرب وجه أن نقدر الاسماع الواقع جوابا خلاف الاسماع الواقع شرطا ، كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور ، وذلك أن يراد بالاسماع الأول الاسماع الذى يخلق الله بهم الهداية والقبول، ولو اسمعهم اسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون .

٤ - وذهبت المعتزلة الى أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ، لاخيرا ولا شرا ، بل هم يعملون أعمالهم أحرارا ، فيثابون على الخير ، ويعاقبون على الشر .

٥ - وانتهوا من هذا الى نظرية الصلاح والأصلح ، ومعناها أن الله يقصد من أعماله نفع عباده وصلاحهم . واشتط بعضهم فذهب الى أن رعاية الله لمصالح عباده واجب عليه ، ولم يكتف آخرون بهذا ، بل قالوا ان الواجب عليه رعاية الأصلح .

ووافقهم فى جوهر الفكرة بعض المعتزلة ، ولكنهم عابوا عليهم تعبيرهم بالوجوب، وزادوا أن الأقرب الى الأدب التعبير بأن هذا هو القانون أو النظام الذى يقصد الله اليه فى فى أعماله .

وخالفهم فريق آخر كبير ، وزادوا أن أفعال الله ليست معللة بغرض، وليس الباعث عليها غاية ، بدليل أن فى العالم مفارقات شتى لايمكن تفسير مافيها من المصلحة .

وقد أيد الزمخشرى نظرية الصلاح والأصلح ، فقال فى تفسير قوله تعالى : « **وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين** » : معناه أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه ، كقوله تعالى « ان علينا للهدى » .

فان قلت : لم غير أسلوب الكلام فى قوله « **ومنها جائر** » ؟

قلت : ليعلم مايجوز اضافته اليه من السبيلين وما لايجوز ، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة - يقصد أهل السنة - لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها . وقرأ عبد الله « ومنكم جائر » يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره ، والله برىء منه ، ولو شاء لهداكم أجمعين قسرا .

وعلق المنير على رأى الزمخشرى بقوله :

اين يذهب به عن تتمة الآية « ولو شاء لهداكم أجمعين » ؟ ولو كان الأمر كما تزعم القدرية - يريد المعتزلة - لكان الكلام : وقد هداكم أجمعين : فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء فهم كأنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه .

وأما المخالفة بين الأسلوبين فلان سياق الكلام لاقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر ، وهدى قوما اختاروا الهدى ، وأضل قوما اختاروا الضلالة .

وقد تقدم فى غير موضع أن كل فعل صدر على يد العبد له اعتباران : فهو من حيث كونه موجودا مخلوق لله تعالى مضاف اليه بهذا الاعتبار، وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له وتيسره عليه يضاف الى العبد ، وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت فى كل فعل ، فناسب اقامة الحجة على العباد اضافة الهداية الى الله تعالى باعتبار خلقه لها ، واضافة الضلال الى العبد باعتبار اختياره له .

وهكذا يحرص الزمخشرى على تأييد آراء المعتزلة ، وعلى تأويل الآيات القرآنية الكريمة، ويتعقبه ابن المنير بالرد وتأييد مذهب أهل السنة ، وكل من الفريقين مؤمن عميق الايمان ، ينزه الله تعالى عن المشابهة والمماثلة وعما لايليق بجلاله وكمال صفاته .

عود على بدء

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

« لم نقصد فيما ينشر لنا فى هذه المقالات الا اغلاق باب الخلاف العنيف بين المسلمين فيما ليس من عقائدهم »

— ٤ —

سبق أن ذكرنا آراء العلماء فى الاسراء والمعراج ، وذكرنا انها ثلاثة ، ولما كان الرأى الثالث قريبا من الرأى الثانى ، كما تقدم فى المقال الثالث ، يمكننا ان نقصر الكلام على هذين الرأيين فقط : رأى من يقول : انهما كانا يقظة ، ورأى من يقول : انهما كانا مناما ، وقد ذكرنا فيما سلف ادلة كل فريق منهما .

واليوم نذكر ما يقوله أصحاب الرأى الثانى فى ادلة الرأى الاول ، لأن سلامة رأى ، أى رأى كان ، لا تتم الا اذا خلا له السبيل مما يعارضه ، فنقول :

قالوا فى دفع الدليل الاول : وهو ان الله سبحانه قال « **سبحان الذى أسرى بعبده** .. » والعبد اسم للجسم والروح معا .. الخ ، وقالوا فى مناقشة هذا الدليل امورا :

(منها) مصادرة هذا الدليل بمثله ، وهو ان الانسان عبارة عن الروح فقط ، لانها هى الباقية من يوم خلقه الى الابد ، والجسم اجزاؤه تتغير دائما ، وتنتقل الى اجسام أخرى ، والباقى ليس هو المتغير ، ولأن الانسان يدرك ذاته حين يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه ، والمعلوم مغاير للمغفول عنه ، فالانسان مغاير لهذا البدن ، وايضا نرى الانسان الذى قطعت يداه ورجلاه ، ولم يبق منه الا جذعه فقط ، فانه اذا اراد ان يتحدث عن نفسه يقول : انا فلان ابن فلان ، ولا يقول : انا نصف فلان مثلا .

(ومنها) ان الله سبحانه قال عن الانسان الشهيد : انه حى عند ربه يرزق ، فى آية ١٦٩ من سورة آل عمران ، قال :

« **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** » .

مع انه قتل ، والقتل لا يكون الا للجسم ، والجسم على مشهد منا فى الارض التى تأكله ، بدليل قوله تعالى :

« **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى** » آية ٥٥ من سورة طه ، وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم ، عندما زار قبور المؤمنين بما فيهم الشهداء :

« اللهم رب هذه الأجسام البالية، والعظام النخرة ، التى خرجت من الدنيـــا وهى بك مؤمنة ، هب لها تحية منك ، وسلاما منا » .

(ومنها) أن مما يبطل القول بأن العبد لا يطلق الا على الجسم والروح معا ، ان الله سبحانه سمى الملائكة ارواحا ، كمـا سماهم عبادا ايضا ، وقال سبحانه عن القرآن وجبريل عليه السلام :

« وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين » .

وجاء فى تسميتهم عبادا ردا على من قالوا ان الملائكة بنات الله ، قوله تعالى :

« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحـانه بل عباد مكرمون ، لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » آيتى ٢٦ و٢٧ من سورة الانبيـاء ، فان (ولدا) هنا المراد به الملائكة ، بدليل قوله عز وجل :

« وجعلوا الملائكة الذين هم عبـاد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم .. الخ ؟ » آية ١٩ من سورة الزخرف .

وقال فى الرد عليهم ايضا :

« أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخــذ من الملائكة اناثا انكـم لتقـولون قولا عظيما » آية ٤٠ من سورة الاسراء ، وقال :

« ويجعلون لله البنات سبحـانه ولهم ما يشتهون » آية ٢٧ من سورة النحل .

واما قولهم فى الدليل الثانى : انه صلى الله عليه وسلم وصف لقريش بيت المقـدس بكل دقة ، ولو كان لم يغادر مكة لما استطاع ذلك ، فمردود بأن الروح الصافية ترى فى المنام مثل أو أوضح مما ترى فى اليقظة ، خصوصـا اذا كانت روح نبى اصطفاه الله ، وطهر روحه من كل الشوائب ، كما تقدم من أن الانبياء تنام عيونهم ، ولا تنام قلوبهم ، وايضا ما جاء فى بعض الروايات من أنه صلى الله عليه وسلم ، لما سألته قريش مثل الله سـبحانه له بيت المقدس امامه ، حتى صار ينظر اليه ويصفه ، روى البخارى فى صحيحه (جزء ٧ باب الاسراء والمعراج) عن جابر بن عبـد الله ، انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لمـا كذبتنى قريش قمت فى الحجر - بجوار الكعبة الآن - فجلى الله سبحـانه لى بيت المقدس ، فطفقت (أى صرت) اخبرهـم عن علاماته ، وانا انظر اليه » .

وروى الامام مسلم فى صحيحه ، عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألونى عن اشياء فى بيت المقدس ، فرفعه الله الى أنظر اليـه ، ما سألونى عن شىء الا انبأتهم به » .

واما قولهم فى الدليل الثالث : انه لو لم يكن الاسراء يقظـة لما صح أن تكذبه قريش ، لان الرؤيا تحصل لكل احد ، ولا يصح لغيره ان يكذبه فيها ، فمردود ايضـا بأن النبى صلى الله عليه وسلم لما اخبرهم بهذه الرؤيا ، اخبرهم بها على وجه يقطع فيه بأن الحقيقة الخارجية هى كما رأى ، وانها لا تأويل فيها ، وذلك لانها رؤيا نبى ، اختصت بميـزات ليست فى غيرهـا من رؤى البشر ، ومن خواص رؤى الانبياء اذا كان تأويلها موحى به ايضا كما حصل فى الامر لابراهيم بذبح ولده اسماعيل عليهما السلام ، من خواصها ان صاحبها يقطع بصدقها ، وانها على الوجه الـذى فسرها به ، ويستطيع أن يتحدى خصمه بصدقها ، وتحديد معانيها ، متى اراه الله ذلك .

اما صاحب الرؤيا العادية فانه لايستطيع القطع بتأويل ما يرى على وجـه معين ، لان كل ما يحصل فى الرؤيا العادية قابل للتأويل على وجوه مختلفة ، بل قد يرى الرجـلان رؤيا من نوع واحد ، فيفسرهـــا الخبير بالتعبير تفسيرات تختلف باختلاف حـال الرجلين . جاء رجلان لابن سيرين بسالاته ، وقال كل منهما : انه رأى فى المنام انه يرفع صوته بالأذان ، فسـأل كلا منهما أولا عن حاله ، فعلم ان احدهما كان يرتكب الجرائم ،

ولا يتحرز عن اكل اموال الناس بالباطل ، وان الآخر مؤمن صالح ، فقال للاول : اما انت فتقطع يدك ، وقال للآخر : اما انت فستحج الى بيت الله الحرام ، اخذ حال الاول من قوله تعالى عن أحد فتيان يوسف عليه السلام .

«ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون» آية ٧٠ من سورة يوسف ، وحال الثانى من قول الله تعالى لابراهيم عليه السلام :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر » آية ٢٧ من سورة الحج .

ومن ذلك أن رجلين رأى كل منهما انه يجمع حطبا ، فبعد معرفة حال كل منهما أول الخبير بالتأويل رؤيا أحدهما بأنه سيجمع المال من طرق شتى بشىء من المشقة ، ورؤيا الآخر بأنه ينقل الكلام بين الناس للافساد ، وسلم :

أخذ التعبير الاول من قوله صلى الله عليه

« لأن يحتطب احدكم على ظهره خير من ان يسأل الناس اعطوه أم منعوه »

والثانى من قوله تعالى فى زوجة أبى لهب :
« وامرأته حمالة الحطب » آية ٤ من سورة **المسد** .

ومن ذلك ايضا ان رجلين رأى كل منهما فى المنام انه ابصر حمارا فى الطريق ، فبعد ان علم المؤول ظروف كل منهما فسر رؤيا أحدهما بأنه سيرى رجلا يهوديا ، وللآخر بأنه سيرى عالما لم يوفق للعمل بعلمه ، أخذ كل ذلك من قوله تعالى :

« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ... الخ » آية ٥ من سورة الجمعة .

أما رؤياه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فهى كرؤيا خليل الرحمن ، ابراهيم عليه السلام ، حين رأى فى المنام انه يذبح ولده ، فلما اصبح شرع فى التنفيذ اطاعة لامر ربه ، ولا يستطيع أن يقطع بذلك صاحب الرؤيا العادية كما أسلفنا .

واذا ضممنا هذا الى ما رواه الصحيحان ، واجمع عليه العلماء ، من ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نام تنام عيناه ، ولا ينام قلبه ، وان رؤياه كرؤيا اخوانه الانبياء وحى ، ازداد عندك الفرق بين رؤياه صلى الله عليه وسلم ، وبين رؤيا غيره .

وايضا الذى يعلم ما كان عليه زعماء المشركين فى ذلك الحين ، من انهم كانوا مستيقنين فى داخل نفوسهم ، ومصدقين من صميم قلوبهم ، انه صلى الله عليه وسلم صادق فى كل ما يقول يقظة ، او مناما ، وانهم انما كانوا يكابرون ويجحدون ، عنادا ، وحسدا ، واستكبارا ، خوفا على سلطانهم أن يذهب .

من يعلم كل ذلك ، يعلم ان قريشا كانت مصممة على تكذيبه صلوات الله وسلامه عليه ، على أى حال ، فالقول لو كان الاسراء مناما لما كذبته قريش ، غير صحيح ، وغير مسلم به ، والقرآن صريح فى ذلك ، اقرأ قوله تعالى :

« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » آية ٧ من سورة الانعام .

وقوله سبحانه

« قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» آية ٣٣ من سورة الانعام .

وقوله جل شأنه :

«ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا» آية ١١١ من سورة الانعام .

وقوله تعالى :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون » آيتى ١٤ و١٥ من سورة الحجر .

وقوله سبحانه :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا ، او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ؟ » آيات ٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ من سورة الاسراء.

بعد كل هذا ، فهل يرجو عاقل من كفار قريش أن يؤمنوا ؟ وهم الذين عندما اخذت بتلابيبهم الحجة القاطعة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى عجزوا مشدوهين بما تحداهم بالقرآن بأن يأتوا بمثله ، ولما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله ، ولما عجزوا عن ذلك ايضا تحداهم بأن يأتوا من مثله ولو بسورة واحدة ، بعد كل هذا ، هل انقطعت لجاجتهم ، وخفت تضليلهم ؟ كلا ، بل لجوا فى عتو ونفور ، قائلين تارة ان هذا القرآن سحر ، وأخرى انه اساطير الاولين ، الى غير ذلك من باطلهم ، اقرأ بعض ذلك فى قوله عز وجل :

«ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين » آية ٢٥ من سورة الانعام

يقول قوم هذا حالهم ، فأى عقل يتصور انهم كانوا يؤمنون ، بمجرد ان يقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله أسرى بى الليلة الى بيت المقدس يقظة ؟ لا شك انهم سيكذبونه مهما ذكر لهم من امارات رآها تدل على صدقه ، أليسوا هم الذين لم يكتفوا فى الايمان به بست من المعجزات اقترحوها هم أنفسهم ، فى آيات الاسراء السابق ذكرها ، ومنها رقيه فى السماء ، لم يكتفوا برقيه فقط ، حتى اشترطوا ان ينزل عليهم من السماء كتابا يقرءونه ؟ .

واما قول اصحاب الرأى الاول ان تكليفه صلى الله عليه وسلم بالصلاة ليلة الاسراء يدل على ان الاسراء كان يقظة ، لان النائم مرفوع عنه القلم ، فهو غير قابل للتكليف ، فرد عليه اصحاب الرأى الثانى بأن رؤيا الانبياء وحى ، فهم ليسوا مثلنا ، بل يصح تكليفهم يقظة ومناما ، كما سبق فى هذا المقال ، من تكليف خليل الرحمن ابراهيم بذبح ولده اسماعيل ، عليهما السلام .

بقى ان يقال : ان اصحاب الرأى الاول قالوا : ان الله سبحانه فى مفتتح الحديث عن الاسراء قال :

« سبحان الذى أسرى .. » ولفظ (سبحان) معناه : تنزيها لله تعالى عن كل نقص كالعجز ، لانه لا يعجزه شىء اراده فى السموات ولا فى الأرض ، كما فى آية ٤٤ من سورة فاطر، وكالعبث ، فلا يفعل سبحانه الا ما فيه حكمة بالغة ، قالوا : وهذا يناسب ان يكون الاسراء يقظة .

قال الآخرون فى الرد على ذلك : ان لفظ (سبحان) مناسب ، حتى على القول بأنها كانت رؤيا صادقة ، على الوجه الذى بيناه فى هذا المقال ، لانه ليس فى الوجود قادر غير الله تعالى ، يهيىء لرجل ان يرى وهو نائم نوما طبيعيا رؤيا هى الحقيقة بعينها ، ويلهمه بأن تأويلها هو كما شاهده لا رموز فيه ولا تلويح .

وما كانت هذه الرؤيا التى رآها صلى الله عليه وسلم عابثة بل حققت حكمتها على اتم وجه ، وطهرت أوساط المسلمين، من مرضى القلوب ، وضعاف الايمان ، كما قال تعالى :

« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » آية ٦٠ من سورة الاسراء .

« للبحث بقية »

خواطر مستشار

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام

• مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستورى والإدارى

المستشار على على منصور

تكلمنا فى المقال السابق عن نظم الحكم والادارة فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان ابن عفان رضى الله عنه • وها نحن نقدم حلقة أخرى فى سلسلة نظم الحكم والسياسة الشرعية فى الاسلام فنوجز ما كان من أمر هذه النظم فى عهد رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها •

تولية على الخلافة :

يذكر ابن سعد فى اجمال أنه لما قتل عثمان يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين بويع لعلى بن أبى طالب بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة ، بايعه طلحة والزبير وجميع من كان بالمدينة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم •

وهذا الطبرى يروى بسنده أن محمد بن الحنفية قال : كنت مع أبى حين قتل عثمان رضى الله عنه فقام فدخل منزله فأتاه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان الرجل قد قتل ولابد للناس من امام ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقه ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فقال : لاتفعلوا ، فلأن أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا فقالوا لاوالله ما نحن بمنصرفين حتى نبايعك ، قال ففى المسجد ، وان بيعتى لاتكون خفية ولا تكون الا عن رضا المسلمين • فقال عبد الله بن عباس فلقد كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يشغب عليه • وأبى الا المسجد فلما دخل قام المهاجرون والأنصار

فبايعوه ثم بايعه الناس • واذا فقد بويع على يوم مقتل عثمان على هذه الرواية رضي الله عنهما •

وفى موضع آخر يقول الطبرى : فقد اجتمع أهل المدينة لهذا الأمر ، فقال لهم أهل مصر أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وأمركم عابر على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع فقال الجمهور : على بن أبى طالب نحن به راضون •

كما بايعه كثير من المسلمين فى مصر وغير مصر من البلاد العربية الاسلامية ولكنه لم يبايعه اهل الشام الذين كان يتزعمهم معاوية بن أبى سفيان وقد كانوا يتعللون بوجوب الثأر لسيدنا عثمان أولا •

ويعلل البعض ومنهم الدكتور احمد شلبى لتخلف من تخلف عن بيعة على من أهل الأمصار أنه كان له أعداء كثيرون يكتمون العداوة أو يظهرونها لأنه هو الذى قتل بسيفه زهرات الشباب فى الغزوات • وكان حكم على معناه عودة حكم عمر فى صلابته وحزمه • وقد وجد كثير من الناس راحة ويسرا فى سهولة عثمان• كما كان معظم المتخلفين عن بيعة على قد أثروا بالباطل وحصلوا ظلما على نفوذ كبير ، ولو ولى على الخلافة لضاعت ثرواتهم وفقدوا سلطانهم •

وعلى كل حال كانت بيعة على صادرة من الكثرة الكاثرة من أهل الحل والعقد والأغلبية الغالبة من عامة أفراد الأمة التى هى صاحبة الأمر فى اختيار الخليفة وهى مصدر السلطة •

ولعل هذا هو ما كان يفهمه خلفاء بنى أمية ورجالاتها من أن الخلافة باختيار الأمة فان الخليفة منهم كان يعهد من بعده لابنه أو أخيه أو آخرين من ذوى قرابته ثم تؤخذ البيعة لمن صدر كتاب العهد له فى حياة الخليفة الذى عهد اليه ، ثم تجدد البيعة بعد وفاته ، ومعنى هذا أنهم كانوا يعرفون تماما أن مجرد العهد ليس ملزما بل لابد من البيعة العامة بعده •

وهذا سيدنا عمر بن عبد العزيز وهو من تعرف دينا وفقها وفهما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين يعهد اليه بالخلافة سليمان بن عبد الملك فلما قرىء كتاب العهد على الناس بعد وفاة سليمان صعد عمر المنبر وقال :

« انى والله ما استؤمرت فى هذا الامروأنتم بالخيار » وكما جاء فى رواية أخرى « يا أيها الناس انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى منى ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين ، وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم » •

ومعنى هذا أنه رأى أن تولية الخليفة لاتكون الا ببيعة الأمة له وقبول منه وأن العهد لانسان من الخليفة السابق ليس ملزما ولا طريقا للتولية شرعا ، ولذلك جعل الأمر للناس فى بيعته ان رأوا ، وقد فعلوا فكان ذلك خيرا للأمة عامة على ما هو معروف •

ولذلك نرى أن أولى الآراء بالقبول هو أن التولية تقوم على رأى كل من كان من الميسور أخذ رأيه فيكون هذا ترشيحا أولا من أولى الرأى ، ثم بالبيعة العامة من أكثر الأمة وبهذا نكون قد حققنا قول الله سبحانه وتعالى : « وأمرهم شورى بينهم »•

نشأة الفرق الاسلامية :

انقضى عهد عثمان وبويع على بالخلافة من جمهور من كان موجودا بالمدينة وعلى رأسهم الثوار ، ويبدو أنه وان كنا لانذكر من وقائع التاريخ الا ما له صلة بموضوعنا ، ونعمد الى الاجمال دون التفصيل ، الا أنه لامفر حيث نتكلم عن نشأة الأحزاب فى الدولة الاسلامية أن نرجع قبيل مقتل عثمان لأن الأحزاب فى الاسلام لم تنشأ لترعى مصالح أعضائها والمنتمين اليها بقدر ما قامت من أفكار دينية سياسية •

حق الأمة فى عزل الولاة :

ومن حوادث الثورة ضد عثمان ان الاضطراب بدأ فى الكوفة حيث قام فريق يطالب بعزل

الوالى وهو الوليد بن عقبة الأموى أخو عثمان لأمه لأسباب منها : أنه كان يسمر مع أبى زيد الطائى الشاعر النصرانى وقيل انه شرب معه الخمر وتأخر عثمان فى اقامة الحد ، فهاج الناس ؛ وقيل انه تأخر عن ذلك حتى يقوم الدليل فلما قامت البينة أمر عثمان باقامة الحد عليه ثم تكاثروا عليه فعزله . ولأول مرة نفذت فكرة حق المحكومين فى عزل الوالى ان خالف الشرع وتأكدت هذه الفكرة حينما ولى عثمان على الكوفة واليا آخر هو سعيد بن العاص اذ طالب أهلها بعزله أيضا ومنعوه من دخول الكوفة . قيل لسوء سمعته ، وقيل لقرابته من عثمان فولى عليهم أبا موسى الأشعرى ثم عزله ، وولى بدلا منه عبد الله بن عامر وجاءت وفود من مصر أيضا تطالب بعزل واليها عبد الله بن سعد بن أبى السرح .

ثم تطورت الفكرة الى عزل الخليفة نفسه حيث عابوا عليه اسناد المناصب الكبرى لأهله من بنى أمية واسرافه فى منحهم العطايا وطالبوه بمطالب كثيرة فلما رفض واعتدى أتباعه على عمار ثاروا على الخليفة وطالبوه بخلع نفسه وانتهى الأمر بمقتله .

ومن ذلك التاريخ أصبحت الأفكار الدينية والسياسية سببا لتكتل أصحابها والدفاع عنها ولو بالسيف فى شكل أحزاب وكانت حادثة التحكيم بين على ومعاوية بعد ماسبقها سببا فى تكوين أول فرقتين فى الاسلام (حزبين) .

أولاهما : فرقة الخوارج ، وبلغوا اثنى عشر ألفا من المقاتلين مع على ، انسلخوا منه لعدم رضاهم بالتحكيم وسموا بالخوارج ، أما من ثبت مع على فقد جددوا البيعة له وهم أصل الشيعة .

ثم اغتيل على اذ طعنه ابن ملجم ، فأصبح معاوية خليفة بحكم الواقع وان كان أهل الحجاز والعراق وغيرهم لم يرضوا عن ذلك ، وقام الحسن بن على ومن بعده أخوه الحسين يحاول استرداد خلافة أبيه بعد أن بايعهما الناس على التتابع دون جدوى .

ثم تفرقت هذه الفرق الى فرق أخرى ، وكثرت على مر الزمن حتى بلغت أكثر من سبعين فرقة .

وقد تكلمنا فيما سبق عن أهم الفرق ، ورأى كل منها فى الخلافة .

وها نحن نوجز تلك الآراء .

١ - رأى أهل السنة : أسلفنا الكلام عن كيف اجتمع الأنصار والمهاجرون من صحابة الرسول اثر أن قبض الى الرفيق الأعلى ، وكيف تجادلوا حول من يرشح خليفة لرسول الله ، فرشح الأنصار سعد بن عباده ورشح المهاجرون أبا بكر وبعد أن أدلى كل منهم بحججه ، بايع الجميع أبا بكر فى السقيفة ثم تبعتها بيعة العامة فى مسجد النبى فى اليوم التالى . وفاتنا أن نذكر أن (من حجج المهاجرين أن النبى قال « الأئمة من قريش » وأنه أوصانا بالأنصار أن نحسن الى محسنهم ، وأن نتجاوز عن مسيئهم ، ولو كانت الأمارة فيكم لم تكن الوصية بكم . وصحح السيوطى الحديث بأن الرسول قال « الأئمة من قريش ماحكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا) ومن حجج الأنصار عدا ماسلف قول الرسول (اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى رأسه كالزبيبة)

٢ - رأى الشيعة : يتفقون مع أهل السنة فى وجوب نصب الخليفة أما فى شخص الخليفة فقد اختلفوا ، فمنهم من يرى قصر الخلافة على أهل الرسول على والعباس وبقية بنى هاشم . ومنهم من حصر الخلافة فى على وذريته من فاطمة بطريق الوراثة ، ويستدلون على ذلك بوقائع وردت تلميحا وأخرى وردت تصريحا منها :

(ا) أن الرسول بعث عليا الى الحجيج وعلى رأسهم أبو بكر ليبلغ الناس الأحكام التى نزلت فى سورة براءة ويقول الرسول نزل على جبريل فقال : (يبلغه رجل منك) .

(ب) كان الرسول يؤمر على بعض البعوث والسرايا وفيها أبو بكر وعمر وغيرهما فأمر

عليهما عمرو بن العاص فى بعث ، وأسامة بن زيد فى بعث آخر ، ولم يؤمر على على أحدا قط.

(جـ) استشهدوا بحديث عن الرسول قاله وهو بغدير خم فى عودته من حجة الوداع حيث وقف وأخذ بيـد على فقام الى جواره وقال « أيها الناس اعلموا أن عليا منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لانبى بعدى وهو وليكم بعدى » .

ومن فرق الشيعة الاسماعيلية والاثنا عشرية، ويشترطون فى الامام فوق أنه من نسل على من زوجته فاطمة ، أن يكون معينا من قبل سلفه فعلى فى رأيهم عين الحسن ، والحسن عين الحسين .

أما الزيدية فيشترطون أن يخرج الامام مطالبا بحقه فى الامامة فأجازوا بذلك خلافة أبى بكر وعمر وزادوا فى الشروط أن يكون شجاعا عالما سخيا ويختار الأصلح من ذرية على من فاطمة بالانتخاب لا بالتعيين من السلف .

٣ - رأى الخوارج : كانوا يقولون بصحة خلافة أبى بكر وعمر ، وعثمان فى سنيه الاولى ، وعلى الى ان قبل التحكيم ، ويرون أن الخلافة حق لكل عربى حر ، ثم بدلوا الشروط فقالوا يكفى الاسلام والعدالة ، ويطلق عليهم بعض المستشرقين أنهم جمهوريون ويسميهم فان فلوتن ذوى المبادىء الديمقراطية المتطرفة .

- رأى المرجئة : وكانوا يرون عدم تفكير كل من نطق بالشهادتين مهما ارتكب من المعاصى مع ارجاء الفصل فى أمره لله وحده ولذلك رضوا بخلافة بنى أمية .

- رأى القدرية أو المعتزلة : نشأوا كفرقة دينية توقن بالقضاء والقدر ، وبحرية واختيار الانسان ، ثم انقلبوا الى فرقة سياسية وكما يقول المسعودى كانوا يرون أن الامامة اختيار من الأمة لأى فرد مؤمن عدل ، وجميعهم على نفى شرط النسب (القرشية) ويضيف المسعودى أن جميع الخوارج من الأباضية وغيرهم على ذلك الرأى ، الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا أن الامامة غير واجب نصبها متى عدلت الأمة ولم يكن فيها فاسق .

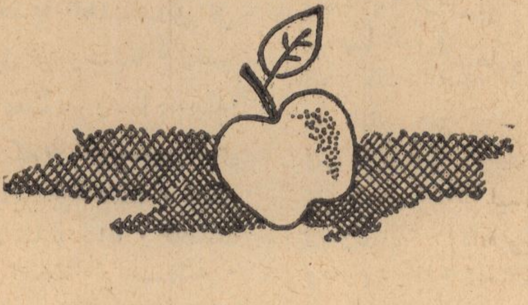

في اتجاه البيت العتيق

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

صدق الله العظيم

المستشار محمد أحمد رجب

الحمد لله خالق الكون وربه . نور الأنوار المستمد من ذاته . وحقيقة الحقائق على وجوده . وأصل الأصول فى وجودنا . ربنا سبحانه وتعالى . الذى بعث منا وفينا محمدا رسولا . وأنزل عليه كتابه القيم بشرى للمؤمنين فآمنا به عن يقين بوحدانيته . ابتغاء رضاه وسبيلا لصلاح ديننا ودنيانا . فامتلأت قلوبنا بنوره واطمأنت أفئدتنا لرسالته . وعشنا تحت لواء الاسلام . فاهتدينا بهداه وسعدنا بطاعته. فكان فى ذلك صلاحنا حتما. وصفاء نفوسنا امتدادا للرضى الالهى البادى فى بشراه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقمنا بما فرض علينا من عبادات فى حب توجهنا اليه واشتقنا الى تحقيق غاية فريضة الحج طاعة للصمد اذ يقول تبارك وتعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» والى قول نبيه الصادق الأمين « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . واقام الصلاة وايتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » وسلكنا ما رسمه لنا هذا الدين الحنيف الذى كشف أمامنا معالم الطريق السوى الى معاملاتنا سواء أكان ذلك فى حدود عائلتنا ـ

اسرتنا الصغيرة - والمجتمع الاسلامى - اسرتنا الكبيرة أو فيما يتعلق بالاموال وتداولها وما يصح منا فى شأنها وما لا يجوز • ما يترتب على العبادات والمعاملات من آثار ونتائج من رضى وقبول أو رفض وتثريب •

ويهمنى، بل ويسعدنى، ونحن على مشارف أيام مباركة • أيام القيام بفريضة الحج وموسمه النورانى أن اقول كلمة خاطرة فى مجال تلك الفريضة وفى خصوص هذا الأصل من أصول الدين • أقولها لوجه الله • بغية رضاه • وراحة نفسى واطمئنان قلبى، وحسبى أننى بلغت اللهم فاشهد !

قال تعالى جلت قدرته « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** » هذا البيت الذى دعا ابراهيم - عليه السلام - لساكنيه وقاصديه دعوات عاطفة روحانية اذ يقول كما ما جاء فى التنزيل الكريم « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » واستجاب الله الرحيم لتلك الدعوات المتلهفة السامية فجعل مكة وما حولها مكانا مقدسا محرما • وأمر الله تعالى الناس بالحج الى هذا الحرم وأصل هذا الحج أصلا من أصول الاسلام فى قوله وعلى ما سلف البيان « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » •

وبمعنى أن للحج شروط وجوب وشروط صحة وأركانا وواجبات وسننا ومندوبات ومكروهات ومفسدات ومحرمات غير مفسدات ويعنينى فى كلمتى هذه • من كل ما أنف من شروط وجوبه شرط الاستطاعة على وارد الآية الكريمة • وأقول • وأنا استغفر الله سلفا من الزلل • ان الله سبحانه وتعالى اذ فرض علينا الحج برا بأهل هذا البيت المبارك وتوفيرا لثوابنا وتكفيرا عن آثامنا .علق أداء هذا الفرض على استطاعتنا القيام به - عطفا علينا ورحمة • ومن ثم فمن لم يستطع فلا جناح عليه انْ تخلفَ عنه •، وكتب الفقه كلها والمذاهب أصولها وفروعها، فى هذا الخصوص عامرة بصورة الاستطاعة كشرط لوجوب أداء هذا الفرض فهم يقولون بضرورة القدرة على الزاد والراحلة هذا بشرط أن يكونا زائدين عن حاجاته الأصلية • كالدين الذى عليه والمسكن والملبس والمواشى اللازمة له وآلات الحرفة والسلاح • وعلى نفقة من تلزمه نفقتهم مدة غيابه الى أن يعود ••

ويقولون أيضا ان الاستطاعة هى امكان الوصول الى مكة راكبا وسواء كان ما يركبه مملوكا او مستأجرا ويشترط أن لا تلحقه مشقة عظيمة بالسفر فمن قدر على الوصول مع المشقة الفادحة فلا يكون مستطيعا ولا يجب عليه الحج • ولكن لو تكلفه وتجشم المشقة أجزأه ووقع فرضا •• ويضيفون الى شرط الاستطاعة ضرورة أمن الطريق على نفسه وعياله وماله ولو كان قليلا •• وأقول والعقل والمنطق يساير هذا القول • ان هذا الشرط يسير فى فلك الزمان والمكان، ويتغير بتغيرهما فالعمران وتطور أساليب الحضارة • ووسائل النقل والاتصال بين البلدان المختلفة يسير كل ذلك جنبا الى جانب اتساع رقعة البلاد الاسلامية • واختلاف ظروفها ومواقعها وقربها أو بعدها عن بيت الله الحرام، فقد تكون الأحوال الجوية ملائمة فى بلد بعيد للسفر فى موسم الحج بينما تكون غير ملائمة فى بلد أقرب فى نفس الموسم •

وأولى للمتقدم للحج أن يزن أمور نفسه قبل تقدمه بميزان من الاعتبارات التى أسوقها فى الصور التالية :

أولا : على الانسان المسلم ألا يقدم على أداء هذا الفرض الا اذا صفا قلبه واستغفر مخلصا ذنبه وتهيأت نفسه أن يؤدى هذا الفرض، بغية طاعة الله • ومحبة فى الدخول فى أفق أطهر ولا يكون ممن عناهم المولى سبحانه وتعالى فى قوله « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم • وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » •

ثانيا : أن يقدر أن أداء الفرض مرة هو الغاية المرجوة منه • وليس أدل على هذا النظر من قول الرسول الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « يأيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل « أكل عام يارسول الله » فسكت صلى الله عليه وسلم حتى قالها ثلاثا فقال عليه الصلاة والسلام « لو قلت نعم لوجبت ولما استعطتم » ••

هذا بالاضافة الى أن فى التقليل من مرات الحج ترك الفرصة لمسلم آخر مشتاق يريد أن يقوم بفرضه • وفى ذلك ثواب وأى ثواب ! وبالاضافة الى ما يتكرر صرفه فى أجور السفر وفى الحل والترحال من أموال قد يحتاجها الحاج المحترف أو يحتاجها عياله من بعده • ولهذا السبب وأمثاله أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأله « أكل عام يارسول الله » بقوله « لو قلت نعم لوجبت ولم استطعتم » وكأنى به ـ صلوات الله عليه ـ قد نظر بنظره الثاقب البعيد امثال هذا الحاج الذى تجد بين ظهرانينا من شاكلته والحمد لله القليل • ومنهم من أضاع ماله فى هذا السبيل وركبه الدين فاصبح فى حسرة ويا ويله من غضب الله اذ يترك عياله عالة يتكففون الناس وأكاد أقول رأيا فى هؤلاء الناس هو انهم فى شك من أمرهم فلا يستقرون على قرار أو أنهم من غواة المظاهر يفاخرون بالحج مرة ومرة وبعضهم مرات تبلغ السبع أو تزيد • اللهم أهد هؤلاء وأمثالهم ليدخل الايمان الى قلوبهم حفظا لأموالهم• ولأنفسهم ولعيالهم• ولوطنهم• وتركهم السبيل لغيرهم من المواطنين لأداء فريضة الحج مرة واحدة •

ثالثا : الحكمة من تنظيم الحج وتحديد عدد الحجاج ضرورة فى صالح المواطنين :

(أ) تحديد عددهم يهيىء فرصا أشمل لخدمتهم فى السفر والاقامة سواء • وتحقيق رعايتهم الصحية والاجتماعية خاصة فى هذا الموسم الذى تتزاحم فيه مواكب المسلمين من الجهات كافة الى بيت الله وبعض الجهات الوافدة منها تلك المواكب متخلفة فى الاحتياطات الصحية والاجراءات الوقائية بل ان بعضها تسرح فيه أمراض متوطنة •

(ب) منع المريض والحامل التى قاربت الوضع اجراء فى صالح الممنوع وموافقة لأحكام الشرع •

(جـ) لكل بلد ظروفه الخاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية • والجمهورية العربية المتحدة وهى فى سبيل الانطلاق وتثبيت دعائم مجتمع الكفاية والعدل حريصة كل الحرص على التطور فى كافة المجالات فى الزراعة • والصناعة • فى التعليم والخدمات الاجتماعية • فى تسليح الجيش بأحدث الأسلحة • فى القيام بواجباتها نحو المجتمع الاسلامى وتكاتف الشعوب العربية من الخليج الى المحيط لابراز الكيان العربى تحت حقيقة وحتمية القومية العربية •• من أجل كل ذلك تحرص على الحد من الاسراف • فاذا كانت قد حددت لكل حاج مبلغا معينا للصرف منه فى هذه الرحلة الروحية • فيه الكفاية أو يزيد لمن ذهب ليلقى الله بقلب سليم • فان كل من يعمل على الخروج على هذه الأصول ويحتال اضرارا بالتخطيط القومى فهو آثم فى حق نفسه وفى حق وطنه • ذلك أن من يعبث بمقدرات وطنه لا ايمان له • وكلنا يسمع عن شتى الحيل التى يلجأ اليها بعض الذاهبين الى بيت الله الحرام ـ ولا أقول الحجاج ـ من تهريب أو عمل مقاصات غير شرعية وغير قانونية وغير عادلة لأغراض مختلفة بعضهم للتجارة ، وبعضهم للصرف عن بذخ يليق بمقامه ؟؟ ولشراء الهدايا للأهل والأقربين • بل وأضل من هذين الصنفين فريق ثالث يتخذ موسم الحج ميدانا للتجارة والكسب الحرام من فروق العملة والأسعار هذا والبلد فى حاجة الى كل قرش يحتالون على الحصول عليه بطريق غير مشروع ليكون ركيزة انطلاقها خطوات أخرى الى الأمام • هذا الانطلاق المحقق باذن الله • مهما انحرف قلة من الناس والله ولى التوفيق •

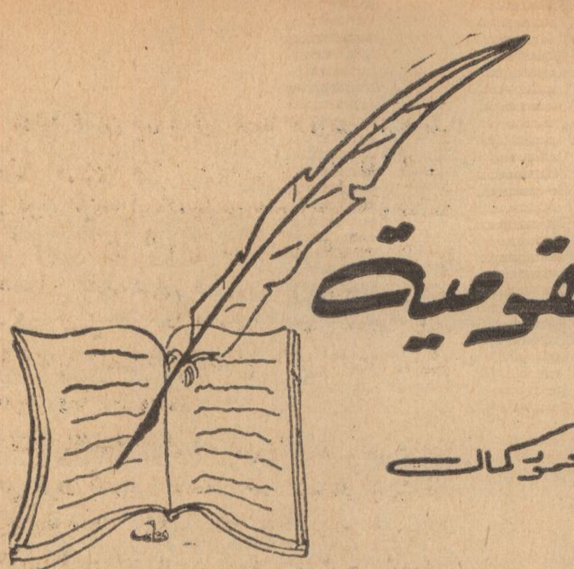

بحث فى القومية

الأستاذ محمود كمال

موضوع القومية العربية هو احد موضوعات الساعة التى تهم الجمهورية العربية ، كما تهم العرب جميعا ، فى الدرجة الأولى ، ووجه أهمية تلك الموضوعات للعرب هو أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بحاضرهم ، ومتصلة اتصالا أكيدا بمستقبلهم ، ولها شأن أى شأن فى مخططاتهم للمستقبل المرموق ان شاء الله .

والحديث عن « القومية العربية » يستلزم ، على ما أرى ، التقديم له بالكلام على معنى كل من الكلمات الآتية :

الأمة ، والدولة ، والقومية .

ومتى استوفينا الكلام على تعاريف هذه الكلمات أمكن أن ندخل فى صميم موضوعنا الخاص بالقومية العربية ذاتها ونفهم مغزاها ، ومدلولاتها فى سهولة ويسر .

وسأحاول الالمام بهذه التعاريف فى ايجاز لا يخل بالقصد المرغوب ، ولا بالغرض المطلوب .

١ ـ الأمة :

أنت ، عندما تسمع عامة الناس ، فى الشارع ، يقولون « أمة محمد بخير » ماذا يتبادر الى ذهنك من معانى هذه العبارة ؟

الذى يتبادر اليك هو أن القصد منها ، عند هؤلاء الناس ، أن المسلمين جميعا ، فى أقطار الارض ، فى سائر انحاء العالم الاسلامى ، من مصر الى الشام ، والعراق ، والسعودية ، واليمن ، وليبيا ، ومراكش ، والجزائر ، والمغرب ، وباكستان ، وأندونيسيا ، والملايو ، وغيرها .. وغيرها ، لا يزالون على عهدهم من المحبة ، والولاء ، والترابط ، وحب الخير لبعضهم البعض ، اذ « المسلمون اخوه » والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

ولكنك عندما تسمع قائلا من الخاصة يقول « الامة مصدر السلطات » أو تقرأ هذه العبارة فى صحيفة من الصحف أو مجلة من المجلات ، أو فى صلب الدساتير المختلفة فى زماننا ، ما الذى يتبادر الى ذهنك من معانى هذه الجملة ؟

انه يتبادر اليك أن المقصود هو أن « الشعب » هو المرجع الذى تستمد منه الحكومات سلطانها فى مباشرة الحكم والقيام بأعباء الدولة ، فكلمة « الأمة » فى هذه الجملة مرادفة لكلمة « شعب » .

والسؤال الآن ، هل استعمال كلمة « أمة » فى عبارة « أمة محمد بخير » استعمال صحيح ، منطبق على التعاريف العلمية لها أم لا ؟ وهل استعمالها فى الجملة الثانية « الأمة مصدر السلطات » منطبق على هذه التعاريف العلمية أم لا ؟

والاجابة على هذين السؤالين هى موضوع الجزء الاول من هذا المقال ، وهو الذى نقدمه للقراء توا .

ذلك أن أول تعريف علمى لكلمة « أمة » استهدف تحديد معناها ، وتعيين عناصرها ، هو التعريف الذى وضعه الاستاذ « باسكال مانتشينى » أستاذ القانون الدولى العام بجامعة « تورينو » الايطالية وكان ذلك عام ١٨٥١ ، وهو كما يلى : « الأمة مجتمع طبيعى من البشر مؤسس على وحدة الأرض ، والأصل ، والتقاليد ، واللغة ، على نحو كامل ، متفاعل فى الحياة ، وفى الشعور الاجتماعى » ، وبذلك فان « مانتشينى » قد أبرز عناصر ومقومات أساسية للامة نذكرها فيما يلى :

أ) وحدة الارض ، بمعنى أن هذه المجموعة من الناس ، لكى تسمى « أمة » يجب أن تكون مقيمة على قطعة أرض مشتركة بينهم .

ب) ووحدة الجنس ، أى الأصل .

جـ) ووحدة اللغة .

د) ووحدة التقاليد .

وقد ذكر المرحوم الاستاذ « مصطفى الصادق » الذى كان أستاذا بكلية الحقوق ، بمصر ، حوالى عام ١٩٢٣ ، تعريفا للامة هو أنها « وحدة جنسية ، أو جماعية مميزة ، منفصلة عن العالم بحدود جغرافية ، طبيعية ، متحدة الجنس ، واللغة ، والمدنية ، والعادات ، والآداب ، والثقافة » ، وقال شارحا لذلك أن وحدة الجنس دليل على وحدة الاصل ، وان وحدة اللغة هى سبيل التفاهم وتمهيد السبيل الى ايجاد الرابطة السياسية التى تتحول بمقتضاها الأمة الى دولة .

وكما نرى فان هذين التعريفين ، تعريف «مانتشينى» وتعريف المرحوم « مصطفى الصادق » متفقان فى تحديد العناصر المكونة للامة دون خلاف بينهما فى ذلك .

وهذه التعاريف لمعنى « الأمة » هى التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر الذى يسمونه عصر القوميات ، وكان عليها غالبية الباحثين ، ونجد من مراجعتها ، أن « وحدة الارض » أى ضرورة وجود قطعة مشتركة من الأرض يقيم عليها جميع أفراد « الامة » كانت عنصرا من العناصر الاساسية الرئيسية للامة ، « فالأمة » لم تكن تسمى كذلك ما لم يتوافر فيها هذا العنصر الجوهرى.

ولقد غالى بعض المفكرين حينذاك في هذه النظرية الى حد القول بانه لا « أمة » على الاطلاق دون قطر معين محدود ، وأن العوارض الطبيعية ، مثل الانهار ، والجبال ، وما اليها ، تشكل حدودا طبيعية ، تفصل الامم بعضها وبعض ، فكأن الارض جسم الامة ، والحدود هى الثوب الذى تلبسه ، وكأن الاقدار أرادت أن يؤلف السكان الذين تضمهم قطعة من الارض معينة « أمة » واحدة ، تفصلها حدود بلادها الطبيعية عن غيرها .

ولكن هذه التعاريف لم تعد هى السائدة الآن ، بل لقد استحالت الامور الى عدم الاعتداد بكثير من العناصر التى كانت تعتبرها هذه التعاريف أساسية وضرورية ، وأصبح الباحثون يقرون أن « وحدة الارض » ، مثلا ، ليست عنصرا من تلك العناصر ، أى أنه ليس لازما انضمام كل أفراد الجنس الواحد ، بعضه الى بعض ، على قطعة أرض مشتركة ، « فالأمة » توجد وتسمى « أمة » حتى ولو كانت عبارة عن وحدات متفرقة ، هنا وهناك ، أى حتى لو كان بعض من ينتمون اليها بالأصل ، قل ذلك البعض أو كثر ، يقيم فى بقعة أخرى من الارض ، أو يقيم بارض دولة أخرى من الدول ، ويكون جزءا من شعبها .

وكما يقول الاستاذ ساطع الحصرى فان وحدة الارض من لوازم الدولة الاساسية وليست من لوازم « الامة » ، ذلك لان مفهوم الدولة يتضمن «الحكم والادارة والسيادة» فلابد أن يكون للملك حدود معينة يرفرف عليها علم الدولة ، و « الامة » لا يكون لها أرض مشتركة الا اذا كونت دولة ، مثال ذلك « البولونيون » فقد كانوا محرومين من أرض مشتركة قبل الحرب العالمية الاولى لان بلادهم كانت قد قسمت بين بعض الدول منذ مدة تزيد على قرن ونصف قرن ، وكل قسم من أقسامها دخل فى نطاق الارض المشتركة لكل دولة من تلك الدول ، فلو سلمنا بوجوب اعتبار الارض المشتركة عنصرا اساسيا من العناصر الضرورية للامة لوجب أن نقول ان « الامة البولونية » ما كانت موجودة قبل الحرب العالمية الاولى، وذلك أمر لا يجوز القول به ، لاننا نعرف أن « الامة البولونية » كانت موجودة وقائمة كامة على الرغم من حرمانها من دولة خاصة ، وان تكون «الدولة البولونية» بعد الحرب لهو أقوى دليل على أن « الامة البولونية » كانت موجودة قبل تلك الحرب ، ولو سلمنا بوجوب اعتبار الارض المشتركة عنصرا من عناصر الامة لترتب على ذلك أن ننكر وجود « الامة العربية » كامة ، لانها لا تقيم كلها على أرض واحدة مشتركة ، كما ترتب عليه أيضا أن ننفى صفة الأمة على شعب كل دولة من الدول العربية على حدة ، لان كلا منها تقيم على أرض مشتركة وهذا كله غير صحيح ، لانك عندما تقول «الأمة العربية» فانك تعنى بذلك كل الشعوب العربية التى يعيش كل شعب منها فى نطاق دولة من الدول العربية الحالية ، منضما اليها ، أيضا ، هؤلاء العرب الذين يقيمون خارج البلاد العربية ، من أمثال المهاجرين اللبنانيين ، والسوريين ، الذين هاجروا بغرض الاثراء ، أو فى طلب العلم ، فاقاموا فى المهجر الى حين يعودون الى ديارهم ، اذ هؤلاء يعتبرون من الأمة العربية رغم أنهم لا يقيمون على ارضها لانهم ينتمون اليها ، ويدينون لها بالولاء .

واذا قلت « الأمة الالمانية » فانك تعنى « الشعب الالمانى » كله ، من يقيم منه فى المانيا الغربية ، ومن يقيم منه فى المانيا الشرقية ، او فى النمسا ، أو غيرها .

واذا قلت « الأمة الايطالية » فانك تعنى « الشعب الايطالى » كله ، من يقيم منه على أرض ايطالية ، أو على أرض الجمهورية العربية المتحدة ، مثلا ، وهكذا .

وهذا الرأى هو المعول عليه الآن ، والذى يقول به كثير من الباحثين ، ومنهم المرحوم الاستاذ «على ماهر» الذى كان أستاذا للقانون الدولى العام بكلية الحقوق بمصر ، حيث أورد فى مؤلفه فى هذه المادة من مواد القانون تعريفا « للأمة » خلوا من « الارض المشتركة » .

ويذهب آخرون ، كثيرون ، الى أبعد مما قلناه الآن ، فيفرقون فى تكوين « الأمة » بين العناصر الاصلية ، والعناصر الفرعية ـ فالعناصر الاصلية ، عندهم ، مثل اللغة ، والتاريخ ، لان الوحدة فى هذين العنصرين هى التى تؤدى الى وحدة المشاعر ، والمنازع ، والآمال والآلام ، والثقافة ، مما يجعل الناس يشعرون بانهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الامم الاخرى . ـ والعناصر الفرعية ، عندهم ، مثل الدين ، والوحدة الاقتصادية .

ليس هذا فحسب ، بل أنهم اختلفوا فى نظرياتهم حول « الأمة وماهيتها » فكل من الفرنسيين ، والالمان والماركسيين ، وهم الشيوعيون ، له نظرية خاصة به .

أ) أما الفرنسيون فقد عبر « رينان » عن نظريتهم سنة ١٨٨٢ ، بقوله « أن الأمة روح جوهرى معنوى ، وهذا الجوهر المعنوى يتألف من أمرين ، أحدهما يعود الى الماضى ، وثانيهما يتعلق بالحاضر ، وكلاهما يرتبطان أحدهما بالآخر ربطا متينا » . وهو يعنى بذلك «الاشتراك فى تراث ثمين من الذكريات الماضية ، والرغبة فى المعيشة المشتركة مع الاحتفاظ بذلك التراث المعنوى المشترك ، والسعى وراء قيمة هذا التراث » ، ويضيف « رينان » أن الاشتراك فى أمجاد الماضى وآلامه من ناحية ، وفى رغبات الحاضر ، وآمال المستقبل ، من ناحية اخرى ، يهم فى تكوين الأمة أكثر بكثير من الجمارك المشتركة ، والحدود المشتركة ، وبقية العوامل الاخرى ... ان الآلام المشتركة تربط الافراد اكثر مما توحدهم الافراح المشتركة » .

وفى الواقع فان « رينان » كان يقصد بهذه النظرية القائلة بأن عناصر الأمة هى عبارة عن التراث الماضى ، أعنى الاشتراك التاريخى ، وعن الرغبة فى حياة مشتركة وهى ماتعنى تقرير المصير ايجاد مبررات لامكان استرداد مقاطعة « الالزاس » التى كانت المانيا قد استولت عليها .

ب) وأما الالمان فكانت نظريتهم تقرر أن « اللغة » هى العنصر الاساسى الوحيد فى تعريف الأمة ، وأشهر القائلين بذلك هو « فخته » ـ وتقوم هذه النظرية على أساس أنه لولا اللغة لما امتازت المجتمعات البشرية عن المجتمعات الحيوانية ، وأن جميع الاقوام تنطق وتتكلم ، ولكنها لا تتكلم لغة واحدة .

وقال بعض الالمان الذين تابعوا « فخته » فى مدرسته أن اللغة هى بمنزلة القلب والروح من الأمة ، وفى اللغة تكمن كل ذخائر الفكر ، والتقالية ، والتاريخ ، والفلسفة، والدين ، وفيها ينبض كل قلب الشعب وتتحرك روحه .

وقد ظهرت هذه النظرية لمناسبة مطالبة الالمان باسترداد مقاطعة « الالزاس » من فرنسا .

حـ) وأما النظرية السوفيتية فلا تؤمن بالقوميات لانها تدعو الى الفكرة العالمية منذ بدات دعوتها الثورية،فطالبت عمال العالم بالاتحاد ، على أن الماركسيين قد ارغموا على تعديل هذه النظرية والمناداة بالقومية ، وذلك اثناء الحرب العالمية ، تشجيعا للمواطنين على الدفاع عن روسيا تحت تأثير هذه القومية ، لان حب الوطن دافع طبعى لا يعدله دافع آخر ، كالدوافع الاقتصادية التى كانت الماركسية تدعو اليها أول الأمر .

ومن هذه النظريات يتبين أن كلا منها يدعو الى نظرية معينة حسب وجهته السياسية .

والتعبير بان « الامة مصــدر السلطات » تعبير صحيح ، سليم ، متى كان يعنى «افراد الشعب» المقيمين على أرض محدودة فى دولة محدودة معينة ، منضما اليهم هؤلاء المقيمون خارجها ، فى اى مكان آخر فى العالم ،... ولكنه غير صحيح ، على ما أرى ، فى حالة أمتنا العربية ، لانها ، حاليا ، عبارة عن مجموعة من الدول مستقلة بعضها عن بعض ، وكل دولة منها تضم « شـعبا » من شعوبها ، فالتعبير الصحيح ، الذى يجب ان ينص عليه فى كل دستور ، من دساتير هذه الدول ، هو أن «الشعب مصدر السلطات» .

ويحضرنى فى هذه المناسبة قول قاله احد الزعماء ، مرة ، فى احدى خطبه ، وهو « الامة فوق الشعب ، والشعب فوق الحكومة » ، ومعنى هذه العبـارة أن « الامة » اعم من « الشعب » واشمل ، وان الشعب فى الدولة هو الذى نعنيه بانه هو « مصدر السلطات » .

٢ - الدولـــــة :

وربما أكون قد أطلت الكلام فى تعـريف « الأمة » ولكنها اطالة فيها فائدة لامكان تعريف الدولة... فالدولة ذات عناصر ومقومات هى نفسها عناصر الأمة ومقوماتها ، كما أوردها « مانتشيبي » ، مضافا اليها عنصر جديد لابد منه وهو « الرابطة السياسية » التى تحول الأمة الى دولة .

فالدولة « جماعة مستقلة من الافراد المجتمعين الذين يعيشون ، بصفة مستمرة ، على أرض معينة ، بينهم طبقة حاكمة ، وطبقة محكومة » .

وعرفها الرئيس ويلسون فى كتابه

بانها « شعب منظم ، خاضع للقانون ، يقطن أرضـا معينة » .

فميزة الدولة هى أنها تقيم على أرض معينــــة ذات حدود معروفة ، محدودة ، وذات سلطات معينة ، يخضع لها أفرادها خضوعا تاما .

وسائر الدول العربية الحالية ، اذا ما انضمت ، فى يوم من الايام ، فى وحدة واحدة ، كما هو مامون ، صارت دولة ذات اسم معين ، خاضعة لسلطان قانون موحد .

ونخرج من هذا البحث فى تعـريف كل من « الأمة والدولة » ، بان الامة قادرة على أن تكون دولة ، عندما ينتظم بعض افرادها ، كثر عديدهم او قل ، تحت سلطان واحد ، وعلم واحد ... ولكن الدولة تستطيع أن تخلق « أمة » عندما يكون أفرادها الذين ينتمون اليها ، ويدينون لها بالولاء ، ليسوا مجتمعين كلهم أو بعضهم فى حـكم واحد ، فى بقعة أرض واحدة معينة الحدود .

٣ - القوميــــة :

أ) ومعناها فى اللغة الانجليزية وهى مشتقة من كلمة بمعنى أمة . ومعناها فى اللغة الفرنسية وهى مشتقة من كلمة بمعنى أمة . ولكنها فى اللغة العربية مشتقة من كلمة « قوم » وليس من كلمة « أمة » كما فى اللغتين السابقتين ، وسبب ذلك أن الاشتقاق من كلمة « أمة » يخرج لنا كلمة « أميـة » وهى ذات معنى لا يمت الى القومية باية صلة من الصلات .

ب) أما اصطلاحها فلها ثلاث معان .

١ - معنى اجتماعى

٢ - ومعنى أخلاقى

٣ - ومعنى سياسى .

١ - فاما المعنى الاجتماعى فيفيد انها عبارة عن نظرية علمية اجتماعية .

٢ - وأما المعنى الاخلاقى فيفيد أنها عبارة عن مذهب وعقيدة ، تشكل المثل الاعلى الذين يدين له الفرد بالولاء ويضحى من أجله بكل ما تستطاع التضحية به

٣ وأما المعنى السياسى فيفيد أنها عبارة عن حركة سياسية قوامها جمع أبناء الأمة الواحدة فى نضـال مشترك ، من أجل مصير مشترك ، فى ظل تنظيم سياسى مشترك .

والواقع أن هذا التعريف قد يكون محتـاجا الى تفسير اوفى لكى يكون فى الامكان اعطاء المعنى المقصود تماما من « القومية » مما يستوجب أن ناتى بتعريف آخر أوضح وأكثر سـهولة ، وأدنى الى الافهام ، وهو أن للقومية مدلولين ، أحدهما ذاتى ، والآخر موضوعى .

٣ - فاما المدلول الذاتى ... فهو أن « القومية عبارة عن الصلة أو الرابطة التى تربط الانسان كفرد بالامة أو بالمجتمع الذى هو أحد أفراده ... وبهذه المثابة فهى ظاهرة أو فكرة انسانية ، عامة ، ودائمة . »

والمراد من أنها فكرة « عامة » هو أنها تربط الافـراد « كلهم » برباط من الولاء ، وتشدهم « جميعهم » الى مجتمعهم .

والمراد من انها « دائمة » هو أن هـذا الولاء دائم ، ومستمر ، لا يتحول ، ولا يتغير ، فى يوم من الايام .

ب) وأما المدلول فهو أن « القومية » صفة للمجتمع بحسب الواقع ، كأن يقال « هذا مجتمع قومى » ، فكلمة « قومى » ، فى هذه الجملة ، صفة لـكلمة « مجتمع » ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانهـا معبرة عن الواقع الخاص بهذا المجتمع ، لانه مجتمع متوافرة فيه عناصر القومية الاساسية ومقوماتها ، وبهذه المثابة « فالقومية » عبارة عن الخصائص التى يتصف بها هذا المجتمع فى تركيبه وتكوينه ، أو هى ظاهرة أو فكرة انسانية ، ولكنها ليست عامة ، وليست دائمة .

أما أنها ليست « عامة » فذلك لان خصائص المجتمع التى يتصف بها ، وهى عناصر تكوينه الاصلية الاساسية، قد تختلف نسبة وجودها فيه عن نسـبة وجودها فى مجتمع آخر ، أى أن هذه العناصر قد تجتمع كلهـا فى مجتمع من المجتمعات ، بينما لا تجتمع كلها ، بل يجتمع بعضها فقط فى مجتمع آخر .

وأما انها ليست « دائمة » فذلك لان تلك الخصائص متغيرة ، متطورة ، حسب الزمان والمكان ، بمعنى أن المجتمع الذى تتوفر فيه العنـاصر كلها ، فى زمن من الأزمان ، أو عصر من العصور ، قد لا تتوافر فيه نفس هذه العناصر كلها بعد فترة من الفتـرات ، طالت أو قصرت تلك الفترة ، مثال ذلك أن مجتمعا تتوافر لديه اليوم « وحدة الدين » ، ولكنه يفقد هذه الوحـدة الدينية بعد سنين ، طالت أو قصر ، أو قد تتوافر له « الوحدة الاقتصادية » الآن ، ثم لا تتوافر له بعد مرور أزمان ، طويلة أو قصيرة .

ويرى البعض أن هذه العناصر ، حتى لو توفرت كلها لمجتمع من المجتمعات فهى لا تكفى للقول بانه « مجتمع قومى » ، ذلك لان المجتمع القومى ، عند هذا البعض ، يحتاج الى شىء آخر ليس هو امتزاج هـذه العناصر بعضها مع بعض ، أو انصهارها بعضها فى بعض ، ولكنه هو « وعى الناس للقومية » أى ارادتهم الانضواء تحت لواء واحد .

وعلى العموم فان الصفة المشـتركة فى المجتمعات القومية هى صفة الولاء لها ، كما تقدم القول عند الكلام على معناها الذاتى .

و « القومية » عند البعض ليست الا « شعورا يضاهى الشعور الدينى » .

جريمة الحرابة في الإسلام

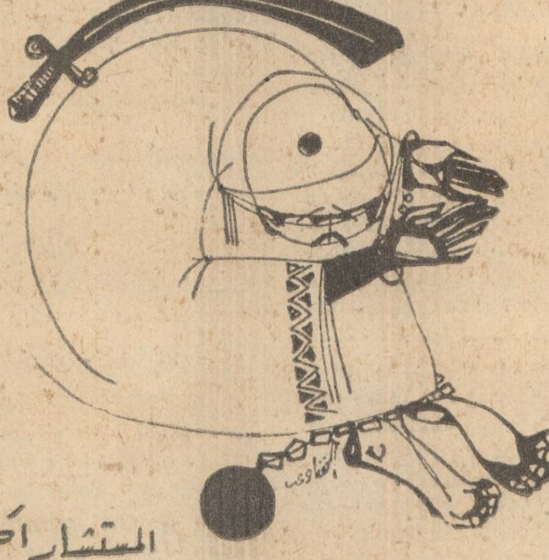

المستشار أحمد موافي

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وتعرف الجريمة التى نصت عليها هذه الآية الكريمة « بجريمة الحرابة » وهى واحدة من جرائم الحدود التى وردت بالقرآن الكريم « السرقة - الزنا - القذف - الحرابة » والحد شرعا ، هو ما كانت العقوبة فيه مقدرة ، وكانت خالص حق الله ، أو كان حق الله فيها غالبا . ومن ثم لم يكن القصاص حدا لأن حق العبد فيه غالب ، ولم يكن التعزير حدا لأن العقوبة فيه غير محددة من الله سبحانه وتعالى .

وسنتكلم فى ايجاز عن الجرائم التى اجملتها الآية ثم فى العقوبات المقررة لها :

أولا - الجرائم :

أجملت الآية الجرائم التى تستوجب الحد المنصوص عليه فى قوله تعالى : « الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا » . فكل من يحارب الله ورسوله ويسعى فى الأرض فسادا يسمى : محاربا ، وتسمى جريمته « حرابة » . ولهذه الجريمة

اركان أجملها الفقهاء فى التعريف الذى أطلقوه عليها . فرأى فريق منهم أنها تكون بالبروز لأخذ المال أو القتل أو الارعاب اعتمادا على الشوكة ومنع العبد عن الغوث ، وقال غيرهم أنها تكون باخافة السبيل سواء بقصد أخذ المال دون قصد أخذه . وعندى أن أيا من التعريفين لايتعارض مع القول باعتبار الآية تشريعا صالحا للضرب على أيدى العصابات المفسدة حتى ولو كانت الجرائم خالية من القتل وأخذ المال كتدبير الفتن التى من شأنها الاخلال بالامن العام وكالجرائم التى تهدد أمن الدولة من الخارج أو من الداخل متى كان من أركانها اخافة السبيل أو القتل أو الارعاب .

ثانيا ـ العقوبات :

أقرت الآية الكريمة الحرابة هى : الاعدام (قتلا أو صلبا) والقطع والنفى من الأرض . ويبدو أن قانون العقوبات سلك هذا النهج حين نص فى المادة ١٠ على تحديد العقوبات المقررة للجنايات بالاعدام والأشغال الشاقة (بنوعيها المؤبدة والمؤقتة) والسجن . فجاء متفقا مع الشريعة من وجوه ومختلفا عنها من وجوه أخرى وقبل أن نستعرض هذه المقارنة نشير أولا الى فكرة تعدد العقوبات المقررة لتلك الجريمة ـ ذلك أن الفقهاء اختلفوا فى تفسير كلمة (أو » التى وردت فى الآية . واتجهوا فى ذلك اتجاهين : اتجاه حمل كلمة أو على معنى التنويع والتوزيع وارتأى أن عقوبة القتل فى الآية تكون لمن قتل وعقوبة القطع تكون لمن أخذ المال وعقوبة النفى تكون لمن ارتكب جريمة أخرى غير القتل وأخذ المال .

واتجاه حمل كلمة (أو) على معنى التخيير وانتهى الى أن لولى الأمر الخيرة فى توقيع أى عقوبة منها على أية جريمة متى توافرت أركان الحرابة أى متى ثبت أن الجانى يحارب الله ورسوله ويسعى فى الأرض فسادا وهو اتجاه يتمشى مع سياسة العقاب الحديثة التى تأخذ بفكرة العقوبات التخييرية والتى تجيز لولى الأمر أن يتخذ ما يراه دارئا للمفسدة ومحققا للمصلحة من تلك العقوبات لجرائم المحاربين .

أما عن نهج الشريعة فى اختيار العقوبات المقررة للمحاربين ونهج القانون فى اختيار العقوبات المقررة للجنايات فاننا نستطيع أن نشير الى الملاحظات الآتية :

١ ـ ان كلا من الشريعة والقانون أقر عقوبة الاعدام .

٢ ـ ان الشريعة الاسلامية أقرت نظام الاعدام صلبا ولم يقر القانون هذا الأسلوب فى تنفيذ عقوبة الاعدام .

وقد ناقش الفقهاء كيفية الصلب وهل يكون قبل القتل أو بعده أم أنه عقوبة مستقلة مقصود منها القتل بكيفية خاصة . فذهب رأى (الشافعية والحنابلة) الى أن الصلب يجىء بعد القتل ، اذ الصلب عندهم ليس مقصودا به ردع المحارب وإنما اشتهار أمره فيرتدع بذلك غيره وهو اتجاه يدل على أن وظيفة العقوبة وظيفة اجتماعية ينظر فيها الى مصلحة الجماعة وما يتركه تنفيذ الحكم فيها من آثار لا الى شخص المجرم والانتقام منه . وذهب رأى آخر (المالكية) الى أن الصلب يكون قبل القتل . أى أن الجانى يصلب ثم يعدم وهو مصلوب وهو اتجاه على أن وظيفة العقوبة شخصية ينظر فيها الى شخص المجرم دون اعتبار آخر .

وارتأى فريق ثالث (مذهب الظاهرية) أن الصلب عقوبة مستقلة ووسيلة لاعدام الجانى فكما يكون تنفيذ عقوبة الاعدام بالشنق أو الصعق بتيار كهربائى يكون فى هذه الحالة بالصلب : أى أن الجانى يصلب ويترك حتى يموت . وهذا الرأى مرجوح لأنه يعتمد على ظاهر النص دون البحث فى العلة التى بنى عليها الحكم .

١ وعندى أن رأى الشافعية والحنابلة هو الرأى الذى يتمشى مع فكرة العقاب الحديثة . فصلب الجانى بعد قتله فترة ليزدجر الناس أمر يحقق وظيفة العقوبة ويدل على أن الغرض منها هو حماية المجتمع وليس الانتقام من المجرم .

٣ – عرفت الشريعة الاسلامية عقوبة القطع ولم يقرها القانون وهى عقوبة تستدعى بحثا خاصا لأنها مفروضة كذلك لجريمة السرقة مع ملاحظة أنها فى خصوص جريمة الحرابة تخييرية كما أسلفنا ، حملا لكلمة (أو) التى وردت فى الآية على معنى التخيير لا التنويع •

٤ – عرف القانون عقوبة الأشغال الشاقة بنوعيها : المؤبدة والمؤقتة ولم تقر الشريعة الاسلامية هذه العقوبة • والأشغال الشاقة كما هى معرفة به فى القانون هى تشغيل المحكوم عليهم فى أشق الاشغال التى تعنيها الحكومة مدة حياته ان كانت مؤبدة او المدة المحكوم بها ان كانت مؤقتة (والمؤقتة تتراوح قانونا بين ثلاث سنين وخمس عشرة سنة) ومن أمثلة الأشغال الشاقة التى وردت بلائحة السجون العمل بالجبل باستخراج الأحجار وتكسيرها فى منطقتى طره ، لمن يقضون العقوبة بليمان طره ، وأبى زعبل لمن يقضون العقوبة بليمان أبى زعبل •

والرأى متجه الآن الى الأخذ بمذهب الشريعة الاسلامية بالغاء الأشغال الشاقة من عداد العقوبات المقررة للجنايات • فمنذ زمن ليس بالقريب أوصت المؤتمرات الدولية باتخاذ العقوبات السالبة للحرية (السجن والحبس) وسيلة لتقويم المحكوم عليه واعداده للاندماج من جديد فى المجتمع والاستفادة من العقوبة فى تحقيق هذه الغاية عن طريق تشغيل المحكوم عليه فى أعمال منتجة كالنجارة والحدادة والخراطة وأعمال البناء وغيرها •

وأخذ القانون المصرى يتجه هذا الاتجاه تدريجيا فألغى سنة ١٩٥٥ نظام وضع القيد الحديدى فى قدمى المحكوم عليه بالاشغال الشاقة ثم قصر فترة تكسير الأحجار فى الجبل على نصف المدة المحكوم بها على ألا تزيد على ثلاث سنين كما نص على تنفيذ عقوبة الأشغال الشاقة فى النساء ومن تجاوز الستين من الرجال كما تنفذ عقوبة السجن •

كذلك أوصى المركز القومى للبحوث الجنائية فى مؤتمره الذى انعقد عام ١٩٦٣ بالغاء عقوبة الأشغال الشاقة واحلال عقوبة السجن محلها ، وهو اتجاه يتفق ومذهب الشريعة الاسلامية فى العقاب •

٥ – جاء القانون متفقا مع الشريعة فى اقرار عقوبة السجن • لأن المقصود بالنفى الذى ورد بآية الحرابة هو السجن وهو رأى الفقه الحنفى فى تحديد معنى النفى من الأرض •

وقد دلل أصحاب هذا المذهب على وجهة نظرهم ، بأنه من المستحيل أن يكون المقصود بالنفى • كما أنه من المستحيل أن يقصد به النفى من أرض المسلمين لأن ذلك غير جائز شرعا • ومن ثم يكون المقصود بالنفى هو الابعاد فى دائرة دار الاسلام • ولكن حصل التساؤل عما اذا كان يجب الابعاد عن أرض الجريمة أم أنه يكفى مجرد الابعاد عن الناس بالسجن ولو على ذات الأرض التى وقعت فوقها الجريمة ؟ ويقول أصحاب هذا الرأى بأنه يكفى مجرد الابعاد عن الناس بايداع الجانى السجن لأن الابعاد عن الاقليم اذا لم يقترن بايداع المحكوم عليه السجن لايحقق الغرض من العقوبة • ذلك أن الجانى اذا ترك مطلق السراح خيف منه لاحتمال مقارفته لذات الجرائم التى أبعد من أجلها وما دام الأمر سينتهى بالجانى الى السجن فانه يستوى أن يكون السجن فوق أرض الجريمة أو فى اقليم آخر • وفى عبارة أخرى فان مجرد ايداع المحكوم عليه بالسجن وابعاده عن الناس يحقق معنى النفى المقصود فى الآية الكريمة •

أما مدة السجن فمتروك أمر تقديرها للسلطة التشريعية المنوط بها تحديد الجرائم والعقوبات المقررة لها – كما أنه يصح أن تكون المدة غير محددة فى الحكم على أن يخلى سبيل المحكوم عليه متى تبين صلاحه واستقامته •

هذه هى جريمة الحرابة فى الاسلام والتى استخلصنا من الآية التى وردت بشأنها معرفة مدى الجرائم التى تدخل فى نطاقها والعقوبات المقررة لها وما يتصل بذلك من القول بتخييرية العقوبة وتحديد وظيفتها وتقدير مدتها •

الدعوة روح الفكرة

الأستاذ عبد السميع البطل

جدة الموضوع

اختيار الموضـوع ومناسـبته وابتكاره وطرافتـه ، مما يستدعي الانتبـاه والاصغاء اليه ، فان لكل جديد لذة ، أما القديم فقـد مجته الأسماع ، ولفظته الطباع ، ولا جدوى منه ، لأنه لايوقظ شعورا ، ولا يحيى مواتا ، وقد دأب خطباء الجيل المنصرم على أن يلقـوا خطبهم من كتب دونت فى عصـور الضعف والظلام ، يتلونها تلاوة ، وقد ينغمونها ، كأنهم يترنمون بقطعـة من الشعر ، لأنها مسجوعة سجعا متكلفا ، فاذا كان السامعون من الحى الذى يلقى فيه الخطيب خطبته أو كانوا من قريته ، فانهم يحفظون هذه الخطب عن ظهر قلب ، لكثرة ما صدعهم بهـا الخطيب ، وقد يسبقونه فى بعض الجمل وهم فرحون ، فهل – بربك – تؤثر هذه الخطب وتؤدى رسالتها ، أم ان معتادى ارتياد هذه المساجد التى منيت بأمثـال هؤلاء الخطبـاء يهربون نافرين من سماعها ، وقد يتعمدون التأخير دون التبكير حتى ينفض الخطيب كل ترهاته ، ثم يصلون ويسرعون الى الخروج من المسجد حامدين الله على السلامة

ولقد كنت فى صدر شبابى أصلى الجمعة فى مسجد بجوار (كوبرى) الملك الصـالح بمصر القديمة ، وكان الخطيب ذا لحية طويلة عريضة مظلمة كليالى الشتاء ، وكان يحفظ بضع خطب يبدىء فيها ويعيد ، حتى حفظناها ، وكان منها خطبة يتحدث فيها عن الطـلاق ، فيقول منها : ان الذى يطلق امرأته يكفر من عشرة وجوه :

الوجه الأول ، ان أبغض الحلال الى الله الطلاق

الوجه الثانى ، أنه بعمله هذا يغضب الملك الخلاق

الوجه الثالث ، أنه يوقع أولاده يوم القيامة فى شقاق .. الخ .

فهل مثل هذا يطاق ، وهو مما لايسمع على الاطلاق ، الا اذا كان فى واق الواق

وعلى الضد من ذلك ، أعرف خطيبا منذ بضع سنين وأنا أسمعه فماذا أسمع ؟ أسمع كل أسبوع شيئا جديدا ، لم أسمعه من قبل ، ولم يكرر على سمعى طول هذه المدة خطبة واحدة ، مع براعة القاء ، واستجابة لبديهة لقوح، وأسلوب – مع ارتجاله – هو السهل الممتع ، الذى يطرب الخاصة ولا يند عن أفهام العامة ، كذلك يحضر الى هذا المسجد كثيرون من أهل الفضل من جهات بعيدة ، وهم بين اعجاب واكبار .

وقد ارتقت الخطب المنبرية فى العهد الأخير عن قبل ، وأصبح لدينا خطباء يصح سماعهم وان كان ينقصهم أو ينقص بعضهم الصقل والتهذيب .

القراءة وامامة الصلاة :

وبهذه المناسبة أريد أن أنبه الى شىء من الأهمية بمكان ، ذلك ان قراءة القرآن فى الصلاة الجهرية ، من أعظم ما يؤثر فى النفس، ويحدث فيها الروعة ويجذب الى الانصات والتفهم فاذا كان الامام حافظا للقرآن ، ويتنقل فى التلاوة بين السطور الكثيرة ، وكان يحسن الابتداء والوقوف ، وكان له ذوق موسيقى يساعده على قوة التأثير ، فهناك النجاح كل النجاح فى امامته غير انا مع الأسف قد هجرنا القرآن ، أو هجره الكثير منا فأصبحنا نلتزم سورا قصيرة بعينها ، أو آيات بعينها لنقرأها فى الصلاة ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فى الصلوات من سور القرآن العديدة ، فساعد ذلك العرب الأميين على حفظه مع كثرة التكرار ، وقوة التأثر والتأثير .

ولقد كنت أحدث المرحوم الشيخ الشعشاعى ذات ليلة فى أن قراءنا حتى المشهورين منهم لايحسنون استعمال الألحان فى قراءتهم فدافع عنهم وظن أنى أعيب عليهم عدم تجويد القرآن بالمعنى المعروف عند القراء ، وهو استعمال المد المنفصل ، والمد المتصل ، والعارض للسكون والادغام والغنة ، وما الى ذلك حتى شرحت له قصدى وقلت له ، ان قارىء القرآن يشترط فيه مع الحفظ شروط ثلاثة : أن يكون فاهما لمعانى ما يقرأ وأن يكون له حظ من اللغة العربية وحظ آخر من الموسيقا ليساعده ذلك على طريقة الابتداء والوقف وتلوين الكلام باللحن الموسيقى الذى يناسبه ، وبينما أنا أشرح له ذلك كان قارىء آخر يقرأ فى سورة (مريم) ووقف عند قوله تعالى (قال كذلك قال ربك هو على هين ، وكانت النغمة التى يصطنعها هى نغمة الصبا وهى نغمة عاطفية حزينة فنبهت الشيخ الشعشاعى الا أن هذه النغمة فى غير محلها لأنه يتحدث عن قدرة الله تعالى فى خلق عيسى من غير أب ، هذا يستدعى تمثيل القدرة الالهية بصوت يشعر بالقوة كنغمة (الرست) مثلا ، أما هذه النغمة فستأتى بعد قليل فى قول مريم عليها السلام (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) فان هذه النغمة تمثل الحسرة والحزن ، فقال الشيخ على الفور : أنت تطلب المستحيل . وما هو بمستحيل لو أن المشايخ الذين اشتهروا بين الناس أخذوا أنفسهم بالتمرن على هذه الطريقة ، واذا لكان لقراءتهم تأثير عجيب فى نفوس السامعين .

غرابة القرآن :

واذا كان الحديث ذا شجون ، فاذكر أنى خطبت الجمعة فى بعض الأقاليم ، وكان الموضوع أدب الاسلام العالى فى تربية البيوت وشرحت له الآية الكريمة (يأيها الذين آمنوا ، ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، الى آخر الآيات ، وقرأت هذه الآيات بعد الخطبة فى الصلاة ، فقال لى أحد المصلين وكان موظفا كبيرا فى وزارة المواصلات ، لم أعرف أن الآيات التى شرحتها فى الخطبة من القرآن الا حين سمعتها منك فى الصلاة ، ولو كان المسلمون يستمعون الى القرآن كثيرا ، وكان القراء والأئمة يقرأون منه كله لابعضه ، لما استغرب هذا الموظف الكبير أن يسمع آيات لم يسمعها من قبل ، ولم يدر أنها من الارشادات السماوية التى ينير بها كتاب الله المسلمين ، والتى لم تهتد اليها أرقى الأمم

الداعى قدوة حسنة :

الناس ينظرون الى الداعى على أنه مرآة تنعكس صورته وصورتهم عليها ، فاذا كانت مصقولة براقة ، كانت الصورة صحيحة والا كانت مطموسة مشوهة ، لهذا فعلى الداعى أن يكون أول من يعمل بما يدعو اليه عملا وأخلاقا ، ليقتدى به الناس ، ولتكون دعوته مؤثرة منتجة وسحابة سحاء لا جهاما .

قيل لبعض الوعاظ وأظنه حسن البصرى ما بالنا نسمع منك الموعظة ، فتتأثر بها القلوب ، وتذرف منها العيون (وكان يجلس الى درسه العالم المفسر ، والمحدث ، واللغوى ، والراوية ، والفقيه ، وكل ذى ثقافة من ثقافات هذا الزمن) فى حين نسمع من غيرك فلا تتحرك قلوبنا ، ولا تستيقظ ضمائرنا ؟ فقال رضى الله عنه للسائل : ان النائحة المستأجرة ، ليست كالنائحة الثكلى وهو جواب له معنى بليغ يصلح أن يكون قاعدة من قواعد التربية المثلى ، وهناك خطباء سماهم الحديث النبوى الشريف (خطباء الفتنة) هم الذين يعجبون الناس بكلامهم ، فاذا رجعوا الى أفعالهم ، وجدوا المسافة بين القول والعمل بعيدة جدا وقد صدق الله تعالى حيث يقول فى أمثال هؤلاء (يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال عز من قائل فى بنى اسرائيل (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون)

ان مثل هذا الخطيب يكون دعاية سيئة للخطباء بل آفة من الآفات التى ابتلى بها الاسلام ، وقد قيل :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تجذب للرشاد نفوسنا
أبدا ، وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم
فهناك ينفع ماتقول ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم

ذلك أن القدوة بالعمل أفعل فى النفس من التربية بالقول ، ودليلها أقوى من دليل المقال بخلاف ما يقول به بعض الأصوليين ألم تر الى الصحابة رضوان الله عليهم ، حين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالحلق أو التقصير يوم الحديبية لم يسارعوا الى تنفيذ الأمر لأنهم كانوا فى حالة من التأثر والانفعال بسبب الشروط القاسية التى وضعها المشركون ، ورضيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنكرها أصحابه ، فلما دخل على أم سلمة زوجه وهو فى حالة من الحزن ظاهرة على وجهه قال لها : هلك أصحابى ، أمرتهم فخالفونى فقالت رضى الله عنها : ادع حلاقك ليحلق لك ، وحين يرونك سيحلقون وقد حدث ما أشارت به أم سلمة ، وانتهت الأزمة بسلام ، وهذا سبب من أسباب عصمة الأنبياء فانهم قدوة بالفعل والقول ، وقد عصمهم الله من عمل خلاف مايدعون اليه .

*

وقرأت فى بعض الكتب أن عبدا رقيقا طلب من أحد الوعاظ أن يحدث الناس فى فضل عتق الرقبة ، وما له من الأثر الحميد ، والجزاء العظيم عند الله فوعده خيرا ، ثم انتظر العبد أن يتكلم الشيخ فيما رجاه فيه وهو يعد ولا يفعل حتى طال أمد ذلك

وفى يوم والدرس حافل تكلم الشيخ فى عتق الرقاب وفضله وقال : وهذا عبدى اعتقته لوجه الله ، رجاء أن يعتق الله رقبتى من النار ، فأخذ كل من عنده عبد يسارع فى عتقه ، فعجب العبد ، وقال : ياسيدى انى طلبت اليك هذا الطلب من زمن ، وأنت تسوف فما الذى دعاك لأن تجيب طلبتى اليوم ؟ قال الشيخ : يابنى ، انتظرت حتى ييسر الله لى ثمن عبد فاشتريته وأعتقته أمام الناس لتكون القدوة بالعمل أفعل وأمضى

الصبر والأمل فى النجاح :

الصبر من الصفات التى يحتاج اليها الداعى لأن الملل وضيق الصدر لايبشران بنجاح ، فالذى يستعجل الشىء قبل أوانه يعاقب بحرمانه ، ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه

وسلم بالصبر ، فقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وقال (كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به) وقال (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) والآيات فى منطوق هذه الآيات ومعناها كثيرة

ومن الصبر احتمال الأذى ، ومقابلة سفاهة السفهاء بالحلم والاعراض وليكن الداعى طبيعيا لايظهر على وجهه شىء من ملامح الامتعاض وليكن له أسوة حسنة بالرسل ، وما صادف طريق دعوتهم من الأذى والسفاهة ، وليقل كما قال سيد الخلق اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون

ومهما كانت الشدائد والمعوقات ، فليكن على ثغره بسمة الأمل لأن اليأس والقنوط من صفات الكافرين ، وليتأدب بما أدب الله به رسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول له (ليس لك من الأمر شىء) وقوله (فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) وقوله (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وقوله (ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء) وقوله (انك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء) .

وهؤلاء دعاة المسيحية يفدون من أقصى الشمال حيث البرد والثلوج ، الى اقصى الجنوب ، حيث الحرارة التى تذيب مخ الضب ولا يتألمون ، ولا يتململون وربما لايستجيب لدعوتهم الا أقل القليل ، ومع ذلك يثابرون ويؤمنون بأنهم يؤدون رسالة سماوية ليدخلوا ملكوت السموات ، ونحن الذين يقول رسولهم صلى الله عليه وسلم (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) نيأس ويضيق بنا الصبر ولا نتأسى بسلفنا الصالح الذين حملوا لواء الاسلام والعلم والحضارة فى شرق البلاد وغربها ، ولم يتح لهم ما يتاح لنا الآن من أسباب الرفاهية ، ومهونات السفر ، (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) .

تربية

رسمت الدعوة الاسلامية خطتها منذ لحظاتها الاولى على اساس تربية معتنقيها تربية عملية تتجلى فى السلوك والعمل الحسن ، ومن هنا كانت هادفة الى خلق مجتمع جديد ، مجتمع يقوم على التعاون والمحبة وارساء الحياة على دعائم قويمة من الفهم الصحيح وتقدير المسئولية والنظرة الواعية للعمل على تحقيق الصالح العام مهماكانت الظروف والاهواء .. قال تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وقال عز من قائل .. « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وهى بخطتها تلك كانت محقة استطاعت ان تصهر المجتمع الجديد فى بوتقة العقيدة الصادقة والايمان العميق بما فيهما من صفاء والفة وحب وتقدير للحياة وماوراءها من ثواب وعقاب فى الآخرة وهكذا امتدت جذور تلك الدعوة نحو تربية النفس وانتشالها من وهدة التخلف والحياة المكتنفة بمختلف الشرور والآثام الى حياة رحبة من القوانين العادلة والامل الهادف نحو تحقيق السعادة للبشرية جمعاء .. واذا بهذا المجتمع الجاهلى الموبوء بشتى الموبقات من حروب طاحنة جرتها النفس المتاصلة فى الاعتداء الى واد للبنات وعبادة للاوثان ينتقل بفعل التعاليم لاسلامية الى آفاق التضحية الفداء قال تعالى .. « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »

والتربية فى حقيقتها ايقاظ للدوافع الكامنة فى نفس الانسان وتعديل سلوكه وميوله وغرائزه الفطرية تعديلا راقيا صالحا وهى بدورها ليست سوى حصول الفرد على خبرة منوعة تؤثر فى سلوكه الفطرى وبذلك ينتقل الى وضع يجعله انفع لنفسه واجدى على المجتمع ، واذا كانت التربية ضرورية للفرد الى هذا الحد الكبير كما اراد الدين الحنيف فهى كذلك الزم للامة حتى تستطيع ان تحتفظ بسلامة كيانها وتعمل على اسعاد افرادها واطراد تقدمها .

والتربية الاسلامية كما ارادتها التعاليم الاسلامية تعد الانسان للحياة نفسها قبل ان تعده لمهنة خاصة ، فهى توقظ فيه الصفات التى تمكنه من أن يعيش فى المجتمع متمتعا بحقوقه آمنا على نفسه يحيا حياة حافلة طيبة مؤديا بنجاح كل مايتطلبه منه الحق والدين والواجب والوطن ، ودلائل تلك التجربة عمليا اثبتتها الايام الاولى فى صدر الدعوة الاسلامية ، فمنذ رسخت العقيدة الاسلامية فى نفوس وارواح المؤمنين بها وهم يسيرون على هديها ونهجها يزداد طموحهم للخير وفعله يوما بعد يوم ، وتألقت التجربة فى ارقى صورها فى الاحتكاكات الحربية يوم ان كان عشرون صابرون يغلبوا مائتين .

النفس

الأستاذ منصور نسيم

ويوم ان جاد ابو بكر الصديق الخليفة الاول لرسول الله بماله فى سبيل اعداد الجيوش وتقوية الدعوة ولما يسأله احد الصحابة وما تركت لاهلك وولدك فيقول كلمته المأثورة « تركت لهم الله ورسوله » وبهذه التربية وبها وحدها دانت لهم رقاب الاقاصرة والكياسرة وانتشرت دعوتهم وعظم شأنهم .

والتربية الاسلامية جاءت كضرورة لازمة للنفس حتى يسعد الانسان فى حياته الفردية والاجتماعية وهذه التربية تنحصر فى التربية العقلية والخلقية والجسمية ، وهذه النواحى الثلاثة مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، والتربية الصحيحة لايمكن ان تهمل احدى هذه النواحى ، أو بعبارة اخرى يمكن أن نقول ان الفرد ليس مقسما الى هذه وتلك ولا تفصل بعضها على بعض .. قال تعالى الفرد لايمكن تقسيمه وهو كائن حى ، والتربية الصحيحة كما هدف اليها الاسلام وتعاليمه تعمل على ايقاظ كل الدوافع التى ترتبط بهذه النواحى جميعها ولا تفرق بين هذه وتلك ولا تفصل بعضها على بعض .. قال تعالى « يا ايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن » المؤمن اخو المؤمن لايظلمه .. المؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف .

وكانت النظرة الاسلامية الى هذه التربية اعداد الانسان للحياة .. الحياة بما فيها من خير وشر .. وبالتربية الاسلامية وبها وحدها يستطيع الانسان ان يفرق بين الناحيتين وان يقدر نتائج كل ناحية ، وان يرسم خطته ازاء كل مايقدم عليه على نبراس واضح من معالم الدعوة المحمدية ومثلها واهدافها .. وبذلك تطغى الروحانيات المعنويات على نوازع الشيطان والماديات .. ومن هنا ننتقل الى نقطة ايجابية فى فعالة السلوك والدوافع وهى ان التربية الاسلامية نابعة من القلب ، صادرة من حنايا ضلوع تقشعر من الرذيلة وتأنس وتتجاوب مع الفضيلة .. دوافع عميقة فى النفس تمليها العقيدة ويقويها الايمان ، لاتنتظر توجيها ولا تهاب القانون للقانون بل تسير على هدى من فهمها واحساسها لاتخشى لومة لائم ما دامت على الحق قال تعالى « مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم » .

وبهذه التربية جاء القرآن الكريم الذى انزله الله ليهتدى الناس بهديه ونوره مفصلا وسائل تربية النفس تربية نستطيع ان نعرضها ونحللها ونكشف اغراضها ونلمس حقائقها حتى نستبين ما قد نزل علينا من تعاليم وبرامج معدة للتنفيذ لادب النفس وتربية الانسان تربية كاملة حتى نقف على مدى تفوقه وسيطرته وضبطه لتلك الاهداف والمقاصد عما رمت اليه التربية الغربية التى جاهدت واستقرات وجربت واختلفت مدارسها لهذا المقصد للوصول الى تلك النتائج التى يعلن القرآن صريحا سافرا فيما يدعو اليه لا لبس فيه ولا غموض عن التربية الصحيحة لنفس الانسان .

لم يختلف القرآن فى مقاصد التربية ووسائلها كما اختلفت المدارس الغربية بين نفسها فى هذا الطريق ، فنحن نعرف مدى اختلاف تلك المدارس فى التربية التى انحصرت فى مراتبها الخلقية او العقلية او انها تهدف الى ان تكون فردية فقط او اجتماعية بحتة ، وكيف كانت الاخطاء التى وقع فيها بعضها اذ تعصب فريق منهم الى تربية الاخلاق وجعلها تربية نفسية هادفة الى كسب السلوك الطيب والتصرف فى مظاهر حسنة يتصف به خلقه ، ورمى البعض الى التربية العقلية بتنوير العقل بالعلوم من غير اجهاد للنفس فان كسبت من العلم فلها ، وان تركته فهى غير ملزمة .

اما القرآن فقد اعلن ان الانسان خلق من علق والعلق مادة محسوسة ترمز للمحسوسات كما خلقه من ماء وطين وهى تمثل نوعا من مظاهر السنن الكونية فى الحياة التى نعيش فيها فهى مادية ايضا ملموسة ، كما خلق فى الانسان نفسا سواها وجعلها رمزا او ممثلة للحياة الروحية ان ودت ان ترتفع اليها والنفس بتلك الاقسام لها حافظ او ضمير او رقيب هو الذى يهديها ويفتنها ويجذبها ويوحى اليها بالمنطق والعقل والحجة والبرهان بالبعد عن حياة المادة كلما وجد الى ذلك سبيلا ، والتطلع والاعلاء بتصرفاتها واهدافها الى الحياة الروحية .. والقرآن بايضاحه تكوين الانسان من مادة ونفس عرف ان النفس تصعد وتهبط حائرة بين فتنة الخير والشر والزمها اتباع طريق الخير فى نزعاتها وتصرفاتها ، وقد اعلن لها البرنامج الصحيح لتربية النفس تربية سليمة وافية واضحة ، سليمة المقصد حتى تنمو فى افعالها الى الطريق السوى ، وبرنامج القرآن فى التربية واضح فهو يربى النفس ، فتعود التربية على الفرد حتى يصبح انسانا بصفاته الكاملة ، وتصلح نفسه لان يؤدى واجبات دينها وفرائضها اداء صحيحا سليما ، لان الجهاز الذى يجب ان يؤدى هذا الاداء قد تعلم وتربى وصفا وعلى وارتفع فى سلوكه وتصرفاته الى مستويات سامية وهذه تربية فردية لاشك فيها .. والقرآن فى صور التربية الفردية لم يكتف بهذه التربية فقد عرف ان الحياة صلة بين الانسان واخيه الانسان ولابد من السعى فى هذا الكون سعيا للرزق الذى امر به الله فى كتابه « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » فالمشى يحتاج الى صلة والى تحرك يجعل الانسان متصلا اتصالا وثيقا ببنى البشر ، يعامله متبادلين مادة وحسا ، والدين الاسلامى لم يهمل هذه الناحية ولم ينس ان يعلم الانسان كيف يتصل باخيه الانسان وهذا الاتصال تربية للنفس تربية نحو المجتمع ، ولذا وضع القرآن برنامجا ضخما صريحا واضحا للتربية الاجتماعية تكشفت عنها مسائل رفيعة .. فالانسان اذا تربى تربية فردية وتربية اجتماعية وارتفعت صفاته الى هذا القدر استطاع ان يقف بنفسه امام الله مؤديا فرائض دينه طاهر الجسد طاهر النفس طاهرا فى صلاته مؤديا ذكاته واصلا صومه فى يمان وصدق وعزيمة .

الكسب المشروع

كما يراه الإسلام

فضيلة الشيخ
محمد محمد الشرقاوي

شرطان اساسيان .. يرتكز عليهما حل الكسب ، وشرعية الربح فى الاسلام ..احدهما : خضوع الارباح لتخطيط الشريعة الاسلامية ، وثانيهما : دورانها فى اطار القيم الانسانية الفاضلة ..

وكلا الامرين لا يحتاج الى فلسفات تشرح ، او تأملات تفصل ، بل هما مطويان فى ضمير المؤمن المطبوع بمثالية الاسلام .. المتشبع بروح العدل .. المستشعر الخوف من الله .. الهادف للتعاون وتبادل البر والمجاملة ، وبفضل تلك الانطباعات تتبلور فى نظر العاملين شرعة العدل .. شرعة الله .. ببساطة تعاليمها ، ووضوح رؤيتها ، وشرف مقاصدها ، بحيث لا يحتاج المرء مع كل هذه السمات الى من ياخذ بيده فى كل صغيرة وكبيرة لكى يضع له النقط فوق الحروف .. بالفتوى تارة او بفصل القضاء تارة اخرى .. بل تستحيل كل هذه الانطباعات الى قوة ايمان ، ونور يقين ذاتى .. يندفع تلقائيا الى تحرى الحلال وتجنب الحرام من الوان الكسب على تنوعها وتعدد اساليبها .. بهدى من الفكر المفعم بمعانى الايمان والعدل والاخلاق .. حتى لكأن قوة خفية تتقمص حواس المؤمن وهواجسه .. تراقبه وتحاسبه .. ثم توجهه بعد ان تقيد خطاه ، وتكبح جماحه . وتلك القوة المحركة لدوافع المرء وبواعثه .. هى التى اشار اليها القرآن الكريم فى سورة القيامة ، وسماها الله تعالى « النفس اللوامة » وقد اقسم بها سبحانه وتعالى تعظيما لها وتنويها بشأنها وقد فسرت « النفس اللوامة » كما فى الكشاف : بانها التى لا تزال تلوم صاحبها على التقصير وان اجتهدت فى الاحسان .. كما نبه اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه : « والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس وان افتاك الناس وافتوك » . وعلى هذا الاساس يتبدد الضباب الذى يكتنف صور كثير من المعاملات كما اخبر الحديث الشريف : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات » ويرتبط هذا البيان بحديث الضمير ووحى الذات النقية العادلة فى حال الحياد المنصف الذى لا يتردد فى ادانة المرء من داخل نفسه ان حامت حول تصرفاته الريب والشكوك .. او ان تطربه ويقره على معاملاته ان التزم فيها جادة الصواب والحق .

ومن هنا ندرك فى اشراقة هذا الهدى النبوى الكريم ان حل الربح وحرمته لا يستندان فقط .. الى فتوى المفتين او حكم القضاة الفاصلين .. بل لابد مع ذلك .. وقبل ذلك من مساءلة الانسان نفسه لنفسه ، والاستماع فى هذا الى صوت الضمير ، ومنطق الحق الكامن فى النفس.. فمن هذا السبيل وحده تصدر كلمة الحظر والاباحة الحقيقية.. فان استراحت نفسك الى ان ربحك شريف ونظيف ، واطمأن خاطرك الى انك لم تجاوز حدا ، ولم تخالف دينا ، ولم تخدش مروءة ولا شرفا فثم الحلال كل الحلال .. وان خامرك الشك فيما تفعل واحسست بوخز الضمير او لوم النفس .. او تخوف الاثم فثم الحرام كل الحرام من دون ان يشغلك عن كل هذا اقوال القائلين .. او تاويل المتاولين .. وقد حذر الرسول عليه الصلاة السلام من الاكتفاء باقوال الاغيار او الاستناد الى الاحكام والفتاوى مع تجاهل الاحكام الحقيقية التى تتلجلج فى طويتك ، وتتردد فى كيانك وذلك فى قوله : « انكم تختصمون الى ، وانما انا بشر ، ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض ، وانما اقضى بينكم على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا .. فلاياخذه .. فانما اقطع له قطعة من النار » .

وهذا التوجيه الاسلامى ياخذ بيدنا الى الفكرة القديمة عن العدالة .. والتى دان بها الفقهاء والمشترعون فى سالف الاعصر .. ايام ان ظهر فى القانون الرومانى القديم مبدأ العدالة الذى قام عليه « قانون الشعوب » ذلك الذى استحدثه بريتور الاجانب.. حين احتكر اهل « روما » القديمة الاحتكام الى قانونهم الخاص..فاضطر هذا البريتور الى استخلاص مبادىء ذلك القانون من مبادىء العدالة الكامنة فى نفوس البشر على قدر مشترك المستوحاة من الحق الطبيعى والعقل والاخلاق . وكان لظهور قانون الشعوب اثر عميق فى تطوير القانون الرومانى القديم .. اذ سرعان ما احتل قانون العدالة هذا .. مكان القانون العتيق ، وصارت له الكلمة العليا والسلطة النافذة خصوصا لقاعدة « البقاء للاصلح »

وبمثل هذا التطوير فى انظمة القوانين .. انتقل القضاء الانجليزى ايضا فى العصور الوسطى .. من قانون عتيق متوارث قائم على التقاليد والعادات الى « قانون العدالة » التى استحدثته محكمة « مستشار الملك » واستمدته من مبادىء العدل والشرف والضمير.

ولا نكاد نجد فارقا بين العدل كما خططه الاسلام فى شرعته السمحة .. وبينه فى الاعتراف والتقاليد القانونية قديمها وحديثها .. حتى انه ليصعب على الباحث ان يضع الحدود الفاصلة بين ما تهدى اليه شرعة الاسلام من مثل عليا ، ومقاصد شريفة فى قطاع المعاملات .. وبين ما ترشد اليه الفطرة البريئة من قيم انسانية رفيعة .

فالتلاعب فى المكاييل والموازين بقصد الاختلاس منها، والبخس فيها .. قد استنكرته الاعراف والقوانين الدولية .. بقدر ما حملت عليه الشريعة الاسلامية حملتها الشعواء .. التى ظهرت فى تخصيص سورة من القرآن الكريم للتنديد بهذا الاسلوب المجشع فى

تحصيل الارباح المحرمة وهى سورة « المطففين » واول آياتها : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ، ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

وقد تحدثت الروايات فى سبب نزول هذه السورة : ان اهل المدينة كانوا حين قدم اليهم الرسول مهاجرا .. من اخبث الناس كيلا .. ومن امثلة ذلك : ان تاجرا منهم يدعى ابا جهينة كان يحتفظ لنفسه بمكيالين : احدهما زائف يكيل به للناس، وآخر حقيقى يكتال به لنفسه .. فى صورة تشبه السرقة المقنعة فلما انزل الله هذه السورة فيهم استقاموا واحسنوا كيلهم .. قال الزجاج: « انما سموا مطففين .. لانهم لا يكادون يسرقون فى الكيل والميزان الا الشئ اليسير الطفيف » .

وقد يشبه هذا الاسلوب فى خسته ، واستتار امره .. تغيير حدود الارض خفية طمعا فى زيادة طفيفة يخفى على الناس امرها ، ويصعب على اصحاب الحقوق تمييزها ، وهذا كسب خبيث لا يقره الاسلام وتاباه الضمائر الحية وفى هذا روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من ظلم قيد شبر من الارض طوقه الله من سبع ارضين » .

وقريب من هذا ايضا : انفاق الاموال المزيفة عن طريق عرضها على العامة ، او خلطها بالنقود الجيدة .. لتلتبس على قصار النظر والسذج الذين لا يميزون .. او بواسطة سكها على غفلة من اولى الامر .. ثم طرحها فى الاسواق لتتداولها الايدى .

وقد قال فى ذلك بعض العلماء : ان انفاق درهم زائف اشد اثما من سرقة مائة درهم .. لان السرقة فى جملتها ذنب على المدى القصير .. اما ترويج الزيوف من النقود فسيبقى على المدى الطويل ما دامت الايدى تتداوله ابدا .

ومثل هذا شراء المال المسروق مع العلم بانه مسروق وهذا تواطؤ مع السارق ، واشتراك معه فى جريمته ، ومقاسمة له فى مغبة عمله ومصداق هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام :« من اشترى سرقة وهو يعلم انها سرقة فقد اشرك فى عارها واثمها » .

ومن الارباح التى تكتسب بطريق غير مشروع ماجاء عن طريق الغش والخداع والتغرير ، وسبيل هذا تلفيق السلع ، واخفاء عيوبها وخلط جيدها برديئها مع عدم البيان والايضاح .. وقد حدثت حادثة من هذا النوع على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد روى مسلم :« ان رسول الله مر على صبرة طعام « كمية من الطعام » فادخل يده فيه فنالت اصابعه بللا فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : اصابته السماء يا رسول الله .. قال : الا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا » ، وفى رواية احمد: قال : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام قد حسنه صاحبه فادخل يده فيه ، فاذا طعام ردئ .. فقال : بع هذا على حدة ، وهذا على حده .. فمن غشنا فليس منا » .

وقد يتذرع البعض الى جمع الربح عن طريق الاحتكار واختزان البضائع التى يحتاج اليها الناس حتى يلحقهم العنت والضيق ، وتشتد بهم الازمات والغلاء .. وذلك لكى يثرى من وراء التحكم فى الاسواق على حساب ذوى الحاجات من المستضعفين والعائلين ، وقد انذر الاسلام هذا الصنف من المحتكرين الذين يؤذون مجتمعهم ويوقعون به الشدائد المعيشية - بالافلاس والخراب والجذام والنكال .

وفى الحديث الشريف : « بئس العبد المحتكر .. ان ارخص الله الاسعار حزن ، وان اغلاها فرح » .

وقد يتخذ البعض من ايمانه الكاذبة ، واحلافه الباطلة وسيلة لتسهيل ارباحه ، وتحصيل مكاسبه ، ويشهد الله انه كاذب فى قسمه ، مزور فى يمينه .. ومثل هذا يجمع الى كذبه .. رقة دينه ، واستهتاره بعظمة ربه ، وقدسية اسمائه الحسنى .. ولا شك أن الربح الذى تلوث بتلك الخبائث الاخلاقية الذميمة .. لا يقره الاسلام ولا ترضاه الفطرة المستقيمة .

روى مسلم والاربعة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم . ولهم عذاب اليم « ثلاث مرات » قالوا : خابوا وخسروا .. من هم يا رسول الله ؟ قال : المسبل ازاره « اى المتكبر » والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان « الذى يعدد نعمته على الناس » .

ومن اخبث الارباح نوعا ، واشدها نكرا .. ما جاء عن طريق الربا .. الذى تستغل به حاجة المحتاج ، وتمتص به مكاسب لم يشارك صاحبها فى غرمها كما شارك فى غنمها ، والتى تتنافى مع روح العدل الطبيعى الذى يسوى بين عمل العامل ، وراس المال الممول فى الخسائر والارباح كما هو شأن التجارات المشروعة، وقد حرمت الاديان السماوية كلها الربا ، وفى القرآن الكريم : « ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

وهناك الوان اخرى من الكسب المحظور وكلها تنبو عن مسلك الشرف والاخلاق الحميدة ، وتدمغ صاحبها بطابع الجشع والانانية والتنكر للاديان والمثل العليا وقد جاء النهى عن التكسب بالرشوة وفى الاثر :« لعن الله تعالى الراشى والمرتشى والرائش » والرائش هو الوسيط بين الاثنين وكذلك كسب البغى واكل مال اليتيم والسرقات والاختلاسات والغصب واكل اموال الناس بالباطل هى كلمة جامعة لكل مال يؤخذ بدون وجه حق .

ومرجع كل هذا الى تخطيط الشريعة الاسلامية ، وماتحدده الاخلاق الانسانية السامية ، وضمير المؤمن المطبوع بسمات الدين والعدالة والاخلاق كفيل بوضع النقط فوق الحروف وبيان الحلال الذى تستريح اليه النفس ويطمئن له الضمير والوجدان ، والحرام الذى يحيك فى الصدر ، ويتحرج منه الفؤاد ، ومن رحمة الله تعالى ان امد الانسان فى صياغته الفطرية بوازع يردع عن الاثم ، وينزع الى البر « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » ومتى درج المؤمن على تقبل الحق ، واستمرا منطق العدل وافسح فى قلبه مكانا لقالة الانصاف ، وافقا لنور الهداية وجد فى نبض قلبه فيصلا لكل ربح يكتسبه ، وسمع من محكمة الضمير حكما يملى عليه الحرام البين والحلال البين .

أضواء على التاريخ الإسلامي

إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد

الأستاذ محيي الدين الألوائي

— ١ —

امام الهند مولانا محيى الدين أحمد المعروف باسم : أبى الكلام آزاد ، زعيم مجاهد مسلم ، ملأ الاسماع والقلوب فى داخل الهند وخارجها ، بزعامته فى العلم والأدب والكفاح الوطنى . وقد أعاد لنا هذا العالم المسلم الكبير فى عصرنا الحديث ذكريات أمجاد أسلاف المصلحين المجاهدين الذين جاهدوا فى الله ولم يخشوا لومة لائم فى الجهر بالحق ، وحطموا أغلال الظلم ، وحاربوا الجهل والخرافات والبدع وحاولوا للانطلاق بأممهم الى حياة النور والعرفان والعزة والكرامة ،ودعوا المسلمين الى اتباع التعاليم القرآنية الحقة .. تعاليم الحرية والحياة الانسانية الصحيحة التى يدعو اليها القرآن الجنس البشرى ، اذ قال : « فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرت الله التى فطر الناس عليها » .

وما أحوج شباب العالم الاسلامى اليوم الى أمثال له ليقتبس من سيرة حياتهم ، وصفحة جهادهم قبسا ينير الطريق أمام الجيل الجديد الذى يتطلع الى حياة اسلامية ملؤها النشاط والجهاد والعز والتضحية فى سبيل العلم والدين والأمة والوطن ، بل والانسانية جمعاء .

ينحدر أبو الكلام آزاد من أسرة هندية مسلمة متمسكة بالآداب الدينية ، والحماس الوطنى ، ولما قامت الثورة فى الهند ضد حكم الانجليز ، فى عام ١٨٥٧ ، وأخذوا يضايقون المسلمين الهنود فى مختلف الميادين ، غادر والد آزاد ، العالم الوطنى ، خير الدين ، الهند الى الحجاز واستقر فى مكة ثم تزوج من ابنة الشيخ محمد ظاهر الوطرى ، أحد كبار علماء المدينة ، وخلال اقامته فى الحجاز قام بنشاط واسع فى ميادين العلم والادب والاصلاح الدينى والاجتماعى . وفى عام ١٨٨٨ ولد له ابنه محيى الدين أحمد . وعندما أصيب والده بمرض تطلب العلاج فى الهند سافر مع عائلته فى عام ١٨٩٠ الى كلكتا ثم استقر مقامه فى تلك المدينة الهندية التاريخية . وبدأ الطفل « محيى الدين أحمد » يتلقى دروسه الابتدائية حسب مناهج المدارس الدينية العربية القديمة التى تحافظ على التقاليد الموروثة الدينية الى آخر حد ، بعيدة عن التعاليم الحكومية الغربية .

ويجدر بالذكر أن نشأته كانت بين أبوين يجيدان العربية ، وهذه ميزة قلما تتوفر فى العائلات غير العربية . وكان لذلك أثر كبير فى نشأته الدينية والعلمية ، وفهمه القرآن والعلوم الاسلامية فهما صحيحا . ومنذ صغره أخذ يقبل على قراءة الكتب والمقالات وتعلم اللغات الفارسية والعربية والأردية . وكذلك العلوم المختلفة ، وكل هذا وذاك على يد مدرسين خصوصيين فى بيت والده ، وتفتحت نفسه منذ الصغر للعلوم والثقافة واللغات بفضل عناية والده ومعلميه ، الذين ساعدوه لاتمام دراسة المراحل الأولى فى سن مبكرة بدون أن يدخل المدارس ، أو يرتبط بمناهجها وجداولها المعقدة الطويلة .

ودفعه نضجه العلمى المبكر الى الرغبة فى احراز مزيد من الثقافات المختلفة ، والالمام بعديد من العلوم والفنون ، واتقان كثير من اللغات ، فدرس اللغة الانجليزية سريعا وجيدا الى جانب اللغات المذكورة ، ثم عكف على مطالعة كتب العلوم والفلسفة والاداب الحديثة ، وأتاحت له هذه المطالعة الواسعة الفرصة لأن يطل على آفاق جديدة من الثقافات والعلوم والفنون واختار لنفسه خطة خاصة فى البحث العلمى والفهم الدينى وتشكيل حياته متحللا من التقيد بالتقاليد والعادات الموروثة من أسرته وبيئته ، واتخذ لنفسه ، فى توقيع مقالاته وأعماله الأدبية والعلمية لقب — آزاد — ومعناه فى اللغة الأردية — الحر — حتى صار هذا اللقب غالبا على اسمه الأصلى .

واندفع آزاد من مقتبل عمره الى البحث عن الحقيقة، لاسيما بعد ما رأى من اختلافات رجال الدين المسلمين الشديد فى بعض المسائل ، مع أنهم جميعا يستمدون علومهم من منبع واحد ، ولم يجد بدا من التحرر من التقيد بالتقاليد الموروثة القديمة ، والتزود من العلوم والثقافات المختلفة ، ليطل بها على آفاق جديدة من المعرفة والمباحث الدينية . ودفعه هذا الشغف الى السفر خارج الهند باحثا ومطلعا ومتصلا بالشخصيات العلمية والوطنية . وقام بجولة فى كل من : العراق وسوريا ومصر وتركيا وفرنسا وانجلترا وهو لم يتجاوز العشرين من عمره .

عاد آزاد من جولته فى الخارج وهو مؤمن ايمانا راسخا بوجوب العمل على تعريف المسلمين بدينهم نظيفا من شوائب الخرافات والتقاليد العمياء ، وبعيدا عن الخلافات الشعواء ، وترغيبهم فى العمل لنشر الروح الدينية ودفعهم للكفاح الوطنى للتحرر من الاستعمار

الأجنبي . ومنذ ذلك الحين وضع منهاجا لمستقبل عمله في سبيل خدمة دينه ووطنه . وتنفيذا لخططه وتحقيقا لغايته المنشودة اتخذ الصحافة وسيلة فعالة ، فأصدر مجلة باللغة الأردية ، قوية في أسلوبها وموضوعها ، ممتازة عن سائر الصحف والمجلات المحلية في طبعتها واخراجها . وهكذا صدر العدد الأول من مجلته المعروفة « الهلال » في شهر يونيو سنة ١٩١٢ ، وكان صدور « الهلال » حدثا تاريخيا في الصحافة الهندية ، كما انه كان بمثابة نقطة تحول في الدعوة الاسلامية ، والثورة الوطنية في الهند ، وجعل آزاد غايته من هذه المجلة مزدوجة ، فبينما كان يدعو فيها الى احياء الروح الدينية الصحيحة في المسلمين ، وتعريفهم بتعاليم الاسلام الحقة، يدعو الشعب الهندى عامة والمسلمين خاصة الى الثورة ضد الاستعمار الغاشم الذى يحتل البلاد ويمتص دماء الشعوب ويشل حركة التقدم فيها .

وقد نالت مجلة « الهلال » اعجاب الشعب الهندى ، وحازت اقبالا منقطع النظير ، وتأثر بها الخاصة والعامة تأثرا بالغا . وأكبر شهادة نالها مولانا آزاد الشاب في ذلك الحين قول المجاهد الهندى العظيم الزعيم السياسى الكبير مولانا محمود الحسن ، الذى كان يدير الحركة التحررية ضد الانجليز ، اذ قال متأثرا ، عن الهلال التى كان يصدرها مولانا آزاد : « كدنا ننسى مهماتنا فذكرتنا بها الهلال ! » وبدأ آزاد ، بمقالاته وخطبه ، التزويد لأمته وبنى وطنه بالتوجيهات الدينيةوالسياسية معا ، بطريقة لم يعهدها الناس من قبل بين الكتاب والعلماء والساسة . وسعى الناس الى احراز مزيد من المعارف والارشادات من قلمه ولسانه !

ومنذ شبابه تفرس فيه كثير من الزعماء المسلمين عظمة تمهد له مكانة مرموقة في المستقبل ، وقال عنه نواب محسن الملك ، وهو أحد الزعماء المسلمين الكبار : « انه صغير السن ، عظيم العمل » . وهذا يدل على مقدار الموهبة القوية التى اندفع بها مولانا آزاد الى ميدان العمل والجهاد في مستهل حياته ، ومدى تحريكه نفوس المسلمين وبعث الحياة فيها ، مع النضج الكافى والصلابة الجريئة في الحق ، والرشد في الفكر السليم .

عرفنا مما تقدم أن مولانا آزاد قد فهم من الاسلام أنه دين لايرضى بالجمود الفكرى والتقليد الأعمى ، كما أنه لا يقبل الذلة والاستعباد تحت حكم أجنبى غاصب. واتخذ من هذا الفهم الصحيح للدين الاسلامى نبراسا يضىء به طريق الحق والحرية والمساواة أمام المسلمين ، وأهاب بهم أن يتحرروا قبل كل شىء من أسر التقليد الموروث والخرافات والاوهام . وفي الوقت نفسه ألهب جذوة الحماس في نفوس المسلمين لازالة غبار الذلة والاستكانة وتحقيق حياة الحرية والكرامة . وكان آزاد خطيبا مصقعا ، كما كان كاتبا بارعا ، فاتخذ من خطبه وكتاباته وسيلة لابلاغ دعوته ذات الاهداف المتنوعة لاصلاح علماء المسلمين ، أولا ، باعتبارهم قادة لعامة المسلمين . ولم تمض مدة طويلة حتى أغلقت السلطات البريطانية مجلته « الهلال » حينما رأوا فيها شعلات تلتهب بها جذوة الحماس في جمهرة الشعب ، لأن يطلبوا الحرية لانفسهم ويرفضوا الذل والعبودية .

وفي عام ١٣٣٤ هـ بدأ مولانا آزاد اصدار مجلته الثانية باسم « البلاغ » فصدر العدد الاول منها في الرابع من شهر المحرم في العام المذكور ، وكان يكتب أحيانا افتتاحيات مجلته باللغة العربية في أسلوب بارع وتفكير عميق ، واستهدف من وراء الافتتاحيات العربية أن يقرأها ويفهمها علماء الهند الذين يعرفون العربية ، لكى يصلحوا نفوسهم ويكيفوا تفكيرهم باعتبار كونهم ذوى تأثير قوى على عامة المسلمين . وفي الوقت نفسه ما كان يريد أن يخاطب الجمهور في أمور دينية اختلف فيها العلماء ، مثل الاجتهاد والتقليد ، والبدع والخرافات ، فاذا صلحت نفوس العلماء وتمكن فيهم فهم الدين فهما صحيحا سهل الامر على اصلاح عامة الناس .

وصل مولانا آزاد الى عمق اسراف المسلمين في التقليد الاعمى ، ومغبة هذا التقليد ، وانه لايؤدى الا الى الجمود الفكرى والتعصب الدينى ، والتنافر بين المسلمين ،بحيث يؤدى هذا التقليد الى تفرق في صفوف أمة واحدة ، تتمسك بكتاب واحد ورسول واحد وقبلة واحدة ، مع أن التاريخ يسرد حوادث الفتن العديدة بين أصحاب المذاهب الفرعية ، بسبب الاختلاف التافه الناتج من التقليد الاعمى ، وأحس بثاقب فكره أن الاصلاح لا يتم الا بدعوة مبنية على حجج معقولة ومقبولة ، فلا حجة مع الدعوة الى التقليد ، واغلاق باب النظر والاستدلال .

واعتقد أن مقتطفات من المقالات العربية لمولانا آزاد التى نشرها في مجلته « البلاغ » في عددها الاول ، لتساعد على تلمس اتجاهاته التفكيرية وآرائه الصائبة ، وتوجيهاته السديدة . ويقول في معرض الكلام عن طبيعة الدين الاسلامى : « حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا لتحكيم العقل والفكر في مدركات الحس والوجدان بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين الذى جعل الفكر والنظر ، أساس الدين ، ومنحه دين الاسلام المنطبق على مصالحهم في كل زمان ومكان ، فهو للقبائل الساذجة كالمربى الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كلما ساروا في العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلى في ميدان السبق ، كما قال القرآن الكريم ، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . انزل عليهم كتابا احتج على صحة العقائد بآيات الله في الانفس والآفاق وجاء بالبينات والهدى ، ونهى عن التقليد واتباع الهوى ، وقرر حرية الوجدان والاجتهاد في جميع الاعمال والاعتقاد ، وعظم شأن الفكر والعقل ، فامتاز دينه على سائر الاديان ، بانه دين الحجة والبرهان ، الناعى على متبعى الاوهام والظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، بل وصفهم بقوله : « أولئك كالانعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » ، وأردف يقول آزاد : « فلم يمر قرن واحد حتى جدد الاسلام للعالم كله دينا قيما وعلما محكما ومدنية سعيدة ، وسياسة رشيدة » ثم قال : كان المسلمون نورا ساطعا ومجدا طالعا ونفوذا قاهرا وعزا باهرا وعلما زاهرا وخلقا ساحرا ، سياسة ملكت الاقطار ومصرت الامصار ، وكياسة ارتاحت لها القلوب واطمأنت لها الامم والشعوب ..

ولكنا خالفنا كل هذه النصوص ، فتفرقنا وتنازعنا اذ اتخذنا مذاهب متفرقة ، كل فريق يتعصب لمذهب ، ويعادى سائر اخوانه لاجله زاعما انه ينصر الدين ، وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين » .

« يتبع »

مكانة الحج بين العبادات

الأستاذ محمود علي أحمد

قال الله سبحانه وتعالى « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » العبادات كلها تهدف الى تحقيق معنى العبودية لله وحده والخضوع التام له سبحانه وامتثال أوامره وتنفيذها بصدق واخلاص واجتناب ما نهى عنه برضى واختيار وطيب نفس قال تعالى - وما امرو الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة - وهذه العبودية لله تخلص العبد من تسلط الشهوات وتحكم الاهواء ومن عبادة المادة وتمده بقوة روحية تعينه على اداء واجباته وتزوده بطاقات معنوية تساعده على تحمل مسئولياته فى خلافته عن الله فى عمارة الارض وترشده الى احسان معاملاته مع أبناء امته - وفريضة الحج اقوى العبادات فى تأكيد مظاهر العبودية الصادقة والتسليم التام لله والاذعان لامره - ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور .

وتنوعت العبادات لتعالج امراض القلوب وعلل النفوس وتهذب الغرائز وتقوم الطباع .

كما تنوعت ادوية الابدان . وقد تدرج الشارع الحكيم فى فرض العبادات فبدأ بالصلاة وهى فى مظرها عبادة بدنية ثم فرض الصوم عبادة روحية وبعده فرضت الزكاة عبادة مالية واخيرا فرض الحج عبادة شاملة وفريضة جامعة لعمل البدن والقلب والروح والمال فهو راس العبادات وخلاصة الطاعات وجامع القربات ولهذا تأخر افتراضه الى السنة السادسة من الهجرة حتى تستعد له النفوس وتتهيا القلوب لتذوق اسراره وادراك مراميه فكانت العبادات التى فرضت قبله تمهيدا له وتمرينا عمليا على تقبله وفهم معانيه . وان كان الحج معروفا من زمن خليل الله ابراهيم واسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام الا ان المشركين ادخلوا فيه مظاهر الشرك والوثنية وابتدعوا وبدلوا وغيروا . فطافوا بالبيت عرايا وتكبروا ان يقفوا مع الناس ويفيضوا حيث افاضوا تعاظما واستعلاء فتأخر الامر بالحج فى الشريعة المحمدية حتى يستقر الايمان الخالص فى القلوب ويعرض الناس عما شوه شريعة ابراهيم . فكانت الصلاة مناجاة لله ودعاء وذكرا تنهى عن الفحشاء والمنكر وكان الصوم سياحة روحية تعلم الصبر على مشتهيات النفس وتقوى ارادة الصائم على النضال والاحتمال وتعوده البر والرحمة والبذل والمواساة .. وكانت الزكاة اشتراكية عملية تقرب الطوائف وتذيب الفوارق وتحارب غريزة الحرص وعبادة المال - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وبعد هذه التربية الالهية ومداواة العلل النفسية كان الحج الذى يزيد صلة الانسان ويربطه بالحقائق والمثل العليا ومكارم الاخلاق وبه يتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل ويتجرد من النقائص والعيوب ويحلق فى آفاق القرب والصفاء والتضرع الى الله فى بيته الحرام مصدر الهداية والسكينة والامن والسلام .

ان كل العبادات يؤديها المسلم فى وطنه بين اهله . الا الحج فلا بد له من السفر الى مكة ومفارقة الاهل ووطن البدن الى وطن الروح والقلب ومنبع الايمان ومهبط الوحى ومشرق الرسالة المحمدية ومكان الذكريات الخالدة والبيت العتيق وشعائر الله وحرماته والبلد الامين - يتجه المصلى فى اى بلد الى الكعبة المشرفه - فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - ولكنه فى الحج يشاهد الكعبة عيانا ويطوف بها يقصد رب البيت في اطهر واشرف مكان واول بيت اجتمع فيه الناس لعبادة رب العالمين بعد ان عرف الله خليله ابراهيم مكانه قال تعالى - واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات »

وابراهيم عليه السلام هو امام الموحدين اقام الدين لله خالصا من الشرك والشك والارتياب اسلم وجهه لله فى كل امر حتى هم بذبح ولده اسماعيل لما راى ذلك فى المنام وقد وصفه الله بقوله - ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه أجتباه وهداه الى صراط مستقيم - وجاء خاتم المرسلين يحيى ملة ابراهيم ويجدد بناء الكعبة ويبعد عن شعائر الحج

كل ما ادخله المشركون من ضــلالات ووثنية واوهام ويقول - قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من ابيـكم ابراهيم - وقد قال تعالى - ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ٠

والحاج حين يحضر هذه المشاهد ويرجع بفكره الى هذه المواقف ويذكر اماكن شهدت رسل الله الصالحين من المؤمنين السابقين ويعيش معهم بقلبه وروحه ويقتدى بهم ويخلص لله مثلهم ويفقه مناسك الحج فانه يدخل بذلك فى رحاب التوحيد ويكون حنيفيا يربط ايمانه بايمانهم ويصل حاضره بماضيهم فيحشر معهم قال تعالى - ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ٠

ان الصلاة عبادة تتكرر فى كل يوم خمس مرات ٠ والصوم والزكاة عبادة سنوية اما الحج فعبادة العمر فرضت مرة واحدة ومن زاد فتطوع ونافله ٠ هذا لقوة اركانه وعظيم اثره فلم يفرض الا على القادر المستطيع تخفيفا من الله ورحمة والله رؤوف رحيم ٠

ان مناســك الحج وشعائر الله فيه متعددة تكاد كل شعيرة ان تكون عبادة مستقلة قائمة بنفسها من احرام وطواف بالكعبة وسعى بين الصفا والمروة ووقوف بعرفه وافاضــة الى المشعر الحرام بمزدلفة ورمى الجمار بمنى وذبح الهدى ٠ وكل هذه المناسك فى البلد الحرام فى الاشهر الحرم ٠ حرمة المـكان حرم الله فيه الرفث والفسوق والجدال والصيد قال تعالى - الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج - وقال يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم -

وحرمة الزمان لان من اشهر الحج ذى القعدة وذى الحجة وهما من الاشهر الحرم الاربعة التى جعلها الله اشـهر سلام وامان وحرم فيها البغى والظلم والعدوان حتى يأمن الحجاج على أنفسهم واموالهم فى سفرهم الى بيت ربهـم وفى رجوعهم لاوطانهم قال تعالى - ان عدة الشهور عند الله اثنـا عشر شـهرا فى كتـاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم - وهذه الاشهر الاربعة عينهـا الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يخطب الناس فى حجة الوداع بقوله - أيها الناس ٠ ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السـموات والارض والسنة اثنا عشرشهرا منهاأربعة حرمثلاثة متواليات ذو القعدةوذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان - وقد وصف الله مكة لما اقسم بهـا فقال - والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين -

توجيهات نبوية فى الحج

قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه سلم - قل اننى هدانى ربى الى صراط مسـتقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين - وخليـل الله ابراهيم لما بنى البيت الحرام يعاونه ولده اسماعيل عليهما السلام وأمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج اصبح بيت الله الحرام بمكة مقصد العرب من سـائر انحاء الجزيرة العربية وموضع تقديسهم ومكان عزهم وفخرهم ٠ ولما بعث خاتم النبيين وجد العرب يطوفون بالكعبة عرايا لايسترون سوءاتهم بلباس فنزل قـول الله تعالى - يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين ٠ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وكان الواحد منهم اذا اراد ان يدخل بيته وهو محرم تسوره من سطحه ولا يدخله من بابه فقال تعالى - وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون - وكانوا يلبون تلبية شركية فيقولون - لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك لاشريك لله لبيك الا شريكا واحدا هو لك تملكه وماملك - مع ان التلبية استجابة لامر الله وحده ووضعوا فى داخل الكعبة وعلى ظهرها الاصنام المتعددة حتى ان النبى لما دخل مكة عام الفتح وجد حول الكعبة ستين وثلاثمائة صنم فجعل يطعنها بقضيب فى يـده يكبها على وجهها ويتلو قول ربه سـبحانه - جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ٠ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد - وطهر الكعبة من مظاهر الوثنية وأعادها كما كانت زمن ابراهيم واسماعيل وقد قال تعالى - وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود - وهكذا فعل رسول الله وقد قال تعالى - ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين -

ولكن بقى المسجد الحرام بمكة مقصدا لكل عربى يحج اليه المسلم والمشرك فاجتمعت فى بيت الله عبادتان ٠ عبادة اسلامية وعبادة جاهلية ٠ فبعث الرسول فى السنة التاسعة ابا بكر الصديق رضى الله عنه اميرا على الحجاج ثم نزلت سورة براءة - التوبة - تضع الحدود لعلاقة المسلمين بالمشركين وغيرهم من اهـل الكتــاب فبعث الرسول عليا كرم الله وجهه ليقراها على جموع الناس بعرفات فتلاها عليهم ٠ ثم صاح فيهم بأمر رسول الله معلنا اربعة امور فقال ٠٠ أيها الناس ٠٠ انه لايدخل الجنة كافر ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسـول الله صـلى الله عليه وسلم عهد فهـو الى مدته - وبهـذا التوجيه الحازم والمنهاج الحاسم خلصت الكعبة لعبادة الله وحده واصبح الحج نقيا خالصا لله رب العالمين - ولهذا اعلن الرسول فى السنة العاشرة انه خارج للحج فتقاطر الناس افواجا من سـائر انحاء البــلاد العربية حتى بلغوا مائة ألف تجمعهم عقيدة التوحيـد وتؤلف بين قلوبهم اخوة الايمان وصفاء اليقين فرحين مستبشرين بحجهم مع نبيهم وقائدهم الذى اخرجهم من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد فسار بهذه الجموع الحاشدة يعلمهم مناســك الحج واركانه وادابه ويقول - خذوا عنى مناسككم - وهى عرفات وقف الرسول يخطب الناس الذين جمعهم صعيد واحد يهتفون بشعار واحد خاشعين متذللين للاله الواحد وكانت خطبة جامعة ٠

عالجت كثيـرا من علل النفـوس وامراض الجماعات وآفات الحياة ٠ وبينت القواعد الثابتة والاسس المتينة لبقاء الامة قوية متماسكة عزيزة متحدة - ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين - امة لاتخضع الا لخالقها ولا تخشى فى الحق الا الله ولا تخاف احدا سواه تناضـل عن عقيدتها وتدافع عن حريتها وتفـدى أوطانها بالنفس والمال وكل عزيز فى الوجود وما احوجنا فى نهضـتنا الحاضرة الى ان نتدبر هذهالمبادىء الحية والتوجيه الكريم فى هذه الخطبة النبوية حتى نقاوم طغيان المادة وتحكم الاهواء ونقيم حياتنا على اسس قويمة من دنيا ودين

وعمل وانتاج وخلق كريم فقد اكد الرسول حرمة الارواح والاعراض والاموال ليعم الامن ويستقر العدل وتكون الثقة هى اساس المعاملات فقال - ايها الناس ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده امانة فليؤدها لمن ائتمنه عليها ثم حمل على الربا الذى يمثل الجشع فى استغلال حاجة المضطر والحرص على الكسب الخبيث بدون جهد او عمل ويندد بعادة الانتقام الوحشى باخذ ثار القتيل الذى يقطع المودة ويثير العداوة ويشعل نيران الاحقاد • ويبدا الرسول بتحريم الربا والثار على اقاربه ليكون قدوة لامته ويقطع كل تعلل او اعتذار يقف فى طريق هدم الباطل وفى طريق الثورة على سيىء العادات ومرذول التقاليد فيقول وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لاربا • وان اول ربا اضعه ربا عمى العباس بن عبد المطلب • وان دماء الجاهلية موضوعة وان اول دم نبدا به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكرر الوصية بالنساء وبين مالهن ولازواجهن من حقوق وواجبات ودعا للاخوة الجامعة وقرر المساواة بين الناس جميعا على اختلاف السنتهم والوانهم واجناسهم بوحدة خالقهم ووحدة ابيهم آدم ولم يجعل سبيلا للتفاضل الا بالتقوى وصالح العمل وقال - وانى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى •

كتاب الله تعالى وسنة نبيه - وفى هذا الموقف الخالد على الزمن نزل عليه قوله تعالى - اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا -

شهود المنافع فى الحج

كل عبادة لها اعمال ظاهرة هى شكلها وجسمها ولها حقيقة باطنة هى جوهرها وروحها ولا تقوم الفريضة الا بالجسم والروح والاقتصار على حركات العبادة دون تحقيق هدفها لاينتج اثارها ولا يوصل الى ثوابها وفى الحديث النبوى - ان الله لاينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم •

والاحرام فى الحج ترك الثياب المخيطة والزينة وحقيقة التجرد من شهوات النفس ونقائصها والطواف بالكعبة تعبير عن تعلق القلب بما نزل فيها من وحى وهداية فهى قبلتنا ووجهتنا • والسعى بين الصفا والمروة كناية عن الاجتهاد فى اداء واجب العبودية وتحمل مسئوليتنا فى العمل المطلوب والوقوف بعرفات تذلل لله والتجاء وضراعة ودعاء ورمى الجمار لنبذ نوازع الشر وقذف وساوس الشيطان وطرد الاهواء وما من شعيرة فى الحج الا وهى اشارة الى سر جليل ومعنى نبيل لمن حج بقلبه وروحه واتجه لله يلتمس الهداية الى الصراط المستقيم فيكشف الله له عن منافع الحج وغاياته • فيرى منافع شخصية واجتماعية واخلاقية واقتصادية وسياسية فالله جعل الناس فى الدنيا درجات متفاوتة منهم الغنى والفقير والقوى والضعيف وقد يتعالى بعضهم على بعض ولكن شعائر الحج تكسر الكبر وتعالج الغرور وترسم المساواة العملية بين الجميع فى احرامهم وتلبيتهم وطوافهم وكل مناسكهم والحج يخلص من تحكم العادات الفاسدة وقيود التقاليد البالية وفيه رياضات بدنية وروحية ومران على النظام والترتيب وضبط الوقت فقد تحددت اغلب المناسك بزمن معين محدود كالوقوف والافاضة الى مزدلفة ورمى الجمرات وفى الحج تعارف وتآلف وتعاون وتبادل الآراء والتشاور فى الصالح الاسلامى العام وتقوية للامة وترابط لو عرفت الدول الاسلامية استغلال موسمه لشهدوا منافع لاتحصى وهم حول بيت الله الذى جعله الله مثابة للناس وامنا قال صلى الله عليه وسلم - الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم وان استغفروه غفر لهم •

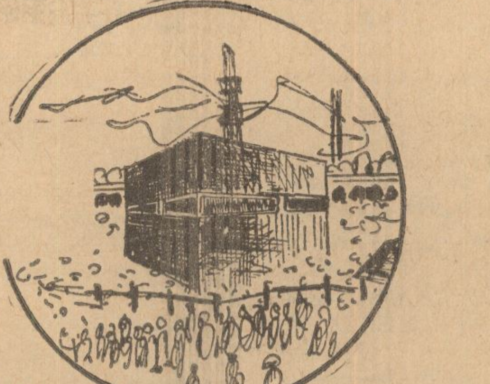

"أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم"

صدق رسول الله

أخلاق في الإسلام

فضيلة الشيخ

محمود الحصري

لقد عرفت الانسانية منذ أمد بعيد كثيرا من دعوات السماء حملتها اليها رسل الله سبحانه حتى كانت رسالة سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ خاتم الأنبياء والمرسلين ، جاءت تحمل تعاليم ذلك الدين السمح الذى ارتضاه الله تبارك وتعالى للناس فى مشارق الأرض ومغاربها دينا قيما سلاما فى اسمه سلاما ساعة نزوله تحس البشرية جمعاء دائم الحاجة الماسة الى قيمه ومبادئه ، وشريعته شريعة الحق جلت قدرته قال تعالى فى محكم آياته ..

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » .

(١٦٥ النساء)

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا » .

(الاسراء ٩)

هكذا الاسلام لا يعرف شرقا ولا غربا ، شمالا ولا جنوبا انما هو دعوة للناس كافة للأبيض ، والأسود ، للأحمر ، والأصفر على حد سواء قال سبحانه ..

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين » .

(الروم ٢٢)

وقفت بكم فى المرة السابقة الى حيث كانت نهاية رحلتى الى ذلك البلد البعيد الذى عرف الاسلام طريقه اليه منذ أجيال عديدة.. ألا وهو الهند ..

واليوم أحكى لكم أخبار بلد اسلامى آخر لعلنى لم أكد أصل من زيارتى اليه الا منذ أيام قلائل .. وهو البلد العربى الأصيل المغرب الأقصى أو مراكش كما يسمونها ..

ولنقف سويا على أخبار الرحلة من بدايتها. المغرب يحتل الجناح الغربى للعالم العربى، فهو يقع فى شمال غربى أفريقيا، يحده شرقا بلاد الجزائر وغربا المحيط الأطلسى وشمالا بوغاز جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط وجنوبا الصحراء الكبرى ..

كانت الرحلة ممتعة حقا فما أن اقتربت الطائرة من أرض المطار حتى أحسست أنى أقرب ما أكون فى زيارة لمدينة الاسكندرية بجمهوريتنا الفتية، استرعى انتباهى أنى رأيت جبلا على كسب، سألت المرافق الذى أخذ يشرح لى :

ان هناك فى المغرب سلسلتان من الجبال أولاهما : سلسلة جبال الريف وهى متوسطة الارتفاع . وثانيتهما سلسلة جبال الأطلس المشهورة وهى أكثر ارتفاعا من سلسلة الريف ويفصل بينهما ممر يسمى « ممر تازة »، كما أن هناك السهول التى تقترب من هذه السلاسل الجبلية كالسهل الغربى الشاسع الذى يمتد من مدينة الرباط الى مدينة مراكش، ثم السهل الشمالى الذى يمتد ما بين مدينتى فاس فى الداخل والمهدية على ساحل المحيط .

والجو هناك فى هذه الأيام من الشتاء شديد البرودة شديد الرطوبة ولكنهم يؤكدون أن جو المغرب معتدل شديد الاعتدال فى الصيف ..

ولقد استقبلت كأحسن ما يكون الاستقبال فشعب المغرب عربى التقاليد والعادات يتسم بالنخوة والشهامة العربية وهذا يدعونا أن ننقل لكم تاريخ دخول الاسلام هذه البقعة من القارة الأفريقية مهد الحضارات كما حدثنى به أحد العلماء ردا على سؤال لى قال :

« ان ارتباطنا بالاسلام يؤرخ له منذ فتح العرب مصر حيث اتجهوا الى بلاد الشمال الأفريقى وافتتحوا معظمها، وفى سنة ٦٢ هـ توغل عقبة بن نافع مؤسس مدينة « القيروان » بالجيوش الاسلامية فى الأراضى المغربية، بيد أن نجاح الفتح العربى للمغرب لم يتم الا على يد موسى بن نصير الذى يعتبر الفاتح الحقيقى للمغرب، وحيث بدأ يدبر أمر المدن المفتوحة وينشر الدين الاسلامى بين القبائل، نجح فى ذلك نجاحا كبيرا واستطاع بما له من دراية واسعة فى قيادة الجماهير ونباهة فى ادارة السلطنة كما تقول - كتب التاريخ والسير - أن يمزج الأجناس بعضها ببعض ويحسن المعاملة ويطبق حكم المساواة فلا فضل لأحد الا بالتقوى والجهاد فى سبيل الله واقامة الحدود .. بذلك رغب الناس فى الاسلام فاستجابوا لندائه الذى كان فيضا عجيبا تفتحت به اسماع أهل المغرب وتطهرت أرواحهم واستجابت نفوسهم لدعوة الحق والايمان، تلك الدعوة التى تؤلف ولا تمزق الأمر الذى دفق سيل الداخلين فى الاسلام من أهل هذه البقعة من الأرض منبهرين بتعاليم الاسلام السمح وصفحه الجميل وعفوه السابغ قال تعالى :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » .

(المائدة ١٤، ١٥)

كذلك كان للمعاملة الطيبة التى سلكها الفاتحون المسلمون بالاضافة الى ما كان يصاحبهم فى نفس الوقت من دعاة انتشروا بدورهم بين الأهالى يقنعونهم بالحجة والبرهان ولم يمض الا وقت قليل حتى أخذت اللغة والثقافة العربية تنتشر بسرعة فى كل أنحاء المغرب وأصبح بمثابة الجناح الغربى للأمة العربية التى صارت بفضل جهود موسى بن نصير وبطولته تمتد حدودها من الخليج الى المحيط .

ولقد خلفه - أي موسى - عدد كبير من الولاة حملوا راية الاسلام والعروبة الى سائر أنحاء بلاد المغرب الأقصى ، ومما هو جدير بالذكر أن أوروبا قد نقلت عن بلادنا الكثير من المعارف والفنون فى شتى ألوان العلوم والآداب .

وليس أدل على ذلك من ترجمة كتب الطب والفلسفة لابن سينا وابن رشد والفارابى وغيرهم الى كثير من لغات العالم مما أثر كثيرا فى النهضة الأوربية فى القرن التاسع عشر .

وهكذا ، وبعد أن دخل المغرب فى حظيرة الاسلام تعاقبت عليه دول اسلامية كبرى كالدولة الادريسية ، ودولة المرابطين ، وامبراطورية الموحدين ، والدولة المرينية ، ثم الدولة السعدية ، وأخيرا الدولة العلوية التى تنتمى الى العرب الأشراف الذين استوطنوا الصحراء المغربية منذ القرن السابع الهجرى واشتهروا هناك وذاع صيتهم ، وبدأت تتجمع حولهم قلوب سكان الصحارى وتلتقى عندهم كلمة العرب حينئذ ، والذى ينتسب اليهم حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس » .

*****

تلك كانت النبذة التاريخية كما تفهمتها عن تاريخ دخول الاسلام هذه البلاد ، ولكن لا يفوتنى أن أشير الى بعض الآثار التى رأيتها بعد أن خلفها الاستعمار الفرنسى البغيض ، الذى حاول تحطيم معنويات المسلمين فى هذه الأرض الاسلامية عندما أحال المساجد الى كنائس وحاول القضاء على معاهد التعليم الاسلامى والحد من نشاطها ونشر اللغة الفرنسية وجعل الأراضى المغربية الاسلامية امتدادا لأقاليم فرنسا فيما وراء البحار قاصدا بذلك : مد أجله فى السيطرة على تلك البلاد، لكن صحوة الوطنية المغربية قضت قضاء مبرما على ذلك الاستعمار الذى جثم على صدرها حقبة طويلة من الزمن .

ترى مثلا : بعض الأسواق والمبانى يغلب عليها الطابع الاوربى ، لذلك ترى المغاربة يحاولون جاهدين أن تمحى تلك الآثار بأسرع ما يمكن حتى يرجع للمغرب وجهه العربى الاسلامى الأصيل .

ولقد جبت أغلب مدن المغرب خلال رحلتى ووقفت على كثير من أخبارها ، فهناك المدينة العظمى أو مدينة رباط الفتح وهى تلى مدينة « مراكش » وهى كبيرة جدا ، بناها « ابو يعقوب بن يوسف » عام ٥٩٣ هـ . وبنى فيها مسجدا عظيما كبير المساحة ، واسع الفناء ، لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه له مئذنة فى نهاية العلو على هيئة منار الاسكندرية ، كما أن بها جامعة الرباط أكبر الجامعات الاسلامية فى المغرب الأقصى ، كذلك رأيت مدينة فاس حاضرة المغرب فى وقتنا هذا ، أهلها فى غاية الكيس ونهاية الظرف ولغتهم أفصح اللغات فى ذلك الاقليم وما زلت اسمع العلماء يدعونها (بغداد المغرب) اذ لعبت فى التاريخ الاسلامى أدوارا شبيهة بالأدوار التى لعبتها - القيروان والقاهرة ودمشق وبغداد - التى تعتبر مراكز للاشعاع الفكرى والثقافى فى الشرق كله ، وهى أيضا كثيرة المرافق واسعة المعايش يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها ويتخلل الأنهار أكثر دورها ، ويزاول المسلمون شعائرهم الدينية فى كثير من المساجد والزوايا التى بنيت فى كل حى من أحياء المدينة ، كما أن بها أهم الجامعات الدينية فى المغرب وتسمى « جامعة القيروان » ، كما يوجد بها معهد مولاى الحسن ، وأيضا بها أهم الآثار التاريخية المغربية وهى « جامعة القرويين » التى تعد أقدم جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى ، ودار الحديث التى يتخرج منها علماء الحديث ، ومعهد القراءات السبع والعشر .

كذلك زرت مدينة مراكش وتعرف بعاصمة المغرب الجنوبى وباسمها اشتهر المغرب فى الشرق والغرب ، أسسها الأمير يوسف بن تاشفين عام ٤٥٤ هـ وأتمها من بعده الخليفة عبد المؤمن الموحدى الذى بنى بها عدة مآثر من بينها مسجد الكتبية الذى بنى منارته الشهيرة الخليفة يعقوب المنصور الموحدى ورأيت فى أقصى شمال المغرب مدينة « تطوان » التى أسسها يوسف المرينى سنة ٦٨٥ هـ وبها

معهد مولاى المهدى من أكبر المعاهد الدينية الاسلامية بالمغرب .

ولقد تركت مدينة الدار البيضاء لكى أقول أنها تقع على ساحل المحيط الأطلسى وهى أجمل مدينه حديثة فى المغرب ترجع شهرتها الى ميناءها الكبير واتساع عمرانها واهميتها الاقتصاديه والتجارية منذ أمد بعيد اذ كانت تعرف قبل الاسلام باسم « أنفا » فتحها عقبة بن نافع عام ٦٢ ، ولما استولى عليها البرتغاليون سنة ٩٢٠ هـ أعادوا تشييدها وأطلقوا عليها « كازابلانكا » ،ولما بارحوها ظل اسم الدار البيضاء يطلق عليها منذ ذلك الحين وحتى وقتنا هذا ، بها كثير من المساجد أشهرها مسجد الدار البيضاء ، ومسجد محمد الخامس وهما من أكبر مساجد المغرب .

ومسلمى المغرب يغلب عليهم المذهب المالكى الذى دخل اليهم عن طريق مصر أيام الفتوحات، عدا بعض الأسر التركية التى تتبع المذهب الحنفى ، كما أن بها فرقا صوفية متعددة كالقادرية والرحمانية والعيسوية السلامية والتيجانية والشاذلية ، ولكل أتباع فرقه من هذه الفرق زاويتها وكتابها للدرس وتحصيل القرآن الكريم .

ومن المظاهر الدينية الرمضانية قراءة القرآن الكريم قبل صلاة العشاء فى جميع المساجد المغربية ثم تصلى بعدها التراويح وهى عادة ما تكون من ثمان ركعات على حزبين ، وما أن تنتهى حتى تقام الأذكار وحلقات الدرس التى تستمر حتى السحور .

ولعلك معى ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم لتشهد عظمة تلك الاحتفالات التى تقام فى كل حى من الأحياء المغربية ، حيث يتسابق الأهالى فى اقامة الزينات والسرادقات يتلى فيها القرآن الكريم بعد صلاة العشاء وحتى ساعة متأخرة من الليل ، كما تقيم الحكومة المغربية سرادقا كبيرا فى احدى ساحات مدينة الدار البيضاء يؤمه الناس من كل مكان لسماع القرآن الكريم .

ومن أحسن ما رأيت أن جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب يعقد الندوات العلمية والدينية طيلة شهر رمضان فى المسجد الذى يضم رفاة والده المغفور له الملك محمد الخامس يتحدث فيها كبار علماء الفقه والحديث وتستمر كل ندوة من هذه الندوات ما يقرب من أربع ساعات تذاع بالراديو والتليفزيون (التلفزة) كما يسمونه ، يتسابق آلاف الأهالى على حضورها وسماعها .

وسرنى أيضا أن أرى أكثر علماء المغرب يحفظون القرآن الكريم وجميع كتب السنة عن ظهر قلب .

ومن العادات المغربية التى رأيتها انهم عادة ما يبدءون افطارهم بثلاث حبات من التمر وكوب من اللبن ، سنة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم يتناولون بعد ذلك بقية افطارهم المكون عادة من شوربة الفريك والبهارات وطواجن الحلوى والمخارق التى تؤكل مع قهوة اللبن ، ولم أسمع أن هناك ما يشبه المسحراتى عندنا ، اما وسيلة الايقاظ للسحور هو المؤذن والسفوف واللبن وشراب قلب اللوز هى أطعمة السحور عندهم .

وراعنى أن أرى حتى الأجانب يحترمون شعائر رمضان فلا ينظر مفطر فى أى مكان حتى الطفل المغربى لا بد أن يصوم متى بلغ السابعة من عمره حتى لا يهدده والده بالحبس ومنع الطعام عنه احتراما للمشاعر الدينية الاسلامية .

ولعل من أكبر الاحتفالات التى تقام هناك الاحتفال بليلة السابع والعشرين من الشهر احتفالا بليلة القدر .

....

تلك كانت مقتطفات مما رأيته ، وسمعته عن وطن عربى اسلامى زرته لبضعة أيام من شهر رمضان المعظم من هذا العام ، ثم سافرت الى بلد اسلامى آخر أكمل فيه رحلتى القرآنية حتى نهاية أيام شهر رمضان الكريم فالى لقاء مع هذا البلد الاسلامى .

من شعائر الحج

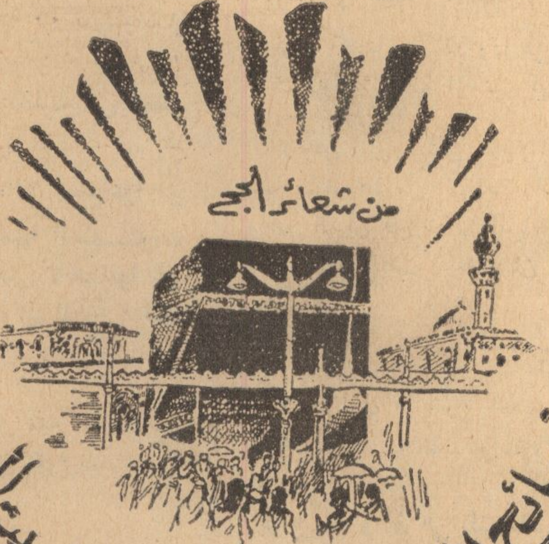

ذبائح الفداء والهدى لفقراء البيت الحرام

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

تمهيد

المعروف لكل مسلم أن الله شرع الحج ركنا من أركان الاسلام .. كالشهادتين ، والصلاة والزكاة ، وصوم رمضان .. ونظرا لما فى الحج من صعوبات السفر ، وتحمل نفقات فقد تلطف الله بنا فجعل الحج فى العمر كله مرة واحدة على من استطاع اليه سبيلا

واذا كانت الأعمال الرئيسية فى الحج والعمرة معروفة لجمهور المسلمين كالاحرام ، والطواف ، والسعى ،فان تفصيل المناسك كلها مذكور فى القرآن ، وفى السنة ، وفى كتب الفقهاء المجتهدين .

واهل العلم يتعهدون الناس دائما بالتعليم وبالتذكير : كتابة ، وشفاها

ومع ذلك تواجهنا أسئلة كثيرة من الراغبين فى البيان لما يجهلونه .

ومن حق هؤلاء أن يسألوا ، ويستزيدوا .. ومن حقهم أن يجابوا عما يسألوا عنه

.. وتواجهنا أسئلة أخرى تثيرها شبهات المجادلين فيما شرع الله من شئون الحج ، وسواه .. فمن الناس من يحسب ان الجدل مسموح به ، ولو بلغ مبلغ الانكار لما جاء فى القرآن .. .

والاولى بالانسان ـ وخاصة فى المسائل الدينية ـ أن يتريث فى نقاشها حتى يتعقلها ،

ويقف على صوابها .. اذ لايمكن فى أمر شرعة الله لعباده أن يكون مجافيا للعقول الواعية عند ذوى الفكر المستقيم « **أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ؟** »

واذا لم يتهيأ الانسان أن يبحث لعدم تفرغه أو لعدم أهليته للبحث فعليه أن يقلد ويؤمن بما شرع الله وأن ينفذ طاعته .. ثم ليواصل بحثه حتى يتبين له ماكان خافيا عليـه .. دون ان تضيع منه فرصة الطاعة فى بعض أزمانه .. وخشية أن تعاجله المنية ، فيخرج من دنياه حاملا أوزارا ثقالا « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » يعنى لاتتخلفوا عن الأعمال الطيبة التى تصل بكم الى الجنة . لئلا يسبق اليكم الموت**

وهذا تمهيد أسوقه لأدخل منه الى حديث عن الذبائح التى يراق دمها فى بقاع الحرم من مكة - كمنى أو سواها

فان اناسا يتجاهلون مقصد الاسلام من ذلك ، ويثيرون حوله شبهات .. ويسبب ذلك أن تكثر الأسئلة من وقت الى وقت .. وخاصة : حينما يقترب الموسم ، ويتهيأ الناس لبيت الله الحرام .

ومن هذا القبيل : أن طبيبا مصريا حج فى العام السابق عام ١٣٨٤ هـ

وبعد عودته الينا كتب - ونشرت له احدى الصحف - أنه مع طبيب آخر لم يكونا مقتنعين بتشريع الذبح فى الفداء ، ولا فى الهدى .. لا واجبا ، ولاتطوعا .. لما فى الذبح من قسوة على الحيوان .. حتى كان هـو وزميله فى أسف على الحيـوان - العجل - الذى اشتركا فيه مع آخرين - حين سوقه الى المذبح فى منى ... وذكر عن نفسه ، وعن زميله انهما لم يرضخا للذبح الا مجـاراة لبقية الرفاق ، ومسايرة لتقاليد الجمهـور من المسلمين .

وكأن هذين الطبيبين لم يأكلا لحما أبدا .. أو لايعلمان أن اللحم هنا من حيوان مذبوح كالذى تأسفا عليه هناك

فهذه ضلالة ، أو جهالة ، أو هما معا .. من طبيبين مسـلمين تكلفا الحج ومتاعبه ، ثم انكرا أعمال الحج .. واستباحا تشكيـك الناس فى شعائر الاسلام

وقد كتبنا يومذاك ردا على هذه الأباطيـل ، ونشرته لنا مجلة (منبر الاسلام) مشكورة

ونحن اليوم نلبى حاجة السائلين من جديد عما يساورهم من التردد ، أو يخفى عليهم من وجهة الدين فى شأن الذبائح هناك ... وفى عدم جواز البدل النقدى لمن أراد ان يفعل

- ١ -

١ - أول ما شرع الحج بصفة عامة كان لابراهيم ، عليه السلام - وبقيت شريعتـه شريعة لنا بتقرير القرآن . وقد قال الله لابراهيم « **وأذن فى النـاس بالحج ، يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .. ليشهدوا منافع لهم .. ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** »

فالله سبحانه - يبين أن من مقاصد الحج تحصيل المنافع بوجه عام : دينية ، ودنيوية.. وان منهـا ذكر اسمه - تعالى - على بهيمـة الأنعام ، يعنى حين ذبحها .. على خلاف ما كان يفعل المشركون من ذكر الأصنام علـى الذبائح .. وأن من مقاصد الذبح كذلك أن نأكل من هذه الذبائح الحلال ، وان نطعـم الفقراء ، وفيهم من يساوره البؤس لشدة فقره بتلك الجهات التى يضيق فيها الكسب عن الناس ولاشك أن تيسير الحج بالاستطاعة يعتبر نعمة .. وأن قدرة المرء على تملـك الحيوان وذبحه نعمة ..

وكل نعمة تقتضى شكرا لمن أسداها .. وهذا هو ما توحى به عقلية المرء فى تقديره لأحسان المحسنين فما بالك اذا كانت النعمة مزدوجة كما نرى ؟

فيكون الشكر فى هذا المقام ممثلا فى ذكر اسم الله على الذبائح - باسم الله والله اكبر وليس كما كان يصنع الكفار

ويكون الشكر ثانيا - بالأكل من هذا الحلال ·· ترضية للنفوس المتطلعة ·· ويكون الشكر - ثالثا - باطعام الفقراء من اللحم الذى يشتهونه ·· وقد لايظفرون به الا فى هذا الموسم الحافل

وهذه هى وجهة الأسلام فى تشريع الذبائح

والى جانب هذه المنافع الحاضرة منفعة أدبية لانتساها ·· وهى تجديد الذكرى لماكرم الله به اسماعيل عليه السلام ·· حين افتداه الله من الذبح قديما ، وجعلها تضحيات باقية فى الاسلام - على ما يأتى تفصيله ·

٢ - وكذلك يقول الله تعالى - فى شأن هذه الذبائح

« ذلك : ومن يعظم حرمات الله ، فهو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام : الا مايتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان »

فهذا توجيه آخر الى تعظيم أفعال الحج ·· وقد سماها الله حرمات ·· يعنى :مقدسات لايستهان بها ، ثم يصرح بشىء منها ، وهو تحليل بهيمة الأنعام التى تذكر اسم اللهعليها حين ذبحها ، والتى نأكل منها ، ونطعم الفقراء ، كما فهمنا من الآية السابقة ··· وينبهنا الى اجتناب الرجس من الأوثان ، فلا نهمل ذكر الله على الذبائح كما كان يغفل الكفار بتسمية الأصنام ·· فهذا منهم رجس - كفر - لايليق بالانسان مع الله

٣ - ويقول الله « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع الى اجل مسمى ، ثم محلها الى البيت العتيق »

فهذا توجيه آخر الى تعظيم شعائر الله ، والشعائر كل شىء مشروع فى الدين ، فانه يكون من معالمه ، وشعارا عليه ومن بينها ذبائح الحرم ، فانها أمارات ظاهرة على احترام أوامر الله بتنفيذها فى مقامها ، وفى أوقاتها ·· وسميت الذبائح شعائر (بصفة خاصة) لأنهم يجرحون الأبل فى جانب سنامها الأيمن ، حتى يسيل منها دم ، ويكون ذلك الدم اشعارا لها · ·يعنى اعلاما بأنها للحرم فسميت شعيرة لهذا ··

وهذا العمل من شأنه أن يصدر عن قلوب تقية تؤمن بربها خير ايمان « **فانها من تقوى القلوب** »

ويشيد القرآن بما فى هذه الانعام من منافع كثيرة ·· كحلب ألبانها ، وأخذ وبرها ، وصوفها ، والتقرب الى الله بالتسمية عليها ، والنسك بها ، وسوقها الى البيت العتيق ·· وهذه حفاوة بسوق الانعام الى حرم تكبت قلوب الكافرين ، أو تستنهضهم الى الاسلام

٤ - ثم يضاعف القرآن تفخيمه لهذه الذبائح فيسميها - نسكا - يعنى عباده « ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فالهكم اله واحد ، فله أسلموا ، وبشر المخبتين »

فالمنسك من معانيه العبادة ، ومن معانيه اراقة الدم فى طاعة الله ، ومن معانيه مكان الذبح الذى يذكر فيه اسم الله ، وقد نوهت الآية بذكر اسم الله على بهيمة الانعام ، فيكون الأظهر ان المراد بالمنسك هو التعبد بالذكر على هذه البهائم ، فتكون هى رمزا للعبادة ،ومحلا لذكر الله ·

٥ - ثم يقرر القرآن مثل ما تقدم كله فيقول **« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ·· فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها ، واطعموا القانع ، والمعتر ·· كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون »**

فهذه اشادة بالأبل خاصة ، وأن فيها خيرا كثيرا ، وأنها تتخذ شعائر لله ، فيذكر اسم الله عليها وهى مصفوفة الى بعضها حين نحرها ·· وحينما تسقط على جنوبها وتفارقها

الحياة ينتفع بلحمها لأصحابها وللفقير القانع المتعفف عن السؤال ، والفقير المتعرض للسؤال لشدة حاجته

٦ – وينتهى القرآن فى حديثه عن النسك بالذبائح فيقول « **لن ينال الله لحومها ٠٠ ولا دماؤها ٠٠ ولكن يناله التقوى منكم ٠٠ كذلك سخرها لكم ٠٠ لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين** »

كان من أعمال الكفار ان يدهنوا جدار الكعبة بدم الذبائح التى يتقربون بها الى الاصنام والله – سبحانه يوضح لنا : ليس لله حظ فى الدماء ولا فى اللحوم ٠٠ وانما سخرها لكم لتستعينوا بها على طاعته ، وتكبروه عند ذبحها شكرا له على ماهداكم ، ومن يفعل ذلك فهو محسن ، ويأمر الله رسوله أن يبشر المحسنين ٠

٨ – تلك أحكام تتعلق كلها بذبائح الفداء والهدى بالنسبة للمحرمين ، بل جعلها الله جوابر لما يفوت من أعمال الحج

ومن هذا البيان القرآنى تتضح لنا عناية الله بذبائح النسك ، فلم تعد هناك معذرة لمن يتردد فى قداستها ، أو يشكك فى تشريعها

(ب)

٩ – أما ابدالها بنقود تدفع للفقراء هناك فانه لايجزى ، مهما بلغت كثرتها

وهذا لما رأينا فى سياق الآيات من التوجيه الى ذبحها فى محلها عند البيت العتيق ، والى ذكر اسم الله عليها حين الذبح ، والى الأكل منها واطعام الفقراء من لحمها الخ ٠

واراقة الدم بالذات فيها معنى ليس فى دفع النقود ، وذلك هو الاشعار بما أحل الله لنا من بهيمة الأنعام ٠٠ وفيه تكذيب لما كان ينقله الكفار ، حيث كانوا يمتنعون عن اكل اللحوم التى يجعلونها للاصنام ، ويحرمونها على انفسهم جميعا ، فلا يركبونها ، ولايتعرضون لها ، بل يتركونها سائبة ، حتى يذبحوها لخدام الأصنام فقط ويذكروا عليها أسماء الاصنام فقط

وكانت لهم تصرفات عجيبة فى التحليل والتحريم ٠٠ وان الله ، سبحانه – هدانا الى خير من ذلك كله ٠٠ وجعل منفعة الفقير هدفا أصيلا من أهداف الذبح ٠٠ وتقديم اللحم اليه منفعة عاجلة تنقذه من المسغبة التى تتلوى بها أمعاؤه ، وتعالج رغبته الملحة فى ادراك الطعام

جـ – مكان الذبح

١٠ – خرج ابراهيم بولده اسماعيل – عليهما السلام – لينفذ فيه ما رآه مناما ، وكانت وجهته الى منى بعيدا عن مكة بنحو عشرة كيلو مترات ، وأخبر ولده بمقصده « **يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟** » واسماعيل يعلم أن اباه رسول الله ٠٠٠ وان منامه وحى من عند الله ، فلم يبخل بنفسه ، ولم يتردد فى طاعة والده عن طيب خاطر وقال : « **ياأبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين** » وحينما طرحه على وجهه تخفيفا لهول النظر الى وجهه ، وتناول سكينة : افتداه الله بكبش نزل من السماء ، وسمع ابراهيم هتافا من عالم الملائكة « **ياابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم ، كذلك نجزى المحسنين** »

وبهذه الطاعة كانت المحنة مصروفة عن ابراهيم وولده اسماعيل

وكانت التضحية وتشريع الفداء ، والهدى من معالم الدين ، ومن اواصر الود بين رحماء الناس ، وفقراء المسلمين

وبهذه الصلات المبرورة تظل روح الاخاء بادية فى صفوف الجماعة الانسانية فلا تطغى عليهم الطائفية ، ولا تتغلغل فيهم العصبيات القبلية ولا النزعات التى تفرق بين جنسياتهم

ماداموا يرجعون الى هدى الله ولا يتجاهلون ما رسم الله لعباده فى دنياه

١١ ، ثم لماذا قصد ابراهيم الى منى ، وهى بعيدة عن البقعة الآهلة بسكانها ٠٠ مع أن سكان مكة حينذاك كانوا قلة لايؤبه لها ؟

يقول بعض المتحدثين فى هذا : انه كان يقصد بولده البعد عن أمه ، حتى لاتدرك التعرض له حين ذبحه لولدها وهذا التماس مقبول فى تعليل ذلك البعد

ولكن الأمر أكبر من ذلك ، فابراهيم رسول، يتصرف عن الهام الله ووحيه

ولعله بالهام الله يدرك ان البلد سيزدحم بعد ذلك بسكانه ٠٠ وسيظل مزدحما فى موسم الحج بزواره كل عام كما كان هو يدعو بذلك ٠

فمن الأصلح ان يكون منى ــ وهو بعيد عن العمار ــ مكان القرابين التى تذبح ، حتى يكون ذلك طهرة من الاقذار ، والأضرار ووقاية للوافدين من سائر الديار والأقطار

وفى الوقت نفسه تعتبر منى من حرم البيت العتيق ، فكل دم يراق فيه يكون قدبلغ محله الى البيت العتيق ، كما يشترط القرآن ويكون هديا بالغ الكعبة كذلك وهذا ما يقرره التشريع المحمدى ، موافقا لما سبق فى شريعة ابراهيم

فان الحرم المكى لايقتصر على المسجد الحرام ولا على ما يجاوره بالمباشرة ، بل يمتد الى مسافات مترامية ، حتى يتناول منى ٠٠والذبح فى أى جزء من هذا الحرم الواسع كله مجزئ، وواقع موقعه ٠٠ غير أن منى هى الأفضل من سواها لما سلف ولانها تتسع لتوافد الفقراء عليها ، وتمكنهم من الحصول على اللحم فيها ، وخاصة : بعد أن كثر الناس عن الأزمنة الأولى وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث مرفوع ــ **كل فجاج مكة طريق ، ومنحر**

وقال ابن عباس ، رضى الله عنهما ــ **مكة لها منحر ٠٠ الا انها تنزهت عن الدماء ــ يعنى : لم تكن مذبحا خاصا لتظل نظيفة للمقيمين وللمحرمين**

وهكذا من ادله كثيرة تفيدنا ان الحرم الواسع كله مكان للذبح فى كل بقعة من بقاعه

١٢ ــ ومن مظاهر الحكمة فى اختيار ابراهيم لمنى أن تكون فيها الجمرات ، وهى نسك من مناسك الحج

والعلماء يذكرون أن للجمرات سببا قام عليه تشريعها

وهو ان ابليس حاول ان يصرف ابراهيم عن تحقيق رؤياه ٠٠ فتمثل أولا ــ فى شكل انسان ٠٠ وأوعز الى هاجر ــ زوج ابراهيم ان تدرك زوجها فى طريقه وتعترضه فى تنفيذ رؤياه ، ولم تكن تعلم بذلك ٠

فرفضت أن تصدقه ، أو تستجيب لهذا الانسان المفاجئ لها

فنشط ابليس الى ابراهيم واسماعيل فى طريقهما ٠٠ وحاول مثل ذلك مع اسماعيل ، وهو يسير خلف أبيه فلم يفلح معه فى دسيسته

ولما حاول مثل هذا مع ابراهيم قذفه بحصيات من الارض ، فارتد خائبا فى فتنته وكان البلاء لابراهيم من الله ٠٠ وكان الفداء لاسماعيل من الله

وبقيت هذه الذكريات خالدة فى دين الله على لسان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستمر الرمى للحصيات : كرمز للتنصل من متابعة ابليس ، وتجديد العهد مع الله ، واحياء سيرة ابراهيم عليه السلام فى نفوسنا كما نحييها بدعواتنا وفى صلواتنا

وهذا تعليل فى الاحكام ٠٠وليس بغريب على العقول ، ولا ببعيد عن مجال التشريع ٠٠ وذلك مما يشير اليه القرآن الكريم ، فى قول الله سبحانه عن ابراهيم ــ عليه السلام ــ « وتركنا عليه فى الآخرين : سلام على ابراهيم »

ونحن نصلى ونسلم دائما على محمد ، وعلى ابراهيم ، وعلى جميع النبيين ٠

القتال في الإسلام

بقلم فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة

القتال : مكث صل الله عليه وسلم بعد بعثته في مكة يدعو النـــاس الى الاسلام ويقرأ آيات القرآن الكريم وينبههم الى التفكير فى أنفسهم وفيما خلق الله ليهتدوا الى التوحيد ، لكنهم أعرضوا عن دعـــوته واستكبروا وقابلوه بالاستهزاء والايذاء وصـــبوا على من اتبعه من المؤمنين صنوفا من العذاب والآلام وصدوا عن سـبيل الله ، وكان جند الله وعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى قلة من العدد ، وضعف فى العدة بحيث لا يستيطيعون مقاومة المشركين وقتالهم . فاقتضت حكمته تعالى أن يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح والاعراض عن الجاهلين فتنزل عليه « اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين » ، « وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل » وقد فر نفر من المسلمين الى الحبشة بعدا عن الأذى ليجدوا الأمـان فى ربوعها . وتحمل من بقى بمكة الآلام فى صبر جميل . وقد روى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له آتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا : يا نبى الله . كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة . فقال : انى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم » .

فلما اشتد الأمر على المســلمين وبالغ الكفار فى ظلمهم حتى شرعوا فى قتل الرسول صلى الله عليه وسلم اذن الله لهم بالهجرة فكانت هجرته عليه الســـلام الى المدينة حيث الاستقرار مع الأنصار .

ثم دخل الناس فى دين الله افواجا فاشتد ســاعد المسلمين وكثر عددهم وبرزت قوتهم . وهناك أذن الله لعباده المؤمنين بالقتال دفاعا عن النفس والدين فقال تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله عـلى نصرهم لقدير » .

وكان هذا الاذن أولى مراحل شرعية القتـــال فى الاســلام .

قال ابن العربى : قال علماؤنا كان رسول الله صـلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحل له الدماء وانما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل مدة عشرة أعوام لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفاء بوعده الذى امتن به بفضله فى قوله « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فاستمر الناس فى الطغيان وماأستدلوا بواضح البرهان .وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من خرج الى المدينة ومنهم من صبر على الأذى فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا أمره وكذبوا نبيه عليه السلام وعذبوا من آمن به ووحده وعبده وصدق نبيه عليه السلام واعتصم بدينه اذن الله لرسوله فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وأنزل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » وتوالت بعد ذلك تفصيلاته بالأمر بالاستعداد له . وقتال من قاتل واعتدى وهم أصناف . ثم الأمر بقتال الكافة .

الأمر باعداد العدة .

لقد أصبح ديدن الكفار بعد الرسالة الحاق صنوف من الايذاء تنوء بحمله جبال مكة ووهادها . وقد جرت سنة الله فى خلقه منذ أوجدهم واستخلفهم فى الأرض على أن الحق لا يمكن أن يعيش أعزل . فلابد له من قوة تحميه وتشد أزر حامليه . كان حتما على أمة الحق أن تكون دائمة الاستعداد للدفاع عنه وافســاح الطـريق أمامه ليأخذ طريقه الى النفوس من غير قسر عليه ولا الزام به . بل لحماية أصحابه وازالة العثرات أمام وضوحه ليكونوا أحرص على الحق من حرص الأعداء

على الباطل . لهذا أمر الله المسلمين بان يكونوا دائما مستعدين لذلك باعداد وسائل النصر المادية والروحية . فقال تعالى « وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » كما نهاهم عن الوهن والضعف والاستسلام لآلام الغلبة والهزيمة أن جرت سنة الله عليكم بذلك فقال « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » فايمانكم ينبغى أن يكون مادة قوتكم وروحانية نصركم .

ولما باشر المسلمون القتال وعرفوا فائدة الجهاد وذاقوا لذة النصر وعلموا حسن عاقبته أمرهم به أمرا وفرضه عليهم فرضا فقال « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فنهى عن كل اعتداء – الاعتداء بالقتال ويكون بالبدء به أى لا تبداوا أنتم به ، ولا تعتدوا فيمن تقاتلون . فلا تقاتلوا من لم يقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى ومن لا يستطع قتالا أو ولا تعتدوا فتقاتلوا من ألقى اليكم السلام وكف عن حربكم .

ومن هذا يتبين أن القتال لم يشرع فى الاسلام بغيا ولا عدوانا ولا قهرا بغير حق ، كما لم يكن اكراها لأحد ليدخل فى دين الله انما أذن به لدفع الظلم عن النفس وصيانة العقيدة بالأخذ على يد من يقف فى سبيل الدعوة ويفتن من آمن بالله ورسوله بالتعذيب أو منع الداعى اليها . ومع هذا فهو يأمر المسلمين بقتال من يقاتلهم وينهى عن الاعتداء كما ينهى عن القتال فى المسجد الحرام حتى يقاتلوهم فيه . ولم يبدأ الاسلام أحدا بسوء وانما كان دائما مدافعا يرد العدوان ويدفع شر المعتدين . وقد تطور الأمر بالقتال بعد ذلك وتعدد بتعدد طوائف المعتدين وتنوع اعتدائهم .

١ – بقى فى مكة بعد الهجرة عدد من المؤمنين – رجالا . ونساء . وولدانا . وكانوا فى ضعف لم يستطيعوا معه اللحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين بالمدينة . فصب عليهم جبابرة مكة ألوانا من العذاب حقدا عليهم . وانتقاما من الدعوة وصاحبها فى أشخاصهم بعد أن نجى الله رسوله من شرهم . وهؤلاء لهم بالمسلمين اخوة الدين التى تستوجب نصرتهم . ودفع الأذى عنهم . ولهذا حض الله المسلمين على الجهاد للأخذ بيدهم انتصارا للدين الذى وحد بينهم . واستخلاصا للمستضعفين من أيدى المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن دينهم فوجب الجهاد لاعلاء كلمة الله واظهار دينه واستنقاذ الضعفاء وتخليص الأسارى بالقتال أو بالأموال . وهم المعنيون بقوله صل الله عليه وسلم « اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعباس بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين » قال ابن عباس : كنت أنا وأمى من المستضعفين . أنا من الولدان وأمى من النساء ، وشرعية القتال فى هذا الشأن طلبت بالآية الكريمة « ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » ولا شك أن ذلك دفعا لاعتداء الاعداء على الدين وأهله . وهذا السبب يقرر أمرين : الأول أن الأعداء قد تناهوا فى الخسة وعدم المروءة . بالحاقهم الأذى بالضعفاء . الثانى أن اخوة الاسلام تفرض على المسلم التناصر بالدين والتضحية فى سبيل نصرة الضعفاء باعتبار أن ايذاء واحد من المسلمين هو ايذاء للجماعة . فالصبر عليه ذلة يأباها الدين فالمسلمون جميعا يد على من سواهم .

٢ – فى غزوة الاحزاب تجمع كفار قريش مع قبائل العرب ومظاهرة اليهود لهذا الجمع ، وحاصروا المدينة بعد أن خان اليهود عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم واتفق بنو قريظة معهم على اقتحام المدينة من ناحيتهم . فكان هذا تجمعا لشراذم البغى والعدوان ضد الدعوة وصاحبها وأهلها . فحفر النبى صلى الله عليه وسلم الخندق . ونصر الله عبده وأعز جنده وأمدهم بالقوة المادية والروحية فكانت الريح الشديدة على الأعداء ، والملائكة فى صفوف المسلمين ، والشهداء الذين احتسبوا فى سبيل الله قوة هزم الله بها الشرك وأهله . وقد جاءوا للاعتداء كافة فأمر الله بقتالهم كافة . وكان الأمر العام بالقتال مقابلة ومماثلة نظير ما صنعوا ، والله غالب على أمره وله عاقبة الامور .

٣ وكان يهود المدينة قد تعهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يعينوا عليه . فحفظ لهم عهدهم ومكنهم من حريتهم فى بلدهم وعلى اعتقادهم ولكنهم بفرقهم الثلاث – بنى قينقاع ، بنى قريظة ، بنى النضير – نقضوا العهد ، وأصابتهم كآبة بعد انتصار المسلمين فى بدر وأظهروا الشماته عند هزيمة المسلمين فى أحد . وقالوا فى الرسول سوءا وتحالفوا مع أعدائه وسمحوا للكفار أن يدخلوا المدينة من جانبهم فخانوا وطنهم وأخلوا بعهدهم فأجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة حفظا لها وقد أمر الله بقتالهم فقال « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وقد قررت هذه الآية الجزية كأثر من آثار القتال ولذلك حكمة . فان الله تعالى حرم على الكفار أن يقربوا المسجد الحرام . وقد وجد المسلمون فى أنفسهم بما قطع عنهم من التجارة التى كان المشركون يوافون بها . فوعد الله بالتعويض عنها بقوله « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » فاحلت الجزية وكان ذلك ابتداء شرعيتها وجعلها عوضا عما منعهم من موافاة المشركين بالتجارة فثبتت بهذه الآية « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله » الى قوله « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وأولها بقتال جميع الكفار لاصفاقهم على هذا الوصف . وخص أهل الكتاب بالذكر اكراما لكتابه ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرائع والملل . وخصوصا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وملته وأمته . فلما أنكروه تأكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة ولينبه على محلهم . ثم جعل للقتال غاية وهى اعطاء الجزية بدلا عن القتل . قال ابن العربى سمعت أبا الوفاء على بن عقيل فى مجلس النظر يتلوها ويحتج بها فقال : قاتلوا وهذا أمر بالعقوبة . ثم قال الذين لا يؤمنون . وذلك بيان للذنب الذى أوجب العقوبة . وقوله . ولا باليوم الآخر تأكيدا للذنب فى جانب الاعتقاد .

ثم قال : « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » زيادة للذنب فى مخالفة الأعمال . ثم قال : « ولا يدينون دين الحق » اشارة الى تأكيد المعصية بالانحراف والمعاندة والانفة عن الاستسلام . ثم قال : « من الذين أوتوا الكتاب » تأكيدا للحجة لانهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . ثم قال : « حتى يعطوا الجزية عن يد » فبين الغاية التى تمتد اليها العقوبة وعين البدل الذى ترتفع به . وقد أجمع المسلمون على أن الجزية لا تفرض على كفار قريش وقد علل ذلك بانه اكرام لهم عن الذلة والصغار لمكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل لأن جميعهم أسلم يوم الفتح . وتتجلى سماحة الاسلام وحسن معاملته لغير المسلمين

بتنظيم هذه الجزية على المقاتلين بقوله تعالى : ((قاتلوا)) فلا تجب على من لم يقاتل فيعفى منها النساء والصبيان والمجانين وتؤخذ من قويهم لضعيفهم لتكون لاصلاح شأنهم . ولاتجب على من لم يجد لأن من لا مال له لايتصور منه عطاء . ويخلى بينهم وبين أموالهم ولا يعترض عليهم فى أحكامهم ولا فى تجارتهم . وعلى الامام أن يقاتل أعداء أهل الذمة . ويستعين بهم على الأعداء . وظلمهم حرام لقوله صلى الله عليه وسلم ((من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو اخذ شيئا منه بغير طيب نفسه فأنا خصيمه يوم القيامة)) ثم تأتى مرحلة اخرى فى شرعية القتال فبعد أن أذن للمظلوم أن يدافع عن نفسه . وبعد أمره تعالى بالقتال للسبب الذى يدعو اليه . علم الله المسلمين كيفية القتال ورسم لهم طريق سلوكه بما هو أنسب لبلوغ المقصول فقال :

((قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)) وذلك بالأقرب من العدو . تمهيدا لاعداد عوامل الانتصار على من بعده وتأمينا للدعوة فى أهلها ووطنها وفيمن حولها حتى تكون المرحلة المستقبلة أضمن انتصارا واحكم حصارا ولهذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالعرب ثم قصد الروم بالشام بعد الفراغ ممن حوله بنفس الأسلوب الأول . الدعوة بالحسنى . فان حصل اعتداء قوبل بالجهاد وأن سالموا فالاسلام أحب الى السلم منهم .

٤ ــ وكان للحرم والاحرام . والبلد الحرام فى الشهر الحرام حرمة كانت تمنع المحاربين من القتال فى هذه الأحوال فلما تيقن المشركون من احترام الرسول لهذه الحرمات ارادوا الخيانة بالقتال غير عابئين بهذه الحرمات . فرسم الاسلام الطريق . فنهى عن القتال فى الحرم والاحرام والأشهر الحرام فان انتهكوا حرمة ذلك وشرعوا فى القتال نبه الشارع المسلمين الى ان حرمة المقدسات من النفس والدين والوطن أولى بالاهتمام من حرمة الزمان والمكان والحال ((ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم)) وقال : ((الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) .

والمستفاد من هذه الآيات وغيرها أن جميع الأصناف الذين أمر الاسلام بقتالهم هم جميعا أصناف اعتداء . وابتداء به . ومبالغة فيه . وتعدد لألوان من الاعتداء على الدين بالفتنة فيه وعلى النفس بالايلام والتعذيب وعلى الحرية باهدارها وعلى الوطن بالاخراج منه والأخلاق بالمثله واستضعاف من لم يقدر على المقاومة وعلى العهود والايمان بنقضها والخيانة لها حتى كان الطرف المقابل للاسلام فكرة بغى وعقلية افتراء من غير عاصم يرد النفس عن نزواتها الا سيف الله يقطع أوصالهم وجند الله يفرق جمعهم . ورسول الله يرد كيدهم حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى الدين الكامل دين الله أفواجا تتابعت جموعه بعد أن خالطت بشاشة الايمان قلوب المؤمنين . وبعد أن أقضت قوة الله مضاجع المتربصين فلم يجدو لهم سلاما الا فى حماه ولا أمنا الا بين صفوفه بعد عفو كريم غسل به رسول الله قلوب المتجبرين بالامس اللائذين بصاحب الخلق العظيم اليوم وقد كان أولا وأخيرا رسول عفو وصفح وحلم ورحمة وداعية سلام وأمن بقوله الكريم الرحيم ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) وكان نداء بربه قومه وهديا اهتدت به الملايين وعندها سبح النبى بحمد ربه واستغفر لهفوات عشيرته فقبل الله ذلك منه لهم وغفر لهم وتاب عليهم انه كان توابا

عيد الأضحى

كلمة عيد كلمة جميلة الجرس حبيبة الى النفس لذيذة على السمع توحى بمعنى السرور والبهجة وتبعث فى آفاق الانسان معنى فضفاضا من الانطلاق والجمال والفرحة ومن أجل هذا يستعملها كثير من الناس فى تحية ضيف عزيز عليهم فيقولون له (زيارتك عيد لنا) ويقولون فى مدح من يعظمون أو يحبون (أيامك كلها أعياد) والعيد كل يوم فيه جمع وتذكار وسمى عيدا لعوده وتكرره بتكرر المناسبة التى من أجلها اتخذ هذا اليوم عيدا لأن العيد كما قلنا ونقول انما يكون فى أعقاب اسداء نعمة للأمة أو عقب كشف غمة عن الأمة فلم تقم الأعياد دينية أو قومية بين الناس فى الأمم والشعوب ارتجالا وبمحض الصدفة وبدون سبب ولم تحدد مواقيتها دون مقتض بل لابد أن يسبق اعلان هذا العيد حدث هام فى حياة الأمة يعود بالخير عليها وتسر به جميع طبقاتها وتظهر عوامل البهجة فى ربوعها وتعلن ان اليوم عيد يحتفل به ويبتهج الناس فى رحابه وتتكرر الحفاوة به أحياء لذكرى هذا الحدث العظيم فى موعده الذى تم فيه . فالأعياد القومية أو الوطنية انما تقوم فى كل أمة أو شعب لاحياء ذكريات خاصة وهامة فى تاريخ هذه الأمة أو ذلك الشعب والأعياد الدينية كذلك انما تكون لاحياء ذكريات خالدة فى المجتمعات الاسلامية أو صدى لاسداء نعمة أنعم الله بها على المؤمنين من عباده .

والأعياد الدينية تنحصر فى يومى عيد الفطر وعيد الأضحى فقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما استقر به المقام فى المدينة بعد الهجرة وجد الأنصار يلعبون ويلهون ويتركون أعمالهم الخاصة والعامة فى يومين من أيامهم فقال لهم الرسول ما هذان اليومان فقالوا يومان كنا نلهو ونلعب فيهما قبل الاسلام فقال لهم

المبارك

الأستاذ عبدالحميد بابعي

(قد أبدلكما الله خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) واضح من هذا أن الرسول لم يعمد الى انقاء اتخاذ الأعيا دولم يقصد ابطال الحفاوة بالأعياد بل أبقى أصل فكرة العيد مسايرة للفطرة والغى يومى الجاهلية وأبدلهم بيومى الفطر والأضحى ليقضى بذلك على مظاهر الجاهلية النابعة من هـــذه البيئة الضالة والمنبعثة من وحى النفوس المنحرفة وليأخذهم الى ما هو جـدير بالحفاوة والتكريم من هذه المناسبات العظيمة التى جاء عقبها العيد ذلك أن عيد الفطر انما جاء عقب الانتهاء من صـوم شهر رمضان هذا الشهر الحافل بالذكريات الخالدة ففيـه نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ـ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وفيه ليلة القدر وهى (خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) وغير هذا من الذكريات التى كلها أمجاد .

وسمى بعيد الفطر لأن الصائم يشعر بفرح وسرور عند فطره وفى هذا يقول الرسول الأمين (للصائم فرحتـــان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) وبديهى أن فرح الصائم عند فطره ليس لذات الفطر فان الفطر ليس بالأمر الذى يستأهل أن يتحدث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وانما يقصد الرسول بفرح الصائم عند فطره معنى أعمق وغرضا أسمى وأعظم هو توفيق الله للصائم فى أداء ما فرض الله عليه واتمام ما أمره الله بأدائه وهوصوم شهر رمضان .

أما عيد الأضحى فقد جاء عقب اسداء نعم عظيمة للمؤمنين . واحياء لذكريات خالدة فى تاريخ المسلمين . وهذه وتلك لهما الأثر البالغ فى حياة الأمة الاسلامية وفى ظهورها على دول الأرض أجمعـين وكان من أجمـل هذه النعم ذكرا وأبركها أثرا تلك النعم التى امتن الله بها على المؤمنين فى قوله (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ـ فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) نزلت هذه الآية الكريمة يوم عرفه فى حجة الوداع وواضح أنها تزف للمؤمنين بشارتين عظيمتين وتعلنهم باسداء نعمتين كريمتين .

أولاهما أن الدعوة الاسلامية التى هى محل اهتمـام المسلمين وموضع عنايتهم والتى كانت شغلهم الشاغل الذى لا يهدأ وعملهم الدائب الذى لا يفتر هذه الدعوة يتحدث الله عز وجل عنها فى هذه الآية الكريمة بأنهـا أرست قواعـــدها واسست قوائمها وشيدت أركانهـا ورفعت منارتها وأصبحت ذات قوة ومنعة يأسف العـدو من النيل منها فيقول (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) وما أجمل الطمأنينة بعد القـلق وما أحسن الأمن بعد الخوف .

وثانيتهما أن الله عز وجل أعلن فى هذه الآية الكريمة أنه فى هذا اليوم أكمل تشريع هذا الدين الاسلامى الذى رضيه دينا لعباده وكلفهم بالتعبـــد بأحكامه وتعاليمـه وآدابه من عهد آدم عليه السلام ومشى هذا الدين متطورا مع البشرية عبر القرون والأعوام . مسايرا للفطرة فى كل أدوارها . هاديا للانسانية فى تنظيم سلوكها فى حياتها الخاصة والعامة حتى لا تحيد عن قصد السـبيل وتصون بذلك مقوماتها التى اختصها الله بها فتحفظ على العقل كرامته وحريته وعلى الروح معنويتها وعلى الجسم متعته بما يشتهى فى اطار الفضيلة والخلق فيعيش بذلك الانسان عيشة راضية ويحيا حياة كريمة طيبة .

وسمى عيد الأضحى لمناسبة ذبح الأضحية ضحوة هذا اليوم والأضحى جمع أضـــحاه مثل أرطى وأرطاة والأضحية احدى الشعائر الدينية الخاصة بهـذا اليـوم وفيها احياء لذكرى الفداء العظيم الذى قدمه سـيدنا ابراهيم عليه السلام لربه ليفتدى به ولده اسـماعيل الذى أمر مناما بذبحه ورؤيا الأنبياء حق وصدق ووحى وشرع لذا قام ابراهيم من نومه ممتثلا أمر ربه وأخـذ ولده الوحيد وانتحى به ناحية بعيدا عن أمه وألقى وحيده هذا طريحا على الأرض وهيأه للذبح وشرع فى الذبح فعلا ملبيـا أمر ربه مؤثـــرا طاعة مولاه على كل ما يختلجه من عوامل تدافعه عن مباشرة ذبح هذا الوليد الوحيـد .

من حنان الأبوة المتعطشة والعاطفة الانسانية الحانية والحادث الفاجع العجيب الذى تهتـــز لهوله القلوب القاسية وتنهار من رؤيته الأعصاب المتحجرة أب رحيم ينحر فلذة كبده بيده . وطفل يطاح به على طهره وبراءته وثمر يقطف من أصوله قبل ينعه طاعة من الأب واستسلام من الابن أن هذا لهو البلاء المبين .

وأن هذا لهو الايمان العظيم وأن هذه لهى العبـودية الحقة والخلة الصـــادقة التى لم يحظ بها الا ابراهيم واسمع أيها القارىء الكريم هذا الحدث المروع يقصـه علينا القرآن الكريم عظة وذكرى واشادة بابراهيم وأسوة اذ يقول متحدثا عن ابراهيم (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصـــابرين فلما أسلما وتله للجبين

وناديناه أن يابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) .

وهكذا يكون جزاء من انتصر من نفسه لربه وآثر استجابة مولاه على استجابته لهواه ونفسه وأن الله لمع المحسنين .

واضح من هذا الأسلوب القرآنى العظيم فى هذه القصة أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق لأن البشارة باسحاق جاءت بعد الحديث الذى دار بين ابراهيم وولده الذبيح وبعد أن قال الله له يابراهيم قد صدقت الرؤيا ولم يكن لابراهيم فى وقت هذا الحدث الا اسماعيل والبشارة باسحاق كانت منحة لابراهيم على طاعته وصبره هذا وللأضحية أحكام نذكر منها ما يتسع له المقام حتى تكون على الوجه الشرعى الذى يحقق شعيرة اليوم ويحصل فاعلها على ثواب ما قدم لله عز وجل .

وحكم الأضحية أنها سنة عند مالك والشافعى رضى الله عنهما - وواجبة عند أبى حنيفة رضى الله عنه والواجب غير الفرض عنده وقد سنتها الشريعة الاسلامية شعيرة خاصة بهذا اليوم ينوى صاحبها هذا المعنى عند ذبحها لتأخذ صفة التعبد ولينال صاحبها أجر هذه العبادة وثوابها واذا لم ينو هذا المعنى عند الذبح فهى أمر عادى ليس فيه معنى التعبد وليس لصاحبها فى ذبحها ثواب (انما الأعمال بالنيات) .

وانما تطلب الأضحية من القادر عليها وللعلماء فى تفسير القادر آراء قال المالكية القادر هو الذى لا يحتاج لثمنها فى أمر ضرورى فى عامه كله .

وقال الشافعية هو الذى يملك ثمنها زائدا عن حاجته وحاجة من يعول يوم العيد وأيام التشريق . وقال الأحناف هو الذى يملك مائتى درهم أو عرضا يساوى مائتى درهم يزيد عن مسكنه ومتاعه الذى يحتاجه وليس البلوغ شرطا فى طلبها فتطلب من الصبى القادر ويضحى عنه وليه ولو كان يتيما - وخالف فى هذا الشرط الشافعى فقال ان البلوغ شرط فى طلبها فلا تطلب من الصبى ولو قادرا واشترط الأحناف فى وجوبها اقامة المضحى فلا تطلب من مسافر وانما من المقيم ولو كان حاجا من أهل مكة وقال مالك الاقامة ليست شرطا فى طلب الأضحية فتطلب من المسافر الا اذا كان المسافر حاجا فلا تطلب منه لأن الشرط أن لا يكون صاحبها حاجا ولو كان مقيما .

والأضحية تكون من النعم لا غير ولا تجوز من غيرها والنعم هى الابل والبقر والجاموس والغنم ضأنا كان أو معزا وسنها فى الضأن سنة وفى المعز سنة ودخل فى الثانية بشهر على الأقل وفى الابل خمس سنوات وفى البقر والجاموس ثلاث سنوات ولا تصح بدون هذه السن

ولقد حددت الشريعة لذبح الأضحية وقتا فلا تصح اذا ذبحت قبله ولا تجزى اذا ذبحت بعده ، وقد اتفق الأئمة على انه لا يجوز ذبح الأضحية ليلة العيد ليلا كما اتفقوا على عدم ذبحها الا بعد أن ترتفع شمس يوم العيد قدر رمح وأجاز أبوحنيفة ذبحها بعد فجر يوم العيد لسكان القرى فقط أما سكان المدن فلا يصح لهم ذبحها الا بعد صلاة العيد وقال مالك لا يجوز لأحد أن يذبح أضحيته الا بعد أن يذبح الامام أضحيته والامام لا يذبح أضحيته الا بعد الفراغ من صلاة العيد والخطبة ويستمر وقت ذبحها الى غروب شمس اليوم الثالث ليوم العيد فمن لم يذبح فى اليوم الأول له أن يذبح فى اليوم الثانى الى أن تغرب شمسه والأفضل أن يكون الذبح فى هذين نهارا الا ليلا ويصح أن يشترك سبعة أشخاص فأقل فى الأضحية اذا كانت من الابل أو البقر يشتركون فى ثمنها وفى نية أنها أضحية عنهم عند ذبحها ويرى الامام مالك أنه لا يصح الاشتراك فى ثمن الأضحية ويصح لصاحبها أن يشرك معه فى ثوابها فقط من تلزمه نفقتهم بشرط أن يكونوا معه فى سكن واحد والا فلا تصح .

ويشترط فى الأضحية أن تكون سليمة من العيوب فلا تجزى العمياء ولا العوراء ولا الجرباء ولا العرجاء عرجا بينا ولا مقطوعة جزء من أجزائها كيد أو رجل أو ذنب هذه بعض أحكام الأضحية ومن أراد المزيد فليرجع الى كتب الفقه أو للسادة العلماء المختصين .

هذا ولعيد الأضحى شعيرة خاصة به أيضا هى التكبير عقب الصلوات وفى وقت الابتداء بهذا التكبير آراء بين الأئمة قال المالكية يندب التكبير لكل مصل منفرد أو فى جماعة فى المسجد أو غيره رجل أو امرأة من بعد صلاة ظهر يوم العيد وينتهى بصبح اليوم الرابع من أيام العيد ويكون عقب الفريضة الحاضرة فقط فلايكون عقب الفائتة ولا عقب النافلة بل يكره .

وقال الشافعية يسن التكبير عقب كل صلاة فريضة أو نافلة حاضرة أو فائتة ووقته من فجر يوم عرفة الى غروب الشمس من اليوم الرابع من أيام العيد .

وقال الأحناف تكبير التشريق واجب على المقيم بالمدينة اذا صلى الفريضة فى جماعة مستحبة فلا تكبير على مسافر ولا على مقيم بالقرى ولا على المنفرد ولا على من صلى الفريضة فى جماعة غير مستحبة كجماعة النساء فلا يجب عليهن التكبير ولا خلف نافلة ويبتدىء وقته عقب صلاة الصبح من يوم عرفة وينتهى عقب صلاة العصر من اليوم الرابع من أيام العيد .

ولفظ هذا التكبير عند الجميع (الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد) ويستحب أن يزيد بعد هذا الصيغة المشهورة وهى الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا الخ هذه الصيغة .

وللعيد أحكام وآداب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها فليرجع الى كتب الفقه من أرادها .

وانى أهيب بالمسلمين أن يستقبلوا هذا العيد متحلين بآداب الله وأن يمضوا أيام هذا العيد شاكرين أنعم الله لايزهون بجديد ولا يغترون بما أفاء الله عليهم من متاع أو طعام أو ثوب قشيب ولا يفعلون أيام العيد ما لا يليق مبررين ما صنعوا بأنها أيام عيد . فان العيد كما قلنا كان لاحياء ذكريات كلها أمجاد وكان كذلك فرحا بما أفاء الله على العباد فلنذكر فى هذا اليوم أصحاب هذه الذكريات بما يبعث فى نفوسنا الاقتداء بهم والنسج على منوالهم لعلنا نلحق بهم ونسير فى ركبهم ولنشكر الله على نعمائه ونسبحه ونقدس له عظيم آلائه لعلنا نحظى بما منح به الصالحين من عباده ونعيد أمجادا ومثلا عليا شيدها السابقون من خلصائه انه تعالى ولى التوفيق والهادى لأقوم طريق .

سياسة الخداع في التاريخ الإسلامي

الدكتور ابراهيم شعوط

« ٣ »

الفتنة الكبرى :

امامنا الآن قضية من قضايا التاريخ الهامة التى ولغ فيها الكتاب والمؤرخون بغير حساب • ووجد فيها خصوم الاسلام مادة دسمة للتشنيع على صحابة رسول الله ، والتهوين من شأن الاسلام ، واظهار ان ماجاء به رسول الله ، وما اجهد نفسه فى تبليغه قد صار - بعد وفاته - كلمات على طرف اللسان ، وشعارات يختفى وراءها اصحاب الاطماع فى الجاه والسلطان •

وجعلوا الاخلاق الفاضلة ، والايمان بالدعوة المحمدية حطام هذه المعركة •

وفى ظل هذا التصوير ، انقسم الكتاب والمؤرخون الى فريقين كل فريق يرمى صاحبه بالرميات المقذعة •• فاصحاب معاوية يذكرون عليا بكل سوء ، وينعتونه بما لايليق بأمثاله • واصحاب على يخرجون معاوية من صفوف الصحابة ، ويفتعل كل فريق من الاحداث والتصرفات ما يبرر به حكمه ويشفى به صدره •

اصل القضية •

مضى على المسلمين حين من الدهر لم يسجلوا فيه تاريخ اصحاب رسول الله ، وقنعوا بما لمكان هؤلاء القوم من قداسة ، وما لمنزلتهم من تعظيم واجلال بوصفهم اصحاب رسول الله الذين اصطفاهم ، واختارهم ليحملوا بعده امانة الرسالة وعبء النهوض بما جاء به عن ربه ، وساروا على النهج الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يجب ان يعامل به هؤلاء الصحابة فى قوله عليه الصلاة والسلام

« اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم »

وبقيت الحقبة المطهرة التى عاش فيها الصحابة رضوان الله عليهم محفوفة بالاجلال والاكبار من التابعين والمخلصين - ممن جاءوا بعدهم - الى ان كان عصر التدوين واوان كتابة التاريخ ، فدخل الهوى مع التدوين ، وتسربت الروح الخبيثة الى اشباع الرغبات الدنيئة ، وامتاع النفوس المريضة بذكر الصحابة بما لاينبغى لامثالهم ، ولا يليق بمقامهم • لان الذى تولى تدوين تاريخ الاسلام ثلاث طوائف : طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب الى مبغضى بنى امية بما تكتبه وتؤلفه وطائفة ظنت ان التدين لايتم ، ولا يكون بالتقرب الى الله الا بتشويه سمعة ابى بكر وعمر وعثمان وبنى عبد شمس جميعا • وطائفة ثالثة من اهل الانصاف والدين - امثال الطبرى وابن عساكر وابن الاثير ، وابن كثير - رأت ان من الانصاف ان تجمع اخبار الاخباريين من كل المذاهب والمشارب امثال - لوط بن يحيى الشيعى المتطرف ، وسيف بن عمر العراقى المعتدل ، ولعل بعضهم اضطر الى ذلك ارضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها وقد اثبت اكثر هؤلاء اسماء رواة الاخبار التى اوردوها ليكون الباحث على بينة من كل خبر بالبحث على حال راويه •

وقد وصلت الينا هذه التركة لا على انها تمثل تاريخنا ، بل على انها مادة غزيرة للبحث والدرس يستخرج منها تاريخنا اذا اتيح لهذه التركة عقول ناضجة تدرك مواطن القوة والضعف فى هذه المراجع • وملكات تاريخية لها من الالمعية ما تستخلص به حقيقة ماوقع وتنفى زيادات الهوى ورواسب الغرض •

من اجل هذا الرصيد من الروايات التاريخية المتضاربة فى جراة على الحق • هان على اصحاب التاليف مقام هؤلاء القوم فصوروا تصرفاتهم ، واعمالهم تصوير اهل عصرهم ، وفهموهم بعقليات زمانهم ونسوا مكانهم فى المدرسة المحمدية ، وعناية الوحى والقرآن بامرهم ، والحكمة الحكيمة من التصاقهم برسول الله ، واختياره لهم • والغرض البعيد المدى من اعدادهم على ايدى رسول الله ليكونوا حملة المشعل بعد وفاته والمثل العملية لنجاح دعوته ، والقدوة الصالحة التى لايزال ينتشر الاسلام على ضوئها الى اليوم •

منزلة الصحابة في الكتاب والسنة :

هذا كتاب الله الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد وصف صحابة رسول الله بما يرفع من شانهم ، وينزههم عن الانحدار الى مزالق الاهواء الشخصية ، والاغراض الذاتية فيما يلونه من الامور ، وما ينشدونه من اصلاح • ففى القرآن نصوص واضحة تدل على تعديل الله تعالى لهم واخباره عن طهارتهم واختياره اياهم ، ووعده لهم بالاستخلاف فى الارض ، والتمكين فى الدين كما وعدهم جميعا بالجنة • وكل ذلك فى سبع عشرة آية نذكر منها هنا ماياتى :

اولا : فى خطاب الله سبحانه وتعالى لامة محمدجميعها بقوله تعالى :

« كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » فاذا كان الخطاب لجميع الامة فاول من تصدق عليه هذه الاوصاف هم الصحابة رضوان الله عليهم •

ثانيا : اخبر المولى سبحانه وتعالى ان الصحابة متفاوتون فى الفضل ، ومع ذلك هم جميعا فى الجنة بقوله تعالى : « لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا • وكلا وعد الله الحسنى »

ثالثا : اثنى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين جميعا وسماهم بالصادقين ، كما اثنى على الانصار جميعا وسماهم بالمفلحين فى قوله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون »

رابعا : مدح الله سبحانه اهل السبق الى الاسلام ، واعلن رضاه عنهم ورضاهم عنه فى اعداده لهم جنات تجرى من تحتها الانهار فى قوله جلا جلاله فى سورة التوبة •

« والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم »

خامسا : وصف القرآن جميع الصحابة بانهم بلغوا من السمو الخلقى الدرجة التى تحدثت عنها جميع الكتب السماوية ، وان الله سبحانه وتعالى كملهم فى اخلاقهم ليغيظ بهم الكفار فى قوله فى سورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من اثر السجود • ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار »

هذا قليل من كثير من حديث القرآن فى شان الصحابة جميعا رضى الله عنهم ، وشهادة من الله سبحانه وتعالى لهم قبل ان يتناولهم الكتاب والمؤرخون بالحديث عنهم فى الفتنة الكبرى حديثا يحط من قدرهم ويجعلهم جميعا عرضة للنقد والتجريح •

واذا تحدث القرآن بهذاالوضوح فلامجال بعد ذلك لحديث يخالف قول الله فيهم واذا وقع من احدهم او من جماعة منهم مايبدو - فى نظر الناس - انه مخالف لعرفهم ، او خارج عن مفهومهم فلا بد ان يكون ذلك فى حدود الصفات التى وصفهم بها مولاهم •

وهذه احاديث رسول الله فى شانهم ، وهو الذى رباهم على عينه ، وباشر اعمالهم بنفسه ، واطمان الى خلافتهم من بعده • فلم يكن ليغيب عنه امرهم - وهو الخبير بحاضرهم ، والذى اطلعه الله على مستقبلهم - ولهذا ورد ذكرهم فى احاديث رسول الله بمناسبات مختلفة على هذه الصورة :

اولا : اخرج الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى اصحابى ، لاتتخذوهم غرضا ، فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم • ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه »

ثانيا : اخرج الشيخان واصحاب السنن من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شىء فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لاتسبوا اصحابى فو الذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه

فاذا كان هذا القول فى مواجهة خالد بن الوليد - وهو من اصحاب رسول الله ايضا - غير انه لم يكن من السابقين الى الاسلام • ومع ذلك لو انفق مثل احد ذهبا لايبلغ انفاقه مد عبد الرحمن بن عوف وامثاله من السابقين الى الاسلام فكيف بمن اسلم من الصحابة بعد الفتح •

وهذا مقام الصحابة بعضهم من بعض • فما مقام غير الصحابة اذا تناولوهم بسوء ؟ اترك المقارنة لفطنة القارىء وايمان المؤمنين بحديث رسول الله فليس بعد كلام الله وحديث رسوله مجال للمخالفة او التاويل •

ثالثا : اخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا رأيتم الذين يسبون اصحابى فقولوا : لعنة الله على شركم »

رابعا : اخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين »

خامسا : روى البزار فى مسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ان الله اختار اصحابى على الثقلين سوى النبيين والمرسلين »

سادسا : روى الترمذى عن بريدة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من احد من

اصـــحابي يموت بارض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة »

سابعا : تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهـــم ثم الذين يلـونهم » كما روى الـدارمي والبيهقي الحديث « اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » وفي حديث سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سالت ربي فيما اختلف فيه اصحابي من بعـدي فاوحى الله الي : يامحمد ان اصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها اضوا من بعض فمن اخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى »

وكذلك حديث الامام الشافعي بسنده الى انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ان الله اختارني واختاراصحابي فجعلهم اصهاري وجعلهم انصاري وانه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم • الا فلاتناكحوهم ، الا فلا تنكحوا اليهم ، الا فلا تصلوا معهم ، الا فلا تصلوا عليهم • عليهم حلت اللعنة »

تلك طائفة من احاديث رسول الله اطلنا في سردها وسقناها لبيان مكانة الصحابة رضوان الله عليهم عند الله وعند رسوله بصفة عامة وان كانوا يتفاوتون في المنزلة الا ان تقديرهم العام هو هذا • ليعلم الذي لم يكن يعلم ان الذين خاضوا في تجـــريحهم ، واطلقوا لالسنتهم واقلامهم العنان ليحكموا عليهم بمعايير زمنهم ، ويقيسونهم بالزعماء السياسيين المعاصرين لهم • ومن ثم نرى انه :

في ظل الشهوات النفسية والجهل : بمقام الصحابة انقسم العالم الاسلامي الى جبهتين متخاصمتين احداهما تتعصب لعلي بن ابي طالب والاخرى تؤيد معاوية وتظهر اعجابها به •

راي القرآن والسنة في هذا الخلاف :

اما راي القرآن فيسوقه القاضي ابو بكر بن العربي في كتابه : « العواصم من القواصم » عند تعليقه على مدلول قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

قال : فلم يخرجهم عن الايمان بالبغي بل لايزالون عند ربهم مؤمنين ايمانا حقيقيا ومن اجل ذلك لم يسلبهم اسم الاخوة بقوله بعده : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » ومدلول الاخوة المســاواة والمشـاركة في الايمان •

واما الحديث عن رسول الله الذي رواه ابو سعيد الخدري فهو قوله عليه الصلاة والسلام : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها اولى الطائفتين بالحق » • فبين في هذا الحديث ان الطائفتين المتقاتلتين تتعلق كل منهما بالحق • واهل السنة يدينون لله ان علياومعاوية ومن معهما من اصحاب رسول الله كانوا جميعا من اهل الحق • وكانوا مخلصين في ذلك اشد الاخلاص • والذي اختلفوا فيه انما كان عن اجتهاد والمخلص في اجتهاده يثـاب عليه في حالتي الصـواب والخطا غير ان ثواب المصيب ضعف ثواب المخطيء في اجتهاده فاذا قلنا ان الطائفتين كانتا من اهل الحق فانما نريد اصحاب رسول الله الذين كانوا في الطائفتين ومن معهم على سنته من التابعيـــن وعلى راس الطائفتين علي بن ابي طالب المبشر بالجنة ،ومعاوية بن ابي سفيان خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين وكلاهما في مكانته هـــذه لاينبغي ان يتسرب الشك الى عمل من اعمالهما فاذا اندس في صفوفهما طوائف من اهل الشر فان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره •

وقد نقل الحافظ ابن كثير في البـداية والنهاية ـ ج ٧ ص ٢٧٧ » عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم الشيباني قاضي افريقية المتوفى عام ١٥٦ هـ وكان رجلا صالحا من الآمرين بالمعروف ـ وذكر اهل صفين فقال :

كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية فالتقوا في الاسلام على الحمية وسنة الاسلام فتصابروا واستحيوا من الفرار • وكانوا اذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء وهؤلاء في عسكر هؤلاء فيســتخرجون قتلاهم فيدفنونهم • قال الشعبي « هم اهل الجنة لقي بعضهم بعضا فلم يفر احد من احد » •

وجه الحقيقة في هذه الفتنة :

بعـــد الذي ذكرناه من الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ،والادلة العقلية التي حصنت هؤلاء القوم وصانت اخلاقهم من الانحدار ، وابعدت تصرفاتهم عن الهـــوى والغرض • بعد كل هذا نقول : ان الذين نقلهم الاسلام من جاهليتهم ، وجذبهم من قلوبهم الى تعاليمه باخلاص حتى صاروا خلقا جديدا في عقيدتهم ، وايمانهم جديدا في عاداتهـم وتقاليـدهم ـ قد انخلعوا من انفسهـم القديمة ، ودخلوا في حياة اخرى صورها لهم الاسلام ورسمها لهم رسول الله ، واشرف على رعاية تعـاليم الاسلام في قلوبهم روحا وتطبيقا •

افلا يمكن ان نعيش معهم هـذه التعاليم بقية حياتهم فيندمجوا فيها ، ويسعدوا بها ـ كالعهد بهم في حياة صاحب الرسالة ؟ ثم يستمر المثل الكامل قائما بهـم كدليل على ان الاسلام يصفي الارواح ، ويطهر النفوس ، ويهذب الطباع ، ويقوم الاخلاق ـ على الاقل في عهـد المجموعة التي عاصرت رسول الله ، وسعدت بتعاليمه ، وايقنت بان الآخرة خير من الاولى ، وان رسول الله شاهد عليهم بعد ان بشر عددا كبيرا منهم بالجنة وهو الصادق الوعد ، لا ينطق عن الهوى •

ونحن نقتنص من الدكتور « طه حسين » شهادة لهؤلاء جاءت في اثناء كلامه عن تاثير عبدالله بن سبا في اذكاء الفتنة الكبرى • وتاثر الصحابة بهذه الدعاية فيقول هذه العبارة :

فلنقف من هــذا كله موقف التحفظ والتحرج والاحتياط ، ولنكبر المسلمين في صدد الاسلام عن ان يعبث بدينهم ، وسياستهم ، وعقولهم ، ودولتهم رجل اقبل من صنعاء ، وكان ابوه يهــوديا ، وكانت امه سوداء ، وكان هو يهوديا ثم اسلم لا رغبا ولا رهبا ولكن مكرا ، وكيدا ، وخداعا • ثم اتيح له من النجح ماكان يبغي فحرض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه • وفرقهم بعد ذلك او قبل ذلك شيعا واحزابا • هـذه كلها امور لاتستقيم للعقل ، ولا تثبت للنقد ، ولا ينبغي ان تقوم عليها امور التاريخ •

شعر البطولات في الفتوح الإسلامية

الأستاذ علي الجمبلاطي

وقف بنا الحديث في المقال السابق عند شعر البطولة في الفتوح الاسلامية بعد عرض واضح الملامح نابض بالحياة للبطولة في شعر العصر الاسلامي وهنا نبدأ حديث اليوم حين اتجهت انظار المسلمين الى فتح الاقطار المجاورة في سبيل نشر كلمة الله وتلبية لداعي الجهاد ورغبة في القضاء على المظالم التي ترزح تحتها الامم التي قضى عليها جور الحكام • وقد كانت قوة العرب الحربية تستنفد من قبل في الملاحم بين القبائل فلما جمع الاسلام كلمتهم تجلت مقدرتهم الحربية الجبارة فاذا بهم يكتسحون الاقطار المجاورة لهم في سرعة لانظير لها في تاريخ الفتوح • وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعد جيشا لحرب الروم في الشام ولما خلفه ابوبكر الصديق انفذ هذا الجيش الى وجهته واخذ يعد جيوشا اخرى لحرب فارس ولم تلبث الحرب ان نشبت في جبهتين في الشمال وفي الشرق ودوخ المسلمون الروم والفرس واستولوا بعد حروب طاحنة في عهد الخليفتين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما على مصر والشام من ايدي الروم كما استولوا على الدلة الفارسية وخفقت رايات الاسلام فوق هذه الاصقاع ولم يكد ينقضي على قيام هذه الدولة قرن واحد حتى بسطت ظلها على بلاد العراق والشام وفارس ومصر ثم تجاوزتها الى ماوراء النهر وبلاد السند ومشارف الصين وخراسان شرقا والى بلاد المغرب والاندلس حتى المحيط الاطلسي وجبال البرانس غربا

وفي كل صقع من هذه الاصقاع الكثيرة المترامية كانت تدور الملاحم وتزار الاسود العربية فراينا كثيرا من الابطال يرتبط ذكرهم بهذه الملاحم التي بذلوا فيها ارواحهم مجاهدين في سبيل الرسالة الاسلامية يتسابقون الى الموت تحت ظلال الرماح لينالوا الشهادة في سبيل الله

وبسبب الفتوح واستقرار العرب في البلاد المفتوحة بدأ ينشأ مجتمع جديد فيه مزيج من العناصر العربية والاعجمية سواء في تكوينه او في عاداته وتقاليده ونظم معيشته وقد شهد هذا المجتمع ابطالا يبنون عالم المساواة والخير والعدالة مضحين بكل شيء ومؤثرين مصلحة امتهم ومصلحة البشرية جمعاء على مصالحهم الخاصة او ان شئت فقل ان مصلحتهم الخاصة اصبحت جزءا لايتجزأ من مصلحة المجموع فهي لاتتحقق الا بتحققه وهذا ابو بكر وهذا عمر وهذا علي وهؤلاء آل عمار وصحابة الرسول عليه السلام وابطال الاسلام في القادسية واليرموك وفي كل ارجاء الارض العربية يمثل كل منهم صورة رائعة من صور البطولة الحقة واذا ذهبنا نبحث عما قيل في بطولة أبي بكر وعمر وعلي وعبد الله بن الزبير وجدنا نثارا من الشعر في كتب التاريخ والادب لايشفي الغلة كالذي قيل في جيش أبي بكر الذي يقوده « خالد » وقد انتهى الى « سوى » واغار على اهلها وهم « بهراء » يشربون ومغنيهم يقول :

الا عللاني قبل جيش « ابي بكر »
لعل منايانا قريب ولا تدري
الا عللاني من سلافة قهوة
تسلي هموم النفس من جيد الخمر
اظن خيول المسلمين و « خالدا »
ستطرقكم قبل الصباح مع النسر
فهل لكم في السير قبل قتالكم
وقبل خروج المعصرات من الحدر

وكما قال زياد بن حنظلة فى عمر رضى الله عنه :

واذا « اربطون » الروم يحمى بلاده
يحاوله قرم هناك يساجله

فلما رأى الفاروق ازمان فتحها
سما بجنود الله كيما يصاوله

فلما احسوه وخافوا صواله
اتوه وقالوا انت ممن نواصله

والقت اليه الشام افلاذ بطنها
وعيشا خصيبا ماتعد مآكله

وكما قال ابو الاسود الدؤلى فى على رضى الله عنه :

قتلتم خير من ركب المطايا
وارحلها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها
ومن قرأ المثانى والمبينا

اذا استقبلت وجه « ابى حسين »
رايت البدر راع الناظرينا

لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرها حسبا ودينا

وفى ثنايا كتب التاريخ الاسلامى نرى عرضا رائعا لصور بعض البطولات وما اقترن بها من قصص اشبه بالاساطير . وفيها نقرأ كثيرا من الشعر الحماسى الذى ينشده الشعراء عقب الفتوح والانتصارات الكبيرة من مثل « عروة بن زيد الخيل » وما نسمعه منه عقب «موقعة القادسية » التى انتصر فيها « سعد بن ابى وقاص » على جيوش الفرس انتصارا حاسما وكذلك ما نسمعه منه بعد موقعة « جلولاء » التى استولى فيها « سعد » على المدائن عاصمة الفرس وبعد التقاء « سعد » بكسرى فى « ملحمة نهاوند » المسماة « فتح الفتوح فتهزم جموع كسرى امام ابطال الاسلام هزيمة ماحقة فيسجل ذلك « عروة » متجها بحديثه الى طيف محبوبته الذى صحبه فى ايوان « شيرين » زوجة كسرى قائلا :

الا طرقت رحلى وقد نام صحبتى
بايوان شيرين المزخرف خلتى

ولو شهدت يومى « جلولاء » حربنا
ويوم « نهاوند » المهول استهلت

اذا لرأت ضرب امرئ غير خامل
مجيد بطعن الرمح اروع مصلت

ولما دعوا يا « عروة بن مهلهل »
ضربت جموع الفرس حتى تولت

دفعت عليهم رحلتى وفوارسى
وجردت سيفى فيهم ثم التى

وكم من عدو اشوس متمرد
عليه بخيل فى الهياج استقلت

وكم كربة فرجتها وكريهة
شددت لها ازرى الى ان تجلت

وقد اضحت الدنيا لدى ذميمة
وسليت عنها النفس حتى تسلت

واصبح همى فى الجهاد ونيتى
فلله نفس ادبرت وتولت

فلا ثروة الدنيا نريد اكتسابها
الا انها عن وفرها قد تجلت

وماذا ارجى من كنوز جمعتها
وهذى المنايا شرعا قد اطلت

وتظهر البطولة هنا بمظهرها الاسلامى الرائع الذى يجمع بين الفروسية والشجاعة والاقدام وبين القيم الاسلامية الجديدة التى لاتجعل لصاحبها مطمحا سوى الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله . فاذا ذهبنا الى الجيوش التى تحارب فى الشرق حيث ايران وخراسان حتى حدود الهند فاننا نسمع من « اعشى همدان » وقد كان فى جيش غزا « مكران » التى تقع على شاطىء المحيط بين الهند وايران نشيده البطولى قائلا :

هو السيف جرد من غمده
فليس عن السيف مستاخر

وقد قيل انكم عابرون
بحرا لها لم يكن يعبر

الى السند والهند فى ارضهم
هم الجن لكنهم انكر

وما رام غزوا لها قبلنا
اكابر عاد ولا حمير

ولا رام « سابور » غزوا لها
ولا الشيخ كسرى ولا قيصر

ومن دونها معبر واسع
واجر عظيم لمن يوجر

وهكذا يتحدث الاعشى عن استبسال بطله حيث يرمى بنفسه فى اطراف الارض وفى البحر لاينهنه من عزمه مكان ثم هو لايطلب متاع الدنيا وانما يطلب الاجر العظيم من الله ولقد كانت لموقعة « البويب » الاثر العظيم فى نفوس المسلمين لانها انزلت عار الهزيمة فى موقعة « الجسر » وردت اليهم اعتبارهم وفى موقعة « البويب » حمل « المثنى بن حارثة » على « مهران » قائد الفرس فازاله حتى دخل ميمنته واختلط الجيشان وقتل « مهران » وقد اظهر « المثنى » فى هذه الموقعة بطولة فذة قال فيها الاعور الشنى » :

هاجت لاعور دار الحى احزانا
واستبدلت بعد عبد القيس همدانا

وقد ارانا بها والشمل مجتمع
اذ « بالنخيلة » قتلى جند « مهرانا »

ازمان سار « المثنى » بالخيول لهم
فقتل القوم من فرس وجيلانا

سما لاجناد « مهران » وشيعته
حتى ابادهمو مثنى ووحدانا

ما ان رأينا اميرا بالعراق مضى
مثل « المثنى » الذى من آل شيبانا

ان « المثنى » الامير القرم لاكذب
فى الحرب اشجع من ليث بخفانا

فاذا غادرنا الابطال فى حروب الفرس فى الشرق لنلتقى باخوانهم فى الشمال وحروب الروم راينا بطولات مجيدة تتجلى فيها الفتوة والايمان والامل فى الظفر بما عند الله من مثوبة .

ومن الشعر الرائع الذى يترجم عن هذه الروح «قصيدة عبد الله بن سبرة » التى نظمها حين قطعت يده فى بعض غزواته للروم فى موقعة « فلطاس » فيستهين بذلك

ويستمر فى مبارزة « ارطبون الروم » وهو احد بطارقتهم :

ويل ام جار غداة الروع فارقنى
اهون على به اذ بان فانقطعا

يمنى يدى غدت منى مفارقة
لم استطع يوم فلطاس لها تبعا

وما ضننت عليها ان اصاحبها
لقد حرصت على ان نستريح معا

وقائل غاب عن شانى وقائلة
هلا اجتنبت عدو الله اذ صرعا

ما كان ذلك يوم الروع من خلقى
ولو تقارب منى الموت فاكتنعا

يمشى الى مستميت مثله بطل
حتى اذا امكنا سيفهما امتصعا

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب
جلى الصياقل عن دريه الطبعا

حاسية الموت حتى اشتف آخره
فما استكان لما لاقى ولا جزعا

فان يكن ارطبون الروم قطعها
فقد تركت بها اوصاله قطعا

وان يكن ارطبون الروم قطعها
فان فيها بحمد الله منتفعا

بنانتين وجذمورا اقيم بها
صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا

وهكذا تكون البطولة الاسلامية الصامدة المؤمنة ، فالشاعر يحمد الله على ان يده لاتزال فيها بقية للحرب والشجاعة والتنكيل بالروم . وانها لصورة مكرورة للبطولة فى صف الفتوح حيث قام المسلمون بالتضحية الفادية فى سبيل اعلاء كلمة الله ما زالوا يتداحون بين البوادى والسهول حتى هدموا سلطان الروم فى مصر وافريقية ، وحتى كان من « عقبة بن نافع الفهرى » عامل « معاوية » على المغرب ان اختط مدينة « القيروان » فكانت حصنا للمسلمين يحمى ظهورهم وبذلك ثبتت قدمهم فى تلك البلاد ، ومازال « عقبة » يفتح حتى بلغ بحر الظلمات « المحيط الاطلسى » فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك » وعبر بعده « موسى بن نصير وطارق بن زياد » مضيق جبل طارق وضربا فى الاندلس يغزوان ويجاهدان حتى تم لهما الفتح ودخلت هذه البلاد فى أملاك الدولة الاسلامية وصار الولاة يتعاقبون عليها من قبل خلفاء بنى امية ولقد وردت فى كتب الفتوح عن هذه البطولات المثالية وما صحبها من اناشيد حماسية مالا يتسع له هذا المجال .

وحين انتقل العرب الى السهول وسكنوا المدن واتسعت الحضارة واختلط العرب بغيرهم ادت هذه التبدلات الى تغيير شامل فى تركيب المجتمع وفى علاقاته فنشات ثلاث طبقات : الطبقة المترفة الارستقراطية . والطبقة الوسطى التجارية .

وطبقة العامة وهم الاكثرية الساحقه وكان طبيعيا ان يكون لكل من هذه الطبقات مطامحها الخاصة فتركزت مطامح طبقة المالكين الغنية فى الاستيلاء على زمام الحكم وقد بدات بوادر ذلك بعد وفاة النبى عليه السلام بزمن قصير حتى تعذر على الخليفة الرابع ان ينفذ المثل العليا الاسلامية حين انتفضت فى وجهه هذه الطبقة الغنية ، وما كاد الاجل يوافى هذا الخليفة رضى الله عنه حتى تبدلت طبيعة الحكم فى بلاد المسلمين وابتدا حكم الاسر ذات النفوذ وفى مقدمتها اسرة بنى امية وكان طبيعيا ان ينشا بين الاسر الارستقراطية نفسها وفى داخلها نزاع مرير حول السلطة ، والى جانب هذه الطبقة الغنية كانت مطامع الطبقة الوسطى التجارية ان توجد دولة قوية وحكومة حازمة تضمن لاموالها وتجارتها وحقوقها الامن والعدالة والسلم ، اما الطبقة العامة فكان مطمحها الاساسى الحصول على القوات وتيسير وسائل العيش

وكان لذلك اثره فيما رسمته هذه الطبقات لابطالها من صور تختلف تماما عن الصور التى ترسمها الطبقة الاخرى فان ابطال الطبقة الحاكمة هم اولئك الذين يقبضون على السلطة بيد من حديد ويحافظون على الوضع القائم ويدافعون عنه بعناد وكانت الطبقة الوسطى تحرص على ان يتشبث ابطالها فضلا عن ذلك بالعدل والكرم واحترام الشرائع ، وهكذا كانت صور البطولة التى يرسمها شعراء الطبقة الحاكمة للملوك والحكام وقد التقى ابطال الطبقة الوسطى بابطال الطبقة الحاكمة التى ستحقق لها اهدافها من العدل والامن والسلم وهذا « جرير » يقول فى مدح « عبد الملك بن مروان » :

لولا الخليفة والقرآن يقرؤه
ما قام للناس احكام ولا جمع

انت الامين امين الله لا سرف
فيما وليت ولا هيابة جزع

مثل المهند لم تبهر ضريبته
لم يغش غربيه تفليل ولا طبع

وارى الزناد من « الاعياص » فى مهل
فالعالمون بما يقضى به تبع

ماعد قوم باحسان صنيعهم
الا صنيعكم فوق الذى صنعوا

انت المبارك يهدى الله شيعته
اذا تفرقت الاهواء والشيع

فكل امر على يمن امرت به
فينا مطاع ومهما قلت مستمع

فهو يصور البطل الحاكم الذى يقر امور الدين والدنيا ثم يجعله امينا فهو غير مسرف فيما له من سلطان كبير وهو مع ذلك لايتورع أن يبطش احيانا اذا راى فى ذلك صلاح المسلمين ثم عبر عن جاه الخليفة ونفوذه بمعان كثيرة فالعالمون بما يقضى تبع وأمره مطاع ولاينسى الشاعر أن يشير الى الاحزاب السياسية الاخرى فى قوله انت المبارك .. الخ

ولكن اعقد الابطال هم ابطال العامة فى هذا المجتمع فقليل تلك البطولة التى تدرك حاجات الاكثرية الساحقة من ابناء المجتمع فتتمثلها وتستوعبها وتسير فى مقدمتها الى حياة جديدة ولذا ظل العامة يبحثون عن البطل المنقذ فلم يجدوه بين البشر المحيطين بهم فتعلقوا بابطال خياليين وهكذا ظهرت فكرة المنقذ المجهول أو المهدى المنتظر . وفى المقال التالى ان شاء الله نعرض شعر البطولة فى حروب الخوارج .

دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

ان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين - ضد طبيعته وضد روحه - لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية . لقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التى ارادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكى يوقف تيار التقدم .

هذه الحقائق الميثاقية توضح نظرة الميثاق الوطنى للقوى المتحجرة التى تحاول اولا جر الدين الى تفسيرات هو براء منها . وثانيا ايقاف عجلة التطور والنمو باسم الاديان .

هذه النصوص الميثاقية لعل فيها خير رد على تلك المحاولات التى يحاول حكام بعض الدول الاسلامية اليوم اقامة حلف جديد . بعد ياس قاتل . اختفوا خلف الاسلام ليسموه الحلف الاسلامى أن الدين الاسلامى الحنيف . دين ودنيا . عقيدة وشريعة ويحمل الدين الاسلامى كل معانى الكرامة الانسانية وكل قيم الحياة . فى كل صور العمل والانتاج وليس يعنى الدين الاسلامى من المسلم سوى أن يرتفع الى مستوى رسالته فى الارض . وكفانا ان الله تبارك وتعالى كرم الانسان وجعله خليفة فى الارض . « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة . قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لاتعلمون - البقرة » فكان رسالة الانسان فى الارض هى تكليف من الله تبارك وتعالى . وتعالوا معى لنرى صورة الانسان العربى المسلم فى اطار من ينادون بالحلف الاسلامى وينزوون ضعفا وراء الاسلام العظيم . ان هذه المجتمعات مازالت بيئة جاهلية حقة فهناك الانقسام الحاد بين ابناء الامة الواحدة فى طبقات متفاوتة بصورة رهيبة .. فهناك من يملك الملايين وهناك من لايملك قوت يومه .. والوان البؤس فى هذه المجتمعات المسلمة اشبه حقا بمجتمع الغاب ولعل هذه المجتمعات المسلمة . هى آخر من يتكلم عن الاسلام . لان الاسلام ثورة فى العمل وثورة فى البناء وثورة فى العدل . ولاعدل دون انتاج ودون كفاية ودون تخطيط والثورات دائما لاتسلم من خطر الثورة المضادة فالاسلام مثلا لم يسلم من خطر الردة والخروج عن الاسلام بعد وفاة الرسول وحتى اثناء حياته . وقد قابل المسلمون هذه الحركات الرجعية بالقوة والعقيدة فقضى عليها فى مهدها . ويذخر التاريخ الانسانى بأمثلة لاحصر لها من الثورات المضادة والنكسات التى تفعلها الرجعية لتوقف حركة التقدم . وهذه النكسات ان دلت على شىء فانما ان الرجعية على استعداد دائما على المستوى الوطنى او القومى العربى ان تعمل مع الخيانة والتآمر واللجوء الى الى اساليب الغدر والخديعة حتى ولو كانت الخديعة باسم الاسلام العظيم لذا ينبغى على الشعوب العربية المسلمة الواعية ان تقضى على امثال هؤلاء الخوارج الذين لايراودهم شىء . سوى ايقاف عجلة الثورة الاجتماعية التى ستطحن امالهم الجشعة . واستغلالهم الظالم للايين الشعب المسلم . واذا عدنا الى الميثاق نجده يقول : « ان الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ما قد يغريها بالتصدى للتيار الثورى الجارف » . وهذه المؤثرات المادية هى الاستغلال والاحتكار والاقطاع . اما المؤثرات الفكرية فهى استغلال جهل الشعوب وسذاجتها فى شعارات براقة . ولكن كون هذه الشعارات تصل الى حد التمسح فى الاسلام فهذا امر خطير لن يرضاه الشعب العربى والواقع ان مناورات الرجعية العربية التى لاتتحرك الا بوحى من الاستعمار سيدها وصاحب المصلحة الاولى فى تخلف شعوب هذه الحكومات الرجعية . الواقع ان هذه المناورات كلها محورها عرقلة النظام الاجتماعى فى مصر . نظامنا الاجتماعى الذى خرج على الدنيا العربية بأول نظام يسير على الخط الاسلامى الصحيح ومن روح ووحى الاسلام وتعاليمه . ان ثورتنا الاشتراكية السلمية علمتنا كل معانى الرحمة عندما اكتفت بتحطيم الطبقات الاستغلالية واسقاط التحالف الرجعى المسيطر على الحكم ولم تمس افراد هذه الطبقات بسوء بل اتاحت لهم فرصا متكررة للمساهمة فى البناء الجديد وكان هذا موقفا رائدا وانسانيا . وبالرغم من هذا فان الرجعية لاتستكين ولا تهدأ فهى تلجأ على الفور للارتباط بالرجعية العربية وتنفث سمومها بكل ماتملك من اسلحة رخيصة للتشكيك فى مخططنا الاشتراكى او بالحرب النفسية او الخيانة او المؤامرات وهذا الخطر الرجعى اكثر ما يكون ظهورا فى مرحلة الانتقال التى يمر بها نظامنا الاجتماعى . فنظامنا الاجتماعى اذن هو مصدر الخوف والرهبة لهذه الفئة الضالة . وثورتنا الاشتراكية

المتحروة التى ارتبطت منذ ثورة ٢٣ يوليو بكل أمال ومتطلبات الانسان المسلم اصبحت هدفا للمخطط الاستعمارى كله . والواقع ان مجرد بحث مؤامرات الرجعية العربية ومحاولاتها اقامة حلف اسلامى يائس يجرنا جرا الى تحالفها الاستعمارى فى مخطط عالمى . والرجعيةالدولية لاتنسى ابناءها داخل كلدولة والطبقات الاستغلالية سرعان ما ترتبط فى نطاق يخالف كل قوة تقدمية . وقد ثبت ان المتآمرين من جماعة الاخوان المنحلة كانوا على اتصال مباشر بحلف بغداد كما كانوا على اتصال بالمركز الاسلامى فى جنيف الذى يرأسه احد زعماء المتآمرين وعن طريق هذين المصدرين حصل المتآمرون على المال الحرام .

ونظامنا الاجتماعى يؤرق الاستعمار العالمى فهو يواجهنا ويحاول القضاء علينا عام ١٩٥٦ ثم يفرض علينا الحصار الاقتصادى فى الوقت الذى تحاول فيه الرجعية الداخلية ان تفتعل الازمات ضد نظامنا الاجتماعى وتجربتنا الاشتراكية عن طريق افتعال الازماتالاقتصادية والسوق السوداء والاسراف فى الاستهلاك والتشكيك فى نظامنا الاقتصادى وثرواتنا الصناعية . وبالرغم من كل هذه المحاولات يسير مجتمعنا قدما مدفوعا بعامل واحد . رفاهية الانسان المسلم . وكرامته .. فاين مجتمعنا ونظامنا الاجتماعى من هذه النظم التى تخفى وراءها كل الظلم وكل الاستغلال . هذه المجتمعات التى تدعى الاسلام اسما والتى لن تنال البر حتى تنفق مما تحب .. يقول الله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وهذه الاية الكريمة نزلت تطالب المسلمين بان يتحملوا بعض الاعباء فى سبيل الدعوة الاسلامية وقد استجاب المسلمون لهذه الدعوة وبنوا مجتمعا جديدا خاليا من كل ظلم .. وتروى السيرة عندما نزل قوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم » .. قال صحابى اسمه ابو الدحداح « او يستقرض الله من عبده يارسول الله . قال نعم . قال امدد يارسول يدك فاشهده انه تصدق ببستانه الذى لايملك غيره وكان فيه ستمائة نخلة مثمرة ثم عاد ابو الدحداح الى زوجه وكانت تقيم مع اولادها فى هذا البستان فناداها يا ام الدحداح قالت .. لبيك .. قال اخرجى فقد اقرضته ربى عز وجل فقالت ربح بيعك ياأبا الدحداح . هذا نموذج من المجتمع الاسلامى بما حفل من مبادىء وقيم واصرار على الانفاق . فى سبيل الله والمجتمع والتى اساسها منع استغلال الانسان لاخيه الانسان ولن يكون هذا عمليا الا ان أزلنا السدود المقامة على كل محاولة يائسة للاستغلال وكشف هذه الفئات التى اصبحت مفضوحة وتحاول ان تستتر تحت شعارات الاسلام . والاسلام فى دعوته دين لايعرفالتخفى فى الظلام ويدعو بلا ائتمار ويعادى المفاجاة الباطلة ويحمل على النجوى الظالمة . وهو يصون تضامن المجتمع مرة بالجسد الواحد واخرى بالبنيان يشد بعضه بعضا ومعنى ذلك ان مسئولية بناء الامة وتبعات العمل من أجل رفاهيتها مسئولية جماعية ترتكز أساسا على العمل الجاد الهادف وعلى الكفاية الانتاجية وعلى المشروعات وعلى القيم والاخلاقيات .. واذا كانت مبادىء الاسلام الصحيح – لا اسلام الشعارات – تدعم كل خطوة نحو العدل والحرية والكرامة الانسانية فان ما تفعله الاشتراكية العربية انما هو كفاح صادق وامين من اجل العدل والحرية والكرامة الانسانية وكل مصنع يقام وكل مدرسة تشيد . وكل ارض تسوى كل مشروع ينفذ هو بناء للرفاهية الاسلامية بناء مادى .

لكرامة الاسلام والمسلم . اما التشدق بشعارات . والتمسح بالاسلام فلن يكون مصيره سوى المصير المحتوم الذى تكسر دائما على صخور الوعى العربى فى الامة العربية .

والآن لابد لنا ان نتساءل . كيف يفهم هؤلاء الناس الاسلام عندما ينادون بحلف اسلامى ؟

أين يضعون الاسلام الحنيف فىمعاملاتهم وشرائعهم وقوانينهم ؟ ماهو المضمون الاجتماعى الذى يهدفون اليه وهم مسلمون ؟ ان كانوا يعتقدون ان نظامهم الحالى يتمشى وروح الاسلام فانهم يحكمون والعياذ بالله . على الاسلام بالجمود وهذه هى اخطر اساءة لهذا الدين العظيم دين الايمان والعقل والتدبر . والتفكير والحركة البناءة الواعية . التى امرنا الله بها فى كثير من الآيات ودعانا لاستخدام عقلنا البشرى احسن استخدام وخص المسلمين على ان يجعلوا العقل هاديا لهم فى كل تصرفاتهم ولن يكون هذا الهدى الا تجاه التقدم والانتاج والعدل والكرامة . فليس من العقل ان يكون عصرنا هو عصر الصناعة وان يقول لنا القرآن الكريم « سخر لكم ما فى الارض .. » ثم نترك ثرواتنا المختلفة نهبا للاستعمار والمستغلين . ليس من العقل فى شىء ان يودع الله تبارك وتعالى لنا فى الامة العربية . البترول والخامات الاولية . ثم لانضعها فى موضع نستطيع به ان ندفع الامة العربية الى العدل والكفاية . ليس من العقل فى شىء ولا مما يرضاه الاسلام ان تبقى بعض الدول الاسلامية فى حلقة الاستغلال المفرغة التى يتحكم فيها آحاد الناس فى ملايين الارزاق . ثم تنادى هذه الدول . وتستتر وراء الاسلام . هذا افلاس وفراغ ومآله الى الفشل الذريع . وليس من العقل فى شىء ان يكون العلم حقا للبعض بينما تحرم منه الكثرة .

وليس من العقل ان تقتصر الرعاية الطبية على القادرين .. وتموت الملايين كالذباب وليس من العقل ان تقففرص العمل على أصحاب رؤوس الاموال واولادهم واحفادهم واصحابهم . بينما تقفسبل الحياة الشريفة سدا منيعا أمام القادرين . ليس من العقل ان تهمل القوى البشرية المسلمة فى هذه الدول . بينما هذه القوى هى الدعامة الاساسية لاقتصادياتهم ومجرد تنظيم هذه القوى له اعظم الاثر فى دعم طاقة الانتاج ورفع مستوى المعيشة . وهذا ما نبه اليه الميثاق .

« ان هناك تجارب جاءت على حساب زيادة شقاء الشعب واستغلاله اما لصالح راس المال او تحت تطبيقات مذهبية . ان التقدم عن طريق النهب او عن طريق السخرة لم يعد امرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » .

لقد آن الاوان ان يفهم هؤلاء الحكام ان مصلحة الامة فوق مصلحة الاسرة وان المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة . وان مبادىء مجتمعنا الجديد واهداف اشتراكيتنا العربية هى لصالح الانسان العربى فى كل مكان من الامة العربية . ان الثورة الاشتراكية العربية التى استطاعت فى جميع مجالات عملها المحلية والعربية والدولية ان تحدث الاثر الكبير المتزايد عاما بعد عام ومرحلة بعد مرحلة لقادرة للتصدى لكل الانواءوالافتعالات والشعارات الزائفة التى اصبحت لاتنطلى على الانسان العربى ان هذه المؤامرات لاترهب الشعب العربى ولاتؤثر فى خطاه فقد حطمها فى الماضى ، واسقط حلف بغداد، والشعب العربى قادر على اسقاط الحلف الاسلامى الذى يحاول يائسا وهو ابعد ما يكون عن الاسلام ؟ ان يتشبث بهذا الدين العظيم .

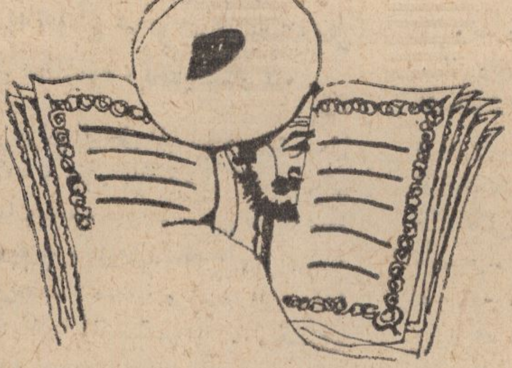

الإسلام يُربّي المصلحين

فضيلة الشيخ السيد عبد الرحمن باز

الاصلاح كلمة لها مدلولها . ولها أثرها فى بناء الشعوب . ومقومات الامم . قد حددها الأنبياء . وبينهـا المرسلون . وأوضحها الحكماء . حتى أصبحت صفاتهم بيضاء . وجواهرهم فى صفاء ، لقد وعى الانسان الكامل هذه المعانى السامية ، والروحانية الفاضلة . واحب صاحبها الخير والجمال فى كل شىء . وكره الأثرة والأنانية والعـدوان . فصفت سريرته من الحقد والحسد ، وأبغض الظلم ، واشفق على المظلومين ، ودعا الله رغبا ورهبا وكان من الناصحين لعباده أجمعين

انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ساس الناس . واصلح المجتمع . وربى الأمة على أقوى دعائم الاصلاح وقد جاء أعرابى يطلب منه شيئا فاعطاه له ، ثم قال : هـل أحسنت اليك ؟ فقال الاعرابى : لا : لا أحسنت ولا اجملت ، فغضب المسلمون لذلك ، وقاموا اليه ، وهموا بقتله ، فاشار اليهم المصطفى صلى الله عليه وسلم أن كفوا . فكفوا عنه ، ثم اخذه النبى صلى الله عليه وسلم الى بيته واعطاه وزاده كثيرا ، ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم هـل أحسنت اليك الآن يا أعرابى ؟ فقال : نعم : أحسنت واجملت . فجزاك الله من أهل ومن عشيرة خيرا ، ثم قال له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، انك قلت ماقلت . وفى نفس أصحابى من ذلك شىء ، فان احببت فقل بين ايديهم مثل ما قلت بين يدى ، حتى يذهب مافى صدورهم عليك ، فقال الاعرابى نعم: فلما كان الغداة جاء الأعرابى . فقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم ان هذا قال ما قال فزدناه . فزعم أنه رضى ، أكذلك ياأعرابى ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل ومن عشيرة خيرا . فعند ذلك تهلل وجه النبى صلى الله عليه وسلم بشرا وسرورا وهو الرءوف الرحيم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : مثلى ومثل هذا مثـل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا ، فناداهم صاحبها ، ان خلوا بينى وبين

ناقتى ، فانى أرفق بها منكم واعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فاخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها ، واستوى عليها ، وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه ، دخل النار »

من هذا نرى أن الرجل المصلح هو مشعل الهداية فى الأمة ، ونور القلوب فى الشعوب ، يهذب أخلاقها ويثقف عقولها . ويوقظ وعيها الروحانى ، ويعيد مجدها التالد ، وعزتها وكرامتها . ويجمع كلمتها ، وينبهها الى حقها المسلوب . ووطنها المغصوب . ويقوى ضعفاءها ، ويلهب شجاعتها . وان كان ممن يسكن الأكواخ ، ويأكل فتات الموائد ، ويلبس البالى من الاطمار ، ويتوسد الناشز من الأرض ،

حدث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه أرسل الى أبى عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنه بصرة فيها أربعمائة دينار مع غلامه وأمره أن يقول له ، اجعل هذا فى بعض حوائجك ، وان ينتظر عنده فى البيت ساعة لينظر ما سيصنع بها ، فلما ذهب الرسول بها اليه . قال أبو عبيدة ، وصلك الله يا ابن الخطاب ورحمك ، ثم دعا على الفور بجاريته وقال لها ، اذهبى بهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه السبعة الى فلان . وبهذه العشرة الى فلان حتى أنفدها كلها . فلما رجع الغلام الى عمر . وجد أن الخليفة قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل واوصاه ان يفعل معه كما فعل بابى عبيدة من قبل ، فرآه قد فرقها مثل ما فعل أخوه رحمة وشفقة على الفقراء والمساكين . فلما أخبر عمر ، رضى الله عنه ، قال : الحمد لله « والمؤمنين بعضهم أولياء بعض »

فالرجل الصالح فى روحه جمال باهر ، وفى قلبه نور زاهر ، متصل القلب دائما بالله ، ومطمئن به ومعتز بذكره ، لا يصدر عنه الا الحسن الجميل ، يعلم أن الله مطلع على دخيلة نفسه . فلا يخيس بعهده ، ولا يتبرم من عداوة ، حتى يفىء الى الحق الواضح ، ويهتدى الى المحجة البيضاء ، والى الصراط المستقيم .

وقد روى البخارى : أن حكيم بن حزام ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا فاعطاه ثم سأله فاعطاه فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم نفس حكيم البشرية ، نزاعة الى الدنيا ، متطلعة دائما ، مستشرقة الى المزيد منها ، قال صلى الله عليه وسلم ياحكيم : ان المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باستشراف نفس لم يبارك له فيه . وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

فاثرت هذه الاشراقة النبوية فى قلب حكيم . فقال يارسول الله، والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا ، فكان الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما الى العطاء ، فيأبى أن يقبله منه ، وكان بعده الخليفة عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه عطاءه ، فأبى أن يأخذ منه شيئا، فضاق قلب عمر ذرعا ، وقال : انى أعرض عليه حقه من هذا الفىء فيأبى أن يأخذه ، وبقى حكيم الى أن مات لا يرزأ أحداً من ماله شيئا ، وبهذا وذاك ربى الاسلام الشعوب. ونزع من قلوبهم الشح والحرص ، ورغبهم فى البذل والكرم ، والقناعة والسخاء ، سلاحهم التربية الروحية الجميلة . وذخيرتهم العقيدة الملتهبة الحرة ، ومحركهم العزيمة الصادقة ، المعتزة بالله ، وقائدهم حب الخير العام للانسانية الحائرة فى صحراء الماديات والشهوات ، وغايتهم استيقاظ الوعى الاسلامى المشرق ، وأن تدب فى شعوبه الحياة الطيبة السعيدة ، فتزول الأحقاد والاحن ، ويتلاشى الظلم والعدوان ، وينعم الناس بالهدوء والاطمئنان

بالعزم يبلغك المنى لا المنطق
ان الكلام من الضعيف تشدق
وهن الضعاف اذا تجمع قوة
كالشمس يجمعها الزجاج فتحرق

هذا هو الصلاح وتلك أعمال المصلحين . وهؤلاء هم الذين فقهوا قول الله تعالى : « من

عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

ان الله تبارك وتعالى : هو رب الناس كافة سواء منهم من آمن به أو من صد عنه . ولقد وقف ابونا ابراهيم الخليل عليه السلام ، يدعو ربه بعد بناء الكعبة : **« وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** فقال له ربه : **« ومن كفر فأمتعه »** فربنا تبارك وتعالى الذى خلق لنا الأرض وما فيها لا يضن برزقه على عباده . سواء آمن أولئك العباد ، أم لم يؤمنوا ، لأنهم من خلقه سبحانه وسعادة الانسان لن تكون مطلقا بما يأكل ويلبس ، ثم يبقى الجانب الروحى ، معذبا بشقاء الانسان بجانبه المادى . وأحقاده

وعقيدتنا الاسلامية تتفق مع العقل السليم . وأوروبا لم تنكر الاسلام الا لجهلها به وعقيدتها الدينية ضعيفة موروثة لا تتفق مع العقل والمنطق . فلو اننا شرحنا لهم عقيدة الاسلام كما هى صافية نقية خالصة من الشوائب ، لأقبلوا عليها زرافات وجماعات فالعقيدة الاسلامية عقيدة الفطرة الانسانية السليمة ، فطرت الله التى فطر الناس عليها ، فالايمان بالله تعالى هو أساس السعادة فى العالم ، والتطلع الى الله والبحث عن الحلول التى بينها سبحانه حلا لمشاكل العالم هو السبيل الوحيد للاستقرار ، يجب أن تتجه البشرية الى الذات العليا المنزهة ، الى الله تبارك وتعالى ، فهناك تحت ظل عرشه ، وتحت ظل كتابه نجد السعادة والهناءة والأمن الى الله أيها الحيارى المتعطشون الى الراحة القلبية ، الى الله ايها القطيع البشرى التائه فى بيداء الحياة . المضطرب بين مختلف الاراء والمذاهب ، ان اسحق ويعقوب وموسى وداود وعيسى وابراهيم هم باعتراف اتباعهم والكتب المنسوبة اليهم انبياء محليون ولم يات من لدن الحق جل جلاله ، رجل للانسانية كلها الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال الله فى كتابه : رحمة للعالمين ، ورسول الله الى الناس جميعا فالانسانية اذا ضلت وشقيت كما هو واقع الآن فيجب عليها أن تتطلع الى طبيبها محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلماء الاسلام يجب عليهم أن لا يقنعوا بما علموا ثم يكتموه عن الناس . بل الواجب يقضى عليهم أن يعلنوا الاسلامية فى الدنيا . ان الاسلام يغرس الوحدة فى قلوب البشر فخالقهم واحد هو ربهم الذى يتعهد شئونهم . وهو الههم الذى يعبدون ، وعبادتهم المفروضة واحدة ، فهى تؤدى بصورة واحدة فى وقت واحد ، ولقبلة واحدة

ولما كانت رسالة الاسلام هى للانسانية جمعاء فلابد اذن لهذه الرسالة ان تصل الى جميع الناس ، ولم تكن الوسائل فى القرون السابقة ميسرة ، ولكن ابلاغ الرسالة المحمدية للدنيا بأسرها اليوم ميسر ، فقد قربت الاختراعات مابعد من الاقطار والأمصار

وها هو العالم يتطلع الى منقذ ينقذه من ضلاله . وليس هناك منقذ غير الاسلام ، ان عقيدة محمد وعلم محمد ودين محمد صلى الله عليه وسلم هو الاية الكبرى على صدق رسالته . فكيف يتيسر لأمى فى أمة جاهلة فى عصر جاهل ان يأتى بمثل ما اتى به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من فقه وتشريع وعلم وخلق وتربية

وكيف تيسر لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يأتى بشريعة يشهد لها علماء القانون فى الأرض فى القرن العشرين ، انها شريعة صالحة لكل زمان ومكان . قائمة على الأصول العالمية الانسانية الخالدة ، حقا انه رسول الله ، وانها لشريعة الله ، وتشهد ان ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو الحق .

لقد اصاب العالم فى الأزمان الأخيرة قروح وأصبح جو الدنيا مضطربا ، ومهما توفر للانسان العيش . فهو لا يشعر بالسعادة الا فى رحاب الله تعالى ، فوجب اذن على رجال الاسلام . ان يعلنوا الاسلامية ، وان يطبقوها **« ان الدين عند الله الاسلام » . « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** وفقنا الله جميعا لدينه الحق ووقانا شر الفتن فى ديننا ودنيانا وآخرتنا آمين .

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

من هو الذبيح

أهو اسماعيل أم اسحاق ؟

الاستاذ محمد محمد السباعي

ما أن ولدت السيدة هاجر اسماعيل عليه السلام حتى دبت الغيرة فى صدر وفى قلب السيدة سارة وتمنت على زوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يقصى الغلام وأمه الى مكان بعيد فاستجاب لها الزوج على مضض منه وانصاع لأمرها وذهب الغلام وأمه الى برية فاران (جبل من جبال مكة) وتركهما هناك وقفل راجعا وقلبه ووجدانه وشعوره معلق بهما .

ويحدثنا الامام البخارى عن ابن عباس ان هاجر قالت لابراهيم : يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنس ولا شىء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم . قالت اذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

ظل قلب ابراهيم الوالد الرحيم معلقا بفلذة كبده وقرة عينه ابنه البكر اسماعيل الذى تركه مع امه عند مكة وكان يزوره لماما ليطمئن على حاله . وهكذا كان مشغولا عليه حتى ليكاد يظن الانسان ان حبه لاسماعيل قد ملك عليه كل قلبه وحواسه أو انه قد شغله ابنه الوحيد عن التفكير فى ملكوت الله .

لهذا أراد الله أن يبتليه ويمتحنه فى مبلغ ايمانه بالله وصدق يقينه فيه ومدى انصياعه وخضوعه لامر الله وارادته وهل حبه لابنه الوحيد اسماعيل قد صرفه وشغله عن الله الواحد الأحد الذى خلقه وخلق ابنه من العدم . فاوحى اليه فى النوم لا فى اليقظة ان يذبح ابنه الوحيد الذى أنجبه بعد أن بلغ من العمر عتيا . وكان الغلام قد شب وأطاق السعى والعمل .

ترى هل قال ابراهيم انها أضغاث احلام ؟ لا لأنه يعلم ان رؤيا الأنبياء حق لذلك استجاب ابراهيم لربه وارتحل حيث يوجد الغلام . وهنالك انتحى به مكانا بعيدا عن أمه هاجر وأفضى اليه بما أمره ربه قائلا :

يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك . فانظر ماذا ترى .

كان بوسع الغلام أن يقول : يا ابت انها رؤيا منامية فلا تفجع نفسك ولا تفجع أمي في ولا تفجعني في نفسي - لا ، لم يقل شيئا من ذلك ولكنه قال :

يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . (يا ابت اشدد وثاقي واحكم رباطي حتى لا اضطرب واكشف عني ثيابي حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فيشتد حزنها وتفيض شجونها . وأشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون أهون على فان الموت شديد ووقعه اليم واقرأ على أمي السلام وان أردت أن تردقميصي عليها فافعل فان ذلك فيه سلوة لها وتسرية لها في مصابها وهو ذكرى لوليدها تشتم منه عبيره وتتنسم فيه اريجه وتعود اليه حين تبحث عني حولها فلا تجدني وحين تفتش عني فلا تراني) .

ولما هم ابراهيم عليه السلام بذبحه وفاء لأمر ربه لم تطاوعه السكين لان قدرة الله العلي الرحيم تدخلت . وناداه ربه : أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم .

اذ ابصر ابراهيم بكبش يقف بجواره فصرعه بالسكين فكان فداء لابنه اسماعيل وسنة متبعة لدينا نحن معشر المسلمين في كل عام للذكرى ان الذكرى تنفع المؤمنين ولشكر الله على نعمائه .

ولقد روى أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة وأن العرب احتفظت بهما تبركا بأثر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وتذكارا لحادثة الوفاء والفداء . وبقى القرنان كذلك الى ان احترقت الكعبة في أيام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فاحترقا معها .

والقرآن الكريم يشير الى هذه القصة في سورة « الصافات » اذ يقول الله تبارك وتعالى : وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قا يا بنى انى ارى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين .

وهذا صريح جدا في ان الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق لان القرآن بعد ان انتهى من قصة الذبح والفداء اردفها .مبشرا بولادة اسحاق وجعله نبيا من الصالحين فكيف يأمر الله بذبح اسحاق في الوقت الذي يبشر بولادته ونبوته وفي موضع اخر من القرآن يبشر ابراهيم باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب عميد أسرة بني اسرائيل .

يقول المرحوم الاستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص القرآن) وهو بصدد التعليق على هذه القصة : لا شك ان الضمير في (عليه) في قوله تعالى : (وباركنا عليه وعلى اسحاق) راجع الى الذبيح فالاتيان بالبشرى باسحاق بعد ذكر القصة صريح في أن اسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله ابراهيم بذبحه . وعود الضمير الى الغلام الذبيح وذكر اسم اسحاق معه صريحا يقتضي التغاير بين الذبيح واسحاق .

ويقول المرحوم الأستاذ البحاثة محيي الدين سعيد البغدادي تعليقا على الآيات المذكورة : لا شك أن المخاطب (يعني المقصود بالذبح) اسماعيل لأن البشارة باسحاق جاءت معطوفة على البشارة بهذا الغلام وكانت مقرونة بولادة يعقوب فلا يناسبها الأمر بذبحه وهو مراهق .

ولكن أهل الكتاب من اليهود والنصارى رغم هذا الوضوح يحاولون ان يثبتوا أن الذبيح هو اسحاق لأنهم من نسله ويريد اليهود بصفة خاصة أن ينسبوا لأنفسهم كل فضيلة زهوا وافتخارا ويكرهون أن تشاركهم الامم الأخرى في أية مزية من المزايا .

ماذا فعلوا لكي يصلوا الى هذا الهدف عمدوا كعادتهم الى التحريف والتزييف في أسفار الكتب المقدسة التي بأيديهم فهم كما وصفهم القرآن (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وكما يقول عنهم في موضع آخر : (يحرفون الكلم عن مواضعه) .

ومع كل هذا فتعالوا نقرأ ما جاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التوراة خاصا بهذا الموضوع :

٢ - فقال الرب : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحاق) واذهب الى أرض الموريا واصعده محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك .

٩ - فلما اتيا الى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط ابنه اسحاق ووضعه على المذبح فوق الحطب .

١٠ - ثم مد ابراهيم يده واخذ السكين ليذبح ابنه .

١١ - فناداه ملاك الرب من السماء وقال : ياابراهيم فقال : ها انذا ..

١٢ - فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا لأني قد علمت الآن أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى .

١٣ - فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسك في الغابة بقرنيه فذهب ابراهيم واخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه .

ولعلك يا أخي تلاحظ بداهة ان هناك كلمات ادخلت ادخالا وحشرت حشرا بين هذه العبارات مثل كلمة (تحبه) الواردة في الآية رقم ٢ . فهل هناك أب لا يحب ابنه ؟

ومثل كلمة (أسحاق) التي ذكرت مرتين مرة في الآية رقم ٢ ومرة اخرى في الآية رقم ٩ .

وذلك ليؤكدوا للناس ان الذبيح هو اسحاق لا اسماعيل ومثل عبارة (في الغابة) التي ذكرت في الآية رقم ١٣ وقد حرصوا على ذكرها ليشعروا القارىء ان حادثة الذبح والفداء لم تقع في مكة لان مكة في واد غير ذى زرع وانما وقعت في مكان به زروع وغابات .

ارأيت كيف يكون التزييف والتحريف .. ؟

فمن مدلول عباراتهم نرى ان بطل هذه القصة عندهم هو اسحاق الذى حشروا اسمه حشرا بطريقة مصطنعة

وغير طبيعية كل هذا ليقال ان الذبيح هو اسحاق لانه في نظرهم أفضل من اسماعيل لان الاول ابن سارة الزوجة الشرعية واما الثانى فابن هاجر جارية سارة كما يقولون وعندهم ان ابن الجارية أقل شأنا من ابن الزوجة . وقد نسوا ان الانسان بخلقه وعمله وأدبه لا بماله وحسبه ونسبه .

ولكن هذه العبارات الواردة فى اسفارهم لو سلمت من التحريف والتزييف لاستقامت ولانطبقت تمام الانطباق على اسماعيل ومع ذلك فان اسحاق لم يكن الابن الوحيد لابراهيم لانه ولد بعد أخيه البكر اسماعيل بثلاث عشرة سنة أو نحوها فكيف يكون اسحاق وحيدا وله اخ يكبره اسمه اسماعيل . (انظر سفر التكوين ١٧ - ٢٥) .

وربما قالوا انه وحيد فى المحبة وان ابراهيم كان يؤثره على أخيه البكر اسماعيل وهذا طبعا غير معقول لأن اسماعيل كان له عند ابيه منزلة كبيرة وكان له عند الله منزلة اكبر فقد وصفه القرآن بانه حليم وقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا .

ليس هذا فحسب فكتبهم تنطق بمثل هذا صراحة فى مواضع شتى فقد ورد بها انه لما دعا ابراهيم لولده اسماعيل بطول العمر استجاب الله له وأوحى اليه بقوله (واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة) .

فهل بعد هذا حب وهل بعد هذا تكريم واصطفاء ؟

وان قالوا ان محبة ابراهيم لاسحاق كانت اكبر من محبته لاسماعيل بسبب أن زوجته سارة أم اسحاق كانت أفضل عنده من زوجته هاجر . قلنا لهم كذبتم لان الله تعالى أكرم هاجر بما لم يكرم به سارة فقد ظهر ملاك الرب (جبريل) لهاجر مرتين احداهما حين بشرها باسماعيل وهى حبلى (هاأنت حبلى وستلدين ابنا ويدعى اسمه اسماعيل) والأخرى حين ظهر لها وانبع لها عين ماء من الأرض هى (ماء زمزم) فشربت وسقت غلامها اسماعيل وهما فى مكان قفر غير ذى زرع . وأما سارة فلم يظهر لها الملاك اطلاقا ولكن الملائكة جاءت زوجها ابراهيم وبشروه باسحاق وامرأته (سارة) قائمة قالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب • قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد .

فانت ترى انها لم تر ملائكة الرحمن ولكنها كانت تسمعهم وتخاطبهم من وراء حجاب كما يقول المفسرون .

واذا قالوا أن كلمة وحيدك المقصود بها اسحاق حيث اسماعيل وأمه يعيشان بعيدا فى مكان قصى عند جبل فاران بجوار مكة أو مكان آخر قلنا لهم : ولو فانه مهما بعدت الديار فان ذلك لا يجعل الابن الثانى وحيدا لدى أبيه باى حال من الأحوال .

وثمت دليل آخر وهو حديث شريف عن الصادق المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله (انا ابن الذبيحين) - اخرجه الحاكم فى المناقب من مستدركه عن معاوية قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يا رسول خلت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين . فتبسم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه • قيل لمعاوية وما الذبيحان ؟

قال : ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله سبحانه وتعالى ان سهل الله أمرها أن يذبح بعض ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله (والد النبى صلى الله عليه وسلم ، فاراد ذبحه فمنعه أخواله من بنى مخزوم وقالوا له : ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة . فهذا الذبيح الأول واسماعيل الثانى - رواه ابن مردويه والثعلبى فى تفسيرهما وعند الزمخشرى فى الكشاف : أنا ابن الذبيحين .

هذا والذين ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما قولهم فيما تحمله هذه الآيات التى ذكرتها من سفر التوراة وما تشير اليه ؟

ان عليهم ان يراجعوا مرة اخرى قول الله لابراهيم : وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه هاأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة .

أما الاثنا عشر المشار اليهم فهم على الترتيب حسب أسبقية ولادتهم : نبايوت - قيدار - ادبئيل - مبسام - مشماع - دومة - مسا - حدار - تيما - يطور - نافيش - قدمة (أنظر الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين) .

وأما الأمة الكبيرة التى ذكرت فى هذا السفر من التوراة فهى من غير جدال أمة محمد صلى الله عليه وسلم التى تمتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وتملأ بقاع الأرض وتضم أكثر من ستماية مليون مسلم .

وسيد هذه الأمة هو خاتم الانبياء وسيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ودبن بن اده بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل . فهو صلى الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار وامته كما وصفها الله خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ثبت من كل ما تقدم ان الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق .

ومن عجب بل ومن أسف أن بعض علماء المسلمين يأخذون برأى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويقولون ان الذبيح هو اسحاق وكان يجب عليهم الا يتورطوا معهم هذا التورط المعيب من غير دليل ولا برهان .

صحيح أن القرآن لم يصرح باسم الذبيح ولكن سياق الآيات والقرائن والبراهين التى سقناها تدل دلالة واضحة على ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام .

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

مواقيت الصلاة

الأيام	ذو الحجة ١٣٨٥	مارس ١٩٦٦	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	٢٣	٢٩	٤	٥٦	٥	٢	١٢	٣٠	٣	٨	٦	٢٦	٧
الخميس	٢	٢٤	٢٨		٥٥		٢		٣٠		٨		٢٦	
الجمعة	٣	٢٥	٢٦		٥٣		١		٣٠		٩		٢٧	
السبت	٤	٢٦	٢٥		٥٢		١		٣٠		١٠		٢٨	
الأحد	٥	٢٧	٢٤		٥١		١		٣٠		١١		٢٩	
الإثنين	٦	٢٨	٢٣		٥٠		١		٣٠		١١		٢٩	
الثلاثاء	٧	٢٩	٢١		٤٩		٠٠	١٢	٣٠		١١		٣٠	
الأربعاء	٨	٣٠	١٩		٤٨		٠٠	١٢	٣٠		١٢		٣١	
الخميس	٩	٣١	١٨		٤٧		--	١٢	٣٠		١٢		٣١	
الجمعة	١٠	١ ابريل	١٧		٤٥		٥٩	١١	٣٠		١٣		٣٢	
السبت	١١	٢	١٦		٤٤		٥٩		٣٠		١٤		٣٣	
الأحد	١٢	٣	١٥		٤٣		٥٩		٣٠		١٤		٣٣	
الإثنين	١٣	٤	١٣		٤١		٥٨		٣٠		١٥		٣٤	
الثلاثاء	١٤	٥	١٢		٤٠		٥٨		٣٠		١٦		٣٥	
الأربعاء	١٥	٦	١١		٣٩		٥٨		٣٠		١٦		٣٥	
الخميس	١٦	٧	٩		٣٨		٥٧		٣٠		١٧		٣٦	
الجمعة	١٧	٨	٨		٣٧		٥٧		٣٠		١٨		٣٧	
السبت	١٨	٩	٧		٣٦		٥٧		٣٠		١٨		٣٨	
الأحد	١٩	١٠	٥		٣٥		٥٦		٣٠		١٩		٣٩	
الإثنين	٢٠	١١	٤		٣٤		٥٦		٣٠		١٩		٣٩	
الثلاثاء	٢١	١٢	٢		٣٢		٥٦		٣٠		٢٠		٤٠	
الأربعاء	٢٢	١٣	١		٣١		٥٦		٣٠		٢١		٤١	
الخميس	٢٣	١٤	--	٤	٣٠		٥٦		٣٠		٢١		٤٢	
الجمعة	٢٤	١٥	٥٨	٣	٢٩		٥٥		٣٠		٢٢		٤٣	
السبت	٢٥	١٦	٥٧		٢٨		٥٥		٣٠		٢٢		٤٣	
الأحد	٢٦	١٧	٥٦		٢٧		٥٥		٣٠		٢٢		٤٤	
الإثنين	٢٧	١٨	٥٤		٢٦		٥٤		٣٠		٢٣		٤٥	
الثلاثاء	٢٨	١٩	٥٣		٢٥		٥٤		٣٠		٢٤		٤٦	
الأربعاء	٢٩	٢٠	٥٢		٢٤		٥٤		٣٠		٢٤		٤٦	
الخميس	٣٠	٢١	٥٠		٢٣		٥٤		٣٠		٢٥		٤٦	

من وحى البيت العتيق

الاسلام بين القومية والعالمية

فضيلة الشيخ عطية صقر

حدثتك فى المقال السابق عن شبهة الذين يطعنون فى عالمية الدعوة الاسلامية بأن كتابها نزل باللغة العربية ، واليوم ونحن فى موسم الحج الى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة ، العاصمة الروحية للجزيرة العربية ، بل للعالم الاسلامى كله ، نتحدث عن شبهة أخرى لمن يحاولون أن يحصروا الاسلام فى نطاق ضيق، مستخدمين فى ذلك الشكوك والاباطيل بعد أن أعيتهم الحرب المادية والتكتلات المختلفة •

لقد قال هؤلاء : اذا كان الاسلام دينا عالميا فلماذا جاء فى بلاد العرب ، وخوطب به جماعة هم أبعد ما يكونون عن الحضارة والتمدن ، بالنسبة الى الأمم القوية الناهضة التى كانت تعيش بجوارهم فى بلاد الفرس والرومان وغيرها ؟ وكان من المنتظر أن تبدأ الرسالة العالمية فى بيئة متحضرة لها امكانياتها التى تساعد على النهوض بهذه الدعوة فى شكلها العالمى •

وللرد على هؤلاء نقول : ان هذا التساؤل يمكن أن يقال أيضا لو جاءت الدعوة فى فارس مثلا ، لماذا لم تجىء فى بلاد الرومان ، وبالعكس • والله - سبحانه - أعلم حيث يجعل رسالته ، ومع هذا فان هناك حكما وأسبابا رشحت الجزيرة العربية لتكون مهد الرسالة ، ورشحت العرب ليكونوا حملتها الى العالم أجمع ، نلخصها فيما يلى :

١ - لا بد للقوم الذين يحملون عبء الدعوة العالمية أن تتوافر فيهم صفات تناسب

مهمتهم الضخمة ، من صبر وتحمل ومخاطرة وشجاعة واحترام للعهود وحب للحرية ، وحرص على الشرف والسؤدد ، وتمرن على الهجرات والتنقلات، وعدم التبرم بحياة التقشف ورقة العيش ، وغير ذلك من الصفات النبيلة الجليلة ..

والعربى فى هذا المجال فارس الحلبة ، وقد أثبت التاريخ ما كان عليه أعظم الدول حضارة قبل الاسلام من أخلاق صبغها الترف بصبغته الرخوة الناعمة ، وأنس أهلها الى الذل والعبودية ، وتسلطت عليهم أفكار وميول خلقها متنبئوهم وفلاسفتهم . والمأثور من شعر الجاهلية وأخبار الأولين يفيض بصفات النبل التى كان يفخر بها العربى ، وأصدق مثل لذلك ما شب عليه النبى – صلى الله عليه وسلم – فى صغره من صفات عالية رشحته للزعامة الكبرى ، من صدق ووفاء وأمانة وايثار وكفاح وجلاد وعصامية وحرية. وقد تجاوبت أخلاقه مع أخلاق قومه وانصهرت جميعها فى بوتقة الاسلام الحرة الخالصة ، وما كانت المصادمات الأولى التى حدثت بين النبى – صلى الله عليه وسلم – وبينهم الا نوعا من العناد القائم على عدم الرضا بالفناء فى شخصية انسان آخر ، حتى طلب كبيرهم أن يكون له وحي ورسالة كما كان لمحمد – صلى الله عليه وسلم – : « **قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله** » « **وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا** » .

والعربى يمتاز بصفاء العقل وتوقد القريحة والفصاحة والبيان وقوة الحجاج ، وهى أمور لا بد منها لمن يقومون بنشر الرسالة العالمية التى تتطلب شرحا وتفسيرا ومحاجة ومناقشة ، وقد شهدت مقابلات العرب مع كبار الملوك صورا رائعة من قوة الجدل وامتلاك ناصية البيان . وأحيلك أيها القارىء على مقابلة النعمان بن المنذر لكسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، وما تحدث به عن فضل العرب فى عزها ومنعتها وأحسابها وأنسابها وسخائها وجودها وحكمة ألسنتها ، والدفاع عما عابهم به كسرى من وأد البنات والتقاتل ، وتصوير ذلك بما يرجع الى عزة النفس والأنفة من العار وقوة البأس وحب الحرية ، وكذلك فى مطالعة ما قاله النعمان وأكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة والحرث ابن ظالم وقيس بن مسعود وغيرهم، ما يبين لك تأصل معانى الفضل والنبل فى نفوس العرب .

ومن هنا يمكن أن نفهم قول النبى – صلى الله عليه وسلم – « ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ، ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختارنى من العرب، فلم أزل خيارا من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فيبغضى أبغضهم » .

رواه الطبرانى عن ابن عمر، وروى الترمذى مثله وقال حديث حسن .

٢ – اللغة العربية التى كانت اللغة الرسمية لهذه الدعوة أحيلك فى بيان ميزاتها على ما قاله « أرنست رينان » فى المقال السابق ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، فهى فى فصاحتها وضروب البيان الفنية فيها وفى مطاوعتها للاشتقاق والتكثير وملاءمتها لكل ضروب الحياة وتمشيها مع التطور – حتى كانت كما يقول « رينان » هى اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة – فى ذلك كله ما يرشح هذه اللغة لتكون لغة الرسالة العالمية ، تعيش مع الزمن وتوفى بكل مطالب الحياة ، وتخلد ما خلد هذا الدين الحى .

٣ – على أن المكان الذى بعث فيه النبى – صلى الله عليه وسلم – أولا له صلاحية كبيرة لانطلاق الدعوة منه الى العالم كله ، فالجزيرة العربية فى مكان وسط يتصل بآسيا وأفريقيا وأوروبا ، وهى القارات التى كانت معروفة حينذاك ، والتى كانت قد أخذت بحظ من التقدم تستعد به لتلقى هذه

الرسالة ولقد كانت التجارة تعبر بها من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، وتصل آسيا بافريقيا وأوربا ، فهى شريان حيوى ممتاز فى تلك الحقبة من التاريخ ، يمكن أن ترشح به لتكون نقطة انطلاق لهذا الدين الجديد ، يوزع منه على الأقطار كلها •

٤ ـ ذلك الى جانب أن جزيرة العرب فيها البيت العتيق، أول بيت وضع للناس ، وبناه ابراهيم أبو الأنبياء ، الذى تدين له جميع الديانات المعروفة فى ذلك العصر ، وفى انطلاق الدعوة منه اشعار للعالم بأن رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منبثقة من هذه الرسالة التوحيدية الأولى ، وأنها امتداد لهداية الله للبشر عبر القرون ، ليس فيها من الغرابة والنفور والشذوذ ما يستحق أن يصرف الناس عنها ، وكان فيه وحيا بأن الأديان التى صادفت ظهور الاسلام لم تعد صالحة لهداية البشر بعد تحريفها وتغييرها ، وأن الواجب ارجاعها الى أصلها الأول الذى انبثقت منه ، وهو الدين القيم الذى كان يدين به أبو لأنبياء •

٥ ـ هذا وقد كانت الأديان الموجودة فى العالم ممثلة فى بلاد العرب فى ذلك الوقت، فكان فيها اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والوثنيون ، والصابئة ، وعبدة الجن وعبدة الملائكة ومن اليهم •• وقد وقف الاسلام فى مواجهة هذه الأديان ليظهر عليها كلها ، وكان انتصاره على المنتسبين اليها فى الجزيرة انتصارا على كل من ينتسب اليها خارجها ، حيث نازل كلا منها بالحجة والبرهان ، ومرن المسلمون الدعاة للاسلام على الحجاج مع هذه الطوائف ، فكانت مهمتهم سهلة فى مواجهتهم لأصحابها فى البلاد الأخرى التى كتب لهم أن ينشروا الدعوة فيها •

٦ ـ على أن هذه الجزيرة قد عهدت فى تاريخها الطويل أنواعا من الرسالات ، فكان هود فى الأحقاف جنوبى الجزيرة ، وكان صالح فى ثمود شمالى البلاد على الطريق الى الشام ، وكان شعيب فى مدين عند خليج العقبة وكان موسى الذى ناداه ربه بجانب الطور على حدود الجزيرة ، وابراهيم هوالذى بنى البيت العتيق ، واسماعيل الذى رعاه وورثه أولاده من بعده ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رسالته الى العرب دعوة ابراهيم المستجابة :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم »•

هذه هى جزيرة العرب ، وهؤلاء هم سكانها ، وهذه هى المؤهلات التى رشحت مكة وهى فى واد غير ذى زرع ، لتكون مشرق الرسالة العالمية ، ومبعث النور الذى يخرج الناس من الظلمات ويديهم الى الصراط المستقيم ، هفت اليها قلوب الآلاف والملايين من العالم كله شرقيه وغربيه ، والتفت تلك الكتل البشرية حول الكعبة تطوف ببيت ابراهيم التاريخى العظيم المبارك ، وتطوف فى الوقت نفسه قلوبهم حول المركز الذى انبعثت منه أول شرارة أضاءت الانسانية كلها بنور الحق والعدل والاخوة والمساواة والحرية والنهوض والتقدم ، فهل للمسلمين وهم فى هذا الجو الروحى أن يتذكروا وحدتهم الجامعة واخوتهم الشاملة ، وينظروا بأفكارهم عبر القرون المتطاولة ، ليروا على مدى التاريخ كيف كانت هذه الصحراء القاحلة أما أنجبت زعماء الاصلاح ووردت للعالم أنبل المبادىء ، وأحكم القوانين وأشرف القيم : **« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »** •

حياة العقل الشهابي

(ابن فضل الله العمري)

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

(٢٢)

« تتمة مضامين وموضوعات الجزء الاول »

« الآثار العربية الاسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة »
مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر :

تعيين مكانه :
قال ابن فضل الله العمرى : « مسجد عظيم بمدينة الفسطاط . بناه عمرو بن العاص فى موضع فسطاطه وما جاوره . وموضع فسطاطه منه ، حيث المحراب والمنبر » .

وصفه وفضله :
« وهو مسجد فسيح الارجاء ، مفروش بالرخام الابيض ، وعمده كلها رخام . ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلوا فيه .

ولايخلو من سكنى الصلحاء . معمور الاوقات بالذكر . ويعقب صلاة الصبح فيه اوقات مشهودة . ومواسم خير لا تعد » ... ... ٢٠٩ ـ ٢١٠

وصف الهلال والشمس فوق النيل فى وقت الغروب :

قال ابن فضل الله العمرى : « وحكى على بن ظافر الأزدى قال : روى لى ان الاعز ابا الفتوح ابن قلاقس ، ونشو الملك على بن مفرج بن المنجم اجتمعا فى منارة الجامع فى ليلة خطر ظهر بها الهلال للعيون ، وبرز فى صفحة بحر كالنيل كالنون ، ومعهما جماعة من غواة الادب ، الذين ينسلون اليه من كل حدب . فحين راوا الشمس فوق بحر النيل غاربة ، والى مستقرها جارية ذاهبة ، قد شمرت للمغرب الذيل ، واصفرت خوفا من هجمة الليل ، والهلال فى حمرة الشفق ، كحاجب الشائب او زورق الورق . فاقترحوا عليهما ان يصنعا فى ذلك الوقت التزيه على البديه .

فصنع ابن قلاقس :

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق !
غابت وابقت شعاعا منه يخلفها
كانما احترقت بالماء فى الغرق !
وللهلال ، فهل وافى لينقذها
فى اثرها زورق قد صيغ من ورق !

وصنع ابن المنجم :

يارب سامئة فى الجو قمت بها
امد طرفى فى ارض من الافق
حيث العشية فى التمثيل معركة
اذا رآها جبان ، مات للفرق
شمس نهارية للغرب ذاهبة
بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا
من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

(وردت هذه الحكاية فى صفحتى ١٢٧ و١٢٨ من كتاب « بدائع البدائة المطبوع فى بولاق سنة ١٢٨٧ هـ »)

حكاية اخرى :

قال ابن فضل الله العمرى : « وحكى على بن ظافر ايضا .. قال : اخبرنى ابو عبد الله بن المنجم الصواف ، بما معناه ، قال : صعدت الى سطح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة . فصادفت به الأديب الأعز ابا الفتوح بن قلاقس ونشوا الـ ى بى مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعا المغربى فى جماعة من الأدباء . فانضفت اليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، ودفنت فى المغرب حين ماتت ، وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله ، وتحلى زنجى الليل بخلخاله ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملا فى صفة الحال . فاطرق كل منهما مفكرا ، وميز ما قذفه اليه بحر خاطر من جواهر المعانى متخيرا . فلم يكن الا كرجع الطرف ، أو وثبة الطرف ، حتى أنشدا .
(كرجع الطرف ـ بفتح الطاء المشددة ـ : العين . أو وثبة الطرف ـ بكسر الطاء المشددة ـ : الكريم من الخيل وهو نعت للذكور خاصة) .
فكان ما صنعه نشو الملك :

وعشى كانما الأفق فيه
لا زورد مرصع بنضار !
قلت لما دنت لمغربها الشم
س ولاح الهلال للنظار !
اقرض الشرق صنوة الغرب دينا
را فاعطى الرهين نصف سوار !

وكان الذى صنعه ابن قلاقس :
لا تظن الظلام قد اخذ الشم
س واعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق اقرض الغرب دينا
را فاعطاه رهنه خلخالا !

قال : وهذا ما تواردت فى معناه الخواطر . وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأغر ابى الفتح ابن قلاقس لتنصيفه السوار . وعلى كل حال فقد ٢١١ — ٢١٢
ابدعا ، ولم يتركا للزيادة فى الاحسان موضعا ... ...
(وردت هذه الحكاية فى كتاب « بدائع البدائه صفحة ١٢٩ طبعة بولاق ايضا ») .

مسجد قرطبة :
قال ابن فضل الله العمرى : مسجد عظيم ليس فى مساجد المسلمين مثله بنية وتنميقا ، وطولا وعرضا .

طوله وعرضه :
وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة ، وعرضه ثمانون باعا .

تسقيفه وصحنه :

ونصفه مسقف ، ونصفه للهواء .

قسيه وسواريه :

وعدد قسي مسقفه تسعة عشر قوسا . وفيه من السواري (اعني سواري

مسقفه بين اعمدته وسواري قبلته ـ صغارا وكبارا ـ مع سواري القبة الكبرى وما فيها) الف سارية .

ثرياته :

وفيها ثريات كبيرة للوقيد . منها واحدة يوقد فيها الف مصباح . واقلهما تحمل اثنى عشر مصباحا .

سماواته وجوائز سقفه :

وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه . وجميع خشب هذا الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي . ارتفاع الجائزة شبر في عرض شبر الا ثلاثة أصابع . وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبرا . وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة . والسماوات المذكورة كلها مسطحة : فيها ضروب صنائع من الضروب المستحسنة ... ...

صنعة الفص وصنعة الدوائر :

والمدرب وهو صنعة الفص وصنعة الدوائر ، والمداهن لا يشبه بعضها بعضا ، بل كل سماء منها مكتف بما فيه من صنائع قد احكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها بالوان حمرة الزنجفرية والبياض الاسفيداجي والزرقة اللازوردية والزرنوق الباروتي والخضرة الزنجارية والتسكحيل النفسي . تروق العيون وتستميل النفوس باتقان ترسيمها ، ومختلفات الوانها وتقسيمها ... ... ٢١٢ ـ ٢١٣

بلاطه :

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبرا . وبين العمود والعمود خمسة عشر شبرا .

اعمدته :

ولكل عمود منها راس رخام وقاعدة . وقد عقد بين العمود والعمود على اعلى الراس قسي غريبة عليها قسي اخر ، على عمد من الحجر المنحوت ، متقنة .

صناعة الفص بالمفرة :

وقد جصص الكل منها بالجص والجيار . ورتبت عليها نجوم مستديرة ، ثابتة بينها ضروب صناعات الفص بالمفرة . وتحت كل سماء منها ازار خشب .

وصف قبلته العجيبة ، وما فيها من صبغة القوط :

قال ابن فضل الله العمري : ولهذا المسجد الجامع قبلة تعجز الواصفين اوصافها . على وجه المحراب سبع قسي قائمة على عمد ، طول كل قوس منها اشف من قامة . وكل هذه القسي مزججة بصبغة القوط . قد اعيت الروم والمسلمين بغريب اعمالها ، ودقيق تكوينها ووضعها .

اعمدة المحراب لا تقوم بمال :

قال ابن فضل الله العمري : وفي عضادتي المحراب اربعة اعمدة : اثنان اخضران ، واثنان زرزوريان لا تقوم بمال .

المنبر الذي ليس بمعمور الارض مثله :

قال ابن فضل الله العمري : وعن يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الارض مثله صنعة . خشبه آبنوس وبقس وعود المجمر . ويحكى في كتب تواريخ بني امية انه صنع في تجارته ونقشه سبع سنين .

ستة صناع قضوا سبع سنين في عمله :

وكان عدد صناعه ستة رجال ، غير من يخدمهم ويتصرف لهم . ولكل صانع ٢١٣
منهم في اليوم نصف مثقال محمدي ... ...

الات الوفود في ٢٧ رمضان :

وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطسوت ذهب وفضة او حسك . وكلها لو قيد الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان .
(في لسان العرب : ان الحسك : شوك مدحرج لا يكاد احد يمشي اذا يبس الا من كان في رجليه خف . والحسك من الحديد ما يعمل على مثاله ، وهو من آلات العسكر ، ولعله المراد هنا . والغرض احاطة هذه العدد والالات بشيء يمنع الناس الوصول اليها . كما يفعل الآن بوضع الأسلاك الشائكة او المسامير المدببة على أسوار الحدائق والمنازل ومواد المباني المسلحة للحيلولة دون الوصول اليها من اللصوص وغيرهم) .

مصحف يرفعه رجلان فيه ٤ ورقات من مصحف عثمان :

قال ابن فضل الله العمري : وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان ، لثقله ، فيه أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان الذي خطه بيمينه . وفيه نقط من دمه .

ابوابه ٢٠ مصفحة بالنحاس وكواكب النحاس :

ولهذا الجامع عشرون بابا ، مصفحة بصفائح النحاس وكواكب النحاس . وفي كل باب منها حلقتان في نهاية الاتقان .

صومعته الغربية :

وفي الجهة الشمالية منه الصومعة ، الغريبة الشكل والصنعة ، الجليلة الأعمال الرائقة ، ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي : منها ثمانون ذراعا الى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك الى أعلاها عشرون ذراعا .

درجان متخالفان :

ويصعد الى أعلى المنار بدرجين : احدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي . اذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة ، لم يجتمعا الا اذا وصلا الأعلى . والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ثلاثمائة عمود : بين صغير وكبير .
الجانب الشرقي . اذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة ، لم يجتمعا الا اذا وصلا الأعلى .

والذي في الصومعة من العمديين داخلها وخارجها ثلاثمائة عمود : بين صغير وكبير .

ثلاث تفاحات من ذهب :

وفي أعلى الصومعة على القبة التي على بيت المؤذنين ثلاث تفاحات : واحدة من ذهب ، واثنتان من فضة ، تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت .

ستون رجلا يخدمون الجامع :

ويخدم الجامع كله ستون رجلا ٢١٤
(بقية الصحيفة في الأصل بياض ، مقداره سبعة عشر سطرا) .

اما بقية مضامين وموضوعات الجزء الأول عن سائر المزارات وتفصيلها ومواضعها المزعومة والحقيقية فستأتي في المقال الآتي ان شاء الله تعالى . وما توفيقي الا بالله .

في العيد الأكبر

المواهب الإلهية فى المواسم الإسلامية

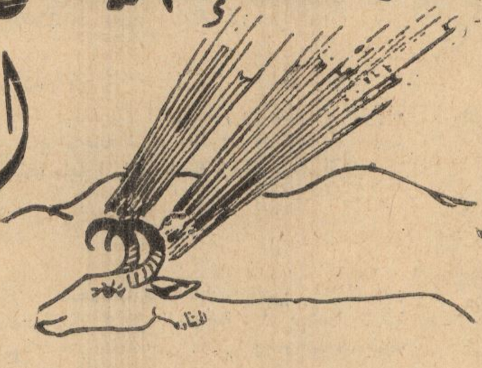

فضيلة الشيخ
عبد الرحيم فرغل البلينى

أيها القارىء الكريم :

الانسان فى تعرفه بربه تتوارد عليه أحوال واحداث :

فتارة تلاحظه العناية ، فيأخذ من الطاعة صيبا موفورا ، ومن العبادة قدرا مشكورا .

وتارة تخذله ، فلا يكون بينه وبين الاهتداء صلة ، ولا يوجد بينه وبين الطاعة سبب .

وهذا الخذلان انما يكون لحرمانه من العصمة ، التى خص الله بها الانبياء ، وتوج بها المرسلين ، وتفضل بها على عباده المقربين .

سنة الله فى خلقه « ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

قال عليه الصلاة والسلام :

« ان احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه القضاء فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وان احدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فسبق عليه القضاء فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

لذلك يجب على العبد المؤمن ان يغلب الخوف على الرجاء، وان يطرح الغرور بالعبادة، والتعاظم بالطاعة ، حتى لا تخذله عناية الله ، وتتركه يتردى فى مهاوى المعصية ، ويضل فى مهامه الغواية .

قال سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله عنه:

« والله لو ان احدى رجلى فى الجنة ، والاخرى خارجها ما أمنت مكر الله » .

وقد سمعت بعض مشايخى رحمة الله عليه يقول فى الدرس :

ان سيدنا عليا ـ كرم الله وجهه ـ اجتمع مرة بابليس فقال له : يا ابليس لماذا عصيت ربك بعد تفانيك فى عبادته ؟ .

فقال له ابليس :

ان الحسام الذى قدما قتلت به
لا زال فى قبضة الجبار مسلولا

يريد : ان الذى جاز على يجوز عليك ، فلا اعتراض على حكم الله .

وجاء فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« احتج آدم وموسى ، فقال موسى لآدم : انت آدم أبو البشر وقد عصيت ربك باكلك من الشجرة ، فقال له آدم : وانت موسى كليم الله وتلومنى على امر قدره الله على قبل ان أخلق! قال رسول الله : فحج آدم موسى » أو كما قال .

ولما كانت حالة الانسان الذى فقد العصمة عرضة للخطأ والزيغ ، هدفا للضلالة والغواية، غرضا لنزوات النفس ووساوسها ـ جعل الله له اياما فى الدهر يتعرف فيها عادة الى ربه ، ويهرع الى ساحات كرمه ، فيشمله الله بلطفه ، ويحفه بجوده ، ويفيض عليه من نفحات بره .

وان تلك الايام تسمى فى العرف : (المواسم الاسلامية) ـ أو (الايام المباركة) ـ او (اوقات النفحات الربانية) .

وقد تفرقت فى شهور العام ، كما تفرقت الازاهير فى النجوم فى السماء الصافية ، وتوزعت فى ايامه ، كما توزعت الازاهير فى الرياض الباسمة . فاذا وردت على الانسان ملأت باشراق الطاعة قلبه ، وشرحت لقبول العظات صدره .

وان هذا لطف من الله ما يعادله لطف ، وفضل منه ما يدانيه فضل . ولا عجب فالله ـ جل شانه ـ هو البر الرحيم ، اللطيف بعباده ، ذو الفضل العظيم .

ومما يدل على فضل الله على عباده ، ومبلغ رحمته بهم ، ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم راى امراة فى السبى فقدت طفلها ، وهى تطلبه فى لهفة ولوعة . فقال : ارايتم هذه المرأة طارحة ولدها فى النار وهى تقدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . فقال : الله ارحم بعبده المؤمن من هذه بولدها » . او كما قال .

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى ان جعل تلك المواسم متقاربة متجاورة ، فلا تكاد نفس المرء تفتر عن الطاعة حتى يستقبل موسما منها يجدد نشاطها ، ويحيى مواتها ، ويعيدها سيرتها الاولى .

وكم لله تعالى من حكم فيما شرع ، يعرفها من شرح الله صدرهم للهداية، وصرف قلوبهم عن الغواية ، ووفقهم للخيرات فيما يأتون ويذرون ، وحال بينهم وبين ما يشتهون .

ومن تلك المواسم الاسلامية (الايام المعدودات) والايام المعلومات) التى ذكرها الله تعالى فى قوله :

« واذكروا الله فى ايام معدودات ، فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ، ومن تاخر فلا

اثم عليه لمن اتقى ، واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون » . من سورة البقرة .

وقوله ـ جل شأنه ـ :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات» من سورة الحج .

وقد اختلف المفسرون فى الايام المعدودات:

فقال بعضهم : هى ايام التشريق ، المبتدئة من ثانى ايام العيد الاكبر ، والمنتهية باليوم الرابع .

وقال بعضهم : هى ايام النحر وايام التشريق المبتدئة من يوم العيد الاكبر ، والمنتهية باليوم الرابع .

فهى ايام اربعة متداخلة . اولها نحر فقط ، وثانيها وثالثها نحر وتشريق ، ورابعها تشريق فقط .

والتشريق هو تقديد اللحم وتجفيفه بوضعه فى الشمس فوق الاحجار .

اما الايام المعلومات : فقال بعضهم : هى عشر ذى الحجة .

وقال آخرون : هى ايام النحر ، وايام التشريق . كما سبق .

وعلى هذا القول الاخير تكون الايام فى الآيتين متحدة فى الزمان ، مختلفة فى الاسم ، فعبر عنها فى الآية الاولى بأنها معدودات ، لقلتها . وعبر عنها فى الآية الثانية بأنها معلومات ، لعلمها ومعرفتها . وهذا القول مال اليه كثير من العلماء .

والمراد بذكر الله فيها ـ على جميع الاقوال ـ ذكره بالتلبية ، وعند رمى الجمار ، وعند ذبح الهدى والاضاحى ، وعقب الصلوات المفروضة .

اما التلبية ، فلفظها : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

أى : اجابة لك بعد اجابة، واقبالا بعد اقبال، واعترافا بوحدانيتك يعقبه طاعة وامتثال ، لان الثناء خاص بك ، والنعمة والفضل منك ، ولان الملك كله لك ، لا شريك لك فيه .

وان هذه التلبية سنة من سنن الحج ، يقولها الحاج عقيب الاحرام كلما رأى جمعا ، او هبط واديا ، او نزل منزلا .

والحكمة فيها هى اظهار الاستسلام لله ، والخضوع لامره ، والامتثال لحكمه ، والتفانى فى تقديسه والبراءة من غيره .

ذلك ان فى الحج الكثير من الشدائد والمتاعب ، والاخطار والمصاعب ، فاذا نطق الحاج بالتلبية ، فان لسان حاله يقول : انا لا ابالى بما ينالنى فى سبيل تأدية هذا الواجب المقدس ، ولو كان فيه بعد بذل المال بذل الروح ، ما دامت الوجهة لله .

ومن المشاهد ان الحاج الصادق لا يبالى بالموت ، بل قد يرجوه ويتمناه ، ليدفن فى ارض الحرم ، ارض نزول الوحى المحمدى ، بجوار اول بيت وضع لعبادة الناس .

ثم من المشاهد ان المؤمن الكامل يتوق الى الحج ، كما يتوق الغائب لوطنه او اشد ، ويشتاق لزيارة روضة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما يشتاق الواله لما يذهب الوله ويرد حيرة الوجد

حتى لقد رأينا كثيرا ممن سبق لهم الحج يفزعون الى البكاء المر يطفئون به غلة الوجد ، اذا جاء موسم الحج ، ولم يكن لهم استطاعة اليه .

ولهذه المناسبة أذكر ان يوسف بن نصر احد ملوك الاندلس ازمع الحج والزيارة ، فعاقته عن قصده حرب صليبية ، فأمر لسان الدين بن الخطيب ان يقول قصيدة ، لترسل مع احد الحجاج وتنشد فى الروضة النبوية بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه القصيدة ذكرت فى الجزء السادس من صبح الاعشى واننى الفت اليها الانظار ،

لانها درة من درر الادب العربى ، والحب النبوى .

قال رحمه الله فى مطلعها :

اذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه
كفانى وحسبى ان يهب نسيمه
ويقنعنى انى به متكيف
فزمزمه دمعى وجسمى حطيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الغضا
فيقعده فوق الغضا ويقيمه
وما شغفى بالنور رند مرنح
ولاشاقنى من وحش وجرة ريمه
ولا سهرت عينى لبرق ثنية
من الثغر يبدو موهنا فاشمه
برانى شوق للنبى محمد
يسوم فؤادى برحه مايسومه
الا يا رسول الله ناداك ضارع
على البعد محفوظ الوداد سليمه
مشوق اذا ما الليل مد رواقه
تهم به تحت الظلام همومه
فلا تنستى ياخير من وطىء الثرى
فمثلك لا ينسى لديه خديمه

ونكتفى بهذا القدر منها ، ثم نعود الى الموضوع فنقول :

واما الذكر عند رمى الجمار ، فلفظه : (بسم الله الله اكبر) عند رمى كل حصاة من الحصيات البالغ عددها تسعا واربعين .

والحكمة فى رمى الجمار التشبه بسيدنا ابراهيم عليه السلام فى رمى ابليس بالحصا حينما تعرض له ، ليثنيه عن ذبح ولده فى ذلك المكان . واعلان الحاج مطاردة ابليس ومخاصمته ، اذا هم ان يثنيه بالوسوسة عن عبادته ، وان يغزو قلبه بشروره ، واعلامه انه لم يعد لاغوائه سبيل اليه ، لانه صار من عباد الله ، الذين قال فيهم « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » .

واما الذكر عند الذبح : فلفظه ايضا : (بسم الله والله اكبر)

أو اى لفظ يفيد توحيد الاله وتعظيمه ، ويكون خالصا له .

ولو ترك الذابح التسمية عمدا فلا تؤكل ذبيحته . لقوله تعالى : « ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق » .

اما اذا تركها نسيانا ، فلا تحرم ذبيحته .

قال الميدانى فى شرح القدورى : لان فى تحريمها حرجا عظيما ، لان الانسان قل ما يخلو عن النسيان ، فكان فى اعتباره حرج ، والحرج مدفوع . ولان الناسى غير مخاطب بما نسيه ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » اى رفع حكمه واثمه .

فلم يترك الناسى فرضا عليه عند الذبح ، بخلاف العامد .

وقال النسفى لان الناسى ذاكر تقديرا .

وهذا كله عند الاحناف .

وقال الامام الشافعى : تحل ذبيحة المسلم سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا ، ونقله البغوى عن ابن عباس . وقال : المراد من الآية ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله ، أو ذبح للاصنام . فهى مخصوصة بما اهل به لغير الله اهـ من حاشية الجمل .

وقال المالكية : تحرم الذبيحة اذا ترك اسم الله عليها . سواء أكان الترك عمدا ام نسيانا . واحتج على ذلك بظاهر الآية ، حيث اجراها على عمومها .

واولى الاقوال قول الشافعى رضى الله عنه . لما ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن متروك التسمية ، فقال : « كلوا فان تسمية الله فى قلب كل مؤمن » . وجاء فى الحديث : « ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليها » . اهـ من الجمل على الجلالين .

واما الذكر بعد الصلوات المفروضة : فالمراد به التكبير الذى تعارفه المسلمون فى ايام النحر والتشريق .

ولفظه : « الله اكبر الله اكبر ، لا اله الا الله ، والله اكبر الله اكبر ولله الحمد » ـ ومن جعل التكبيرات ثلاثا فى الاول لا حجة له . لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الغداة (الفجر) يوم عرفة ثم اقبل على اصحابه

بوجهه فقال: « خير ما قلنا وقالت الأنبياء قبلنا فى يومنا هذا: « الله اكبر الله اكبر، لا اله الا الله، والله اكبر ولله الحمد ».

ولما رواه ابن شيبه بسند جيد عن الاسود قال: كان عبد الله ابن مسعود يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة الى صلاة العصر من يوم النحر، وكذا روى عن على، بل عن الصحابة كلهم.

ويزيد على هذا ان شاء فيقول: « الله اكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا اله الا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الاحزاب وحده. لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. اللهم صلى على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليما كثيرا ». اهـ من مراقى الفلاح.

هذا: واختلف فى حكم التكبير، فقال الاحناف: انه واجب، وقال غيرهم: انه سنة.

ثم قال الامام ابو حنيفة ان ابتداءه من بعد صلاة فجر عرفة، الى عقب عصر العيد، فهو عنده يجب بعد ثمان صلوات مفروضة، فلا تكبير بعد النفل والوتر وصلاة الجنازة. وصلاة العيد. وهذا اذا ادى الفرض بجماعة فلو كان المصلى منفردا فلا تكبير عليه.

وقال ابو يوسف ومحمد: يجب التكبير فور كل فرض على من صلاه، ولو كان منفردا أو مسافرا، أو قرويا، لانه تبع للمكتوبة من فجر يوم عرفة، الى عقب عصر اليوم الخامس من يوم عرفة. فيكون آخر ايام التشريق، أى بعد اربع وعشرين صلاة. وعليه الفتوى.

وان لهذا التكبير عقيب صلوات تلك الايام فوائد جليلة، وحكما بالغة، يدركها من ملأ الدين فضاء نفسه، واختلط الايمان بلحمه ودمه.

فهو مظهر من مظاهر الاسلام يوحى بالعزة، ويشعر بالعظمة، ويدل على وحدة الصف، واجتماع الكلمة، والوقوف بالمرصاد تجاه كل من تحدثه نفسه بالنيل من كرامة الامة، والمساس بسيادتها.

ان رفع أصوات المكبرين بقولهم: (صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده) يشعرهم بأنهم فى حمى الله اذا جاهدوا، وحفظه اذا كافحوا، وكنفه اذا ذادوا الاعداء، وردوا البغاة، وحينئذ تزداد ثقتهم بالنصر، وينازلون الاعداء فى ثبات، دون ان يحف بهم الوهن والضعف، والخوف والفزع، حتى تكون العزة لله ولرسوله والمؤمنين.

هكذا كان المسلمون الاولون، يستمدون الثبات امام النوازل من هدى الدين، ويستشعرون القوة من وحى الاسلام. ولذلك أخذوا امرة الارض، بعد ان حطموا الظلم، وازالوا البغى، وثلوا العروش، وأبادوا الطغاة.

ثم طاف بالمسلمين طائف من التفريط فى بعض القرون، واخذتهم نشوة الظفر، فاستكانوا للراحة، واستسلموا للدعة، كما يعرس المسافر فى الطريق بعد السفر الطويل، واذ ذاك وجد العدو فرصته للوثوب فوثب وجاس خلال الديار، وزرع الفتنة فى الحقول الاسلامية، وبذر بذور الخلاف والشقاق، واستبد بحكم البلاد وخيراتها.

ولكن الامة الاسلامية تمشى دائما على قائمتين من هدى الكتاب والسنة، وتطير بجناحين من عقيدتها ويقينها، وما دام أمرها هكذا، فانها تصل الى الخلاص بالسير الحثيث، والخطو السريع.

ولذلك نراها اليوم بفضل قادتها الاوفياء وساستها الامناء، قد نفضت غبار الذل، واستيقظت من ثباتها، وهبت من رقدتها، واحست بالواجب عليها نحو حماية الوطن والدين، وقامت تؤديه كاملا غير منقوص.

واذا تنبهت أحاسيس الامة، واستيقظت أفكارها وعقولها، وشعرت بواجب التضحية والفداء، فقد انبلج صبح حياتها، واشرقت شمس عزتها، واقترب ضحاها.

حقق الله الآمال، ووفق القادة والساسة، والله الهادى الى الحق.

الإسلام بين العقل والنقل

للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كان التصوف الاسلامى فى بدئه مقصورا على أفراد صفت قلوبهم وآنسوا من أنفسهم القدرة على النسك والتقوى ، ثم اتجه بعض الصوفية لما اتسعت اسباب الحضارة الى دراسات واسعة فى السلوك وأحوال النفس ، ونظريات عميقة فى الكون وفلسفته ، والتف حول أعلامه من اولئك اتباع ومريدون ، فامتد نفوذهم وتكون من المتصوفة طوائف عدة وفرق مختلفة .

ولكن سنة الزمن فى أحداثه وتطوراته التى مرت على الاسلام عدت على التصوف وهو فرع منه كما عدت على الأصل ، فانقلب فى أكثره الى شكليات لا يعنى فيها كثيرا بالحقائق ومظاهر مجسمة ورمزية بعيدة عن أدب الروح ومناجاتها وتبتلها .

واليك ملخصا للادوار التى مر بها التصوف منذ نشأته :

دور النشأة والتكوين : وهو يبدأ من القرن الأول للهجرة وينتهى فى القرن الثالث ، ثم دور النهوض والكمال : الذى امتد الى القرون الأربعة التالية .

ثم دور الانحطاط والوقوف : وقد بدأ منذ القرن الثامن الى اليوم .

بدأ التصوف فعلا على صورته البسيطة مؤسسا على الكتاب والسنة وأخلاق الرسول منذ الصدر الأول للاسلام . فلوحظ على كثير من الصحابة والتابعين ميلهم الى العبادة والتبتل والتزهد ، واعراضهم عن الدنيا بل خطا بعضهم فى هذا السبيل خطوات واسعة وبالغ فيها مبالغة واضحة فكان منهم من يصوم نهاره ويقوم ليله ومن يصطلى من الرمضاء ساعات من النهار أو يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيبا لروحه . وفى حياة عبد الله بن عمر وبلال المؤذن وسلمان الفارسى وابى ذر الغفارى وأبى الدرداء كانوا على مثل من ذلك .

بيد أنهم لم يتسموا باسم خاص ولم ينتسبوا الى طائفة معينة لأنهم كانوا صحابة وتلك أشرف نسبة ، ولم تطلق كلمة (صوفية) على جماعة بعينها الا فى القرن الثانى للهجرة فنرى الحسن البصرى يرأس متصوفة البصرة ، وابراهيم بن ادهم يقود متصوفة العراق .

وما كان الزهد والعبادة بمقصورين على الرجال ، فانه قد نشأ فى ذلك القرن أيضا أمثال رابعة العدوية وجويرية ورابعة الدمشقية وغيرهن ، أولئك اللواتى طمعن فى وجه الله وأحببنه لا رهبة من عقابه ولا طمعا فى فى ثوابه ، ورغبن عن كل شىء الا عن محبة الله ورضاه .

ولكى يكتمل لهذا الزهد وهذه العبادة فى كل مظاهرها أخذ المسلمون فى بناء الزوايا وأمكنة العبادة ومدارس العلم ، وتزيا بعض المتصوفة بأزياء خاصة ، فلبسوا الصوف وابتعدوا عن كل مظاهر النعيم والترف واشتقت تسميتهم من اسم الصوف أو الصفاء ، ومازال هذا النوع من السلوك ينمو ويزيد أنصاره الى ان دونت بعض الأبحاث والنظريات والعلوم نتيجة لهذا العلم ، والعمل كذلك وفى الغالب يكون تصوفهم نتيجة العلم بالشريعة ، وتكون النظرية فى الأكثر وليدة التطبيق ونتج عنها غيرها وهكذا كما ان التطبيق يكون وليدا للنظرية ، فهناك تلازم : ولذا رأينا رجالا من مفكرى القرن الثالث الهجرى وعلى رأسهم الحارث المحاسبى وذو النون المصرى وابن أدهم العراقى يصفون احوال النفس ومقاماتها ، ويوضحون بعض الظواهر الصوفية مطبقة على العمل بالسلوك ، ومؤلفاتهم كذلك من اقدم ما كتب فى هذا العلم .

ثم يتحدث أبوزيد البسطامى عن حال الفناء تلك التى هى أعلى درجات السلوك ، وهى نظرية فى التصوف ، تقتضى فناء الخلق فى الحق ، ويكون التطبيق نتيجة تلك النظرية فينتج ذلك فعلا عملا هو التقى ، وبعد التقى الشهود ، وهى مرتبة يصل اليها المريد وفيها تكشف له الحقائق الالهية ويسمو الى مرتبة الفيض والالهام وبذلك وضعت دعائم نظرية الوصول الصوفية التى دارت حولها أبحاث متصوفة الدور الثانى .

وفى الدور الثالث الف (الهروى) المفسر كتابه « منازل السائرين الى الله » والف « القشيرى » رسالته المشهورة التى تعتبر دعامة فى التصوف ، وعوارف المعارف « للسهراوردى » واللمع « للسراج » ثم فى القرن الخامس الهجرى ظهر احياء العلوم «للغزالى» .

وكانت كلها كمعارف علمية تخص التصوف الاسلامى والصوفية المسلمين .

وقدمنا انه فى عصر الترجمة تلون التصوف وتعرج فى مجراه ، وقبس بعض الصوفية الأعاجم والداخلين فى الاسلام أقباسا من الهند وفارس والمسيحية وغير ذلك .

ولكن ظل التصوف الاسلامى المحض سائرا فى طريقه السوى معتمــدا على الله ومتكئا على كتاب الله وسنة رسوله مهتديا بهدى القدوة الصــالحة من المسلمين المؤمنين وعباد الله المخلصين الذين قال الله فى حقهم : « والذين جاهدوا فيها لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » وقد قال القشــيرى فى زمنه وفى مقدمة رسالته القشيرية يصف حال الصوفية بعده ، فقــال شعرا :

أما الخيــــام فانها كخيـــــام
وأرى نساء الحى غير نســـائها

وذكر فى رسالته ايضا أبيــاتا لم يحضرنا اسم قائلها :

كذبتــــك نفســـــك ليس ذا
ســـنن الطريق الســـــابقة
حتى تـــــكون بعــــــين من
عنــه العيــــون مغلقـــــة
تجرى عليــــك صــــروفه
وهمــــــوم سرك مطـــــرقة

واكملنا معناها فقلنا :

تمسى وتصـــــبح عبــــده
وتـــكون منــه على ثقـــــة

هذا واذا قارنا عصرنا بالعصور التى قيلت فيها هذه الأبيــات التى تدل على الحذر والانتـــكاس والتمرج والشذوذ فلا نجد كلاما أو تعبيرا يفى بالمعنى أكثر من هذا ، ومن ينكر الأمور الظاهرة للعيان يكون من الحمق بمكان ، وفقط نقول كما قال عبــد الكريم الجيلى فى كتابه : « الانسان الكامل » .

ذهب الكــــلام فــــلا كـــلا
م ولا آذان ســـــــــامعه

هذا مع أن المجـــال ليس مجال افراد التصــوف بالكلام ، وعلى من شاء التوسع ان يقرأ كتابنا « معالم الطريق الى الله » المبنى على تطبيق الطريقة على الشريعة والشريعة والطريقة على الحقيقة وكتبناه على هـــدى من أضواء الاسلام والايمان والاحسان .

والذى يجب أن نفهمه الآن هو ان التصــوف فى الاسلامية طور من الأطوار التى دخل فيها الاسلام بعــد ذهاب رسوله الكريم الى جوار ربه العظيم .

هــــذا ومن اكبر الآفــات الداخلة عل الاسلام وعل التصوف فى دور التراجع القول بالحلول والاتحاد فضلا عن الدجل والشعوذة ، والحلول أو الاتحادما كان ليرضى أهل الكتاب والسنة ولا أهل التصـــوف الحق ، لأن الحلول يؤدى الى تحـــديد وتحيز ذات البارى جــل شانه ، والقــول بالحلول معنــــاه الحاق معنى المكانية والجسمية به تعالى : لهذا لم يتردد الأشاعرة فى رفض الحلول الحلاجى وكذلك الاتحاد الذى ظنوا به انه اضافة مغاير لمغاير ، ولو علموا أن رجوع الشىء لأصله لا غبار عليه . الا اذا اعتبرت صلة الروح بخالقها كاتحاد كائن حى بآخر حى .

وفى اتصال الروح بالله الذى انبعث عنه أولا لا يقال فيه أنه اتحاد مغاير بمغاير معلنــين أنه لا يمكن ان يتصور اتحاد او امتزاج حقيــقى بين الله ومخلوقاته ، ولم يقبل أهل الظاهر من التصوف الا ما دار حــول التبتل وتزبية النفس واصلاحها . وكفاه بهذا فخرا .

وقد أبهم الغزالى فى هذا رعاية لعقائد العوام عدا اتصال الروح بالله وهذا جميل كما أبهم فى حملتهم على المعتزلة والفلاسفة ولم ينكر على التصوف الحق شيئا كما رأيت بل قرر فى كتابه « احياء علوم الدين » ان هناك عالمين : عالم الظــاهر وعالم الباطن ، واذا كانت الحواس وسيلة ادراك العالم الأول فان الفيض والالهام دون شك وسيلة الوقوف على حقائق العالم الثانى ، غير ان هذا الفيض لا يتم عن طريق الحلول وانما هو ضرب من الكشف الروحانى يحدث فى النـــوم أو فى حالة اليقظة لكل من لهم استعداد واعرضـــوا نوعا من الدنيا وملاذها وتحلوا باســمى الفضــائل ، ومن هنــا انقسم المتصوفة الى فريقين معتـــدلين ومتطرفين ، سنيين ومبتدعين

فيوصف الحلاج ومن جاراه فيمن جاوز دائرةالكتاب والسنة كثيـرا ، فى حين ان تصـــوف الغزالى وأهل التصوف الاسلامى المحض هو الذى يلتئم مع تعــاليم الدين ، وهكذا قدر لأهل السنة من النجاح فى دائــرة التصوف ما قدر لهم فى ميدان علم الكلام .

وما أن بدأ القرن السادس الهجـــرى حتى اخذ التصوف السنى الاســلامى يضعف من نفوذ التصــوف المجلوب عن النحل الأخرى كالباطنية الشيعية وغيرها ، وفى هذا الوقت ظهر علمان من أعلام المتصوفة المعتدلين وهما عبد القادر الجيلانى واحمد الرفاعى الذين قدر أن يكون لطريقتهما شأن يذكر فى الأجيال المقبلة .

ويغلب على الظن انهما تأثرا الغــزالى واتخــذا من (احيائه) أساسا لآرائهما الصوفية وتأثروا من قبــله بالقشيرى وابى طالب المكى ، ولم يقف (أثر الأحياء) عند رجال القرن السادس بل تعداهم الى من جاءوا بعــدهم وما زال يغالب شعب الصـــوفية الشــاذة حتى غلبها فى نهــاية القرن السابع ، واصـــبحت له السيادة التامة لاستمداد أصوله وأحكامه من محيط الشــريعة المطهرة .

ويمكننا ان نقول أن الصوفية المتأخرين فى ذلك العصر وليس فى عصرنا نحن يتفقون جميعا مع الغزالى فى ان التصوف قبل كل شىء دراسة لسلوك السيرة الفاضلة ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله .

واذن فلا حاجة به الى نظريات أجنبية تخرجه عن التصوف الاسلامى الصريح كالباطنية أو الافلاطونية أو الهندوكية أو المسيحية أو اليهودية أو غير ذلك ولا بد لطالب التصوف المسلم من دراســة الفقــه والحــديث والتفسير

على أن بعض المتصوفة الذين اشتطوا تغالوا أيضــا وأنكروا على الفقهاء أبحاثهم وكانت بينهم خصــومات معروفة ، واتجهت عنايتهم الى حلقات الذكر يديرونها مع اهمال العلم وتعــــددت طوائفهم فرأينــا بينها : الشاذلية والنقشبندية والرفاعية ، واتخذت كل واحدة لها شعارا يميزها عن الطوائف الاخرى ، وبالغـوا فى الأحاديث عن كراماتهم الذائعة وما تم على أيديهم من خوارق العادات الشائعة مما حبب الخاصة فيهم ، وما دفع العامة الى الالتفاف حولهم ، وليس هذا بمانع أن يوجد فيهم من هم على الأصل الأصيل نفسه لوجود الخير فى هذه الأمة الى يوم القيامة .

وعلى الجملة : فقد عاد التصـــوف فى هذا الدور الأخير فى صورة غير الصورة التى بدأ بها بسبب المبالغة والاعتداد بالمظاهر والشكليات وان كانت كلها فى الأصل عملا عن علم وعلما موصولا بحال يفضى الى شهود ، وهكذا كان أمثال الرفاعى والشاذلى والنقشبندى الــذى هو فرع من الشاذلية ، والله أعلم بالمحـــق والمبطل وهو الهادى الى سواء السبيل .

إلى البيت العتيق

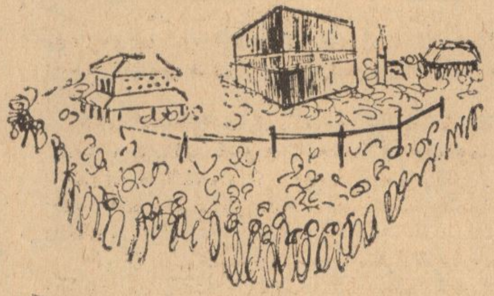

فضيلة الشيخ
محمد محمد أبو شهبة

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان ءآمنا ، ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » آل عمران ٩٦ ، ٩٧

بيت لا كالبيوت ، وبنية لا كالبنيات ، وحرم لا كأى حرم ، شريف فى نسبته ، عتيق فى وضعه ، كريم بكرم بنائه ... هى الكعبة البيت الحرام ، بيت الله فى الأرض ، ورمز عظمته ، وموئل كل مستجير وعائذ ، يجد فيه القادم اليه أمنا وايمانا ، وبردا وسلاما ، أول بيت وضع مشرفا فى الأرض بشهادة القرآن ، وسنة خاتم الأنبياء روى البخارى ومسلم - رضى الله عنهما - بسندهما فى صحيحيهما عن أبى ذر - رضى الله تعالى عنه - قال : قلت يارسول الله : أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت : كم بينهما قال : « أربعون سنة ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد »

ولما أراد الله سبحانه وتعالى لبيته أن يقام وأن تشرف به الأرض أمر صفيه وخليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يرفع القواعد ، ويقيم البناء ، وعهد اليه والى ابنه الذبيح اسماعيل أن يطهراه من الرجس والوثنية ، ليكون مطافا للطائفين ، ومتعبدا للعاكفين ، ومصلى للراكعين الساجدين ، فامتثل الخليل لأمر الجليل ، وشرع فى البناء يعاونه اسماعيل ، يحدوهما الاخلاص لله ، ويرجوان منه المثوبة والقبول ، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة موحدة ، وأن يرسل فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكى النفوس من مساوئها ، ويطهر القلوب من أحقادها وزيفها وباطلها

وانحرافاتها ، فاستجاب الله له الدعاء ، وحقق الرجاء ، فكانت الأمة المسلمة الموحدة هي الأمة المحمدية خير أمة أخرجت للناس ، وكان رسولها هو حامل اللواء وخاتم الأنبياء وصاحب الدين العام الخالد سيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه قال - عز شأنه - « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم** » سورة البقرة ١٢٧ - ١٢٩

وما أن فرغ الخليل من بناء الكعبة البيت الحرام بمعاونة ابنه اسماعيل حتى أمره الله سبحانه أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال الخليل : وما يبلغ صوتي ياربي ؟ فقال الله سبحانه : « **أذن يا ابرهيم وعلى البلاغ** » فصعد على جبل أبي قبيس - جبل بمكة - وقال : « **يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا** » فبلغ صوته لأهل الأرض ، ومن يوم أن أذن الخليل ، وحملت أصداء صوته أمواج الأثير الى أهل الأرض ، والناس يقصدون هذا البيت حاجين ومعتمرين ، ليحظوا بالمنافع الدينية والدنيوية ، ويقضوا حاجات النفس المؤمنة ، والروح المشوقة

ان في هذا البيت لآيات بينات ، ودلائل واضحات على عظمة الله وقدرته ، منها مقام ابرهيم عليه الصلاة والسلام ، والمقام هو الحجر الذي كان يقف عليه ابراهيم وهو يبني حين ارتفع عن قامته البناء ، فأثرت قدماه فيه ، وبقى على هذا آلاف السنين ، وفي الانة الحجر للخليل ، وغوص قدميه فيه الى الكعبين ، وبقاء هذا الأثر الى يومنا هذا عبرة وعظة لمن يعتبر ويتذكر ، وهذا الحجر هو الذي أمر الله الطائفين بعد الفراغ من طوافهم حول الكعبة أن يصلوا عنده ركعتين لله سبحانه وهي احدى الموافقات التي وافق فيها عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - ربه ، روى البخاري في صحيحه عنه أنه قال : « وافقت ربي في ثلاث : قلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ، فانزل الله « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب ، وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ، فدخلت عليهن فقلت : ان انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا منكن حتى أتيت احدى نسائه ، قالت : يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ؟ فأنزل الله « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » التحريم وقد كانت آثار قدمي ابراهيم في الحجر باقية الى عهد الرسول حتى قال أبو طالب

وموطيء ابراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل

وفي موطأ ابن وهب عن أنس قال : « **رأيت المقام فيه أصابع ابراهيم وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم** » وقال ابن جرير الطبري في تفسيره : **ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيها فمازالوا يمسحونه حتى اخلولق وانمحى** ، وكان المقام ملصقا بالبيت من عهد ابرهيم واستمر هكذا حتى كان عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصديق رضي الله عنه فلما جاء الفاروق عمر أخره الى المكان الذي هو فيه الآن ، وكان سيدنا عمر رأى أن ابقاءه في مكانه ملتصقا بالبيت فيه تضييق على الطائفين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج وتهيأ له ذلك لأنه الذي كان أشار باتخاذه مصلى وأول من عمل عليه المقصورة الآن ، ولا يزال هذا المقام موجودا الى يومنا هذا محاطا بسياج من الحديد قبالة باب الكعبة يصلي عنده الطائفون ركعتين ومن مزايا هذا البيت وما يحيط به من حرم أن من دخله كان آمنا فلا يتعرض له أحد بسوء تعظيما للبيت ، وقد كان الأعرابي في الجاهلية يجد قاتل أبيه أو اخيه في الحرم فلا يهيجه ، وقد جاء الاسلام فأكثر حرمته وأعلى من شأنه روى

من عمر رضى الله عنه أنه قال : « لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما هجته » وروى عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى : « **ومن دخله كان آمنا** » ، قال : من عاذ بالبيت أعاذه البيت، ولكن لايؤوى ولا يطعم ولا يسقى فاذا خرج أخذ بذنبه ، وقد جعل الشارع الحكيم كل ما فى الحرم آمنا حتى الطير والحيوان بل الجماد وذلك حتى يكون كل من فيه وما فيه آمنا ، وهذه خصوصية للبيت وماجاوره من يوم أن خلق الله السموات والأرض الى يوم القيامة روى الشيخان فى صحيحيهما - واللفظ لمسلم - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .. » وقال يوم فتح مكة « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة، وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى الا فى ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ، ولا يختلى خلاها - حشيشها - فقال العباس : يا رسول الله الا الاذخر - نوع من النبت - فانه لقينهم - الحداد - ولبيوتهم فقال : « الا الاذخر »

ان بيتا هذا بعض شأنه ، كرمه الله غاية التكريم ، وخصه بهذه الخصائص لجدير أن تشد اليه الرحال وأن تتحمل فى سبيله المشاق ، وأن تبذل الأموال طيبة بها النفوس ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس »

ان المسجد الحرام من المساجد التى تتضاعف فيها الحسنات ، وتمحى فيها السيئات ، وتسكب العبرات ، وتستجاب الدعوات روى فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » وفى مسند أحمد زيادة حسنة باسناد حسن « فان ذلك أفضل » فالمسجد الحرام عند جمهور العلماء أفضل المساجد يليه المسجد النبوى ، يليه المسجد الأقصى .

ان الخليل ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما بنى الكعبة البيت الحرام قال كما حكاه الله عنه بقوله « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ابراهيم الآية ٣٧

وقد استجاب الله الدعاء ، فمن منذ آلاف السنين والقلوب تهفو الى هذه البقاع المقدسة ، ولا تزال الآلاف المؤلفة تهوى الى هذا البيت لتفيىء الى ظلاله ، وتقتبس من أنواره ، وتغترف من بحاره ، وتنفق من مال الله الذى جعلهم مستخلفين فيه على الفقراء والمساكين من سكانه المجاورين له .

أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها : ان الحج مؤتمركم الاسلامى الأكبر يجمعكم من كل صقع ، ومن كل قطر ، تتذاكرون فيه المصالح المشتركة ، وتتعاونون فيه على البر والتقوى ، وتتشاركون فيه السراء والضراء ، وتعملون فيه على توثيق العلاقات وتأكيد الصلات ، وتحقيق الوحدة والاخاء الاسلامى حسبما صدع الوحى به فى قوله سبحانه : « انما المؤمنون اخوة » وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواهما البخارى ومسلم

ان مما لا يقضى منه العجب أن بعض المسلمين يحرصون على الاصطياف والرحلة الى البلاد الغربية والشرقية وينفقون فى هذا السبيل الآلاف بينما يفرطون فى هذه الرحلة المباركة حيث المغانى المقدسة : الكعبة البيت الحرام ، والركن والمقام ، وزمزم والحطيم ، والصفا والمروة ، وعرفات والمزدلفة ، ومنى والجمرات فهلموا ايها المسلمون المشتاقون الى البيت العتيق .

شاعر البراري وشعره

موقفه من الإقطاع

للأستاذ محمد عبد العزيز عطية

عاش شاعرنا بين أحضان الطبيعة فى الريف ، بحسه المرهف ، وشاعريته المتفتحة ، وأمله الكبير فى مستقبل هذا البلد العزيز ، ومن حوله أصفاد الاقطاع وسياطه ، وسطوته وسلطانه ، وبطش الظالمين ، وضعف المظلومين .

عاش وفى أعماقه ثورة ، تتبدى حينا من الزمن ملامحها ثم تتوارى حينا ، كان يشغله فيه تأمين عيشه ، واستقرار حاله وكفالة اسرته الريفية الفقيرة ، بعد أن حصل جانبا من التعليم نال فى أعقابه عام ١٩٢٢ شهادة (الكفاءة للتعليم الأولى) وهو ابن اثنين وعشرين عاما ، ثم عين مدرسا ببلدته كفر الجرايدة فى نفس العام ، وكانت كفر الجرايدة فى ذلك الوقت هى موقع الاقطاع فى هذه البقعة من بلادنا وكانت تحكمها بل تملكها اسر قليلة متداخلة تجمعها أواصر القربى ووشائج النسب ، أما الآخرون فكانوا وكأنهم عبيد الأرض ومتاع السادة .

ولا نحسب أن شاعرنا قد رضى لنفسه او لمن معه ان يستكينوا للعبودية ، او يقبلوا أن يكونوا متاعا لهؤلاء الطغاة الجبارين ، بل لم يكن هذا فحسب وانما كانت هناك دعوة ، وكان هناك تنديد ، وكانت هناك ثورة يدلنا عليها ـ مما ينبىء عن المتاعب التى صادفها الشاعر بسببها ـ ماجاء فى ديوانه الاول (ديوان شاعر البرارى) المطبوع سنة ١٩٢٨ اذ يقول فى مقدمته (ثم بدأ الدهر يشتتنى فى كل واد حيث نقلت الى المصرة

ثم اعدت الى كفر الجرايدة ثم نقلت الى منشية عباس ، وما زلت فيها حتى اكتسحني تيار التعليم الالزامي في ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الى محلة القصب ثم نقلت الى الشهيدي في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ثم نقلت الى البنا في ٢٥ مارس سنة ١٩٢٧) .

كما يدلنا عليها ما كان يحاوله الاقطاعيون معه مما اشار اليه في هذا الديوان ، ولكن يبدو أن الشاعر فطن الى أن ثورته ومعركته في هذا الوقت لم تكونا لتحققا ما يصبوا اليه فهادن بعض الاقطاعيين بل ومدحهم ووضع خلال مديحه هذا ما شاء من توجيه ، ونقد ما شاء أن ينقد آمنا الغضب ، منبها الوعي ، محققا القصد ، صابرا الى حين ، ولكن هذا لا يستمر طويلا فقد صدر الجزء الثاني من ديوانه هذا في العام التالي ، وفيه المدح وفيه القدح ، فيه المهادنة وفيه المهاجمة ، ولكنه في مدحه ، وفي مهادنته كان يحس بذاته احساسا كاملا ، وكان يمدح ويهادن رافعا رأسا مانا بما يقول معلنا في وضوح انه لا يمدح استجداء ولا ينثني تطوعا ، واذا قارنا بين شعره هذا وبين ما كان ينثر من شعر المدائح تحت أقدام هؤلاء ، واذا نحن الى هذا قدرنا موقف الشاعر في هذا الوقت وظروفه في بلد كانت الكلمة العليا فيه لهؤلاء ، لقدرنا انه في هذه المدائح كانت أرضه التي يقف عليها أصلب من أرض يقف عليها سواه ، وأن أهدافه من هذا المديح كانت من أفق يعلو على أفق المادحين غيره .

ولعل القارىء لبعض شعره في المديح في ذلك الوقت يرى فيه غير الذي أرى ـ وله عذره ـ بل ولعل البعض يراه قد اغرق في المديح الى مدى لم يكن مطلوبا منه في بعض هذا الشعر ـ وله أيضا عذره ـ ولكن شيئا كان يحدث في هذا الوقت لعل بعضنا سمع به ولم يره وهو أن الاقطاعي لم يكن يقف في طريق ارادته شيء ، وأن الذي كان يقاومه كان يسام وأهله الخسف والهون ، وكان يذبح وأهله بلا رقيب ولا حساب ، وشاعرنا كان يعيش بين أنياب الاقطاع ولعله كان يخشى على اهله وذويه بطش الجبارين فقال ما قال .

وفي ذلك ما يدلنا على أن القسوة كانت عاتية عليه في فترة حربه السابقة ، ويبدو انه ايضا كان يحاول أن يكسب الثقة عند من حاربهم ليضرب ضربته ـ حين يضربها بعد ـ وهم على غير فطنة .

ولقد قلت آنفا أنه كان يمدح وكان يضع خلال مديحه ما شاء من توجيه ومن نقد فهو يقول سائلا عن الشعب الفرنسي .

حدث عن الشعب الذى
كسب الحياة كما اراد
شعب السيادة والعلا
شعب النهوض والاجتهاد
شعب حداه للتقد
م من قديم الدهر حاد

ولا يقف عند هذا الحد بل يتابع متسائلا ومعرضا بالحياة السياسية عندنا في ذلك الوقت .

ما البرلمان وما النظام
وما الجهاد وما الجلاد
هل الانتخاب هناك مثل
بلاد مصر بالانقياد
ام في الرعية حكمة
تهديهمو نهج الرشاد
هل الانتخاب هناك للرجل الغنى ولو جماد
وهل الحكومة في صفوف الشعب أم فيها انفراد
وهل الامور على تسرا
ض أم على بسط انتقاد

ويبدو أن بعض من سمع المديح من الشاعر فهمه على غير ما قصد الشاعر وهدف فكتب الشاعر بعد أن ازعجه هذا الاتهام محملا نفسه الذنب والتبعة ، كاشفا عن وجهه الحقيقي الصلب .

ما الذنب للقوم الذين مدحتهم
الذنب للاشعار ثم الذنب لي
ارسلتها فيهم عقود مدائح
فانحط بالارسال قدر المرسل
ساءت كما ساءوا ولا عجب اذا
فالعقد يقبح فوق جيد المبتلى
فصلت أثواب الثناء عليهمو
جهلا وقلت ايا قوافي طولي
فتلوثت منهم ومالي حيلة
في ذاك الا غسلها فلاغسل

وهكذا يعتذر الشاعر عن مدحه بجهله حقيقتهم فلنقبل عذره اذا شئنا أن نكون كراما معه ، والا فهو يعرف الطريق الذى لا طريق غيره وهى أن يغسل ما تلوث ويبدا بدا جديدا لا جهل معه ولكنه مع ذلك لا ينسى ان يرد على ما اشاعه من سمع المديح فيقول :

دونت مدحهمو فقيل سفيتني
هذا الفتى (بالمبلغ المتحصل)
جهلوا الحقيقة فالحقيقة ان
اجر طباعة الديوان لم يتحصل

ولا تكاد تنتهى هذه السنة التى خرج فيها ديوانه هذا وهى سنة ٢٩ حتى يترك المديح والمهادنة الى الأبد ويخوض معركته مع الاقطاعيين في كل مناسبة ، حتى بدا هدير الشعب العاصف يحيط بهم من كل جانب ، يحطم أنيابهم وأظفارهم ، ويقضى على سطوتهم ، ويكشف عن فجر العدالة كل الأستار .

لا نكاد نجد لشاعرنا بعد هذا الديوان غير الوقفة الصلبة الصريحة ، وغير الهجوم الذى لا هوادة فيه ، ولعله بذلك كفر عن مهادنته من قبل .

وهذا هو كتابه (نجوم ورجوم) الذى طبع سنة ١٩٣٦ والذى يصحب فيه الشاعر شيطانه في جولة طويلة في ريف البرارى لا يترك فرصة تمر دون أن يلقى سهما يبين أضلاع الإقطاع مسموما ، في صراحة ووضوح

كاشفا عن جريمة الاقطاع فى الريف وجنايته على ساكنيه .

يقول على لسان قصر يناجى صاحبه :

اعليتنى شرفا لم تعلنى شرفا
هدمت نفسك لما قمت تبنينى
على المظالم قد شيدتنى وغدا
افنيك وزرا وصرف الدهر يفنينى

ويقول فى مكان آخر :

ولو لم ياتنا بالبعث نص
لكان دليله هذى المظالم
معاذ الله أن نمضى هباء
وبين الناس مظلوم وظالم

ويقول فى بخلاء الريف :

يقولون ان الجود فى الريف فطرة
فقلت ولكن ليس فى كل آله
فكم (فى البرارى) موسرخدش عرضه
يهون عليه بعد عن خدش ماله

ثم يقول فى هؤلاء الذين لا هم لهم الا التفاخر بالاحساب والانساب وما يملكون :

تفاخر باصول لا اصول لها
حينا وحينا فخار بالفدادين
اصل وفصل ، ألا ليست اصولهمو
من خالص المسك بل من حماة الطين
ما الجاه ما لم تشيد منه مكرمة
ما المال ما لم يبت فى صف مسكين
استشهدالارض ذاتالعرض هل نفعت
اموال قارون فى تخليد قارون
واستشهد الارض ذات العرضعن ارم
هل كان بطش الليالى غير مامون
يا رب قصر على التقصير مرتفع
امس واصبح ورثا للشياطين
كيف الفخار وهم لم يعملوا عملا
يشع فى جبهة الدنيا أو الدين
هم الجميع سواء لا امتياز لهم
ما لم يخفوا سراعا للميادين
لولا الرياحين منها النفح منتشر
لاصبح العشب من ضمن الرياحين

ويدعوه واحد من الاقطاعيين الكبار الى شرب القهوة فيقول :

والله لو وضعوا السلاسل فى يدى
ماذقتها فى بيته يا صاح
قدح من السم الزعاف أسيغه
عن قهوة هى من دم الفلاح

ويقول متابعا حربه على هؤلاء :

لهم مال ، لهم جاه عريض
لهم صيت يطاول طورسينا
ولكن قرشهم عنقاء جو
محال أن يرى للعالمينا
فما خدموا لوجه الدهر دنيا
ولا خدموا لوجه الله دينا
ولو كانوا كراما فى علاهم
لما حرموا كراما كاتبينا
وجاهتهم - كجاههم - هباء
وان كانت تسر الناظرينا
اذا زاروا فما زاروا لحق
وان زانوا فما زانوا العرينا
ومن يافل له فى الفضل نجم
فانى لا أحب الافلينا

وفى نهاية هذا الديوان أعلن الشاعر ان له تحت الطبع «عقلاء الريف» .

ولكن هذا الكتاب أو الديوان لم يظهر ولا شك أن ما مر بنا فى ديوانه هذا ينبىء عن اتجاهه ويدلنا على ما يمكن أن يقال فيه ولقد سألت الشاعر - يرحمهالله - عن مؤلفه هذا فسكت ولم يجب بشىء ، واذا عرفنا ايضا أن (نجوم ورجوم) قد صدر فى عام ١٩٣٦ وعرفنا الى ذلك أن والد الشاعر قد ادخل السجن عام ١٩٣٣ ليقضى فيه خمسة عشر عاما بتهمة دبرها له الاقطاع ، وعرفنا أن الاقطاع فى هذه الفترة كانت له سطوته وسلطانه امكننا أن نرى بعض احتمالات لعل أوجهها أن الكتاب لم يتم طبعه وصودرت أصوله واكره الشاعر على السكوت عنه .. ولعله وقد رأى والده يلقى به فى السجن بريئا مخلفا له تبعات ثقال .. آثر الصمت .. حتى يقوم بالحمل ويواصل أداء الرسالة .

وفى عام ١٩٣٩ صدر ديوانه « وحى البرارى » وفى صدره قصيدة بعنوان (شعرى) جاء فى مطلعها .

يسيل على القبور وما حوته
ويأبى ان يسيل على القصور
تحدثت القصور فلم تؤثر
وبات مؤثرا صمت القبور
وكيف تهز وجدانى قصور
مشيدة على محض القصور

ويختم قصيده قائلا :

حلا شعرى ، واحلى منه أنى
اضن به على قطع الصخور

ولا يخفض صوته فى القصيدة التالية ولكنه يجهر بالحق ويصور هؤلاء الذين يعيشون فى بيئته فى قوله :

بائس يشرب الدموع ومثر
يشرب الكأس من دم الفلاح

وقصور مقصرات ، ودور
در فيها الربا بشكل اباحى

وصخور منصوبة لم تحرك
بهجاء يوما ولا بامتداح

ويعود الى المعنى الذى تحدث عنه فى قصيدة (شعرى) فيقول :

اتجه انت للقصور ودعنى
امعن الفكر فى القبور ليحيا

ليس وحيى من القصور ولكن
أتلقى من القبور الوحيا

الخائف التائب

أبو لبابة الأنصاري

فضيلة الشيخ أحمد البسيوني

فترات ضعف في حياة الانسان ، يغفو فيها الضمير ، وتنهزم فيها النفس أمام دوافع الهوى ونوازع الشهوة ، فيقارف المرء ذنبا ، أو يغشى زورا .. فاذا توارت فترة الضعف، عاد الى النفس ايمانها ، والى الضمير يقظته ، والى البصيرة شعاعها الهادى ، الذى ترى به الحق حقا ، والباطل باطلا ، وشعور الناس بثقل الذنب وخطره ، يختلف باختلاف طبيعة النفس ، وقوة الايمان أو ضعفه .

فمن الناس من يرتكب الكبائر الجسام ، ويخوض في المنكرات الفاضحة ، ثم يرى أن كل ذلك هين يسير .

ومن الناس من يلم بصغيرة ، ولكن ضميره المؤمن يضخمها له ويكبرها في نظره حتى تملأ أقطار نفسه هما وغما ، فيظل يئن تحت وطأتها ، وتفضي به الى بؤس نفسي يكدر صفو حياته حتى يجعل الله له بالتوبة فرجا ومخرجا .

وصدق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول : « ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، فهو يقول بيده هكذا وهكذا .. » .

وان التاريخ الاسلامي قد سجل لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مواقف رائعة على طريق الجهاد الأكبر .. جهاد النفس ، فكان أحدهم اذا زل زلة ، أيقن أنه تردى ولن ينهض ، وداهمه شعور كئيب بأنه قد ضل ضلالا بعيدا ، لا سبيل معه الى أن يعود الى ساحة الله وسابق طاعته ، وهنا تقبل رحمة الله على هؤلاء الخائفين ، تفتح ذراعيها لتتلقاهم في حنان غامر ، وصفح جميل ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يربى أصحابه تربية تصلهم بالله عن طريق الحب والاعزاز لفضله ونعمه فيصب في نفوسهم من الأمل والرجاء مايجعلهم لا ييأسون من رحمته ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

ومن الأمثلة الخالدة للذين خافوا مقام ربهم ، وأيقنوا أنه يعلم ما في نفوسهم فكانوا منه على حذر وخوف ، الصحابي الجليل ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي أحد النقباء - رضي الله عنه - . وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فرغ من غزوة الأحزاب « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال » أخذ يفكر في موقفه من اليهود ، لقد أذهب الله عنه أعداءه الذين هددوه بالمدينة ، وتحزبوا في جيش عدته عشرة آلاف مقاتل للقضاء عليه وعلى دعوته ، لكن اليهود في بني قريظة نقضوا العهد ، وتحالفوا مع الأحزاب ضد المسلمين، ولولا ارتحال الأحزاب تحت وطأة الرعد القاصف والريح العاصف ، لنزل اليهود الى المدينة ، ولطعنوا المسلمين من الخلف .. وعاونوا المشركين على استئصالهم والفتك بهم ، لا بد اذن من القضاء على بني قريظة بما

فعلت .. وسار اليهم المسلمون يتقدمهم على - كرم الله وجهه - استجابة لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى أمر مؤذنا يؤذن فى الناس ، من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة . وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة ، واشتد الحصار على بنى قريظة حتى جهدوا ، وأيقنوا أن حصونهم ليست مانعتهم من الله ، وأنهم لا بد أن يقعوا فى قبضة المسلمين وان طال أمد الحصار . **فبعثوا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أرسل الينا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا ، وقد خصوا أبا لبابة بهذا الأمر الخطير ، لأن ماله وولده وعياله فيهم ، ولأنه من الأوس حلفاء بنى قريظة ،** فلما رأوه قادما عليهم ، قام اليه الرجال ، وأسرع اليه النساء والأطفال ، وقد أجهشوا بالبكاء حتى رق لهم ، لما رآهم عليه من المذلة والحزن ، فقالوا : يا أبا لبابة : أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم وأشار بيده الى حلقه يريد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سيذبحهم ان نزلوا على حكمه ! اشارة عابرة من أبى لبابة أيقن حين صدرت منه أنه بها قد خان الله ورسوله ، وأن هذه الحركة السريعة حين مرت بها يده على حلقه تنطوى على تحريض لليهود يدفعهم الى التمرد على أمر السماء فلا ينزلون على حكم الله ورسوله . يقول أبو لبابة :

« والله ما زالت قدماى من مكانهما حتى علمت أنى خنت الله ورسوله » ..

ثم يمضى أبو لبابة فى التعبير عن خلجات نفسه وما يجيش فى صدره فى هذه اللحظة الرهيبة التى زلت فيها قدمه وأحاطت به خطيئته فيقول :

« ثم ندمت واسترجعت ، ولقد نزلت وان لحيتى لمبتلة من الدموع ، والناس ينتظرون رجوعى اليهم ، لكنى ما رجعت بل أخذت من وراء الحصن طريقا آخر حتى جئت المسجد ، وهكذا لم يرجع أبو لبابة الى رسول الله بل ذهب من فوره الى المسجد ، وشد نفسه الى عمود من عمده وقال :

« لا أبرح مكانى هذا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت .. أعاهد الله ألا تطأ قدماى أرض بنى قريظة أبدا ولا أرى فى بلد خنت فيه الله ورسوله » ! يا لها من نفوس نظيفة الوجدان ، مرهفة الحس ، دقيقة الشعور ، تأبى الا أن تكون دائما فى الذروة من طاعة الله ، فان تزحزحت عنها قيد أنملة رأت كأن توازنها قد اختل فهى تهوى الى السفح ، وأنى لها أن تعود ثانية الى القمة ؟ ان هذا لأمر صعب المرتقى !

هيهات أن يعود الثوب الأبيض الى بياضه الناصع وقد نكتت به نكتة سوداء ! وهيهات أن تعود الزجاجة ملتئمة مستقيمة بعد أن مزقها الكسر !

بهذا كان أبو لبابة يحدث نفسه ، وظل هذا الخاطر الكئيب يلح عليه ، فمكث مشدودا برباطه الى العمود لا يفارقه الا لصلاة يؤديها أو لضرورة ينحيها عن نفسه ، ثم يعود الى ماكان عليه وكانت تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله ليصلى ثم تعود فتربطه بالجذع الذى ظل مرتبطا به ست ليال ، فلما بلغ خبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **« أما انه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » .**

يا لعظمة هذا الدين الذى أكرمنا الله به حيث قال : **« ورضيت لكم الاسلام دينا » .** ان رسول الله وهو خير خلق الله ، وأكرم الناس على الله ، لا يملك أن يغفر لمذنب ذنبا فالله وحده هو الذى يقبل التوبة عن عباده ، وهو وحده الغفور الرحيم **« ومن يغفر الذنوب الا الله »** ؟

وبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بيت أم سلمة ، اذ انفرجت أبواب السماء عن رحمة الله الواسعة ، تفيض نفحاتها العارمة على قلوب الخائفين ، فتطرد عنها كل فزع ، وتملؤها رجاء وأمنا وسكينة ، لقد أنزل الله على رسوله توبته على أبى لبابة فهش الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهذا

الوحى الكريم ، وأشرق وجهه بالبشر وهو يتلقى عن الأمين جبريل قول الله الرحيم : « **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم** » • ومع تباشير الصباح تنظر أم سلمة الى وجه الرسول – صلى الله عليه وسلم – فتراه وقد استنار كأنه مذهبة، وسمعته يضحك من السحر فرحا بتوبة أبى لبابة لأنه بالمؤمنين رءوف رحيم • فتقول : يا رسول الله ، مم تضحك ؟ أضحك الله سنك • فيقول الرسول فرحا : « **تيب على أبى لبابة** » قالت : قلت أفلا أبشره يا رسول الله •• تريد أم المؤمنين أن تزف البشرى الى هذا السجين الحزين ، وأن تبادر فتدخل السرور على قلبه الجريح ، فيكون لها بهذا السبق أعظم الأجر عند الله ، فما من عمل – بعد الفرائض – أعظم ثوابا ، وأثقل فى ميزان المرء ، من أن يكشف عن أخيه غمة أو يزيح عنه كربة ، أو يسدى اليه بشرى ، يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « أحب الأعمال الى الله – عز وجل – سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربه ، أو **تطرد عنه جزعا ، أو تقضى عنه دينا** » **ويقول عليه الصلاة والسلام : « ان أحب الأعمال الى الله تعالى بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم** » •

ولما عرضت عليه أم سلمة رغبتها فى أن تسبق الى هذا الفضل قال لها الرسول الكريم : « **بلى ان شئت** » فقامت على باب حجرتها فقالت : **يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك** • فما أن سمع ذلك أبو لبابة حتى تغشاه الفرح ، وغمرته البهجة، وسرت فى جوانب المسجد هزة الرضى ، ونهض الناس ليطلقوا أبا لبابة ، فقال لهم : لا والله حتى يكون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو الذى يطلقنى بيده، وذلك تعظيما لقدر الرسول ، ورجاء لبركته حتى لا يعود لمثلها • فلما مر الرسول عليه خارجا لصلاة الصبح أطلقه •

هدأت نفس أبى لبابة بعد أن زلزلت هذا الزلزال الشديد ، فأراد أن يعبر عن بالغ شكره لله الذى قبل توبته ، فعزم على أن ينخلع من ماله كله حمدا لله وشكرا ، كما عزم على أن ينسلخ من وطنه الذى عصى الله على أرضه ، تخلصا من جواذب البيئة السيئة حتى لا تشده الى أسفل بعد أن سمت به توبته • فقال : يا رسول الله •• **ان من توبتى أن اهجر دار قومى التى أصبت** فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلم يقبل الرسول أن يتجرد من ماله كله شفقة عليه ، ورحمة بولده ، وتشريعا عادلا فقال له : « **بل يجزيك يا أبا لبابة الثلث** » •

وبعد ••

ففى طيات هذه الحادثة عظات وتوجيهات، وانها لتلقى الضوء ، وتحدد المعالم على طريق المجاهدين العاملين لخير دينهم وأمتهم ، تلك اشارة خفيفة من أبى لبابة ، كان لها هذا الدوى الهائل فى جنبات الأرض ، وأرجاء السموات ، وكان لها هذا الأثر البالغ فى نفس هذا الرجل الذى ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، حين أيقن أنه أتى بهذه الاشارة أمرا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا •

ان الرجل لم يمنح اليهود قوة، ولم يمدهم بسلاح ، ولم يرم المسلمين بضعف •• انه لم يكشف للعدو خطة حربية ، ولم يدلهم على عورة ، ولم يفتح لهم ثغرة ينفذون من خلالها الى صفوف المسلمين • ولكنه واسى قوما نقضوا عهودهم • وراعى حلفا جاهليا لمن خانوا حلفهم مع نبى الاسلام !

فكيف اذا بمن يبيع دينه ووطنه لأعداء الاسلام والوطن ؟ يتعاون معهم • فيمد اليهم فى الخفاء يدا مصافحة موالية ، ويمد اليد الأخرى فى الظلام يطعن بها أمته ، فيخون ويغدر ويخرب ، ويسفك الدماء ، ويثير الفوضى ، ويبعث الرعب ، « واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد • واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » •

حديث مع سفير ماليزيا فى القاهرة

■ موقف ماليزيا من القضايا العربية

■ الاسلام والمسلمون فى ماليزيا

عندما انعقد مؤتمر القمة العربى الأول فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤ ـ بعث السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا برسالة الى الأمين العام للجامعة العربية تحدد موقف ماليزيا من القضايا العربية .. جاء فيه ..

« كونوا على يقين من أن ماليزيا تؤيد تأييدا حازما قضية الوحدة العربية وحقوق الدول العربية المشروعة فى فلسطين ومن أن ماليزيا لن تأتى بعمل يضر بهذه القضية » .

وفى هذه الأيام .. وقضايا التحرر العربى والوحدة العربية تحتل الصدارة فى اجتماعات القيادة السياسية الموحدة بين بغداد والقاهرة فى فبراير الماضى واجتماعات رؤساء الحكومات العربية فى مارس الحالى .. عدت بذاكرتى الى رسالة تنكو عبد الرحمن ـ رئيس الوزراء ـ وتوجهت الى سفير ماليزيا بالقاهرة وسألته عن موقف ماليزيا من القضايا العربية وتطور العلاقات بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .. وقال لى :

ـ طالما تطلعت ماليزيا الى الجمهورية العربية المتحدة للاسترشاد والاستلهام لاعتقادها أن الجمهورية العربية المتحدة فى طليعة الشعوب الأفريقية الاسيوية وتفخر ماليزيا بعلاقاتها الوثيقة بها ، هذا كما أن القطرين مرتبطان بروابط اسلامية قديمة ..

وأبرز ما حدث من تطور العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وماليزيا هو الاتفاق التجارى الذى وقع عام ١٩٦٣ ، والاتفاق الثقافى الذى تم فى عام ١٩٦٥ .

وزيادة على ذلك فقد دأبت الجمهورية العربية المتحدة منذ سنين مضت على أن ترسل الينا أساتذة ومحاضرين فى الدين الاسلامى الى معاهدنا العليا .

كما أنها سهلت وأتاحت الفرص لطلابنا فى تلقى الدراسات العالية فى معاهدها ، لا فى الدين الاسلامى فحسب بل أيضا فى الطب والهندسة والفنون الحربية حتى بلغ عدد طلاب ماليزيا بالجمهورية العربية المتحدة حتى الآن ٣٥٠ طالبا .

ومن الامور الهامة أيضا اقامة معرض الكتب الاسلامية الذى كان أثناء المسابقة السنوية الوطنية لقراءة القرآن الكريم ، والاحتفال بعيد الفيلم المصرى .

ونظرا لأننا تربطنا روابط تفوق السياسة تفوق الجنس وتفوق التقاليد . وبناء على هذا فنحن ندأب على تقوية علاقاتنا بالشعوب الاسلامية الأخرى .

وننكر على اسرائيل اغتصاب حقوق عرب فلسطين ، وقد أيدنا الكفاح العربى لاسترداد هذا الاقليم وآراؤنا فى هذا من النصاعة والبيان بمكان..

الاسلام والمسلمون فى ماليزيا :

وكان سؤالى الثانى للسفير عن الاسلام والمسلون فى ماليزيا ... فقال لى :

ـ ان أهالى ماليزيا الوطنيين الأصليين مسلمون ١٠٠ ٪ ويمثلون أكثر قليلا من نصف تعداد السكان . ويعتبر الاسلام هو الدين الرسمى للدولة لكن حرية الأديان الأخرى مكفولة فى ماليزيا . ومن المعروف أن ثقافة الملايو الحالية وان كانت قد تطورت عن ثقافتها فى الماضى الا أنها لم تخل من المؤثرات الهندية من الهند والاسلامية من العالم العربى ، فهى لا تزال تتمسك فى ثقافتها بالاسلام روحيا وعمليا ، ومتأثرة فنيا وأدبيا بالمؤثرات الهندية كما يبدو للعيان فى أعيادها وعاداتها .

وتحتفل ماليزيا بالأعياد الاسلامية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوى . وتعتبر هذه المناسبات أعيادا وطنية .. وفى نفس الوقت يحتفل فى ماليزيا بعيد رأس السنة الصينية والكريسماس ويعتبر هذا انعكاسا للتسامح الدينى الذى أشرت اليه سابقا .

وتقوم حكومة ماليزيا سنويا باقامة مسابقة فى قراءة القرآن الكريم على مستوى وطنى ودولى وذلك منذ عام ١٩٦٠ ـ وكانت هذه المسابقات سببا فى تنمية وتقوية الروابط بين الدول الاسلامية ، وقد حضر المتسابقون هذا العام من بيرونى ، وسيلان ، وكمبوديا ، والهند ، والفيلبين ، وسنغافورة ، وتايلند .

وتتقدم حكومتنا وشعبنا بجزيل شكرهم الى الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية لتكرمهما بارسال كبار قارئى القرآن الكريم الى ماليزيا سواء كانوا قضاة أو من أجل تلاوة القرآن فى المناسبات الدينية .

وفى ماليزيا توجد هيئة تبشيرية اسلامية ذات نشاط ملموس ، ومن جهود هذه المنظمة تعريف غير المسلمين فى ماليزيا بالدين الاسلامى ، وهى تعد لبناء مركز اسلامى كبير لكنها فى حاجة الى المساعدات المادية والمعنوية من الدول الاسلامية الشقيقة الأخرى وذلك من أجل نجاح مشروعها وتنفيذه .

ويوجد فى ماليزيا كثير من المدارس الاسلامية بعضها تنفق عليه الحكومة والبعض الآخر خاص .

وتبحث الحكومة الآن مشروع المدارس الاسلامية الخاصة وتفكر فى مزجهم داخل النظام التربوى الدينى ، وتدرس اللغة العربية فى كثير من هذه المدارس الاسلامية ، وشهاداتها معترف بها لدى الجمهورية العربية المتحدة ويسمح لحاملها بالالتحاق بالجامعات .. وأشهر هذه المدارس هى (الكلية الاسلامية) فى كلانج بماليزيا .

وقد تعرضت قبل ذلك لموضوع التسامح الدينى فى ماليزيا وأود أن أذكر أن الحكومة تقدم مساعدات من أجل بناء أماكن للعبادة سواء كانت مساجد أو معابد أو كنائس .

ماليزيا تقتفى أثر الجمهورية العربية فى انجازاتها البناءة :

وكان سؤالى الأخير لسفير ماليزيا هو : انطباعاته عن الجمهورية العربية المتحدة .. وقال لى :

- لقد أعجبت بما خلفه المصريون القدماء من أهرامات ومعابد الأقصر ومساجد القاهرة الكثيرة - أما السد العالى بأسوان والمعرض الصناعى بالقاهرة اللذين أتيحت لى زيارتهما حديثا فعندى أنهما يدلان على مدى ما وصلت اليه الجمهورية العربية المتحدة من التقدم اجتماعيا واقتصاديا .. ولقد أخذت بما رأيته من التخطيط العام والغيرة الثورية التى تحفز هذه الأعمال الجليلة الى الأمام ، ونحن فى ماليزيا قد قصرنا الجهد على مثل هذه المشاكل خاصة مشكلة تضييق الفروق بين الميسورين والمعوزين ، كما نوعنا فى اقتصادنا الداخلى ، فبدلا من اقتصارنا على تصدير منتجاتنا الأولية كالقصدير والكاوتشوك اقتصارا كليا فقد بدأنا بتصدير هذه المواد مصنوعة بأيدينا ..

وهكذا قد اقتفينا أثر الجمهورية العربية المتحدة فيما أنجزت وفيما أحرزت من خبرة فى هذا المضمار .

وزادنى اعجابا بالجمهورية العربية المتحدة تطور الشعب المصرى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر الحكيمة وقد تسنى له لما فيه من النزاهة وصدق العزيمة أن يقضى على المستغلين للجمهور مهتديا بمبادىء الاشتراكية العربية قضاء مبرما » .

*****

وسفير ماليزيا بالقاهرة السيد يعقوب بن عبد اللطيف ولد عام ١٩١٨ بولاية سلانجور بماليزيا - وقد تقلد وظائف ادارية عديدة فى حكومة ماليزيا قبل انضمامه الى السلك الدبلوماسى .. وكان سفيرا لماليزيا فى مملكة تايلند لمدة أربع سنوات .. ثم سفيرا بالجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٥ . وهو متزوج وله أربع أطفال .

وخرجت من سفارة ماليزيا وأنا أردد كلمات رئيس الوزراء تنكو عبد الرحمن الى الأمين العام للجامعة العربية :

« كونوا على يقين من أن ماليزيا تؤيد تأييدا حازما قضية الوحدة العربية وحقوق الدول العربية المشروعة فى فلسطين ومن أن ماليزيا لن تأتى بعمل يضر بهذه القضية » .

موقف الإسلام من تنظيم النسل

فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

اصبح الحديث عن تنظيم النسل اهم الموضوعات التى تشغل الكثيرين فى الشرق والغرب ، بسبب الارتباط بين هذا الموضوع والنواحى الاقتصادية التى تستحوذ على تفكير الناس وعنايتهم ، بعدما تكاثرت مطالب الحياة وتعددت رغبات الانسان ، ولا شك ان دين الله تبارك وتعالى يريد ان يحقق للبشر الخير والسعادة ، وان يدنو بهم من اليسر والرحمة ، وان يباعد بينهم وبين العسر والشدة ، مصداقا لقول الله عز من قائل : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقوله : « ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

وهناك كثير من الذين تأثروا بمفاهيم خاطئة او تصورات منحرفة اذا عرض لهم موضوع تنظيم النسل ربطوا بينه وبين التواكل والتغافل ، او رددوا معه نصوصا دينية لها فى حد ذاتها جلالها وفضلها ، ولكنهم يحملونها على غير محملها ، ويسيئون الفهم لها ، وكأنهم يأبون الا ان يستغلوها لتهيئة جو الاستنامة والاستكانة حول انفسهم وحول غيرهم ، متناسين ان الله جل جلاله قد وهب الانسان عقلا وفكرا ، وهداه فى الحياة طرقا وسبلا ، ودعاه الى التدبير والنظام والاحتياط وبذل الجهد ، مع تحمل التبعات وتقدير المسئوليات ، وزانه بالحرية والكرامة والتمييز .

واكاد افهم ان موضوع تنظيم النسل يحتاج اولا ان يحسن الناس تصوره ، فهو فيما يرتضيه العقلاء والفقهاء والعلماء ـ ليس محاربة للزواج ، ولا للذرية ؛ وليس اجهاضا او اسقاطا للجنين ذى الروح ، وليس ارغاما او اكراها ، وانما هو اتخاذ لوسيلة اختيارية مشروعة غير ضارة لايجاد فترات متباعدة بين مرات الحمل لداع مشروع يدعو الى ذلك ، او لوجود ضرورة تقتضيه ، واذا فهم الناس ان هذا ـ من وجهة النظر الدينية ـ يجيزه الدين ولا يمنعه ، فان كثيرا من المعوقات المصطنعة فى هذا المجال تزول بيسر وسهولة .

ولو رجعنا الى بحوث المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية لوجدنا احد اعضائه وهو سماحة الشيخ نديم الجسر يقول : « ان راى الاسلام فى تحديد النسل لايخرج ابدا عن مفهوم الحرية الذى قررناه ، فللزوجين مطلق الحرية فى تحديد نسلهما او قطعه بالمرة مادام راضيين متراضيين ، فاذا انعدم الرضا عند احدهما وقفت حرية الراغب فى التحديد ، لاصطدامها بحق الشريك الآخر الراغب عنه .

وما ورد فى السنة من الترغيب فى استكثار النسل ليس من باب الوجوب الذى يقيد حرية الزوجين ، وانما هو ترغيب يستجيب له من توافرت عنده اسباب الاجابة فى باب الصحة واليسر فاذا لم تتوافر كالمريض يخشى ان يورث نسله عاهة من عاهاته ، او الفقير يخشى ان يزداد بكثرة الاولاد عسرا ، كان للزوجين مطلق الحرية فى تحديد النسل ، فالامر متروك لخيارهما ، وكل ذلك يرجع الى مفهوم الحرية فى الاسلام » صفحة ٣١٨

وقد حاولت فى كتاب « الدين وتنظيم الاسرة » الذى صدر عام ١٩٦٤ ان اذكر النصوص والادلة على جواز اللجوء الى طريقة مشروعة لتنظيم الاسرة اذا ماكان هناك مقتض يقتضى ذلك ، ومع هذا مازلت ارى ان الموضوع يحتاج الى قدر ميسر من التوعية القائمة على التفهم الواعى لدين الله بلا اعتساف او اسراف ، ولذلك اضع بين ايدى الذين يقومون على شأن الخطابة الدينية فى المجتمع هذا النموذج لخطبة منبرية فى هذا الموضوع راجيا ان يكون عرضها له عرضا منصفا لايشتط ولا يميل .

الحمد لله عز وجل . هو الرحيم بخلقه ، اللطيف بعباده : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » أشهد أن لا اله الا الله ، يمن بالنعمة ، ويهدى بالحكمة « لايكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ماكسبت ، وعليها ما اكتسبت » واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله ، القائل : « دعامة المؤمن عقله » ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه واحبابه : « اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » .

يا اتباع محمد عليه الصلاة السلام .

جعل الاسلام الاسرة قوام المجتمع ، وجعل الزواج بداية الاسرة ، وجعل للزواج اهدافا سامية ، منها : ارضاء الناحية الحسية ، وتحقيق المشاركة الوجدانية ، والتعاون على امور الحياة ، وانجاب الذرية ، والذرية نعمة الهية عظيمة من ناحية ، وتبعة خطيرة من ناحية اخرى ، فهى امانة تحتاج الى الرعاية والصيانة ، فاذا اراد الانسان ان يحظى بها كان واجبا عليه ان يكون صالحا لها : فى حسه ونفسه ، فى طاقته وقدرته فى اشرافه ورعايته ، حتى يكون اهلا للنعمة ، جديرا ببقائها بين يديه ، ولو انه تعرض لها وهو عاجز عن

مسئولياتها وتبعاتها ، لكان مستخفا بها مفرطا فيها ، معرضا نفسه لمذمة التقاصر عن استحقاق النعمة من جهة واثم تضييع ذريته واهمالها من جهة اخرى ٠

ولذلك اوجب الاسلام على الوالد ان يرعى ولده حق رعايته ، فينهض بتبعات نفقته وارضاعه واطعامه والباسه واسكانه وتعليمه ما ينفعه دنيا ودينا ، ويدخر له في غده القريب او البعيد ما يهيىء له اسباب الراحة والسعادة ، حتى قال سيد الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام : « لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس » اى فقراء يسالون الناس ٠

وهناك كثير من الذين لم يتفقهوا في دين الله تبارك وتعالى على بصيرة ، يظنون أن مجرد الاكثار من الذرية ـ حتى ولو كانت عليلة هزيلة ـ لون من الازدياد في النعمة ، وهذا فهم غير قويم ، فانه اذا لم تتوافر مع الكثرة العددية القدرة المادية والمعنوية الكافية لصيانة هذه النعمة حق صيانتها ، والنهوض المستقيم بتبعاتها ومسئولياتها ، فان الكثرة حينئذ سيكون مآلها الضعف والهزال ، او الانحراف والخبال ، وهذه الكثرة الهزيلة العليلة المضيعة في دينها ودنياها لا تغنى ولا تفيد ، ولقد قال سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « يوشك ان تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ٠ قالوا : ومن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال : بل انتم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور اعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ٠ قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت »

ولقد جاء في الفقه الاسلامى ان الانسان لايجوز له الاندفاع العاجل الى الزواج نفسه اذا كان غير قادر على النهوض بتبعاته الاساسية وواجباته اللازمة ، بان يكون عاجزا عجزا ماديا او جنسيا ، او تاكد له انه سيظلم زوجته أو سيهضمها حقوقها الضرورية ومطالبها المشروعة وفي هذا المقام نتذكر قول الله تبارك وتعالى : « وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » ٠ وقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة « اى القدرة على تبعات الزواج » فليتزوج ، فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » اى وقاية ٠

فاذا كان هذا معروفا من فقه الاسلام في امر الزواج نفسه ، فانه مما لاينبغى للمسلم ـ في ضوء هذا الفقه ـ ان تستبد به شهوته او غفلته ، فيأتى بذرية تتكاثر على مدى الايام عددا ، على حين يزداد هو معها عجزا ولها تضييعا، مع ان سيد الانبياء محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : « جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء » وقلة الشيء ـ فيما نفهم ـ هو قلة ماتحتاج اليه هذه الكثرة من مطالب وحقوق ٠ وهذا حبر الامة وعالمها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول : « كثرة العيال احد الفقرين ، وقلة العيال أحد اليسارين » ٠ وكأنه يريد بالفقرين قلة المال التى تسبب العجز والتقصير ، مع كثرة العيال التى ترهق صاحبها وتشق عليه ، فيعجز عن النهوض بتبعاتها ، ويقصر في اداء واجباتها ، ويريد باليسارين وفرة المال المعينة على تحقيق الآمال ، مع قلة الاولاد التى تمكن صاحبها من اداء الواجب والنهوض بالتبعة ، وكذلك قال الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، في كتابه المشهور « نهج البلاغة» « قلة العيال احد اليسارين »

ومنذ مئات ومئات من السنين تحدث فريق من فقهاء المسلمين عن اباحة اللجوء الى وسيلة مشروعة غير ضارة لايجاد فترات متباعدة بين مرات الحمل عند الزوجة ، اذا كانت هناك ضرورة تدعو الى ذلك ، وذكروا من مبيحات هذا ان يكون عند المراة ضعف مع استعداد قوى لتتابع الحمل مما يعرضها للهزال والمرض ، او يكون هناك مرض خبيث معد في الزوجين او احدهما ينتقل الى الذرية اذا جاءت ، او ان يكون هناك ضعف اقتصادى واضح ، بحيث لايكون لدى الزوج اى اقتدار مالى على النهوض بتبعات الذرية اذا كثرت، وقد عبر حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالى بقوله : « الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد » ٠

ولقد وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض الوسائل المشروعة التى نتجنب بها هزال الذرية الناشىء عن تتابعها فقال : « لا تقتلوا اولادكم سرا ، فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره من فوق فرسه » اى يصرعه ٠٠ الغيل هو أن تحمل الزوجة وهى ترضع . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شبه الغيل بالقتل السرى للولد ، او كانه شبهه بالاغتيال الذى تذكرنا به مادة الغيل ، وكان النبى ينهى الزواج عن معاشرة زوجته معاشرة جنسية تؤدى الى الحمل في اثناء ارضاعها لمولود لها عندها ، حتى لايتعرض المولود السابق للهزال ، وحتى لايتعرض المولود القادم للضعف ، وحتى لاتتعرض الام ايضا للاجهاد والالم ، بسبب حيرتها بين تحقيق مطالب الرضيع من جهة ، ومطالب الجنين من جهة أخرى ٠

وتمام الرضاع سنتان بنص القرآن الكريم الذى يقول : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة » والحمل سيأتى ـ بمقتضى هذا التوجيه ـ بعد انتهاء مدة الرضاع ، والحمل في العادة يقرب من سنة ، ومعنى هذا أنه سيكون هناك ما يقربه من ثلاث سنوات بين المولود الاول والمولود الذى يليه ، وفي هذا تباعد بين مرات الحمل ، وهو يؤدى الى تنظيم الاسرة وبذلك يتحقق لون من التوازن او التعادل بين طاقة الزوج الاقتصادية ، وحالة الزوجة الصحية ، ومطالب الذرية المتعددة ٠

يااتباع محمد عليه الصلاة والسلام ٠

ان الله تعالى لم يخلق لنا الحياة لنشقى فيها ، بل لنسعد ، ولم يفتح لنا باب الذرية لنشقيها او نهملها، بل لتكون قرة اعين لنا ، وانما يتحقق هذا اذا عملنا على ان يكون لنا اقتدار مادى نستطيع به تحقيق هذا المستوى الكريم الذى ينبغى ان يتحقق للفرد الصالح ، في المجتمع الفاضل ، في ظلال الوطن السعيد ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ، واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ٠ اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم ٠

التطور الاقتصادى وكيف يقود الى الاشتراكية

الدكتور احمد شلبي

تقديم :

فى المقالات السابقة ذكرنا أن المراحل الاقتصادية الرئيسية للاقتصاد قبل الاشتراكية هى :

١ ـ الشيوعية البدائية

٢ ـ عهد الرق والاقتصاد العبودى

٣ ـ النظام الاقطاعى

٤ ـ الرسمالية

وانتهينا من الكلام عن المراحل الثلاث الاولى وبدأنا حديثنا عن الراسمالية فذكرنا انواعها واهدافها واوردنا تعريفا لفلاسفة الاقتصاد الحر وأشهر ارائهم ، وحديثنا اليوم عن :

الرأسمالية فى الميزان

ويجدر بنا ان نضع الرأسمالية فى الميزان لنرى ما لها وما عليها فى تاريخ الحركات الاقتصادية العالمية

وبادىء ذى بدء نشير الى قانون التطور الذى قرره علماء لاقتصاد ، ذلك القانون الذى يحتم أن تاتى النظم الاقتصادية متتابعة وأن ينجم كل نظام عما قبله ويمهد لما بعده ، كما رأينا من دراستنا السابقة فالراسمالية وليدة الاقطاع والاقطاع وليد نظام الرق أو قل ان نظام الرق تمخض بعد تطوره الى النظام الاقطاعي وتمخض هذا النظام الاخير بتطوره الى النظام الرأسمالى ولم يكن من الممكن أن يتخطى نظام من الانظمة ، فدراسة الاحداث تثبت أن التاريخ عبارة عن سلسلة دائمة من التغيرات المتعاقبة وقد يكون التغير بطيئا او سريعا ، واضحا او غامضا ، ولكنه على كل حال حقيقة لا يرقى اليها الشك وعلى هذا فالراسمالية طور ضرورى فى اطوار التطور الاقتصادى وهى كما يقول « لينين » خير بمقارنتها بالعصور الوسطي والانتاج الصغير ، شر بمقارنتها بالاشتراكية ولما لم يكن من الممكن الانتقال من الانتاج الصغير الى الاشتراكية فان الراسمالية تصبح غير ممكنة التفادى .

فالراسمالية فى التطور الاقتصادى تشبه مرحلة من مراحل عمر الانسان فكما أن الانسان لاينتقل من الطفولة الى الشباب دون أن يمر بمرحلة الصبا فان الراسمالية دور طبيعى ضرورى بين أدوار التطور الاقتصادى وعلى هذا فلا توصف الرأسمالية بانها شر الا بمقدار معارضتها الطبيعة ووقوفها عقبة حين مجىء الأوان للدور الثانى أن يبرز .

فاذا جئنا الى الراسمالية لندرسها دراسة موضوعية وجدنا رجال الاقتصاد يتاثرون باتجاهاتهم عند الحكم على مباحثها وفلسفتها فاذا كانوا ذوى ميول راسمالية عددوا لها ضروبا من المزايا واذا كانوا ذوى ميول اشتراكية ذكروا لها أنواعا من المساوىء ويمكن أن نقتبس حوارا بين المذهبين حول مزايا الرأسمالية والرد عليها :

ولعل اهم نظرية دافعت عن الراسمالية والملكية الخاصة هي النظرية الطبيعية وقد صيغت هذه النظرية على يد جون‌لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) وعنها يقول : بالرغم من أن هبات الطبيعة قد منحت للجميع الا أن الانسان بكونه سيدا لنفسه مالكا لنفسه ولعمله لا يزال يحتفظ فى نفسه بالاساس العظيم للملكية ومن ثم فالاشياء التى يستخدمها فى حفظ بقائه وراحة شخصية ينبغى ان تصبح ملكا له تماما ولا يمكن ان تكون ملكا للاخرين أو يكون الاخرون شركة فيها وهذه الملكية حق من الحقوق الطبيعية وغريزة تنشأ مع نشأة الانسان فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة

وأجاب دعاة الاشتراكية بأن اطلاق الغرائز كثيرا ما يكون ضارا وما دام الانسان مشتركا مع غيره فى حياة فليس له أن يعمل عملا يضر الاخرين وقد ثبت أن مبدأ الملكية المطلقة ضار فيجب حذفه .

أما النظرية الثانية التى تدافع عن الملكية الفردية فهى نظرية المنفعة التى وضعها لأول مرة فى صياغة منطقية متكاملة دافيد هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦) ثم ذاعت بين الناس بفضل جيريمى بتنام وخلاصة هذه النظرية أن الملكية الخاصه تقليد اتبعه الناس وينبغى عليهم أن يتبعوه لان ذلك من مصلحتهم وكانت هذه النظرية ناجحة خلال تقدم الراسمالية فاذا كانت احوال الراسمالية تسير علي ما يرام وتؤدى الى التوسع المستمر فى التجارة والثراء فان نظرية الانتفاع أو نظرية المنفعة عدت نظرية مقبولة وكانت تحفز على الاقتناع بها

وأجاب دعاة الاشتراكية بأن نظرية المنفعة تحسب لهم لا عليهم فان الغاء الملكية الخاصة سيزيد من سعادة الناس ويصلح من أحوالهم وقد قوى جانب الاشتراكيين عندما ظهرت على الرأسمالية أمارات الانهيار والانتكاس عقب الحرب العالمية الأولى وحينئذ أمعن الاشتراكيون فى استخدام حجج المنفعة ضد المدافعين عن الملكية الخاصة

اما النظرية الثالثة فهى النظرية التاريخية او نظرية تقادم الملكية وقد وضعها (أدمون يورك) وخلاصتها ان الملكية اصطلاح قانونى وحيازة تقليدية وهى عقد اجتماع اتخذته الهيئة الاجتماعية وأقرته الأجيال

ويرد الاشتراكيون على هذه النظرية بقولهم ان الهيئة الاجتماعية فى العصر الحديث من حقها أن تنقض قرارا اتخذته الهيئة الاجتماعية من قبل اذا تبين ضرره للمجتمع ولا يوافق ماركس على تقديس التاريخ دائما بل يرفضه أحيانا ويرى أن (التاريخ لا يخلق ولا يقدس دائما بل يدمر ويدنس أحيانا)

تلك هى النظريات الثلاثة التى اعتمدت عليها الراسمالية قرابة قرنين ولكن هذه النظريات لم تقو على

هذه الهجمات فضعفت وتعرضت كما رأينا لهجوم الاشتراكيين وحملاتهم ولم يبق منها متماسكا بعض الشيء الا نظرية المنفعة بعد أن دخلها كثير من التعديل والتحوير ولذلك لجأ الرأسماليون الى البحث عن نظريات جديدة يدعمون بها موقفهم فاهتدوا الى نظريتين أضيفتا الى نظرية المعرفة فى ثوبها الجديد وفيما يلى هذه النظريات الثلاثة

١ - نظرية المنفعة التى أصبح معناها أنه تتوقع زيادة فى الخسارة وزيادة فى عدم الكفاءة فى العمل فى ظل الاشتراكية وصبح عنوانها الجديد هو : العمل فى ظل الرأسمالية والاشتراكية

٢ - النظرية القائلة بان الاشتراكية لا يمكنها النجاح كالرأسمالية فى القيادة الاقتصادية

٣ - النظرية القائلة بان الاشتراكية تتعارض وتتناقض مع الحرية الاقتصادية والسياسية وسنورد هنا موجزا للمناقشات حول هذه النظريات :

١ - نظرية المنفعة (العمل فى ظل الرأسمالية والاشتراكية) : يرى الرأسماليون أن العامل فى ظل الرأسمالية يعمل باخلاص وجد لأنه يتوقع الحصول على مكسب أكبر ويتوقع الترقى الى عمل أفضل كلما جد واجتهد ثم انه يخاف من العقوبات المختلفة ومن الفصل اذا أساء أو أهمل والاشتراكيون يعترفون بهذه الدوافع دوافع الأمل ودوافع الخوف ولكنهم يقررون بان تهديد العامل فى النظام الرأسمالى لم يعد له وجود مع انتشار النقابات ثم أن النظم الاشتراكية تكافىء المجد وتعاقب المهمل وكل ما ترفضه الاشتراكية من العقوبات هو البطالة فيمكن نقل عامل من مستوى الى مستوى ومن عمل الى عمل فحقه الوحيد هو العمل وهو حق انسانى

٢ - نظرية القيادة الاقتصادية بين الرأسمالية والاشتراكية : يرى الرأسماليون أن الانجازات الضخمة التى حققتها الرأسمالية مرجعها حافز الربح

والاشتراكيون يعترفون بهذه الحقيقة ويقرر ماركس وانجلز فى البيان الشيوعى أن البرجوازية حققت تقدما ضخما فى الانتاج وأساليبه فى مدى قرن وأن حافز الربح كان من أهم الحوافز لهذا التقدم ولكن الاشتراكيين يتتبعون المسألة التاريخية ليصلوا الى أن القيادة الاقتصادية التى حققت هذا التقدم فى الرأسمالية فى عصورها الاولى لم يعد لها وجود فقد كان المالك فى مطلع النظام الرأسمالى هو الذى يدير مصنعه ويخطط عمله وينال الربح لنفسه ولكن فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر تغير الوضع اذ كثرت المؤسسات والشركات وأصبح المديرون والمخططون من الموظفين الذى يتقاضون مرتبات محددة ويتساءل الاشتراكيون عن الفرق بين القيادة الاقتصادية لحساب الشركات والرأسماليات وبين القيادة الاقتصادية نفسها لحساب المجتمع ويخلصون من ذلك الى أن القيادة الاقتصادية فى الاشتراكية ستؤدى نفس الدور وبنجاح اعظم .

٣ - نظرية تعارض الاشتراكية مع الحرية .

وقال دعاة الرأسمالية ان الغاء الملكية الفردية سيدمر الحرية ويقوض أسس الحضارة ويجيب الاشتراكيون بأن القيم التى سيقضى عليها النظام الاشتراكى هى القيم المرتبطة بالنظام القديم وحده هى الحرية البرجوازية فالحرية الحقيقية هى القدرة على التصرف تصرفا مستقلا وهو ما حرم منه الصانع والتاجر الصغير على يد الرأسمالية وباختفاء هذه القيم الزائفة ستظهر قيم أخرى أكرم وأنبل وأصلح للمجتمع

وهناك مناقشات أخرى يمكن ادماجها فى النظريات السابقة ويمكن على العموم ابرازها منفصلة وهى :

قال دعاة الرأسمالية ان الملكية ضرورة من ضرورات الحياة ولو لم توجد لاختل نظام المجتمع وماتت روح المنافسة بدليل أن البلاد التى تقرها تنمو وترتقى أسرع من البلاد التى لا تعترف بها ويرد الاشتراكيون برفض هذه القضية ويرون أن تطور الدول الرأسمالية كان على حساب دول أخرى انهكتها هذه الرأسمالية وأن ما قد يحدث من تباطؤ الدول الاشتراكية فى تطورها يتسبب فى الغالب عن عوامل لا شأن للاشتراكية بها ولعل بعضها من رواسب الرأسمالية ومخلفاتها

وقال دعاة الرأسمالية ان الملكية حق لانها نتيجة جهد ونضال فالرجل الذى صارع الأحداث وجد واجتهد لا يمكن أن تساويه برجل خامل يؤثر السلامة ويميل للهو واللعب ويرد الاشتراكيون بأنه اذا صح هذا كان من حق العمال الاستيلاء على مايعملونه فى المصانع ومايستخرجونه من المناجم ويعترض الرأسماليون على ذلك بقولهم ان هؤلاء أدوا أعمالهم بشرط قبول أجر على عملهم فلم يكن العمل يجرى لحسابهم ويجيب الاشتراكيون بأن العمال قبلوا هذا الشرط الظالم تحت ضروب من القسوة والضغط والحاجة للعمل ويضيف الاشتراكيون متسائلين : اذا أجزتم الملكية نتيجة الجهد والكدح فكيف تجيزونها بالميراث ويجيب الرأسماليون بأن الطفل بعض أبيه وهو يرثه فى أكثر صفاته الجسمانية والعقلية والروحية فكيف لا يرثه فى المال

وهكذا نجد هذا الصراع ونحن نزن الرأسمالية وعلى العموم فلعل أهم ما يذكرونه من مميزاتها أنها تحفز على التجديد والابتكار فالرأسمالى يحاول دائما ادخال التحسينات الفنية على انتاجه ويهيىء النظام الرأسمالى للمواهب نقط الارتكاز التى تحتاج اليها لتنمو وتتفتح لان طبيعة الرأسمالية تميل الى النهوض بالفرد الموهوب والاسرة الموهوبة لتستغل هذه المواهب فيما يعود عليها بالخير وذلك على العكس من السلطات العامة التى ليست مهيأة فقط لتحمل مسئولية كشف المواهب وتنميتها حتى تتفتح .

وأيضا الرأسمالية منح الحرية فى الانتاج والحرية فى الاستهلاك فالرأسمالى فى ظل هذا النظام ينتج ما يشاء والمستهلك فى النظام الرأسمالى يختار بارادته الحرة ما يفضل أن يستهلكه

وفى النظام الرأسمالى منافسة حرة تشحذ الهمم وتدعو للتفكير والاجادة مما يسبب فى النهاية تحسين الانتاج وانخفاض ثمنه .

وأيضا الباعث الخاص بها كان أساسا للنشاط فعمل الفرد يعود اليه وهو يجنى ثمار كفاحه وبهذا السبب تكون جهاز انتاجى ضخم عرفته الرأسماليات المتقدمة وحقق تقدما كبيرا فى الانتاج

ودراسة هذه الامور بعمق تبرز لنا أنها أو أكثرها فردية كثيرا ما تحقق للفرد سعادة على حساب المجتمع ولا تحقق غاياتها الا لقلة ضئيلة من الافراد وكثيرا ما تتعارض هذه الميزات الفردية مع المصلحة العامة لجمهرة الناس واذا جئنا بعد ذلك للحديث عن عيوب الرأسمالية فاننا نجدها أكثر جدا من مزاياها مما يحتم أن تعرض عنها الشعوب وتنتقل الى مرحلة أجدى وأنفع من مراحل الفكر الاقتصادى .

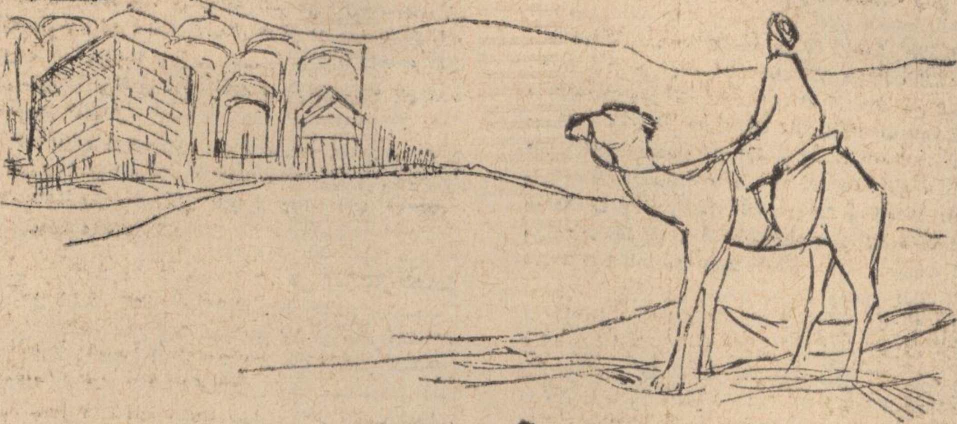

أول أمير للحج فى الإسلام

فضيلة الشيخ
سليمان حسن عبد الوهاب

الحج فى الاسلام معناه قصد البيت الحرام بمكة لاداء المناسك التى شرعها الله ، على الصورة التى رسمها الاسلام ، وطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم عمليا بنية خالصة للحج لاغير ، لا يقصد به مجرد السياحة أو التجارة ، بل هو قصد المسجد الحرام للنسك « العبادة » والمسجد الحرام بمكة المكرمة قصبة البلاد العربية . وهو أول بيت وضع للناس من قديم الزمان فى الجزيرة العربية . والقرآن الكريم يحدثنا عنه وعن بنائه .. وذكر بالاسم من بناه . وبالتالى زمن بنائه .. فيقول تعالى فى سورة البقرة آية ١٢٦ « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » كما بين الله القصد من بنائه والهدف من اقامته فى سورة البقرة آية رقم ١٢٤ « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا . واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع والسجود » ويقول تعالى فى سورة آل عمران آية ٩٥ « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » ومن قراءة هذه الآيات نعلم أن الحج عبادة قديمة . وأن العرب هم أول من أقام مناسك الحج وأدوا شعائره من عصر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . وكان حجا مبنيا على التوحيد . والوحدة وعبادة رب البيت . لا ينادى غيره ، ولا يسأل سواه . فلما ابتعد الزمان . ونسى الناس النبوات وسول لهم الشيطان عبادة الأصنام . وتصوير الاله فى صورة وثن . ملىء البيت الحرام بها . فازدحم بالأوثان حتى أصبح حول الكعبة أكثر من ثلاثمائة صنم . وكان لكل قبيلة صنم يقصدونه . ويتوسلون به . وقد ذكر القرآن بعض أسمائهم فى سورة النجم آية ١٨ « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » فلما أرسل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نهاهم عن عبادة الاصنام . وتقديس الاوثان . ودعاهم الى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . » فردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . نحن يا محمد . لا نقدس هذه الآلهة ولا نعبدها وانما نقدس رب هذه الآلهة . ونعبد الاهها يقول تعالى فى سورة الزمر آية رقم ٢ « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ماهم فيه يختلفون » .

ومكث رسول الله ثلاث عشرة سنة . يقيم لهم الحجة وينير لهم السبيل الى الله . والى توحيده وقصده ، وعبادته دون غيره . فلم يزدادوا الا عنادا وكفرا . وأصروا واستكبروا استكبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم . ولا تدعن اللات والعزى . فوجد الرسول أن بيئة مكة لا تصلح للتوحيد . ولا لاقامة دين جديد . ففكر فى الهجرة عسى أن يجد أناسا لهم قلوب واعية وعقول متحررة . تؤمن بدعوته . فهاجر من مكة الى المدينة ليجدد دعوة الاسلام الى التوحيد وليدخل دما جديدا يحيى الدين من جديد . وينفخ فى روحه نفخة تبعث المسلمين بعثا حيا وقويا يستعيدون به راية التوحيد . وينفعلون بعقيدتهم لحماية البشر من عبودية غير الله . ومن الضعف والاستكانة . وقيادتهم الى العزة والكرامة . والارتفاع الى المساواة والكفاية . فى ظل الامن والعدالة . فاقام بالمدينة ، واستقر بها ، فكون دولة الاسلام الكبرى ،

من عناصر المؤمنين السابقين من المهاجرين ، ومن أهل المدينة من الانصار ، وألف بين قلوبهم ، واشتد بهم أزره فاخذ رسول الله ، الذى خرج من مكة مضطهدا ، يرى قريشا قوته ، ويعرض على المشركين نشاطه ، فكان يعترضهم فى قوافلهم ، ويخيفهم فى طرقهم ، بدون أن يقاتلوهم حتى نزل قول الله تعالى فى سورة الحج آية ٣٨ « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » فخرج رسول الله وخرجت قريش الى بدر من غير ميعاد فى السنة الثانية من الهجرة فى شهر رمضان والتقى الجمعان على أرض بدر يوم ١٧ من شهر رمضان. وألقى الله فى قلوب الذين كفروا الرعب وانتصر المسلمون على قلة عددهم ، وضآلة عدتهم . ولم تغب شمس ذلك اليوم حتى كتب الله النصر للمسلمين . وكتب الخزى والهزيمة للمشركين . يقول تعالى فى سورة آل عمران آية ١٢٢ « ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ثم توالت الغزوات وتوالى الانتصار وتمكنت دولة الاسلام فلم يمر عام لا وفيه غزو يعقبه نصر . وكسب عظيم لبناء دولة الاسلام فلما كانت السنة السادسة من الهجرة . فرض الله الحج ، وبفرض الحج تمت شعائر الاسلام ، وأركانه الخمسة وقواعده التى تأسس عليها « توحيد الله والاقرار بالقيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) شهادة أن لا اله الا الله أن محمدا رسول الله — (٢) اقام الصلاة (٣) ايتاء الزكاة — (٤) صوم رمضان — (٥) حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا والدليل على وجوب الحج . وانه ركن متمم لاركان الاسلام قول الله عز وجل « واتموا الحج والعمرة لله » وقول الله « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يأيها الناس ان الله كتب عليكم الحج . فقام الاقرع بن حابس فقال يا رسول الله أفى كل عام . فسكت ثم قال : لوقلتها لوجبت . ولووجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » وروى الامام أحمد وابو داود والنسائى وابن ماجة والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. وفى الصحيحين عن سراقة بن مالك قال يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للابد — قال بل لأبد الابد ». وروى الامام احمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا الى الحج فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له » وروى ابو داود عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد الحج فليتعجل » وقد روى ابو بكر اسماعيل الحافظ انه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :

« من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا » قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وفى الجامع الصغير يقول الله تعالى فى حديث قدسى « ان عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة اعوام لا يفد الى بيتى لمحروم » وهذا محل اجماع الائمة ولا نجد من شذ عن ذلك .

وفى نفس تلك السنة ، بعد فرض الحج ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا كفلق الصبح بانه يحج بيت الله وانه دخل المسجد محرما . ورؤيا الانبياء حق وفى مقام الوحى . ويعتبر ذلك اذن من الله لنبيه لاداء فريضة الحج . فأمر رسول الله أصحابه من غير عزيمة . ومن غير استيعاب بالاستعداد لحج بيت الله فخرج أكثر المسلمين بالمدينة مع رسول الله للحج . فلما وصل مكان الحديبية « مسجد عائشة — الآن » بالقرب من مكة — توقف رسول الله . وحط رحاله طلبا للراحة من وعثاء الطريق . فاذا بالاخبار تأتى اليه من أهل مكة بأن قريشا لما علمت بمجىء رسول الله وأصحابه لزيارة بيتهم . اتفقوا على منعه وصده . وأعدوا لذلك العدة. فارسل الرسول اليهم سيدنا عثمان بن عفان لما له من قرابة بنى أمية . وصلته بأبى سفيان بن حرب عميد مكة يومئذ . يخبره بان الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء غازيا ولا فاتحا . وانما جاء لزيارة البيت الحرام. وأداء مناسك الحج لان ربه أمره بها . فلم يقبل أبو سفيان ذلك من عثمان . وقال لن يدخل محمد علينا حرمنا وبيتنا عنوة . وحبس سيدنا عثمان واعتقله . وشاع الخبر ، بأن عثمان قد قتل فتجمع المسلمون حول رسول الله . وقالوا ان الله قد أمرك بالحج . وأراك فى منامك مناسك الحج ودعوتنا الى ذلك . وذلك حق. ولن نرجع حتى نطوف ونؤدى مناسك حج بيت الله . وبايعوا رسول الله على الموت والفداء . وتلك البيعة هى التى أشار اليها القرآن فى سورة الفتح آية (٩) « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » وفى آية ١٧ من تلك السورة « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما » وقالوا يا رسول الله لن نبرح مكاننا حتى يعود الينا عثمان حيا . ونؤدى فريضة الحج كما أمرك الله . وهذه أرواحنا فداء عثمان . فاما الحج واما الموت . فلما علمت قريش بأن أصحاب محمد قد تبايعوا

على الموت فت فى عضد ابى سفيان . وانهارت قوى قريش . وأرسلوا رسولا الى رسول الله يطمئنه ويخبره بأن عثمان حى . ولم يمس بسوء وأنهم يريدون مفاوضته على شروط يقرها الجانبان فى معاهدة تكتب بينهم يلتزم بها الفريقان . وليس هنا موضع الحديث عنها . فرضى الرسول عن المعاهدة . لانه يعلم أن

المعاهدات قصاصات ورق وحبر يمحى .. والقوة هى التى تتحكم أخيرا فى الوضع . فتحلل رسول الله من احرامه .وذبح الهدى . واقتدى به أصحابه . ثم قفل الرسول راجعا . بدون ان يؤدى مناسك الحج هذا العام . وفى العام السابع خرج المسلمون للحج بدون ان يخرج معهم رسول الله . وفى العام الثامن كانت غزوة الفتح العظمى فى شهر رمضان من تلك السنة ودخل رسول الله البيت الحرام فى اليوم العشرين منه واستولى على حرمه . ودخل الناس فى دين الله أفواجا . فيئس الذين كفروا من اقامة دينهم . وانهارت أصنامهم . وتهاوى الكفر . وبطلت عبادة الاوثان . وبطل ما كانوا يعملون . وظهر التوحيد الخالص . وأعلن الاسلام . وصدق الله اذ يقول « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » ثم ادى الرسول العمرة وطاف بالبيت . ثم عاد الى المدينة . فلما جاء موسم

الحج اذن للمسلمين بالخروج ولم يخرج معهم . وفى العام التاسع تلاقى رسول الله مع جيش الروم فى معركة تبوك . وكان النصر حليف المسلمين وفى أثناء عودته كان موسم الحج فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج . ولكنه كره أن يحج مع المشركين . وصورة الحج لم تتغير . ولا تزال على وضعها الجاهلى . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين يحضرون موسم الحج على عادتهم التى لا تتفق مع طهارة الاسلام . ونظافة الايمان وأنهم يطوفون بالبيت عراة . وقد اختلط المشركون بالمسلمين . فعزم الرسول على تنظيف الحج من أوضار الجاهلية . وسخافات قريش وبعد أن يصفى موقف الحج يستطيع أن يحج فى الاعوام المقبلة وهو مطمئن الى اكمال دينه . وتمام التوحيد . فاختار

سيدنا أبا بكر أميرا وبعثه نائبا عنه فى تلك السنة لاداء تلك المهمة . وليقيم للناس مناسكهم . وبينما كان ابوبكر يؤدى مناسك الحج « بعرفة أو بمنى » اذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه كتاب من رسول الله « عن محمد بن على بن الحسن بن على رضى الله عنهم قال لما نزلت سورة براءة على رسول الله صلى الله عليه

وسلم . وكان رسول الله قد بعث أبا بكر أميرا على الحج يقيم للناس مناسكهم . فقيل يا رسول الله لو بعثت الى أبى بكر ليقرأها على أهل الموسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى » ثم دعا عليا كرم الله وجهه . وتلا عليه رسول‌الله اربعين آيةمن سورة التوبة« براءة» والتى‌اولها « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين» الى أن قرأ « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم » الى ان بلغ « يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » الى ان تلا « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » ثم نادى على رضى الله عنه فى الموسم فقال انى رسول رسول‌الله وأنه قد نزلت على الرسول آيات تحدد العلاقات بين المشركين والمسلمين . وتصفى موقف الاسلام من الكفر.

وتفصل بين التوحيد والشرك . ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة . وتلا على كرم الله وجهه الآيات التى نزلت على رسول الله . وأمر على بابلاغها للناس عادة فى موسم الحج . وبعد أن فرغ من تلاوتها نادى فيهم « لا يدخل الجنة كافر . ولا يحج بعد اليوم مشرك . ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عهد عند رسول الله فهو الى مدته »

وما انتهى على رضى الله عنه من بلاغه حتى وجم المشركون . ونكست رءوسهم وبدا عليهم الحزن . وظهر فيهم الخزى ، لانهم أصبحوا أمام قوة الحق القاهرة . وعظمة الاسلام الظاهرة . فلم يجدوا بدا من اعلان الاسلام واعتناقه . فتوافدوا على المدينة ركبانا . ومشاة . وتزاحموا بالمناكب وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا . ورضى الله لعباده الاسلام دينا .

وفى رواية فخرج على كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى ادرك أبا بكر فى الطريق فلما رآه أبو بكر . قال أمير أو مأمور . قال بل مأمور . ثم مضيا فى الطريق حتى أقام ابو بكر مناسك الحج . على حسب عادتهم التى كانوا عليها . فلما جاء يوم « عرفة أو منى » قام على رضى الله عنه يؤذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله عليه وسلم « أيها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك . ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عهد عند رسول الله فهو الى مدته » ثم أخذ أبوبكر وأبوهريرة وعلى رضى الله عنهم يجيئون الى الناس فى منازلهم وفى داخل أخبيتهم . ويؤذنون لهم بأمر رسول الله . حتى استوعبوا جميع الحجيج . وبذلك طهر الحج من الارجاس والادناس ومن الخرافة ومن العرى. وأصبح حجا خالصا لوجه الله ، طاهرا لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال فى الحج . ولا عصيان ولا كبرياء . والملك له الواحد القهار . والكل متواضعون أمام الله سواء . وبذلك يتبين للقارىء الكريم . ان أول أمير للحج كان أبا بكر رضى الله عنه باختيار رسول الله . وأصبحت امارة الحج لدى المسلمين من ذلك اليوم سنة متبعة . ورسما قائما . وشعارا للاسلام .

وفى السنة العاشرة حج رسول الله حجة الوداع . وهى الحجة الاخيرة التى حجها رسول الله . وسميت حجة الوداع . لان الرسول وقف فى عرفة « يوم الحج الاكبر » وخطب فى المسلمين . ووصاهم وكأنه كان يودعهم . فخرج معه مائة ألف أو يزيدون فطاف طواف القدوم وسعى بين الصفا والمروة فلما كان يوم عرفة وقف على ناقته القصواء وخطب فى المسلمين خطبة جامعة ، حددت أهداف الاسلام ، وبينت أغراضه الاجتماعية وشرحت أساليبه السياسية وتلك الخطبة تعتبر بحق وثيقة خطيرة فى تاريخ الاسلام ، جديرة بان تكون فى بيت كل مسلم وان تكون قرآنا بعد القرآن . وفى أثناء القائها ، اتخذ رسول الله مبلغين لاجل أن تصل الى سمع كل من حضر ، ولا يفوتنى أن أنقل اليكم بعض فقراتها :

« أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ومن كانت عنده امانة لأخيه فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا قد بلغت اللهم فاشهد . ان لنسائكم عليكم حقا . ولكن عليهن حقا ان لا يوطئن فرشكم غيركم وان لا يدخلن بيوتكم من تكرهونه ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فاعضلوهن واهجروهن وانهن عوان عندكم لا يملكن من أمرهن شيئا فاستوصوا بهم خيرا . واتقوا الله فى النساء ثم قال انما المؤمنون أخوة فلا ينبغى لمؤمن أن يأخذ مال أخيه الا عن طيب نفس الا لا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقال ان الله قسم لكل وارث نصيبه فى الميراث فلا وصية لوارث ولا وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراش . ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

الا هل بلغت اللهم فاشهد . ثم قال أيها الناس ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم من آدم ، وآدم من تراب ، لا فرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، الا هل بلغت اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

بذلك الموقف الرائع عظمت عرفة . وارتفع شأن عرفة حيث أنزل الله عقب خطبة رسول الله الجامعة ، قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتى . ورضيت لكم الاسلام دينا » فكان ذلك ايذانا باستقرار الاسلام . وارساء دعائم الاسلام . واكمال الدين ، وختام رسالة النبى الامين .

حول

التفسير العلمى للقرآن

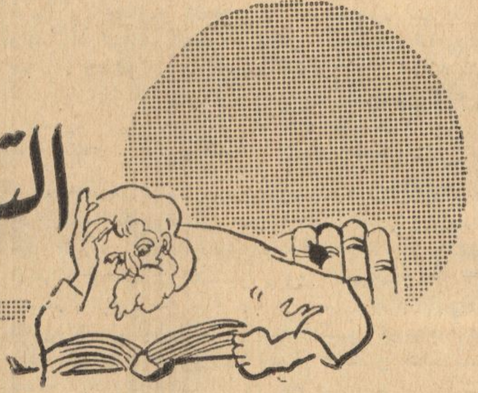

فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى

من يوم أن نزل كتاب الله الى دنيا الناس ، وهو عرضة للنظر والتأمل والشرح والتفسير ، هو نفسه دعا الناس الى تأمله وتدبره ((**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ..**)) ((**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ..**)) ((**كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته**)) . وهو نفسه قد أخذ يفسر بعضه بعضا . بما فيه من ناسخ ومنسوخ . ومطلق ومقيد . وعموم وخصوص . وأجمال وبيان . وتكرار للمعنى الواحد فى أكثر من موضع بعبارات تختلف ايجازا وأطنابا .. وكثيرا ماتأتى فيه جملة ((**وما ادراك ما ..**)) فيكون مابعدها تفسيرا لما قبلها . ((**وما ادراك ما العقبة . فك رقبة ..**)) ((**وما ادراك ماهيه . نار حامية**)) ((**وما ادراك ما الطارق . النجم الثاقب ..**)) الرسول الكريم نفسه والصحابة والتابعون أخذوا بصورة واضحة فى تفسيره وبيان المراد به . وكانت لهم فى تفسيره مشارب واتجاهات ومناقشات .

كما ان لله كتابا كونيا صامتا من أرض وسماء لاينتهى منه العجب ولا يفرغ فيه البحث والنظر . فله كذلك هذا الكتاب الناطق المقروء المسموع الذى لاتنتهى عجائبه ولا يفرغ منه البحث والنظر . وما الأمر فى أى من هذين الكتابين الا كما قال القائل :

يزيدك وجهه حسنا
اذا مازدته نظرا

لكن لما كانت أنظار الناس التى يتطلعون بها الى هذا القرآن مختلفة متنوعة حسب اختلاف عقولهم وأفكارهم وأمزجتهم وثقافاتهم ومذاهبهم جاءت لا محالة تفاسيرهم له على على هذا النحو من التنوع والاختلاف ، فكان منها التفسير بالرأى . والتفسير بالمأثور . والتفسير الذى يميل به صاحبه الى الأفاضة فى الأحكام الشرعية . والتفسير الذى يميل به صاحبه الى الأفاضة فى المسائل الفلسفية والعقائدية . والتفسير الذى يميل به صاحبه الى الافاضة فى النواحى القصصية والتاريخية . والتفسير الذى يميل به صاحبه الى الأفاضة فى النواحى البلاغية . والتفسير الذى يميل صاحبه الى نصرة مذاهبه وآرائه أيا كانت هذه المذاهب والآراء . وكأنما قد

وجد كل واحد من هؤلاء المفسرين فى كتاب الله أشباعا لهوايته المفضلة . مما كان يحدو بهم أحيانا الى تحميل آيات القرآن وعباراته مالا تريد أن تتحمله من المعانى والآراء. اندفاعا من المفسر فى الطريق الذى رسمته له الظروف نحو الغاية التى يهدف اليها شاهرا سيف الاحتجاج بآيات القرآن التى كانت ومازالت نهاية المطاف لكل باحث . وعقدة الرأى لكل متكلم .

كل ذلك والمفسرون من عهد الطبرى الى عهد الألوسى مازالوا بعيدين بالقرآن وتفسيره عن الاحتكاك بالحقائق الكونية والنظريات العلمية اللهم الا ما كان من أشياء قليلة من هذا القبيل تعاطاها الفخر الرازى فى تفسيره الكبير المشهور بمفاتيح الغيب ..

.. فى أوائل هذا القرن الذى نعيشه . وعلى أثر النهضة الأوربية فى العلوم الكونية والنفسية والاجتماعية . وتأثرا بالأحداث السياسية العالمية وما آل اليه أمر العرب والمسلمين من ضعف وتخلف وتسلط من الغرب على الشرق فكريا وسياسيا واجتماعيا تجددت محاولات فى مناهج التفسير لكتاب الله . فرأينا رجلا ذاهمة عالية كالشيخ طنطاوى جوهرى يؤلف تفسيرا كبيرا يسميه بالجواهر . ويمزج فيه التفسير بالمعارف الكونية . ويعنى عناية فائقة بالآيات المشيرة الى نعم الله على عباده فى الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والبحار والأنهار والحيوانات والأشجار والمعادن وسائر المخلوقات . فيهيب بقوم العرب والمسلمين أن يلتفتوا الى مافى هذه الآيات من التلويح بالعناية بالاختراعات والاكتشافات . وتسخير قوى الكون لمنافعهم واستغلال مدخراتهم لمصالحهم . الأمر الذى سبقهم اليه من لم ينزل عليهم القرآن من أهل أوربا وكان ذلك سببا فى تقدم عدوهم وضرب سيطرته على وجودهم ومقدراتهم ..

... أعتقد أن هذا الاتجاه من الشيخ طنطاوى كان الأساس لكل من جاء بعده ناهجا منهجه بانيا على الاساس الذى وضعه . داخلا من الباب الذى فتحه فكان فى تفسير المنار للشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا من ذلك أشياء كثيرة ثم ترادف الكتاب والباحثون ينسجون على هذا المنوال مايسمونه بالتفسير العلمى أو الاعجاز العلمى للقرآن . محدثين فى عرض القضية اتساعا قائلين أن فى القرآن آيات كثيرة تتناول حقائق علمية لم يكشف عنها اللثام الا بعد نزول القرآن بقرون كثيرة . وفى عصور النهضة العلمية واتساع دائرة المعارف الأنسانية طبيعية وكيمائية وهندسية وجغرافية ونفسية واجتماعية وغير ذلك . وبهذا الصنيع الجديد امكن لكثير من الأدباء والأطباء والزراعيين والهندسيين وغيرهم أن يدخلوا فرسانا فى حلبة التفسير والمفسرين

والتفسير العلمى أو الاعجاز العلمى للقرآن بينما يبالغ فى بيانه وسرد أمثلة على ضوء المكتشفات الحديثة كثير من الكاتبين والباحثين يبالغ فى التنفير منه والتزهيد فيه كثير من المقتصدين والمعتدلين . ولكل رأيه ووجهة نظره . فالأولون على انهم بقدر مايفعلون من ذلك يضيفون الى امجاد القرآن امجادا والى براهين صدقه وأعجازه أشياء جديدة ومازالوا يصرون رغم الخطأ فى اصرارهم هذا على الاستدلال فى هذا المقام بقوله تعالى ((مافرطنا فى الكتاب من شىء)) والآخرون على أن المقررات العلمية تكون عادة عرضة للتغيير فلا يجوز ان تربط بعجلة التغير كتاب الله فيصير عرضة للتغيير . ان لم يكن فى الفاظه ففى معناه وتفسيره وحقائقه فيصير القرآن تابعا غير متبوع محكوما غير حاكم . والغرض عكس ذلك .

«... ومهما يكن من هذا او ذاك».. وبصرف النظر عنها فى وجهة نظر كل فريق من الخطأ والصواب .. فان أصحاب النزعة الأولى يجب عليهم وجوبا لاهوادة فيه أن يأخذوا أنفسهم بشىء كثير من الحذر والحيطة . لأن النزعة التى أخذوا أنفسهم بها نزعة صعبة المراس محفوفة بالأخطار. فى حاجة ماسة الى الوعى والاستقصاء فى الدرس والبحث . والتسلح لتفسير كتاب الله لا بالعلم الكونى الذى نبغوا فيه فقط ولكن بالعلوم الدينية والعربية التى يجب على المتصدى لتفسير كتاب الله أن يكون متسلحا بها لأول مرة».

«... ان المرحوم مصطفى صادق الرافعى على طول باعه وسعة اطلاعه فى كتابه « اعجاز القرآن » قد ولج هذا الموضوع تحت عنوان القرآن والعلوم. فتوسع فى الامر حتى جعل القرآن مشتملا على علم حساب الجمل الذى يستطيع أن يكشف به كل عجائب العصور وتواريخها وحوادثها اخذا من قوله تعالى « رفيع الدرجات » فان عدد « رفيع » بحساب الجمل ثلثمائة وستون وهى عدد درج الليل والنهار .

ثم تعرض لبيان اعجاز علمى فى تكوين الأجنة فى بطون الأمهات فى قوله تعالى : **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر » ..**

فقال فى كلمة «العلقة» ان العرب ماكانت تعرف منها الا انها الدم المتجمد الذى يعلق بالأشياء لكن العلم الحديث كشف عن هذا العلوق وأبان أن الجرثومة المنوية تحمل رأسا مدببا تخترق به البويضة فى رحم الانثى فيعلق بها ويمتزج ويتكون الجنين ويصير علقة ثم يقول ان هذه العملية يشير اليها التعبير فى الآية بقوله « فجعلنا » ثم تبحث أنت فى الآية عن كلمة « فجعلنا » فلا تجدها أصلا . وليس فى الآية كلها جعل الافى جعل الانسان نطفة واعجازه العلمى انما كان فى جعله علقة».

وها هو ذا كاتب آخر اغرم بهذه المباحث فى كتبه ومقالاته يستعرض مؤخرا فى احدى مقالاته طائفة من الآيات القرآنية التى ذكر فيها السمع والبصر والفؤاد بهذا الترتيب . جعل لكم السمع والابصار والافئدة». « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ». حيث جاء ذلك الترتيب فى السور . النحل. المؤمنون . الملك . الأسراء . فيقول « فى كل الآيات الكريمة التى وردت فيها الحواس نجد السمع أولا ثم البصر ثم الفؤاد فهل ياترى كان مصادفة هذا أم أن هذه الآيات تقرر بذلك حقيقة علمية لم يصل اليها العلم الا أخيرا وقد جاء بها القرآن منذ أربعة عشر قرنا » ثم يقول عن هذه الحقيقة أنها تقرر أن خلق الأدراك فى السمع سابق على خلقه فى البصر . وأدراك الفؤاد وهو القوة العاقلة متأخر عن الاثنين » وهذا جيد لو كانت جميع الآيات التى تناولت هذه الحواس بالذكر فى كتاب الله جاءت على هذا الترتيب والنظام لكن طائفة اخرى من الآيات وردت فيها هذه الحواس على عكس هذا الترتيب والنظام». جاء فى سورة الأعراف ..

«ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها ».. وفى سورة « الحج » أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها .. وفى سورة «السجدة» ربنا أبصرنا وسمعنا. .. وفى سورة «الجاثية» « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » وفى سورة

فصلت « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر .. » انه لامناص لنا ونحن نجد أنفسنا وجها لوجه امام هذه الكثرة الكثيرة من النصوص القرآنية التى اختلف فيها ترتيب هذه الحواس من ان تخوض دوامة أخرى من البحث العميق عن سر هذا الاختلاف الذى يعود فى اجماله الى اختلاف مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال وذلك يقضى فيه وتهيمن عليه علوم البلاغة والاعجاز البلاغى لا العلوم الحديثة والأعجاز العلمى ».

نعم انه قد يكون المقام لمجرد بيان قدرة الله وعظمته فى خلق هذه الحواس ونعمائه بها على الانسان فيراعى فى ترتيب ذكرها وجودها الطبيعى وتقدم بعضها على بعض فى الخلق والأيجاد فيتقدم السمع على البصر على الفؤاد .. وقد يكون المقام للذم والتوبيخ للذين كفروا وضلوا ولم ينتفعوا بما خلق فيهم من قوى أدراكية فيعكس الترتيب وتتقدم القوة العاقلة فى الذكر لأنها الأهم المقصود مادام قد مس هذا الموضوع ان لايقتصر على دراسة بعض جوانبه وان ينحو بدراسته نحو الموضوعية بدلا من الموضعية . والا كان اثمها أكبر من نفعها لما تحدثه من بلبلة فى الأفكار وتشويش فى الأذهان ولما توهمه من التناقض فى كتاب الله وموافقته احيانا للحقائق العلمية ومخالفته احيانا أخرى لها .

وفى قوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .. » يقول هذا الكاتب نفسه ان فى الآية اعجازا علميا لأنها ذكرت حقيقة لم تعرف الا بعد نشأة علم التشريح والأجنة وبيان ذلك عنده ان الآية بينت أن أخذ الذرية من الظهور . والعلم الحديث قرر أن الجنين فى بطن أمه تكون خصيتاه فى ظهره ولا تنزلان الى مكانهما الا قبيل الوضع حتى أن بعض الأطفال يولد قبل نزول خصيتيه فالآية مطابقة لهذه الحقيقة ». هذه خلاصة كلامه ». ولكن !! هل تكون الذرية من الانسان وهو جنين خصيتاه فى ظهره وهو فى بطن أمه .؟ أم ان أخذ الذرية من الظهر لايكون الا عند الرجولة وتدلى الخصيتين .

وهل وجود الخصيتين فى باطن الجنين من جهة الظهر معناه انهما هما الظهر ؟ ثم ماذا نقول فى قوله تعالى فى الأنسان « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » ..

وفى قوله تعالى « يا أخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » يقول هذا الكاتب فى بعض مؤلفاته أن فى هذه الآية اعجازا علميا للقرآن لأنه يقرر فيها علم الوراثة الذى لم يعرف الا فى القرون الأخيرة وكان بودنا أن نشكر الكاتب على ما أسداه للقرآن من خدمة لولا أنا وجدنا هذه الآية من قصة اليهود ومريم ... ليس للقرآن فيها الا الحكاية أما المعنى فقد قاله اليهود قبل نزول القرآن حين فاجأتهم مريم بوليدها عيسى فقالوا يامريم «لقد جئت شيئا فريا ياأخت هرون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا ».»

فليكف القرآن مجدا انه الكتاب المعجز على مافى وجوه الاعجاز من أقوال وآراء وليكف القرآن مجدا انه فى المجال العلمى حث على التعلم والبحث والنظر ورفع من درجة العلم والعلماء أيا كان العلم وايا كان العلماء ولم يقف كغيره من الكتب حجر عثرة في سبيل التقدم العلمى والفكرى .. انه كتاب هداية ودين . ليس من شانه . الأفاضة فى الحقائق العلمية أن وجد فيه ذلك بصورة واضحة فلا بأس أما التوسع فى هذا الباب والتكلف فيه فليس من طبيعة هذا القرآن ولا من طبيعة هذا الدين الذى قال رسوله يوما لأصحابه « أنتم أعلم بشؤون دنياكم » لما نهاهم عن تأبير النخل فشاص .

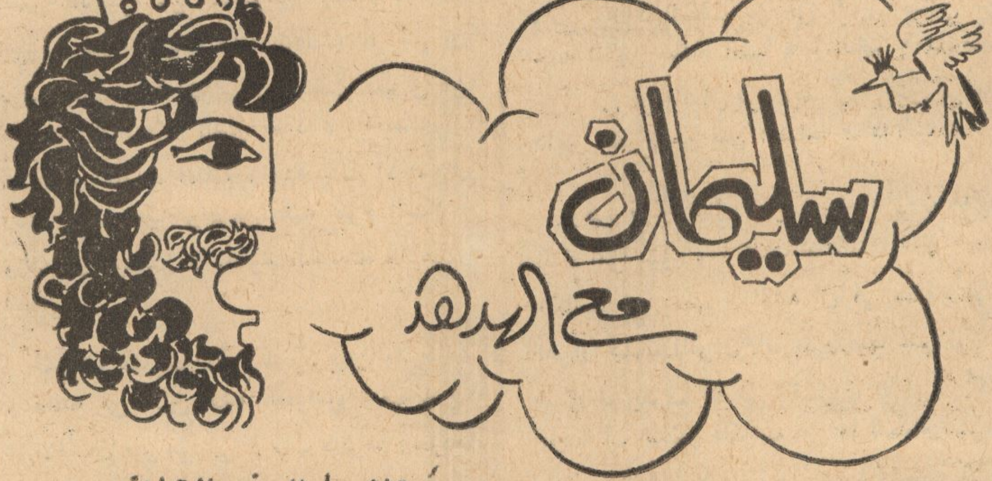

الأستاذ بهاء الدين القباني

تفقد سليمان الطير فلم ير الهـــدهد فاحس النبى العملاق احساسا غامضا بانه قادم على أروع لحظـــات حياته وادقها .. وانتابته صنوف من شعور أرقتـــه وأفزعته !! لابد وان يكون وراء غياب الهدهد شيء جبار ! ماذا ؟؟ ومن يكون الهدهد هذا الذى يرغم سليمان على الشرود فى أسباب غيابه ؟ لم يستطع سليمان على سعة ملكه وحكمته وزنته للأمور أن يتكهن ويغوص فى أعمـاق نفسه بحثا عن السبب .. حتى أن بصيرته النافذة لم تقو على التغلغل تماما .. وأحس بعجز خارج عن ارادته .. وان كان عقله الباطن قد أكد له أن أمرا خطيرا فى طريق الظهور الى العـالم الخارجى .. ويكون سليمان والهدهد طرفين فيه ومقترنين به..بل ان الهدهد بمفرده يملك زمام هذا الأمر وخيـــوطه ومفاتيحه بين منقاره وخلال مخالبه . فأين الهدهد الذى أصبح سليمان فى فى لحظة واحدة وكأنه واقع تحت رحمتــــه .. فغياب والهدهد طرفين فيه ومقترنين به..بل ان الهدهد بمفرده سليمان بناصية الهدهد لاصبح مالكا لكل ناصية فى رأس ذلك الامر المتعدد النواصى .. وعندها ستخف بالطبع وطأة القلق وشدته .. ويروى شغفه .. وهكذا انتفض سليمان غاضبا غضبا شديدا من غياب الهدهد عنه .. فان قدوم الهدهد يبعث على الفـور راحة واطمئنانا فى صدر سليمان الذى بدا وكأن نار الفضول تتقد اتقادا الى معرفة سر يجهله سليمان .. وعزيز على سليمان أن يجهل سرا من أسرار جنـــوده .. فأرغى وأزبد !.. وتوعـد الهدهد بالعقاب الاليم !. أو بالاعدام !.. الا اذا جاءه الهدهد بذلك السر الذى يعتمل فى صدر سليمان ويكتظ به دون أن يدرى كنهه .. يروى القرآن : وتفقد الطير! فقال : ما لى لا أرى الهدهد ؟ أم كان من الغائبين؟ لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه ! أو ليأتينى بسلطان مبين » (النمل ٢٠ ـ ٢١) ..

هكذا بدأت قصة سليمان مع الهدهد التى تولى القرآن روايتها فى أسلوبه المشوق .. فأحداثها وتفاصيلها من أبرع الاحداث والتفاصيل التى مرت بحيـــاة سليمان جميعا !. هذه القصة لم نجد لها ذكرا فى جميع اسفار واصحاحات العهد القديم !! اللهم الا من شيء يســـير مشوش معكوس فى نهاية القصة يمزقها .. ويذهب بها الى مستنقعات راكدة يمرغ فيها سليمان .. ويقضى على شخصيته كنبى طاهر وملك قادر وحكيم عظيم .. وتقى آتاه الله من كل شيء .. فأتوه مترجمو كتب العهـــد القديم من كل شيء آسن !. ووضعوا فوق كاهله ذنوبا.. وتقولوا عليه أقاويل ما أنزل الله بها من سلطان .. ومع ذلك فأهل الكتاب سادرون فى كتبهم هذه .. يعتبرونها حجة وعظمة كبرى .. وهى تسوقهم الى ضلال وبطلان .. وكل متبعيها عمون عن الحق المضيء .. والسبب فى هذا هم المترجمون !. قاتلهم الله أنى يؤفكون !!..

وانا بفضل من الله وقد جندنا أنفسنا للكشف عن أورافهم .. والاعيبهم جميعا ـ وكما كشفناها فى أبحاثنا السابقة ـ ونغوص فى أعماق ما ترجموا ان كانت هناك أعماق لها .. ونعرضها على الجميع : المسلم والنصرانى واليهودى والمجوسى وعابد الاوثان وغيرهم فى كل أرجاء العالم !! وانا لواثقون من ان الجميع سوف يتبرأون من كتب العهد القديم !. بل نسمعهم ينادون معنا بأن كتب العهد القديم امست غير ذى موضوع .. فوجب التخلص منها جميعا .. حتى لا تتسمم أفكار الاطفال الصـــغار الابرياء !! فانا نريد جيلا جديدا يعمل عقله وذهنه .. ويحكم المنطق والمقبول .. وبعدها يرى كل وجهتـــه فى

الحيـاة .. لا اكراه فى الدين .. قد تبين الرشـد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى .. لا انفصام لها » !!

ولنتـابع القصـة كما جاءت فى القرآن .. اما كتب العهد القديم ـ كما قلنا ـ فلم تأت بالبداية المشـوقة المهذبة ولم تذكر عنها شيئا على الاطلاق .. وحتى نلتقى بكتب العهد القديم فى نهاية قصته الممسوخة المسلوخة .. ناخذ زادا من القرآن أولا .

فلقد افتقد سليمان الهدهد ـ كما قلنا ـ واعلـن افتقاده لمن حوله من الملا من الجـن .. والانس .. والطير .. وبالطبع يستطيع سليمان أن يجنـد هؤلاء جميعا فى البحث عن الهدهد والاتيـان به ولو كان فى السحاب أو فى الارض .. ويروى الالوسى « ان سليمان لما افتقد الهدهد قال لسيد الطير وهو العقاب : على به .. فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال : بحق الله الذى قواك وأقـدرك على الا رحمتنى .. فتركته وقالت : ثكلتك امك ! ان نبى الله تعالى قد حلف ليعذبنك أو ليذبحنك قال : وما استثنى؟ قالت : بلى .. قال : « او ليأتينى بسلطـان مبين » فقال : نجوت » .. وما رواه الالوسى هنا .. وان كنا لا نميل اليه كثيرا الا أننا نعتبره من باب التكهن عمـا عساه يكون قد دار أثناء غياب الهدهد .. لانه من الذى يدرينا بصحة الحديث خاصة وأن الالـوسى وغيره لم يكونوا طائرين فى السماء مثل العقـاب والهدهد حتى يتسمعوا نص الحديث الذى جرى بينهما .. ومهما يكن من أمر فان سليمان لم يلبث على حاله من الاضطراب النفسى طويلا فى انتظار الهدهد .. حتى سمع سليمان رفرفة جناحين رقيقين .. فادار وجهه بسرعة نحوهما.. فالفى الهدهد قادما رافعا رأسه فى الهواء !. وبدأ يمثل فى اجلال بالقرب من مجلس سليمان وهو يحرك ذنبـه الطويل ومنقاره الدقيق .. وتاجه المرفوع فى اعتزاز وكبرياء .. ولا شك أن الملا من حول سليمان قد بدأوا يحملقون صامتين .. ومرت لحظات رهيبة على الجميع انتظارا للمحاكمة الكبرى التى غدا سليمان فيها قاضيا مهيبا .. وبدا الهـدهد أمامهم وكأنه متهم بجريمة منكرة .. وأن الهدهد عما قريب يساق به الى حيث يلقى حتفه .. وهو جزاء كل من تسول له نفسه الغياب بدون عذر عن أعين سليمان .. أو الخروج على الطاعة.. ولعل الذى زاد الموقف دقة وحرجا هو قدوم الهـدهد على تلك الهيئة التى تنم على عدم المبالاة .. والشجاعة .. والجراة .. فشعر الجميع أن ثورة عارمة لابد وأن تنشب بين سليمان والهدهد .. ولسان حال كل منهم يدعو الله فى صمت أن تمر هذه اللحظات الدقاق على خير وسلام .. فان غضب سليمان وحزمه لا يقفان عند حد .. والا لطمع فيه الجميع !. وخرج عليه الجميع !.

وتعلقت كل العيـون الى شفتى سليمان .. وتنقلت بينها وبين منقار الهدهد .. وان هى الا لحظات حتى نطق الهدهد باننى ما تغيبت الا لانى كنت بسبيل علـم اشياء واخبار جديدة تهمك .. وتهم دعوتك كنبى مرسل من الله تعالى .. لم تحط أنت بمعرفتها يا سليمان !! فلقد أتيت اليك بنبأ خطير صادق لا يتطرق اليه الشك .. واننى رأيته رؤى العين .. وهذا النبأ من بلدة سبأ البعيدة عن مقر مجلسك بعدا شاسعا .. يروى القرآن : « فمكث غير بعيد .. فقال أحطت بما لم تحط به !! وجئتك من سبأ بنبأ يقين ! » (النمل ٢٢) ..

من يكون الهدهد هذا الذى يدعى فى حضرة سليمان انه قد حصل على معلومات لم يتحصـل عليها سليمان نفسه ؟؟ انه كلام أبلغ من الصمت العميق الذى التزمه جميع الحاضرين .. وبالطبع لم يفهم كلام الهـدهد غير سليمان ومن هم على شاكلة الهدهد .. وان كان الباقون قد قرأوا على صفحة وجه سليمان من تعابيره ما أفهمهم أن سليمان قد بدت عليه سطور الشغف الى معرفة شىء مهم وخطير لابد وأن الهدهد قد ألقاه على سمع سليمان .. وبدأ على سليمان التفكير والشرود فى مقالة الهدهد ولعل سليمان قد نظر الى الهدهد نظرة خاصة يحثه على متابعة حديثه وسرد ما فى جعبته .. ولقد أحس الهدهد نفسه بشغف سليمان الى معرفة المزيد من الموضـوع الجديد .. فانتظر هنيهة صمت يعطى بها حديثه اهمية قصوى .. وجلبا لتشويق سليمان اليه .. فكان الهدهد أراد ان يحول سليمان تحويلا كاملا عن التفكير فى عقابه بالعذاب أو بالذبح واخراجه عن هذا التفكير الى موضوع آخر أكثر أهمية وخطرا . .واطمأن الهدهد بعض الشىء على نفسه وظن انه ناج من العقاب فاراد أن يسبغ على حكايته لونا جذابا .. وراح الهدهد يضرب على الوتر الحساس لدى كل انسى .. وكيف أن كل البشر يمكن جذب اهتمامهم بالحديث عن النساء .. فالنساء فى كل زمان ومكان مجلبة للقصص ومحط لافكار البشر .. وأكثر شىء يمكن أن يطول الحديث فيه بدون سـأم أو ملل . فاراد الهدهد أن يجعل بداية قصته هى أن يذكر امراة .. وسيلاقى بعد هذا الذكر آذانا صاغية وقلوبا لابد وأن تخفق .. فاعلن الهدهد أول ما أعلن فى حضرة سليمان أنه وجد أنثى !! امراة !. قد تنصبت ملـكة على قوم سبأ .. وانها أوتيت حظا وفخامة وغنى وجاها فى قومها .. بل ان لها عرشا يبلغ حد الروعة فى مظهره وحسن تنسيقه .. ولا يخفى من حسن مظهر العـرش الى حسن ذوق من تجلس عليه .. اذ لابد وأن لها ذوقا مرهفا حساسا .. جعلها ترسم عرشها على طريقـة جميلة .. دعت الهدهد أن يصفه بانه عرش عظيم .. فقد قال الهدهد : « انى وجدت امراة تملكهم !. وأوتيت من كل شىء !! ولها عرش عظيم ! » (النمل ٢٣) ..

اذن .. فلقد كان الهدهد ذكيا ولبقا الى حد كبير !. أرغم سليمان على التنقل من جملة مشاعر وانفعالات فى ساعة واحدة وفى ترتيب منطقى مهذب .. فالهدهد أولا : نسب الى نفسه علما فكان مفاجأة لسليمان أن يصغى اليه فى استنكار .. ثانيا : طعم حديثه بذكر المرأة فجعل سليمان يزيد فى انتباهه للحديث مع شىء من انتعاش .. ولعل التساؤل قد يثور حول امكان الهدهد الكلام .. فقد جاء فى كتاب فانس باكار « الجانب الانسانى عند الحيوان » : « ان الببغـاء يمكنها أن تقول : أريد قطعة بسكويت أو ساعدنى على الخروج من هذا المكان ..وكثير منا لا يعلم أن هناك عددا من الطيور الاخرى تكاد تشبه الببغاء فى موهبة القدرة على تقليد أصوات الانسان .. والزرزور يمكنه ان يلقى بعبارات قصيرة باتقان كالببغاء .. والغربان أمكن تعليمها نطق بعض الكلمات » .. وكلام الهدهد الى سليمان ـ اذا وضعنا فى الاعتبـار ما جاء بكتاب فانس باكار ـ يمكن أن يكون عن طريق اكتساب الهدهد لنطق لغة ذات أحرف معينة يفهمها الانسان .. فنطق الهدهد باللغة التى يتخاطب سليمان بها مع جنسه من الانس.. ويكون تفسير الآية : « يأيها الناس علمنا منطق الطير » أى يأيها الناس قد علمنا الله الطـريقة التى نجعل بها الطير ينطق بلغة ذات أحرف مسموعة مفهومة لدى الانسان .. وجاء فى روح المعانى : « والذى علمه عليه السلام من منطق الطير هو على ما قيـل ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه » .. ولكن هنا لم يوضح روح المعانى المقصود بفهم سليمان منطق الطير ؟

هل فهمه هو على لغة سليمان نفسه أم على لغة الطير التى كثيرا ما تعبر عن رغبتها بالاصوات أو باصدار بعض الحركات الخاصة التى تفيد مقاصد معينة .. وقد جاء فى كتاب فانس باكار أيضا عن الطيور أن الذكر منه : « يتخذ محطا على شجرة تكون له بمثابة «محطة ارسال» ويرفع عقيرته بالتغريد .. والتغريد يؤدى الى غرضين : فهو يعلن عن مقر الطائر كما انه يفصح عن رغبته العاطفية الى أى اناث تكون على مسمع منه .. كما أن هذا التغريد ينبه الذكور الآخرين الى أنه وحده قد وصل الى ذلك المكان أولا .. وانه لن يتسامح مع الدخلاء الانتهازيين .. فاذا لم يعر أحد الذكور ذلك اهتماما فان الطائر الفرد يأخذ فى مطاردته » ..

ونحن نذهب ـ استنادا لما جاء فى القرآن ـ أن الهدهد له لغة صوتية خاصة ذات أحرف معينة لا يفهمها الا الطيور مثله .. وقد فهمها سليمان عليه السلام .. فان المعانى التى وردت فى حديث الهدهد الى سليمان لا يمكن ان يتم بالحركات وحدها .. فالهدهد قد ذكر بعض أسماء بعينها .. منها أنها ملكة على قوم سبأ .. وأنهم يسجدون للشمس من دون الله .. وأن الشيطان هو الذى زين لهم أعمالهم .. وأن الله وحده هو الذى يعلم السر وأخفى . .وكل هذا بالطبع لا يمكن فهمه بحركة من رأس أو من ذيل أو من جناحين .. وانما هى أحرف بصوت مسموع ذات طبقات صوتية خاصة آتى الله سليمان علمها وفهمها اياه !!..

ولا بد وأن سليمان قد أخذ يتابع حديث الهدهد فى انتباه كبير .. خاصة وان الهدهد يتحدث عن النساء.. وان كان سليمان يملك من المحظيات والجوارى الحسان ما تضيق بهن القصور الواسعة .. ولكن .. ان الانثى التى يوالى سماع أخبارها من فم الهدهد ليست مثل نسائه وانها تعتبر فاكهة جديدة من نوع آخر .. بالاضافة الى انها ملكة .. وسليمان ملك .. والملوك دائما ينظرون الى من هن فى مثل منصبهن .. بل لماذا لاتعتبر ملكة سبأ غريمة لسليمان ؟؟.. ونحسب أن سليمان قد بدأ يخفق قلبه .. تماما كما أحس الهدهد نفسه بخفقان قلب سليمان .. فآثر الهدهد المزيد من ذكر الملكة الأنثى .. ولكن الهدهد هذه المرة راح يخلط بينها وبين ما هى عليه الملكة من الشرك والضلال .. وكيف أنها وقومها يعبدون الشمس ولا يعبدون الله الواحد !. وأن الشيطان هو الذى أملى عليهم الابتعاد عن طريق الله القويم الى طريق الغواية والكفر .. وأن الشيطان يأمرهم فيأتمرون .. ويشير عليهم فيأخذون بمشورته .. وأنهم جميعا غارقون الى أذقانهم فى المعاصى واللذات .. وما من يد تهديهم وتبين لهم طريق الرشاد .. انهم يا سليمان مساكين يحتاجون الى العطف والاشفاق .. فقد تابع الهدهد : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ! فصدهم عن السبيل! فهم لا يهتدون » (النمل ٢٤) وهذه نقلة ثالثة ذكر الهدهد أثناها سليمان بنبوته لاستعمالها مع قوم سبأ المشركين .. فكأنه ضغط على نقطتين جوهريتين : الاولى : حديثه عن الملكة المرأة .. الثانية : كفر هذه المرأة وقومها بالله .. فوضع الهدهد سليمان فى موقف دقيق يستحوذ على تفكيره جميعا .. وان كانت النقطة الثانية بالذات قد قدر الهدهد لها قدرها لدى سليمان فى تحريك عوامل النبوة .. واظهاره الدوافع للدعوة الى الله . وحثه على الابتداء فى استعمال سلطاته كنبى أرسله الله لاخراج الناس من الظلمات الى النور ..

وكيف أن سليمان مفروض عليه أن يقوم بالدعوة الرائعة .. وأن وقتها قد حان فى ابرازها على أوسع نطاق .. يصل الى مملكة سبأ الضاربة فى الارض على بعد من سليمان شاسع !.

ولم ينته الهدهد عند هذا الحد .. بل أراد أن يحرض سليمان على الدفاع عن الله العظيم الواحد ـ وان كان سليمان لا ينقصه هذا بطبيعة الحال ـ فاخذ يستنكر أفعال قوم سبأ .. وكيف أن الله العليم هو الذى يسجد له الناس فقط ولا يسجدون لاله غيره .. فهو يعلم كل صغيرة وكبيرة سواء فى السماء أو فى الارض .. ويعلم ما تخفيه النفس ـ أى نفس ـ فى أعماقها من أدق الاسرار .. ويعلم أيضا ما فعلته تلك الانفس بدون وساطة .. اذ أنه خالق كل شىء .. وهو يملك عرشا أعظم من جميع العروش .. أعظم من عرش سليمان .. ومن عرش سبأ .. ومن أى عرش وجد على الارض أو يوجد فى المستقبل .. اذ أن كرسيه قد وسع السموات والارض وهو رب العرش العظيم فقد قال الهدهد فى ايمان وقوة : « الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » وأردف الهدهد معلنا ايمانه هو شخصيا بالله الذى كفرت به ملكة سبأ .. وكفر به قوم سبأ .. وكأنه يحترز لنفسه قائلا فى حماس ألهب قلب سليمان : « الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ! » (النمل ٢٦) .. وبالطبع فلقد كان كلام الهدهد على جانب كبير من المنطق والمعقول .. وأوقع فى يدى القاضى العادل سليمان .. ولا يستطيع سليمان نفسه أن ينزل العقاب بالهدهد أو يأخذه بالذنب ما لم يمحص سليمان الامر جيدا .. ويستبين صدق الهدهد من كذبه .. فان كان صادقا فيما ادعى يضحى عذره مقبولا لدى سليمان .. وان كان كاذبا يساق به الى السجن أو الاعدام !. فقد تمتم سليمان فى كبرياء .. بعد أن بلغ تأدبا كبيرا وصدرا رحبا فى الاستماع الى الهدهد وقال : « سننظر ! أصدقت ؟؟ أم كنت من الكاذبين » (النمل ٢٧) ..

وعلى التو لمعت فى خاطر سليمان خاطرة بدا فى تنفيذها على الفور .. فقد دعى بقرطاس وريشة .. وأملى على كاتبه خطابا الى ملكة سبأ .. ولعل الملأ من حول سليمان قد عرف صيغة الخطاب وفحواه .. فانه ربما أملاه سليمان بصوت مسموع .. ثم ختمه بخاتمة .. وأشار على الهدهد نفسه أن يأخذ الخطاب ويلقه على قوم سبأ .. ولابد وان الهدهد قد فهم أنه يلقيه على ملكة سبأ بعينها .. وهكذا تتبادل الخطابات بين الملوك .. على أن يظل الهدهد مراقبا للملكة لمعرفة صدى خطاب سليمان عليها وعلى قومها .. وما الذى سيتبادلونه من الافتراحات حول موضوع الخطاب ـ فقد قال سليمان للهدهد : « اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ! ثم تول عنهم ! فانظر ماذا يرجعون ؟! » (النمل ٢٨) ..

وهكذا بدأ سليمان فى امتحان الهدهد الذى ارتفع على الفور الى عنان السماء غاديا على رحلة طويلة الى مملكة سبأ .. وما أن وصل الى قصر الملكة المنيف .. حتى وجد الهدهد بلقيس منفردة فى شرفة قصرها .. فبدأ يقترب منها رويدا رويدا .. خاشعا من جمالها الاخاذ !!

والى العدد القادم .. حيث نقرأ مع بلقيس الخطاب العظيم من سليمان ان شاء الله .

التكافل الاجتماعى فى الاسلام

-٧-

فى محيط المال

الدكتور محمد سلام مدكور

تناولنا فى العدد السابق مفهوم المال فى لفقه الاسلامى ، وتكلمنا عن التطور التاريخى للملكية الفردية والملكية الجماعية، وبينا ان التشريع الاسلامى أقر الملكية بنوعيها الفردية والجماعية ، وسلط على نظام التملك الفردى التعاليم الوجدانية ، كما تكلمنا عن موارد الملكية فى الاسلام ومصارفها . وبينا ان الشارع فى الاصل لم يضع حدا للتملك اكتفاء بالقيود التى قيد بها الافراد المالكين التى توفر للمجتمع السعادة والرخاء وتحقق بين الناس معنى التكافل الاجتماعى فى المال . وقلنا ان من هذه القيود ما هو قابل للقبض والبسط على ضوء حاجات المجتمع ، واشرنا الى تقرير مبدأ المنع من اساءة استعمال الحق . وانتهينا الى ان الاسلام فرض الزكاة لصالح الفقراء واستحث الموسرين على الانفاق على المحتاجين والقيام بحاجيات الجماعة ، وحض على التصدق والمعونة ، كما اوجب الضرائب المتمثلة فى الخراج والعشور ونحوها . ووعدنا بلقاء آخر نتحدث فيه عن هذه القيود .

* * *

أولا – الزكاة :

الزكاة ركن من اركان الاسلام الخمسة ، من اعتقدها ولم يؤدها أجبر عليها ، وقد وافق الصحابة أبا بكر على مقاتلة المانعين للزكاة . وهو تشريع اسلامى اذ لم تشرع الديانات السابقة فريضة الزكاة ، وانما كل الذى اتجهت اليه لاسعاد الفقراء هو دعوة الاثرياء والقادرين الى الاحسان اليهم والتصدق عليهم دون ان يكون لذلك فى افهامهم أى الزام أكثر من الالتزام الخلقى . وهذا يرجع الى طبيعة الشخص دون ان يكون للفقير حق فى المطالبة ، ولا للدولة سلطة فى التحصيل والاجبار .

فالاسلام قد عالج هــذه الحالة بفرض الزكاة واعتبارها حقا للفقير واجبا فى مال الغنى ، وجعل لولى الامر حق جبايتهـا ولو جبرا من المماطلين لايفاء الفقراء حققوقهم ، وكان هذا اول تشريع فى تاريخ العــالم يفرض للفقراء فى مال الاغنياء حقا تلزمهم به السلطة الحاكمة .

ولقد تنبه الغربيون منذ اقل من اربعـة قرون الى عظمة هذا المبدأ الاسلامى العظيم ، وحاولوا الاقتباس منه فصدر فى انجلتـرا قانون يقوم اساسا على الاعتراف بأن للفقراء حقا ثابتا فى اموال الاغنياء ، وانه على الدولة جبايته لهم منهم .

وصدر بعد ذلك قانون مماثل فى امريكا، والحق أن اساس هذا كما اشرنا قول الله تعالى :

« والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

واذا كان الفقهاء قالوا بوجوب الزكاة فى الذهب والفضـة وعـروض التجـارة ، وفى الماشية من الابل والبقر والغنم ، وفى الزروع والثمار ، وبينوا قدر الزكاة فى كل نوع . فانها فى الواقع تجب ايضـا فى غيرها من انواع الاموال التى جدت فى هذه العصور كالات المصـانع اذ أن من رأس مال صاحب المصنع هذه الآلات ، وانما يستأجر العمـال لادارتها . فهى لهذا من الاموال النامية التى تجب الزكاة فى صـافى غلتها كالزرع والثمار وكالاوراق المالية فانها قيـاسـا على عروض التجارة او المال المدخر تجب فيهـا الزكاة ، وكذلك الدور التى اعدت للاستغلال قياسا على الارض الزراعية ، وما كانت الدور قديما تعد للاستغلال حتى يقرر الفقهاء فى ازمانهم فيها الزكاة .

ثانيا ـ وجوب نفقة الفقراء على الاغنياء :

ويهمنـــا أن نبين أولا أن الانفـاق والبر والتصدق غير الزكاة الواجبة وقد جمعهما الله سبحانه فى آية واحدة اذ يقول سبحانه :

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبــل المشرق والمغـرب ولكن البـر من آمـن بالله واليوم الآخر .. وآتى المال على حبه ذوى القربى .. وأقام الصلاة وآتى الزكاة » .

فقد أكد الشارع الانفـاق والزم به فى اصله دون قدره ، واعتبر التقصير فيه سببا للتهلكة . يقول الله تعالى

« وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » .

وقرن الانفاق بالايمان بالله ورسوله لما فيه من اهمية اجتماعية اذ يقول سبحانه :

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

وان فى قوله سبحانه «جعلناكم مستخلفين» لفتة كريمة تيسر على نفس من بيده المال بذله واعطاءه اذ يشعر ان المال الذى فى يده هو فى حقيقته مال الله وما هـو الا مستخلف فيه ، كما يتضح ذلك النهج ايضا فى قوله تعالى :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ولم يلزم الشارع الناس جميعا بقــدر محـدد أو نسبى فى الانفاق حتى يقدم كـل لفقراء اسرته وسائر الفقراء بحسب قدرته مايكفيهم ويقـــوم بأودهم ويسد حاجتهم ، اما من تلقاءنفسه واما عن طريق حكم القاضى، وحتى يكون فى وسع ولاة الامر فرصـــة التقدير على الاغنياء حسب حاجة المجتمع عندما يقصر الناس فى الانفاق على سـائر الفقراء وحاجـــة المجتمع كما هوواضـــح تختلف باختلاف العصور .

وان مسلك الاسلام فى الدعوة الى التكافل المالى عن طريق الانفـــاق والبر لمسلك حكيم

فهو قد جعله اولا فى محيط الاسرة والزم به القادرين على الانفاق من الاهل والاقارب الاقرب فالاقرب ويدخل فى ذلك الزوجة وجميع الاقارب .

فجاء فى وجوب النفقة على الزوجة قول الله تعالى : « وعلــى المولود له رزقهـن وكسوتهن بالمعروف » . وقوله : « لينفـق ذو سعة من سعته ومن قدر عليـــه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسـا الا ما آتاها » . وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله فى النساء فانهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . لكم عليهن ألا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن » . ويقول صلوات الله عليــه لهند بنت عقبة حينما قالت : يا رسول الله: ان أبا سفيان ـ زوجها ـ رجـل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ما اخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : خذى ما يكفيـك وولدك بالمعروف » .

وجاء فى وجوبهـا للاقارب قوله تعـالى بالنسبة لنفقـة الوالدين : « وبالوالدين احسانا وبذى القربى » . ويقول عليه الصلاة والسلام « ان أطيب ما اكلتم من كسبكم ، وان اولادكم من كسبكم فكلوه هنيئا مريئا » وبالنسبة للنفقة الواجبة للاولاد على الآباء آية « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن » . ايضا وحديث هند المذكور .

واذا كان الشافعية يجعلون هذه النصوص شاملة للاصول والفروع من غير تقيد بدرجة اذ الاصول آباء مهما بعدوا والفـروع اولاد مهما بعدوا أيضا ، فان الاحناف يوجبـون النفقة على كل ذى رحم محـرم فيقولون بوجوبها على سائر الاقارب لاقاربهم اذا كانوا من محارمهم ولا يوجبونها لقريب غير محرم مستدلين أيضا بقوله تعالى : « وءات ذا القربى حقه » وقيدوا القريب بذى الرحم المحرم أتباعا لقول عبد الله بن مسعود ونهيه . والحنابلة اوجبوها لكل قريب وارث سواء كان ذا رحم محرم أم لا .

بينما ابن حزم الظاهرى الذى كان ذا جاه وسلطان يوجب نفقة جميع الفقراء فى كل بلد على اغنيائها دون توقف ذلك على قرابة او محرمية . وجعل لولى الامر سلطة الاجبار على ذلك ان لم تقم موارد الزكاة بحاجيات الفقراء بحيث يتوفر لكل فرد القوت الذى لا بد منه والملبس الذى يقيه برد الشتاء والذى يدفع عنه حر الصيف ، والمسكن الذى يكنه من عيون المارة ويمنع عنه المطر وحرارة الشمس ويأويه واهله الذين فى حوزته .

وابن حزم الظاهرى يحاول بهذا ان يبرز نظرية التكافل الاجتماعى فى الاسلام فى أوضح صورة . وان يوضح الحكم الاسلامى لمعالجة الفقر والعوز وحمـاية الناس فى المجتمع الاسلامى منه ووضعهم فى مستوى رحب يضمن لهم الغذاء والكساء والمسكن وجعل هذا حقا ثابتا لاقل الافراد وادناهم تلتزم الدولة بانفائه لهم من اموال الاغنياء .

ولم يكن هذا مجرد خاطر خطر لابن حزم اتبع فيه هواه او دفعه الى القول به ظرف اجتماعى خاص به او بمجتمعه يجعله حكما استثنائيا وانما فهمـــه من بعض النصوص مثل قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقـــه والمسكين وابن السبيل » فقد فهم من هذا النص ان الله اوجب على كل قادر اعطـاء هؤلاء واعتبر ذلك حقا لهم وليس احسانا ، ومن واجب ولاة الامر حماية حقوق الضعفاء اذا حاول الاقوياء جحودها او المماطلة فيها .

ويؤيد ابن حزم الظاهرى رأيه وفهمه بما ورد فى السنة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » . يقول ابو سـعيد :

وذكر الرسول من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لاحق لاحد منا فى فضل !.

ويتحمس ابن حزم لهذا الفهم فيعلق على قول الرسول « من لا يرحم لا يرحم » بقوله من كان على فضلة من المال ورأى اخاه جائعا عريانا ضائعا فلم يغثه فما رحمه بلا شك . بل وينقل عن بعض من الصحابة ما يفيد هذا المعنى وكأنه يريد ان يقول : انه لم يستقل بهذا الرأى ولم يكن اول قائل به فى الاسلام اذ يروى عن الامام على انه قال : «ان الله فرض على الاغنياء فى اموالهم بقدر ما يكفى الفقراء فان جاعوا او عروا فيمنع الاغنياء وحق على الله ان يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم » .

وكأن ابن حزم ومن قبله الامام على رضى الله عنه ينادى بفرض ضريبة اشبه ما تكون بضريبة الدخل العام ويترك تحديدها مرنا تحدده حاجة الفقراء فى المجتمع وما يلزم لتوفير المطعم والملبس والمسكن لهم ، وهى تختلف من بلد الى بلد ومن زمن الى زمن وهذا الوعاء الضريبى يكون مورده الزكاة المفروضة فاذا لم تقم بحاجة الفقراء فتكمل بما يفرضه ولى الامر على الاغنياء لسد هذه الحاجة .

* * *

والذى يفهم من عموم قول الله تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » أن المطلوب هو الانفاق الدائم على كل محتاج ومسكين دون استعلاء ودون استذلال حتى لو وجدت بعض الحزازات بين من وجب عليه الاعطاء ومن حق له الاخذ ، ونجد هذا التوجيه القرآنى عاما شاملا لكل حالات البر والصدقة ، يؤيد ذلك ما روى أن بعض الصحابة امتنعوا عن التصدق على من تكلم عليهم بسوء فنزل قوله تعالى : « ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

بل أن بر الفقراء ومعونتهم لم يقصره الاسلام على فقراء المسلمين وحدهم وانما أجازه لغير المسلمين ممن لم يقاتلونا ولم يفتنونا فى ديننا يقول الله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة عامة للناس »

ولا يقف هذا حائلا دون مطالبة الناس خلقيا بالتوسع فى الاحسان وزيادة المعونة لازالة كل اثر لاى حقد فى النفوس او حسد ولغرس الالفة والمحبة وايجاد روح المودة الصادقة والتعاون الكامل بين أفراد المجتمع فيبيت كل عن اخيه راض .

بل وامعانا فى ذلك فاننا نجد ابن حزم هذا وفريق من الفقهاء يقررون وجوب حق الضيافة لحديث أبى شريح الخزاعى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام . فما كان وراء ذلك فهو صدقة ولا يحل أن يثوى عنده حتى يحرجه .

* * *

وفى هذا مايدل على حرص الاسلام على تحقيق التكافل الاجتماعى فى دائرة المال خاصة بأكمل صورة وبذل المال والطعام بكل سخاء وعن طيب خاطر دون ان يشعر المعطى بشىء من الاستعلاء ولا يشعر الآخذ بشىء من الذلة والهوان يقول الله : « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رءاء الناس » . وذلك لانه حق واجب بأمر الشارع وقيد من القيود التى حف بها الملكية الفردية .

ولم يكن واجب الزكاة والانفاق والحث على التصدق والاحسان وحدهما مافرضه الشارع من قيود على ملكية الاموال ، وانما هناك أمور أخرى نعرضها فى المقال القادم ان شاء الله .

في حج بيت الله

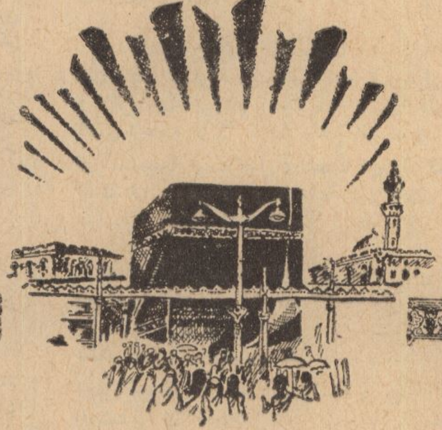

الاستاذ حسن الشيخة

بالتامل والتنقيب تعرف اسرار حج البيت الحرام ، لمن استطاع اليه سبيلا ، وكذلك بقية مبانى الاسلام الخمسة ، وقد تحدثت فى العدد الماضى من هذه المجلةعن وحدانية الله ، اما غيرها من بقية مبانى الاسلام فاخص منها بالذكر الآن فريضة الحج التى نحن فى موسمها .

تنطوى فريضة الحج على جملة صـــالحة من تاريخ الاسلام ، فقد أراد الله أن يخرج هذا الدين من الـوادى المقدس طوى ، بين صخور ورمال ، ووهاد وجبال ، ولم يشا ان يكون هذا الوادى مهملا بعد ظهور الاســلام ، تعفى عليه الايام ، وتهمله الاعوام ، وانما أراد لهالذكريات الدائمة التى تتجدد كل عام ، بان فرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا .

واذا كان الناس يذكرون الصالحين فى المســـاجد والمزارات ، واذا كانوا يذكرون عظماءهم باقامة التماثيل فى الميادين والمتسعات ، واذا كانوا يذكرون مـــوتاهم بزيارتهم فى قبورهم ، فاولى وأولى بالزيارة هذا الوادى الذى اخرج للناس دينا هو آخر الاديان السماوية الذى قضى على الافك وعبادة الاوثان ، ليكون تاريخه متجـددا كل عام ، وذكرياته باقية على الدوام .

ان فى الحج ذكريات ماكان عليه نبى الاسلام صـلوات الله عليه ، وصحبه الابرار ، ومؤازروه الاطهار،المهاجرون منهم والانصار ، من التقشف والزهد فى الملبس والمطعم ، وقد اراد الشارع الاسلامى أن يجعله فرضا على المستطيع ليكون تاريخ الاسلام دائما بين عينيه ، يقرؤه من أول عمل فى الحج الى منتهاه ، وليس فى كتاب قد ينسى ، وقد يدركه التفتت والبلى .

هناك حكمة اجتماعية غير ما تقدم ، هى ان اجتمـــاع المسلمين فى صعيد واحد من جميع الاقطار والبلدانيكون سببا طيبا فى تعارفهم ، واذا تعارفوا تشاوروا فيماينفعهم، بعيدين عن خصومهم ، أحرارا فى ابداء آرائهم ، وفى ذلك مالا يخفى من الفوائد اذا خلصت النيات ، وسلمت من الآفات .

هناك ايضا من الحكم تموين تلك البقاع الجبلية لمن هو فى حاجة الى التموين ، كما تشير اليه الآية الكريمة « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » .

هذه من أسرار الحج ، فاذا كان شىء منها لا يؤدى ولا يتحقق الآن فان ذلك ليس ذنب التشريع الاسلامى نفسه وانما الذنب فيه بعيد عما أريد فى الاصل من فريضـــة الحج وحكمه .

الحج اشهر معلومات ، هى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، هذا هو الاصل فى التوقيت للحج ، وقد علل الفقهاء الحج فى هذه الاشهر المعلومات بانهـــا الاشهر التى قبل الله فيها توبة آدم أبى البشر ، وفيها حقن الله ذلك الدم الطاهر ، دم اسماعيل أو اسحاق من أن يراق .

يبدأ من اراد الحج بالاحرام من اى ميقات من مواقيته وفى ذلك أبلغ الدلالات على شرف البيت الحرام وفضله

فان الشارع لم يكتف بان جعله حرما آمنا ، بل أكد ذلك بان جعل لهذا الحرم احراما هى المواقيت المعروفة التى يحرم منها الحجاج .

الاحرام للحج كالاحرام للصلاة بالتكبير المعروف بتكبيرة الاحرام ، فكما أن المصلى يحرم عليه ماكان مباحا قبل أن يقف بين يدى الله فى الصلاة ، كذلك المؤدى للحج ، انه يترك ماكان مباحا له من قبل ، من الزينة والطيب ولبس المخيط ، وكل ما كان مباحا له قبل الاحرام .

واذا كان الاستئذان فى الدخول على الملوك والرؤساء بحاجة الى سمات خاصة من اللياقة التى فيها شىءمن التجرد عن الزينة فان البيت الحرام أولى بلياقة خاصة به وهو الاحرام ، لان المحرم يقف من ابتداء احرامه بين يدى الله ، فيتجرد عن كل ما الفه فى حياته من نعيمومنظر حسن ورواء .

اما الطواف بالبيت الحرام نفسه بعد الاحرام فانه يحمل من الذكريات الصالحات الشىء الكثير ، وقد أجملها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا .. »

فهو تاريخ تجديد البيت الحرام على يد أبى الانبياء ابراهيم ، وولده اسماعيل .

كما أن من ذكرياته أن الله جعله حرما آمنا « واذجعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، يلوذ بحماه الخائف والضعيف ، وقد أعده الله للطائفين والعاكفين والركع السجود .

من ذكريات هذا البيت الحرام أيضا التنافس على سدانته ورعاية شئونه ، وقد أكثر التاريخ القول فى هذه السدانة التى كانت شرفا لا يعلوه شرف فى الجاهلية ، فقد كانت مفاتيح هذا البيت وسدانته مع بنى اسماعيل الذى جدد بناء الكعبة هو وأبوه ، حتى صارت الى نابت من ولده ، ثم انتقلت الى جرهم ، ويدل على ذلك قول عامر بن الحارث الجرهمى من قصيدته التى منها قوله :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر

حتى انهم كانوا يقرعون من تكون لديه سدانة البيت لم يتركها باى ثمن ، ومن ذلك مايقوله الشاعر فى لوم خزاعة لما باعت هذه السدانة لسواها بزق خمر .

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت
بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت سدانتها بالنزر وانصرفت
عن المقام وظل البيت والنادى

اما الرمل وهو الاسراع فى الاشواط الاولى من الطواف ان له ذكريات ترجع الى الذات الكريمة ، ذات النبى صلوات الله عليه ، فقد روى أنه دخل هو وأصحابه مكة ، وكفار قريش قد صفت عند دار الندوة ، ينظرون الى محمد وصحبه نظرة استضعاف واستخفاف،ويقولون: أوهنتهم حمى يثرب ، فلما دخل النبى صلوات الله عليه المسجد اضطبع « أى أخذ رداءه من تحت يمينه ووضعه على كتفه الا يسر » ، ورمل وأسرع وقال : رحم الله امرأ أبدى من نفسه جلدا : أى احتمالا وجلدا ونشاطا .

أما استلام الحجر الاسود فهو أمر تعبدى بحت ، لا نعرف علته ، فقد ثبت أن رسول الله صلوات الله عليه قبله ، ولاأدل على ذلك منقول عمر بن الخطاب: والله انى أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك : ويبدو انه لما كان هذا الحجر الاسود هو مبدأ الطواف بالبيت المحرم جعل كأنه مبدأ للاقبال على المولى سبحانه ، والوقوف ببابه ، وباب المكان يعطى حكمه .

أما الصفا والمروة فقد عظمها القرآن الكريم ، فىقوله «ان الصفا والمروة منشعائر الله» ، ويقول بعضالمؤرخين فى ذكرياتهما أن آدم وحواء قد استقرا عليهما ، والرأى الذى ارجحه أن ذكرياتهما ترجع الى سعى السيدة هاجر أم سيدنا اسماعيل ، تبحث عن ماء لتسقى ولدها العطشان ، وهى ذكرى انسانية فيها حنان الامومة بكل معانيها ، ولذلك شرع السعى بينهما .

أما الوقوف بعرفة الذى هو أحد ركنى الحج ، فلانه هو اليوم الذى أتم الله فيه النعمة على المسلمين ، وانزل على نبيه قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم ،واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » ، وأىذكريات احفل من أن الله أتم على المسلمين نعمة الايمان والدين الحنيف ، ولذلك جعل عيد من أعياد المسلمين ، وانما اختص عرفات بذلك لانه حصن مكة ، ومشرف على البيت الحرام .

أما رمى الجمار فمن ذكرياته انه من فعل أبى الانبياء سيدنا ابراهيم لما تعرض له ابليس للاغواء ، فرماه الخليل بالحصى لاهانته ورد كيده عنه ، فبقى مشروعا الى الآن .

أما الصلاة فى مقام سيدنا ابراهيم فان ذكرياته أن الخليل عليه السلام كان يقف على الحجارة التى سميت بمقام ابراهيم حين كان يزور السيدة هاجر أم اسماعيل ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة .. » وقد ظهرت فيها آثار قدميه الشريفين ، وقد أمر الله سبحانه باتخاذها مصلى تيمنا وتبركا بمكان وقف عليه رسول كريم ، ليختم به الحاج المطاف ، وليكون هذا الاختتام بمثابة التحية والتكريم .

أما بقية أعمال الحج من مثل الجمع بين صلاة الظهر والعصر فى عرفة ، والمغرب والعشاء بمزدلفة « ومشروعية الحلق للتحلل من الاحرام ، ومثل حكمة الهدى والدماء ، ومثل الشرب من ماء زمزم ، فكلها أعمال واضحة لاتحتاج الى بيان وذكريات ، اللهم الا بئر زمزم ، فانه هو الذى استقى منه سيدنا اسماعيل وهو طفل ، بعد أن تعبت امه سعيا وجريا بين الصفا والمروة الى ان وجدت هذا البئر .

الإسلام دين بناء وبقاء

الاستاذ محمد حافظ سليمان

لقد ورثت الامة المحمدية تراثا حضاريا ومجدا اسلاميا انسانيا وعاش سكان الارض العربية فى المنطقة التى نزلت فيها الرسالات السماوية ، ولا ريب أن الشعوب الاسلامية تملك من ايمانها ومن ثقتها بنفسها ومن يقينها بالله ومن مناهج دينها مايمكنها من فرض ارادتها على الحياة لتصوغها من جديد وفق مبادئها وأمانيها . ولينصرن الله من ينصره .•.

ولقد كان الايمان بالله والنبيين زادا روحيا يدفع الشعب الى الحفاظ دائما على مقومات حياته وسلاحا واعيا واقيا يرتد الى نحور الرجعية المستترة وراء الدين لتفرض البغى والظلم والعدوان والاستبداد والطغيان ولتعمل على اضعاف الامة العربية وتفرقة اجزائها .

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام .. واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

والله يقول :

« ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها »

ولقد خيم على ارض الوطن العربى كابوس الاستعمار وولدت اللقيطة اسرائيل ووجدت فى رحاب الاماكن الفلسطينية فى ليلة مظلمة خائبة خائنة كان الرأى فيها للرجعية المتحفزة للغدر وللسلبية التى جاء على يدها الشر والضر فيما مضى .

واليوم ونحن نعيش على هدى من رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه نتطلع الى أن يتم الله نعمته على أمة الاسلام بتوحيد صفوفها وائتلاف قلوبها لأن الاسلام لا يقبل المسلمين متقطعين فى الارض امما ولا ينظر اليهم لا حول لهم ولا طول . وهو يعتبر الوحدة والقوة ركنان مهمان لا يرجى للاسلام بقاء بدونهما .

« انما المؤمنون اخوة » .

« ان هذه أمتكم امة واحدة » .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

« ولا تنازعوا فتفشلوا » .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

ولم يكن الدين الاسلامى قاصرا على جماعة بعينها ولم يكن النبى مرسلا لفئة دون غيرها بل ارسل للناس كافة وبعث رحمة للعالمين وكان بالمؤمنين رحيما .

ولم يكن الاسلام فى حقيقته وجوهره قوة روحية فحسب ولكنه دين الحق والاستقامة

والعدل والأمانة والوضوح والصراحة ، وهو يحارب الغدر والبغى والخيانة .

والله يقول :

« يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا » .

فى أى كتاب منزل وعلى لسان اى نبى مرسل نرى ما يبيح ازعاج الاطفال فى المضاجع ونسف العمال فى المصانع وقطع المرور فى « الشوارع » ؟! وضرب البرءاء بالمدافع ؟.

فى أية سورة من كتاب الله نرى ما يحلل ارهاب الآمنين وازعاج المطمئنين ؟ .

فى اية صفحة من صفحات القرآن الكريم يأمرنا ربنا بالتآمر على الاهل والاوطان والاخوة والجيران ؟.

فى اية آية نرى ما يبيح هدم المؤسسات والمنشآت وقطع اسلاك التليفونات ؟!

فى أية شريعة سماوية نجد ما يأمر بسفك دماء الابرياء ، ونسف القناطر ومحطات الكهرباء ؟!.

اى ضمير وأى عقل يرضى باغتيال القادة الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؟! ويؤمنون بأن رسالات السماء كلها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وكرامته ، ويؤمنون بأن جوهر الرسالات لا يتصادم مع حقائق الحياة ، ويؤمنون بأن القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان قادرة على هداية الانسان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من اجل الخير والحق والمحبة . ويؤمنون بأن جوهر الدين يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، وبأن الله عز وجل وضع الفرصة المتكافئة بين الناس أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة .

ليس من الدين القضاء على انتصارات الشعب المكافح المناضل الصابر المثابر الذى حصل على مكاسبه بالجهد والعرق ...
والاسلام دين بناء وبقاء .

ان الامة العربية تتجه اليوم بكل طاقاتها للتخلص من الاستعمار الصهيونى ، وهى أحوج ما تكون الى التعاون :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والله تعالى قد امرنا ان نقابل الاحسان بالاحسان ، حيث قال :

« وهل جزاء الاحسان الا الاحسان » .

ونحن نعلم ان هدف القيادة الواعية المنتصرة بزعامة القائد الموفق ناصر الوطن العربى ان تهزم الاستعمار والرجعية وان تقضى على الاقطاع وأن تصحح الأوضاع . وقد أزالت الملكية الفاسدة وأزاحت الأحزاب المهلهلة المستغلة لتوحد نضال الشعب وتطهر الارض من رجس الاحتلال السخيف البغيض .

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » ..
« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

ولقد حاربت القيادة الواعية المارقين والمنحرفين والعملاء واقامت الجيش الوطنى واكدت الحياة الحرة الكريمة بالديمقراطية السليمة ، واصبح الامر شورى ، والكل فى حق الحياة سواء .

ولقد وجب على أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى فى مجتمعنا الجديد ان يكشفوا حقيقة هذا الدين القيم وأن يجلوا جوهر رسالته وأن يجعلوا قيمه الروحية الخالدة اساسا لقيم المجتمع الجديد .

« ويأبى الله الا أن يتم نوره »

ان الاسلام دين الفطرة السليمة والاخلاق القويمة .

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ليس عبثا أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى الذى أغار عليه المغول ، الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة — تراجع الى مصر وآوى اليهـا فحمته مصر وانقذته عندما ردت غـزوة المغول على أعقابه فى عين جالوت » .

(فلسفة الثورة)
« جمال عبد الناصر »

أعلن المشير عبد الحكيم عامـر النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة فى زيارته لصنعاء يوم ٢٦ شوال سنة ١٣٨٥ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٦٦ أن القوات العربية فى اليمن ستحافظ على اتفاقية جدة ووقف القتال ، وانهـا فى نفس الوقت — ستضرب بعنف كل من يخالف هذا الاتفاق من الطرف الآخر .

ويذكرنا هذا التصريح القريب برحلة السلام التى قام بها صانع السلام جمال عبد الناصر الى جدة فى ربيع الثانى (اغسطس سنة ١٩٦٥) ، التى أكد بها للعالم اجمع أن جمهوريتنا تسعى للسلام دائما ، وأننا لا نلجأ للسلاح الا مضطرين ، وأن سلاحنا عندما ينطلق فانه يستهدف أولا واخيرا اقرار السلام وصيانة أمن وحرية شعبنا وكل الشعوب .. ولاننا والشعوب العربية قد امتزجنا معا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن وعشنا نفس الازمات .. وامتزجت الدائرة العربية معنا ايضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الدينى من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة ، ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية ... والشعب اليمنى الشقيق هو الذى نحاول أن نحفظ عليه حريته وأمنه ... الشعب الذى كان مغلوبا على أمره وعاش ابناؤه فى الظلام قرونا ، ذلك الظلام الذى اراده له الاستعمار وفرضه على البلاد مستعينا فى نشر غياهبه بواسطة أسرة حميد الدين ، الى ان هب الشعب اليمنى الأبى بثورته المجيدة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، محطما أغلاله بعد قرون من الظلام والاستعباد .. وهب لنصرته ومؤازرته اخوة له فى الكفاح .. من نفس الدائرة .. الدائرة العربية التى قال عنها جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة : « أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وان هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام ؟ »

فاذا كنا قد تجاوبنا من أشقائنا اليمنيين .. ومددنا لهم يد العون ، وأيدناهم فى ثورتهم ، وكفلنا لهم ضمانات الامن والسلام فى عهدهم الجديد ، فان ذلك كان امتدادا طبيعيا لرسالتنا ، وتطورا حتميا تفرضه طبيعة القرن العشرين ، وتجاوبا مع الروح الثورية التحررية التى تسود هذا القرن .

ولكن القوى الرجعية وفلول الملكية المنهزمة لم تيأس وظلت تعمل - بكل الوسائل - تحاول استعادة مكانتها فى البلاد ، يعاونها من وراء ستار ، الاستعمار الذى يهمه ان تنحسر أمواج الحرية عن المناطق المجاورة للجنوب العربى حيث يفرض الانجليز سلطانهم البغيض ، ولذلك ظلوا يتهموننا منذ اليوم الاول لوقوفنا الى جانب ثورة اليمن بالعدوان .. ولم يكفوا عن المحاولة - عن طريق التآمر والرشوة ومساندة القوى الرجعية المعادية للنظام الجمهورى ، داخل اليمن وخارجه - فى عزل الثورة اليمنية وضربها من الداخل ومن الخارج ، ولكنهم فشلوا رغم كل ذلك .

ولكننا رغم مساندتنا لثورة اليمن ضد أسرة حميد الدين التى كانت تريد العودة باليمن الى عصر التخلف ، وحمايتنا لمكاسب الثورة التى صممت على الحفاظ على النظام الجمهورى فى البلاد ، وضربنا بشدة وبقوة لكل محاولات التسلل والعدوان ، فاننا كنا دائما المبادرين بالدعوة الى السلام وحل المشكلة اليمنية بالطرق السلمية وذلك بايقاف اية مساعدة للفلول المعادية لاماني الشعب اليمنى .. لاننا كنا دائما نستهدف مصلحة الشعب اليمنى والمحافظة على مكاسبه الوطنية التى حققتها له ثورة ٢٦ سبتمبر ، لان ذلك كان يعنى مزيدا من التقدم والرفاهية للشعب الشقيق ، حين يستطيع ان يبنى حياته الجديدة ويطورها فى جو من الاستقرار والهدوء .

وقد نص اتفاق السلام الذى وقعه كل من الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل فى جدة على وقف القتال فى اليمن فورا ووقف المساعدات العسكرية من السعودية ومنع استخدام أراضيها ضد اليمن ، كما نص الاتفاق على ان يقرر شعب اليمن فى استفتاء شعبى نوع الحكم الذى يريده ، وذلك لان « الهدف الذى قصد اليه الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل فى مباحثاتهما التى تمت فى جدة فى أيام ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٨٥ الموافق ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ اغسطس سنة ١٩٦٥ هو التمكين للارادة الحرة للشعب اليمنى حتى تكون قادرة على خدمة الآمال الكبيرة التى تحدو هذا الشعب العربى المجيد وتوفر جو السلام الذى يعطى هذه الآمال موضوعيا المناخ الملائم للنمو وللازدهار »

كما نص اتفاق جدة أيضا على انسحاب القوات المصرية من اليمن خلال عشرة اشهر ابتداء من ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥، على أن تكون الفترة من ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ حتى يجرى استفتاء شعبى قبل ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ هى فترة انتقال فى اليمن ، تتعاون خلالها المملكة السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى تشكيل مؤتمر انتقالى يتكون من ٥٠ عضوا ويمثل جميع القوى الوطنية واهل الحل والعقد للشعب اليمنى للتشاور مع الفئات اليمنية المختلفة حسب ما يتم الاتفاق عليه ويجتمع المؤتمر المذكور بمدينة حرض فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ وعلى المؤتمر ان يحدد أيضا طريقه وشكل الاستفتاء الذى سيجرى تحت اشراف لجنة محايدة من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية .

وقد انعقد المؤتمر فعلا فى مدينة حرض فى موعده المقرر وان لم يسفر عن نتائج حاسمة لاختلاف وجهات النظر ، فقد انفض على أن يجتمع مرة اخرى يستكمل فيها مناقشاته ويقدم نتائجه الى الدولتين الشقيقتين .

وبذلك تكون المشكلة اليمنية قد دخلت مرحلة الحل السياسى وقد مهد لهذه المرحلة ثلاث سنوات مجيدة من الصمود الرائع أمام جميع المحاولات التى بذلت لاخماد جذوة الحرية واطفاء شعلة الثورة اليمنية وعزلها عن جيرانها خوفا على المصالح الاستعمارية فى الجنوب العربى المحتل ، ولكن النتيجة كانت مزيدا من الانتصار والتدعيم للجمهورية اليمنية الثائرة ، ومزيدا من الهزائم السياسية والعسكرية للمستعمرين الانجليز فى الجنوب المحتل .

وهكذا تسير الجمهورية العربية المتحدة وقائدها صانع السلام فى تنفيذ السياسة العربية فى اليمن لتحقيق السلام وتمهيد الجو الملائم للشعب اليمنى الشقيق كى يأخذ طريقه نحو البناء فى ظلال الامن والاستقرار . وان كان ذلك لا يمنع ما أكده المشير عبد الحكيم عامر من أننا لن نتوانى عن الضرب بسرعة وبعنف وقسوة على أيدى كل من يحاول أن يخالف اتفاق السلام فى جدة لاننا وقعنا هذه الاتفاقية من اجل الشعب اليمنى ، ويوم نحس ان مصالح هذا الشعب الشقيق يتهددها الخطر من اى اتجاه ، فاننا لن نقف مكتوفى الايدى ... بل سنواصل السير فى الطريق الذى بدأنا فيه ونؤازر الشعب الشقيق بكل الوسائل الممكنة وان كنا فى نفس الوقت لا نستهدف شيئا يحيد بنا وبالعالم العربى عن طريق التقدم والرفاهية والسلام .

التنظيم الإداري في أواخر عهد عثمان!

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

واينا ان الامصار الكبرى فى اوائل عهد عثمان رضى الله عنه كانت : مكة ، والطائف ، وصنعاء ، والجند ، والبحرين وماوالاها ، والكوفة ومايتبعها ، والبصرة مايتبعها ، ودمشق ، حمص ، ومصر ° وقد ادار هذه الامصار عن طريق عماله بكفاية نادرة ، ومهارة فائقة ، فاستتب النظام ، وسارت الامور سيرها الطبيعى ، كاحسن ما يكون النظام ، واكمل ماتكون الادارة °

ومما يذكره التاريخ منحسن ادارته مايروى ان عامله على الكوفة كتب اليه ، ان اهل الكوفة قد اضطرب امرهم وغلب اهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة ، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت واعراب لحقت حتى ماينفر الى ذى شرف ولابلاء من نازلتها ولانابتتها ، فكتب اليه عثمان :

اما بعد ،ففضل اهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد ، وليكن من نزلها بسببهم تبعا لهم ، الا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء ، واحفظ لكل منزلته ، واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل ..

وفى النصف الاخير من عهد عثمان ضعفت الادارة ، نظرا لتقدم سنه ، ولا يستطيع من كان فى سنه ان ينظر فى جميع المسائل ، واشتغل بعض العمال بمصالحهم الشخصية ، وجار بعض المحرومين بالشكوى ورفعوا اصواتهم بها لعلها تصل الى اسماع الخليفة فينصفهم ويرد اليهم حقوقهم ، ولم تظهر هذه الظاهرة فى عهد عمر بن الخطاب ، لان دواعى الاختلاف كانت مفقودة ، وكانت يد عمر قوية يمسك زمام الامور بحزم وعزم ، فكان يخيف العاملين فلا يجدون سبيلا الى نزاع او شر او استئثار بمصلحة شخصية ، وكانت الالفة دائبة هؤلاء العاملين فاخذ عنهم الرعية هذا السلوك ، وعاش الجميع فى امن وسلام ، ومودة ووفاء ، اما فى عهد عثمان فعلى سبيل المثال - قد ولى سعد بن ابى وقاص الكوفة وكان معه عبد الله بن مسعود على الخراج ، فاقترض سعد من ابن مسعود مالا لاجل ، ولما حل الاجل جاء ابن مسعود يتقاضاه فلم يتيسر لسعد السداد فارتفع بينهما الكلام حتى استعان ابن مسعود بأناس من الرعية على استخراج المال ، واستعان سعد بأناس آخرين على استنظاره وافترقوا وبعضهم يلوم بعضا ، يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله بن مسعود ، بلغ هذا الشقاق عثمان فغضب على الرجلين ، فعزل سعدا عن امارة الكوفة ، وابقى ابن مسعود على الخراج ، وولى الكوفة الوليد بن عقبة وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب ، ولما قدم الوليد كانمحببا الى الناس ورفيقا بهم ، ثم حدث فى زمنه أننفرا من شباب الكوفة نقبوا على رجل منها داره وقتلوه وكان له جار قد اشرف على الحادث ورآه فاستصرخ الشرط فجاءوا وقبضوا عليهم وفيهم زهير بن جندب الازدى ومورع بن ابى مورع ابن ابى الازدى فحوكموا وثبتت عليهم جريمة القتل فقتلوا فاضطغن آباؤهم لذلك على الوليد وصاروا يتحينون الفرص الايقاع به ، وكان يسمر عنده بعض السمار ومنهم ابوزبيد الطائى وكان ابوزبيد هذا نصرانيا ثم اسلم ، وكان معروفا بشرب الخمر ، فاتى آت اولئك النفر الحاقدين على الوليد ، فقال لهم : هل لكم فى الوليد يعاقر ابا زيد الخمر ، فاذاعوا ذلك بين الناس حتى شاع على السنتهم ، فتوجهوا الى ابن مسعود فاخبروه بذلك فقال ابن مسعود : من استتر عنا بشىء

لم تتبع عورته ولم تهتك ستره » فارسل الوليد الى ابن مسعود فعاتبه فى ذلك وقال : ايرضى من مثلك بان يجيب قوما موتورين بما اجبت ؟ اى شىء استتر به ؟ انما يقال هذا الغريب ، فتلاحيا وافترقا على تغاضب »

ولم يكف ذلك اولئك القول بل صمموا على الذهاب الى دار الخلافة وشكوى الوليد والشهادة عليه بشرب الخمر، فقدم من انتدبا للشهادة على عثمان ومعهما نفر يعرفهم عثمان محمد قد عزل الوليد عن الاعمال فاخبروه الخبر » فقال من يشهد ؟ فقالوا فلان وفلان ، فسالهما : كيف رايتما ؟ قالا : كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر « فقال عثمان : مايقىء الخمر الا شاربها » وارسل الى الوليد فاقدمه المدينة وافتى على بوجوب حده ، فحدوه حد شارب الخمر ، وعزله عثمان وولى على الكوفة بدله سعيد بن العاص فخرج حتى اتى الكوفة ومعه اولئك النفر الذين اوقعوا بوليد فلما وصلها صعد منبرها وقال لهم : والله انى قد بعثت اليكم وانا كاره ولكنى لم اجد بدا اذ امرت ان اتمر الا ان الفتنة قد اطلعت خطمها وعينيها ، والله لاضربن وجهها او تعيينى ، وانى لرائد نفس اليوم ثم نزل وسال عن الكوفة واهلها حتى خبرهم ، ثم كتب الى عثمان : ان اهل الكوفة قد اضطرب امرهم وطلب اهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة ، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت واعراب لحقت ، فكتب اليه عثمان ماذكرناه سابقا من قوله :

اما بعد ففضل اهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن ممن نزلها بسعيهم تبعا لهم الا ان يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به ، وقال به هؤلاء ، واحفظ لكل منزلته ، واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس يصاب بها العدل »

وقد ظلت الاحوال مضطربة فى الكوفة ، وقد غلب فيها الغوغاء اهل الحلم ولم يبق لقوة الطاعة اثر فى نفوس القوم ، مع ان اساس النظام فى الدولة طاعة الرعية للراعى ، فطالما كان الراعى ينشد الخير والعدل لرعيته ، وجب على افراد الامة ان يطيعوه فيما يامرهم به فيمتثلوه ، وان يجتنبوا ماينهاهم عنه وهذه هى تعاليم القرآن الكريم قال تعالى « يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا » والطاعة مظهر من مظاهر الثقة التى تسود العلاقات بين الحكام والمحكومين فى الدولة ، فعندما تقوى الثقة بينهما تكون الطاعة اوضح واقوى ، ويجنى المجتمع من وراء ذلك ثمرات طيبة ، من الاستقرار والامن والرضا والمحبة .

وحدث فى البصرة ماحدث فى الكوفة فقد هاج اهلها على عاملهم ابى موسى الاشعرى ، وطلبوا من عثمان ان يعفيه من الولاية فعزله عنهم وولى بدله عبد الله بن عامر ، ووجد فى ايامه عبد الله بن سبا الرجل اليهودى الذى اظهر الاسلام ليضل الناس ، وقد اوجد فى التفكير الاسلامى جملة من الافكار التى تهز العقيدة وتبلبل الخواطر ، وقد اخرجه ابن عامر من البصرة وخرج وسار حتى وصل الى مصر ، واستقر به المقام فيها لينفث فيها سموم آرائه ليضل بها الناس وينشر عن طريقها الفتن والمكايد للاسلام ، ومن سموم آرائه التى اذاعها بمصر قوله : ان لله تعالى الف نبى ولكل نبى وحى ، وكان على وحى محمد ، ثم قال : محمد خاتم الانبياء وعلى خاتم الاوصياء ، ثم بعد ذلك من اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ، ثم قال : ان عثمان اخذها بغير حق ، وهذا وحى رسول الله فانهضوا فى هذا الامر فحركوه ، وابدءوا بالطعن على اميركم واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اخذ يبث دعاته فى الامصار ، حتى اضطربت الامور فى البلاد .. اما فى الشام فقد كان اليها معاوية بن ابى سفيان ، وكان مشهورا بالحزم وضبط الامور ، فاستقامت الامور هناك ، وانصرف كل الى عمله فى رضا وطمانينة ، وكان يقيم بالشام آنئذ ابو ذر الغفارى رضى الله عنه وكان ينادى فى الناس : يامعشر الاغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بهاجباههم وجنوبهم وظهورهم ، فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الاغنياء ، وحتى شكا الاغنياء مايلقون من الناس ، فكتب معاوية الى عثمان بحال ابى ذر ، فطلب ان يرسله اليه فى المدينة، فلما وصل ابوذر وجد المجالس منعقدة ، قال بشر اهل المدينة بغارة شعواء ولما وقف امام عثمان وساله عن شكوى الناس منه ، قال : لا ينبغى للاغنياء ان يقتنوا مالا ، فقال يا اباذر : على ان اقضى ما على ، وان آخذ ما على الرعية ولا اجبرهم على الزهد ، وان ادعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد ، وان راى ابى ذر هذا ليعتبر رايا جريئا فى الاشتراكية ، وقد جهر به فى ذلك الوقت ، ولم يخش شيئا واخذ يدعو به لانه يعتقد ان فى الاخذ به صلاح المجتمع ، حيث تذوب الطبقات ، ولا يكون هناك غنى مفرط وفقر مدقع ، ولا تكون هناك راسمالية مستغلة تسعى الى الكسب والربح من غير اعتبار للطبقات العاملة ، وثورتنا المجيدة حينما اعلنت مبادئها الستة جعلت احد هذه المبادىء القضاء على الاقطاع ، والمبادىء الستة التى يجب على كل عربى ان يذكرها ولا ينساها هى : القضاء على الاستعمار ـ القضاء على الاقطاع ـ القضاء على سيطرة راس المال على الحكم ـ اقامة عدالة اجتماعية ـ اقامة جيش وطنى قوى ، اقامة حياة ديموقراطية سليمة وبذلك تتحقق الاشتراكية الصحيحة التى تقوم على الكفاية والعدل . وما الكفاية الا زيادة الانتاج ، وما العدل الا اتاحة الفرصة المتكافئة امام كل مواطن لينال عدلا من ثروته . بمثل هذا جهر ابو ذر رضى الله عنه فى صدر الاسلام ايام خلافة عثمان بن عفان ، وبذلك مهد الطريق للفكر الاشتراكى الذى يهدف الى خير الوطن والمواطنين .

ثم شاء الله ان يثار شغب على عثمان رضى الله عنه ، وان تطل الفتنة براسها فى اخريات ايامه ، وحوصر فى بيته فترة من الزمن ، ثم كانت النهاية المشئومة التى هزت المجتمع الاسلامى هزة عنيفة ، وزلزلت بنيانه القوى ، الا ان الله تعالى الذى حفظ هذا الدين وجعله خاتم الاديان ، حفظ للامة وحدتها وتماسكها ، ولم يستطع الاعداء ان ينالوا منها وان يمسوها بسوء ، وتولى بعده الخلافة امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه .. وسنلتقى به فى المقال التالى بمشيئة الله .

الحج

الأستاذ سليمان الحكيم

الحج أحد أركان الاسلام الخمس فرضها الله سبحانه وتعالى على كل من استطاع الى ذلك سبيلا من المسلمين • وهو فريضة واجبة على كل مسلم قادر فان أغفل أداءها أو أهمل القيام بها حاسبة الله سبحانه على تركها ومن لم يستطع لعوامل مختلفة خارجية عن ارادته كمرضه أو عدم قدرته على السفر لضعفه أو لفقره أو لخوفه من الطريق لعدم استتباب الأمن فيه أو فى حالة المرأة التى ليس لها زوج أو محرم يصحبها • أسقط الله عنه هذه الفريضة حتى تزول عنه هذه الموانع • ولقد كان لهذا التيسير مثل أعلى لسماحة الاسلام •

قال تعالى « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » •

وبيت الله هو أول بيت وضع للناس بناه ابراهيم عليه السلام تلبية لأمر ربه اذ يقول الله تعالى « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا** » وقد شاءت ارادة الله أن يكون هذا البيت قبلة المسلمين عامة من كافة بقاع الأرض تتطلع اليه نفوسهم وتحن اليه أفئدتهم • وتشتاق اليه قلوبهم يفدون اليه من كل صوب فى جماعات كبيرة وجموع غفيرة استجابة لدعاء ابراهيم عليه السلام بقوله « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » •

وحج هذا البيت موقوت بأشهر معلومات تجتمع فيها المسلمون على اختلاف أجناسهم وتباين ألوانهم ليؤدوا فريضتهم ويقيموا مناسكهم وليتشاوروا فى أمر دينهم وشئون دنياهم كما تتاح لهم الفرصة ليقوموا بدراسة قضاياهم ومناقشة أمورهم وحل مشاكلهم • ويا ليت أن يغتنم المسلمون هذه الفرصة الثمينة التى أتاحها الله لهم فى كل عام ليحققوا ارادة الله من هذا المؤتمر الروحى العظيم فيسووا صفوفهم ويوحدوا كلمتهم ويزيلوا ما فى نفوسهم من عداوة وبغضاء ويطهروا قلوبهم من الأحقاد والأدران التى غرسها الاستعمار ليوقع بينهم الفرقة والشقاق • وبذلك تعلو كلمتهم وتقوى شوكتهم ويتكاتفوا للقضاء على عدو دينهم وعدو بلادهم • ولقد يسر الخالق العظيم كل العوامل التى تعمل على نجاح هذا المؤتمر الجامع الكبير بجعل مكان الحج حرما وأيامه حرما • فحرم الله القتال والصيد فى الأشهر الحرم (أشهر الحج) الا فى ظروف خاصة أبانها فى كتابه الكريم كما حرم الخصام والجدال والمشاجرة والرفث والفسوق وأمر بالتزود من التقوى ومكارم الأخلاق • حتى يستتب الأمن وتطمئن النفوس وتروج التجارة وتتآلف الأرواح وترتبط القلوب برابطة

الألفة والأخوة والمحبة · والله تعالى فى ذلك يقول :

« **الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يأولى الألباب** » ·

ان للحج أركان لا يتم الا بالقيام بأدائها جميعا ولايستقيم اذا ترك واحدا منها أو أهمل كما أن للحج واجبات وسنن·· وأركانه هى : الاحرام مع النية والوقوف بعرفه والطواف بالبيت والطواف بين الصفا والمروة ولكل ركن من هذه الأركان هدف وغاية أراد الله بها الخير والنفع للمسلمين ·

فالاحرام هو الدخول فى الحج· ومن يحرم من الحجاج يتجرد من مظاهر الترف وزخرف الحياة فلا يتزين ولا يلبس المخيط ويظهر الحجاج جميعا فى ملابس الاحرام البسيطة · كما يحرم عليهم فى هذه الحالة بعض ما كان محللا لهم من قبل ويتقبل الجميع هذا التحريم بالرضى والقبول · والهدف من هذا اظهار المساواة التامة بين المسلمين على اختلافهم · وتدريب نفوسهم على الطاعة وعدم الغرور ·

والوقوف بعرفة ركن آخر من أركان الحج واجب على الحجاج تأديته فيقفوا جميعا بعرفة عند الجبل المقدس الذى وقف به ابراهيم عليه السلام وأفاض منه فى اليوم المحدد لذلك والكل يسعى الى هذا المكان بنفوس متعطشة وأرواح متطلعة للقاء ربهم القدير متجهين اليه بقلوب عامرة وألسنة داعية بالرحمة والتوبة مكررين الاستغفار لما ارتكبوه من ذنوب وما فعلوه من آثام كما يكثرون من الدعوات الصالحات التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة · معاهدين الله على ألا يعودوا الى المعاصى أبدا · ويعتبر الحجاج أنفسهم فى هذا اليوم المشهود ضيوف الله ان سالوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا يستجيب لهم وان شفعوا شفعوا متجاوزا بكرمه ما بدر منهم من ذنوب وينزل عليهم رحمته ·

ثم يفيض الحاج من هذا المكان وقد نقت سريرته وسمت روحه وطهر قلبه واطمأنت نفسه لهدى الله ومغفرته ورحمته · وصدق الله العظيم اذ قال فى قرآنه الكريم « **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين · ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله أن الله غفور رحيم** » ·

والهدف من الوقوف بعرفة اظهار وحدة المسلمين وعظمتهم عند تجمعهم وقد وحدت غايتهم من حيث وحدة الكلمة ووحدة الصف ووحدة الهدف ·

ويهدف الطواف بالكعبة الى وحدة الغرض ووحدة الصف أما الطواف بين الصفا والمروة فالى الكفاح والعمل فى سبيل الغاية الموحدة ·

« **ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم** » ·

وعن ابن عباس قال : انما سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وبين الصفا والمروة ليرى المشركين قوته ·

ان من يدرس الحج وأركانه وواجباته وسننه يتبين أن له آثارا عظيمة ومنافع كثيرة تعود على المسلم والمجتمع الاسلامى · قال تعالى : « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** » ·

وعن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال : من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ·

وعنه انه قال : حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن ·

شاعرات اسلاميات

الاستاذة روحية القليني

تكلمت فى المقال السابق عن بعض شاعراتنا الاسلاميات وبينت انه قد كان للمراة الشاعرة شعر رصين كما كان للشاعر حينئذ • ولكن معظم الشعر النسائى ضاع ولم يسجل •

واذكر اليوم طائفة اخرى من الشاعرات الاسلاميات فى شعرهن صدق وعمق ورصانة تستوجب الذكر والتقدير • واذكر طائفة اخرى لم نسمع عنها من قبل وربما لانهن لم يقلن الا قصيدة واحدة أو اثنتين فقط فلم يشتهرن بالشعر • لكن شهرتهن كانت من طريق غير طريق الشعر فهل سمعنا مثلا ان السيدة آمنة بنت وهب ام الرسول عليه السلام كانت شاعرة ، ولكننى عثرت لها على شعر أو بمعنى أصح على أبيات قالتها فى حال النزع وقد اسفت لتركها ولدها «محمدا» صغيرا محروما من عطف الاب والام ويعتبر شعرها من الشعر الجاهلى لانها لم تدرك الاسلام كما نعلم • قالت :

بارك فيك الله من غلام
يا ابن الذى فى حومه الحمام
نجا بعون الملك العلام
فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام
ان صح ما ابصرت فى المنام
فانت مبعوث الى الانام
تبعث فى الحل والحرام
تبعث بالتوحيد والاسلام
دين ابيك البر ابراهام
فالله ينهاك عن الاصنام
ان لا تواليها مع الاقوام

ولسكينة بنت الحسين شعر قالته حين قتل زوجها مصعب بن الزبير :

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذى
يرى الموت الا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية
الى القوم حتى اوردوه حماما

وهناك شاعرة اسلامية اخرى اسمها زينب بنت العوام قالت ترثى اخاها الزبير بن العوام وقد قتل في واقعة حنين وابنها عبد الله وقد قتل فى يوم الجمل :

اعينى جودا بالدموع فاسرعا
على رجل طلق اليدين كريم
زبير وعبد الله يدعى لحادث
وذى خلة منا وحمل يتيم
قتلتم حوارى النبى وصهره
وصاحبه فاستبشروا بجحيم

وقد هدني قتـل ابن عفـان قبله
وجـادت عليه عبرتي بسـجوم
وايقنت ان الـدين اصـبح مدبرا
فماذا تصـلي بعـده وتصـومي
وكيف بنـا ام كيف بالدين بعدما
اصـيب ابن اروى وابن ام حكيم

وقالت الرباب زوجة الحسين بن على ترثيه حين قتل :

ان الـذى كان نورا يستضاء بـه
بكربلاء قتيـل غير مدفـون
سبط النبى جـزاك الله صالحـه
عنـا وجنبت خسران المـوازين
قـد كنت لى جبلا صعبا الوذ به
وكنت تصحبنا بالـرحم والـدين
من لليتامى ومن للسـائلين ومن
نعنى ويـأوى اليـه كل مسـكين
الله لا ابتغى صـهرا لصـهركم
حتى اغيب بيـن الـرمل والطيـن

ومن الشاعرات اللاتي اشتهرن بالشجاعة في التاريخ الاسلامى خولة بنت الازور الكندية قالت حينما اسر اخـوها ضرار بن الازور في واقعة اجنادين كانت فى جمع من النساء وقاتلت بهن قتال المستميت .

نحـن بنـات تبـع وحمير
وضربنا فى القـوم ليس ينكر
لاننـا فى الحـرب نـار تسعر
اليـوم تسقون العـذاب الاكبر

وقالت ايضاً :

ولم انس اذ قـالوا ضـرار مقيد
تركنـاه في دار العـدو ويممنـا
فما هـذه الايـام الا معـارة
وما نحـن الا مثـل لفظ بلا معنى
اوى القلب لايختار فى الناس غيرهم
اذا ما ذكـرهم ذاكر قلبى المضنى
سـلام على الاحباب في كل ساعة
وان بعـدوا عنا وان منعـوا منـا

وشـاعرة اخرى من انصار على رضى الله عنه اسمها « ام سنـان بنت جشمة » قالت وقد وفدت على معاوية تشكو مروان بن الحكم :

عـزب الرقـاد فمقلتى لا ترقـد
والليـل يصـدر بالهموم ويورد
يا آل مـذحج لا مقام فشمروا
ان العـدو لآل احمـد يقصـد
هـذا علـى كالهـلال تحـفـه
وسـط السماء من الكواكب اسعد
خير الخـلائق وابن عـم محمـد
ان يهـدكم بالنـور منه تهتـدوا
ما زال مذ شـهر الحـروب مظفرا
والنصر فـوق لوائـه ما يفقـد

وكان لبعض الشـاعرات الاسلاميات شـعر يؤثر على قلوب اشـد النـاس غلظة فهذه شـاعرة تسمى « بنت اسلم بن عبد البكرى » .

يقال ان الحجاج قبض على ابيها واراد قتله فقال ايها الامير انني اعول اربعا وعشرين امراة واحضرهن وكان فى آخرهن جـارية قاربت عشر سنين فقال لها من انت فردت قائلة انا ابنته وانشدته :

احجاج لم تشـهد مقـام بنـاته
وعمـاته يندبنـه الليـل اجمعا
احجاج لم تقتـل به ان قتلتـه
ثمـانا وعشرا واثنتين واربعـا
احجاج من هـذا يقـوم مقـامه
علينـا فمهـلا لا تزدنا تضعضعا
احجـاج اما ان تجـود بنعمـة
علينـا واما ان تقتلنـا معـا

فرق الحجاج وبكى وكتب الى عبد الملك يخبره بامرهم فكتب اليه ان يحسن صلتهم ويعفو عن الرجل .

فلتتصور شاعرة ذات عشر سنوات فقط تنطق الشعر فى هـذا السن المبكر وتجبر اميرا ان يعفو عن ابيها بحسن منطقها وقوة تاثيره .

وقالت شـاعرة من انصار الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه اسمها ام البراء بنت صفوان :

يا للرجـال لعظم هول مصيبة
قـدحت فليس مصـابها بالهازل
الشمس كاسـفة لفقد امامنـا
خيـر الخـلائق والامام العـادل
يا خيـر من ركب المطى ومن مشى
فـوق التـراب لمحتف او ناعـل
حاشـا النبى لقد هـددت قواءنا
فالحـق اصـبح خاضعا للباطل

وكان للشاعرات شجاعة نادرة يفدن على الولاة والحكام يطلبن منهم ما يشأن وينشدن الشعر امامهم فيجيبون ما يطلبن .

وفدت « سودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية من انصار سـيدنا على كرم الله وجهه على معاوية بن ابى سفيان فقال لها انت القائلة لابيك يوم حنين :

شـمر كفعل ابيك يا بن عمارة
يـوم الطعـان وملتقى الاقـران
وانصر عليـا والحسين ورهطـه
واقصـد لهنـد وابنها بهـوان
ان الامـام اخـو النبى محمـد
علـم الهـدى ومنـارة الايمـان
فقـد الجيـوش وسر امام لوائـه
قـدما بابيض صـارم وسـنان

فقالت يا امير المـؤمنين مات الراس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ماقد نسى . قال هيهات ليس مثل مقام اخيك ينسى قـالت : صدقت وبالله اسـالك اعفائى مما استعفيته قال قـد فعلت فما حاجتك فذكرتها فقضاها لهـا .

وقالت :

صـلى الاله على جسم تضـمنه
قبـر فاصبح فيـه العدل مدفونا
قـد حالف الحـق لا يبغى به بدلا
فصـار بالحـق والايمان مقرونا

هـذه هى الشاعرة الاسلامية نرى لها شعرا رصينا وحجة قوية ومنطقا سليما وشجاعة نادرة . رضعت لبان البلاغة والفصاحة منذ طفولتها فخرجت قوية الاسلوب ونشـأت فى بيئة صريحة واضحة ابية فسارت على نهج قويم وعاشـت فى احضان الطبيعة السمحة فكان منها الصفاء والصدق لا تعرف النفاق ولا الرياء تقول ماتشعر به شان الشاعر الاصيل تلح عليه المشـاعر الصادقة فيذيبها الحانا على الوجود .

وكان الولاة انفسهم يتذوقون الشعر ويجيزون قائله ويعفون عن اساءة مايطلب منهم من عفو عنه .

كان للشعر مكانة وللشعراء قيمتهم وللشاعرة كلمتها المسموعة المحترمة فى المجتمع الذى تعيش فيه .

اعتراف الأجانب

بالدين الإسلامي

سماحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني

- ٥ -

بشأن محمد صلى الله عليه وسلم

١٣ ـ وقال الفيلسوف الفرنسي دى فوليتير المعروف ما يلي :

« والذى يظهر لى ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكون هذا الشعب العظيم الاسلامي الا للتناسل والعبادة والجهاد ، فالسنن ـ اى التعليمات ـ التى اتى بها ، قاهرة للنفس ومهذبة لها ، فجمال تلك الشريعة وبساطة القواعد الاصلية جذبا للدين الاسلامي غاية الاعجاب ومنتهى الاجلال •

اتى الدين الاسلامي بعقيدة وحدانية الخالق فى صورة مقبولة للعقل البشرى ، اى خالية عن كل غموض • ولهذا اسلمت عدة كبيرة من امم الارض • حتى زنوج اواسط افريقيا وسكان جزر البحر الهندى •

وهذه الديانة تسمى « الاسلام » اى الاستسلام لارادة الخالق • وهذا الاسم كفى لهداية العدد الوافر من عالم البشر » •

ومضى الفيلسوف فوليتير فقال :

« وليس بصحيح ما يدعى من ان الاسلام استولى قهرا بالسيف على اكثر من نصف الكرة الارضية ، بل كان سبب انتشاره شدة رغبة الناس بعد ان اقنع عقولهم ، واكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة هو اتصافهم بالشيم العالية . اتباعا بالنبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه لا يخفى ولوع المغلوب بتقليد الغالب • وحتى انخرط فى الاسلام اقوام لم تبلغهم سلطة المسلمين ولم تصلهم » •

وفى الختام قال :

« وهذا القول النزر ـ القليل ـ متى يكفى لتفنيد كل ما ذكره لنا مؤرخونا وخطباؤنا • فارتكز به فى ضمائرنا كثير من الاوهام الباطلة ، والاراجيف المتوارثة لان من الواجب ان يدحض الباطل بالحق ، ولنذكر دائما هذه الحقيقة التاريخية الا وهى : ان الشارع الاسلامي محمدا صلى الله عليه وسلم ـ كان ذا يقين راسخ وقوة عزم هائلة ، فاقام دينه ببسالة وثبات جنان ، ثم فيما بعد ظهر الدين الاسلامي بشفقة وسماحة لم تعهد من غيره ومن الغريب المشاهد ان مؤسس الدين النصراني كانت حياته كلها خضوعا واستكانة ومسالمة وكان يامر بالتجاوز عن الزلات ،

والحال ان دياته اللينة صارت بحماقتنا وبغينا ابعد الاديان عن السماحة ، اقربها للقساوة والطغيان » .

١٤ ـ وقال الفروفيسور عبد المسيح الانطاكي مانصه :

« ان المصطفى محمدا « صلى الله عليه وسلم » تدرج فى دعوته تدرجا ، حيث ابتدا باعلان دعوته مسالما ، ثم اوجد الله له فى الاوس والخزرج انصارا ـ بالمدينة ـ هاجر من مكة اليهم باصحابه تخلصا من اذى قريش ، فابى القريشيون الا ان يعملوا على النكاية بهم ، فارسلوا اولا من يتتبع خطواته وهو فار الى المدينة من ظلمهم ليعيدوه الى مكة فيسجنوه او يقتلوه ، ولما فشلوا فى هذه الرغبة ، اخذوا يجمعون كلمة العرب على قتله .

حينئذ اذن الله له ولاصحابه وانصاره بمقاتلة المشركين ، لسببين ـ اولهما : الدفاع عن النفس بازاء المعتدين . وثانيهما : الدفاع عن الدعوة بازاء الذين تعرضوا لها ، فقد كانوا يفتنون المهتدين بالاضطهاد والتعذيب ويصدون الاخرين عن الهدى عنوة، وبمحاولة منع الداعى عن تبليغ دعوته بالسحريه به وغيرها ، ثم بمحاولة قتله .

اما امر الله بالقتال فقد جاء فى مواضع شتى من القرآن ، منها ، اذ قال الله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

وانت ترى فى هذه الاية الكريمة ان سبب اذن الله للمسلمين بالقتال ، هو ظلم المشركين لهم ، وماذنبهم الا قولهم « ربنا الله » فاخرجوا من ديارهم لهذا الاعتقاد » .

ومضى الفروفسور فقال : « وجاء فى القرآن ايضا فى سبيل القتال قوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ، الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين » .

وانت ترى فى هذه الايات الكريمة مايخلق ـ يجدر ـ ان يصدر عن الاله الواحد العادل المؤدب القهار الرحيم وذلك لجمعها بين الدفاع عن النفس وتاديب المعتدين وابطال الفتنة والانتصار لدين الله .

وفى القرآن اشباه لهذه الايات الكريمة العادلة ، التى انزلت على محمد بن عبد الله لعزة الدين وردع الظالمين المعتدين » .

وفى الختام قال :

« لا جرم ان الاسلام كان ولا يزال مسالما من سالم اهله . اذ قال سبحانه وتعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم ، وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » .

وفى هذه الايات الكريمة تتجلى روح الاسلام العادلة باجلى تجليها لدى المنصفين .

١٥ ـ ونشرت جريدة « الناقد » السورية بعنوان « كاتبة انجليزية تتحدث عن نبى الاسلام » ما نصه :

« فى بلاد محرقة ومفازات وعرة بعيدة عن مناهل الحضارة والانسانية ، وبين شعب ثورى متنابذ يجهل كل شىء ، انبجس نبع صافى المياه عذبها . « تريد ظهور الاسلام بدعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يلبث ان اضحى ساقية . ثم نهرا فاض بسرعة فائقة وتحول الى جداول فياضة عديدة جابت البلاد من اقصاها الى اقصاها ، وجعل مصير كل من ذاق حلاوتها وعذوبتها من الشعوب ، الاتحاد وتناسى الضغائن ، والالتفاف حول زعيم واحد « تريد الرسول صلى الله عليه وسلم» وليس هذا النبع سوى الاسلام .

هناك . حيث يسود الانتقام وحب التفرقة ، ظهر شعور جديد ، شعور الاخوة والتالف بين شعب جمعته فكرة الدين والاخلاق السامية .

ولم تكن الا فترة قصيرة ، حتى اضحت تعاليم الرسول ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ سيولا اجتاحت ممالك الحضارة القديمة ، غير آبهة بالحواجز والعثرات« وجعلت من تلك الشعوب المتفرقة المتنابذة ، شعبا متحدا ، واحدا لا يفرقه شىء .

تلك حادثة غريبة لم يرو لها التاريخ مثيلا قبل اليوم . ولم يكن ليخطر على بال احد ان يصبح الاسلام دين ملايين من الرجال الاشداء بعد ان كان دين بضعة رجال متحمسين .

وان الانسان ليتساءل بدهشة غريبة عن تلك القوى الخفية ، التى ساعدت المسلمين على التغلب على شعوب تفوقهم حضارة واختبارا وغنى واستعدادا حربيا ، واعانتهم على توسيع بلادهم الصغيرة ، وتوطيد نفوذهم فى كل بلد احتلوه توطيدا لم يترك لاية جهود مبذولة، مجالا لتقويضه . ثم غرسهم فى نفوس الشعوب الغربية روحا شريفة ـ لا تعرفها الديانات الاخرى ـ مضى عليها ثلاثة عشر قرنا ونيف لم تتحول ، بل ما زالت تشتد وتمتد وتزيد نفوس انصارها ، رغبة اقتحام كل خطر فى سبيل الذود عن حياضها . واى انسان لا يقف مدهوشا امام الديانة الاسلامية وهو يرى مصائر الديانات الاخرى .

والغريب ان الاسلام الذى لم يكن قبل الهجرة المحمدية ، سوى دعوة دينية حارة . ان اضحى بعدها

قوة سياسية هائلة اتاحت للنبي باذن من الله ان يدافع عن نفسه امام مضطهديه والذين زيفوا دعوته وان لا يعيد السيف الى غمدة الا بانتهاء مهمته !

وقد شاء الله ان لا ينقضي عاما من هجرة النبي وصحابته ، حتى ارتدى الدين الاسلامي حلة قشيبة لا تزال تبعث بانوارها الى ارجاء العالم ، وتلفت الانظار الى الانقلاب الاجتماعي والسياسي، الذي قامت به الديانة الاسلامية في البلاد البربرية المتوحشة .

وقد كان لهذا الانقلاب اثره الاكبر ، حيث استولى المسلمون في السنة الثامنة من الهجرة على مكة « تريد فتح مكة » واجتازت مضارب جيوشهم حدود فلسطين وسورية .

وكان المسلمون عازمين على القيام بحملة كبرى عندما خف صوت النبي في السنة الحادية عشر من الهجرة ، ذلك الصوت الذي هز اوتار القلوب وجعل لصوت تلك الاوتار رنة عذبة بين الشعوب البعيدة .

توفي النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم تمت دعوته ، فقد كانت الجزيرة موحدة متآلفة لا تؤثر فيها مطامع بعض القبائل البدوية . ورأى الناس اذ ذاك اول معجزة من معجزات الديانة الجديدة ، عندما شهدوا الجزيرة تنقلت من ارض المعارك والاختلافات الى ارض التآلف والسلام . ورأى الناس اذ ذاك هذا الانقلاب الاجتماعي والسياسي والديني العظيم ، فطفقوا يسألون عن اسبابه الاساسية ، فكان اكثرهم على عمى يتخبط في ظلمات الخطأ « تريد خطا كثيرا من كتاب اوربا » ولا يدركون ان انقلابا مثل هذا لا يمكن له ان يتم الا بالقوة الالهية ، وان الله هو الذي ارسل محمدا - صلى الله عليه وسلم - كآخر نبي الى الارض ! فكانوا لعماهم او تعاميهم يعتقدون ان سبب انتشار الاسلام السريع وانقلابه يعود الى قوة السيف ، غير مدركين اسبابه الالهية الواضحة التي لم يكن في وسع احد انكارها مهمابلغ عداؤه ، يقولون ان دين محمد دين السيف ، مع ان دين محمد - صلى الله عليه وسلم - دين القوة الالهية !

ومضت الكاتبة الانجليزية تقول في ختام كلامها : « هذا هو الاسلام . وتلك هي المعجزات التي انتشر على اساسها . وان الانسان ليشعر بالغبطة عندما يرى العداء الذي كان يظهر في انتقادات الاوربيين في القرون الوسطى ، يتلاشى في هذا القرن ، وعندما يرى الانصاف الكافي الذي يظهره كتاب اليوم نحو تلك الديانة السامية اسمى ديانات العالم ، الديانة التي قلبت العالم اجمع . واني اعتقد من جهتي ان عدم اهتمام علماء الاسلام بنشر الديانة الاسلامية وعرض آرائهم على الامم الغربية ، هو الذي حمل الاوربيين على مثل هذه الاعتقادات السيئة »

١٦ - وقال القس لسوزان « بعد بيان عن اوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم » مايلي :

« فمحمد - صلى الله عليه وسلم - بلا التباس ولا نكران من النبيين والصديقين ، وهو رسول الله القادر على كل شيء ، بل وانه نبي عظيم جليل القدر والشأن ، امكنه بارادة الله تكوين الملة الاسلامية واخراجها من العدم الى الوجود ، بما صار اهلها يشفون عن الثلاثمائة مليون - كما يظن في وقتـه - من النفوس ، وداسوا بجدهم سلطنة الرومان وقطعـوا برماحهم دابر اهل الضلالة ، الى ان صارت ترتعد من ذكرهم فرائص المشرق والمغرب » .

اقول :

هذه جملة مقتطفة من الاعترافات التي ابداها بعض فلاسفة اوروبا وكبار كتابها واحرار نقادها ، بشأن نبي الاسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، صرحوا بها واجترءوا بادلائها على رءوس الاشهاد ، وبنشرها في المؤلفات والصحف ، ولو ضد معتقدات المجتمع الذي يعيشون بين ظهوانيـه مما يعد خطرا على حياتهم

وعلى الاقل ، على شئونهم ، ويعد تضحيةمنهم لمصالحهم الشخصية .

وانما ذلك عن انصاف واذعان لنواحي الحق ، وعن انسانية حرة صادقة ، بعدما حققوا نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - الحقته وتبينوا رسالته الحقة ، فوجدوا في سننه القدسية وتعاليمه السماوية ، كل مايتفق مع العقل البشري ، وينطبق على الحكمة والفلسفة في الحياة ، ومايتمشى مع المدنية السليمة والنهضة الصحيحة التي ينشدها الانسان بانسانيته ، ويرغب اليها ببشريته ، ويستسيغها بطبيعته وفطرته ، مع مافيها « اى في السنن والتعاليم المحمدية » ما ينقذ العالم من التقاليد الزائفة ، والطقوس الباطلة التي سادت وتسود في قارة اوربا شرقها وغربها ، وجنوبها وشمالها ، حتى في العصر الذرى ، عصر العلوم والاكتشافات .

نعم .. هذه اعترافات التقطناها واكتفينا بروايتها وعرضها على قراء « منبر الاسلام » الاعزاء ، بشأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بعث خاتما للانبياء والمرسلين ، وفاق عليهم جميعا في اوصافه وخصاله وتعاليمه واقواله ، مما انطلق المنصفين بالاعتراف ، وادى بهم الى كلمة الحق والانصاف .

ورحم الله العالم الجليل - البوصيري شاعر وادي النيل ، حيث يقول :

فاق النبيين في خلـق وفي خلق
ولم يدانـوه في علم ولا كـرم

منـزه عن شـريك في محاسنه
فجـوهر الحسن فيه غيـر منقسم

دع ما ادعتـه النصارى في نبيهـم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاتـه ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ماشـئت من عظم

فان فضل رسـول الله ليس لـه
حـد فيعـرب عن ناطق بفـم

اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه آمين .

خواطر وذكريات
حول بيت الله الحرام

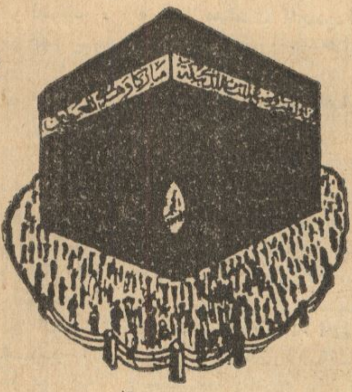

الأستاذ عبد الرحيم فودة

١ - لماذا يتجه المسلمون فى صلاتهم نحو هذا البيت .. ؟ ولماذا يتوجون هذا الاتجاه اليه بحجة الطواف حوله ؟

قد يكون الجواب عن ذلك هو أن هذا البيت كما يقول الله فيه « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا** »

فهو أول بيت جعل مسجدا ومعبدا لله وحده فى هذه الأرض ، وقد رفع قواعده ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وابراهيم هو ابو اسماعيل واسحاق ، ومنه كانت الشجرة الطيبة التى ازدانت بالنبوات واضاءت الوجود كله . بمصباح الرحمة المرسلة وشمس دين الاسلام . محمد عليه الصلاة والسلام . وقد كان أشراق نوره صلى الله عليه وسلم بجوار هذا البيت ، وفى البلد الأمين الذى قام حول هذا البيت .. كما كان هذا البيت قبلة ابراهيم وهو يغادر ربوع الشام الخصيب مع زوجه وولده اسماعيل ليدعهما فى هذا المكان الجديب ، ثم يغيب عنهما ويرفع بصره الى السماء . وصوته بهذا الدعاء « **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء** »

٢ - هذه أول ذكرى تطالعنا وترى فيها التفسير لهذه الهجرة ، ولايثار ابراهيم عليه السلام هذا المكان ليكون موطنا لابنه العزيز عليه اسماعيل ، فهو كما يفهم من قوله « عند بيتك » كان بيته تعالى ، وكان موجودا قبل أن يفد اليه ابراهيم ، وقد عاد اليه ابراهيم ليطهره وليرفع مع ابنه قواعده . وينفذ عهد اليهما كما يفهم من قوله تعالى « **وعهدنا**

الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » وقوله جل شأنه « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ،ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم »

٣ ـ وبذلك يحمل هذا البيت مع ذلك أثر الأيدى النقية التى طهرته ورفعت قواعده ، فاذا عرفنا مع ذلك أن ابواب السماء تفتحت لدعاء ابراهيم واسماعيل فكان منهما أمة مسلمة ، وكان من هذه الأمة رسول منهم « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وكان من هذا الرسول ماكان من أبيه ابراهيم اذ طهر البيت من رجس الأوثان التى كانت تحيط به وتجثم فوقه •• عرفنا لماذا نستقبله فى كل صلاة ونحجه من كل صوب

٣ ـ لكن هذا ليس كل ما يقال فى الجواب عن السؤال ، بل أن السؤال نفسه ليس مما ينبغى أن يقال ، لأن مقتضى الاسلام أن يمتثل العبد أمر ربه دون مناقشة أوجدال ، وقد ضرب ابراهيم واسماعيل فى ذلك أروع الأمثال ، اذ قبل أن يذبح ولده امتثالا لأمر ربه فيما كان يرى وقال اسماعيل « يا أبت افعل ماتؤمرستجدنى ان شاء الله من الصابرين» ثم كانت رحمة الله بهما فوق ما قدرا وتصورا فأبقى للوالد ولده ، ورزقه بآخر وهواسحق عليه السلام ، وجعل اسماعيل كما يقول فيه: واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صديقا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا »

٤ ـ وقد كان ذلك شأن ابراهيم حين قدم بزوجه وطفله الى مكة قبل أن تكون مكة ، أو الى هذا المكان المجدب بين هذه الجبال التى تحيط به وتلوح منها المخاوف والأهوال ،فانه لم يسأل لماذا أمره الله بذلك ، بل لقد تبعته زوجه « هاجر » تسأله وهى خائفة واجفة •• لماذا تدعنا فى هذا المكان؟ • قلم يرد عليها حتى سألته ثلاث مرات •• ثم قالت : آلله أمرك بهذا •• ؟ فقال نعم •• فقالت اذا لن يضيعنا الله •

وتفد ما معهما من الزاد والماء •• ووجدت طفلها يتلوى من الظمأ ، ويتضور من الجوع ويكاد يشرف على الهلاك منهما ، فنهضت مذعورة تهرول بين الصفاوالمروة •وتصعدهما ثم تنظر عساها تجد الماء فلا تجد شيئا ،وتكرر منها السعى بينهما سبع مرات ثم عادت شبه يائسة لتجد رحمة الله بها وبابنها العزيز عليها قد تفجرت عن ماء سلسل يسيل تحت قدميه •• ولفت هذا النبع انظار الطير فحومت نحوه ، ثم لفت ذلك انظار الناس فاقدموا عليه • وأقاموا حوله • ونشأت مكة حول هذا البيت الذى قرن الله به الخير والأمن كما يفهم من قوله تعالى « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وجعله كما يقول فيه « واذجعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » وكما يقول فيه «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس»

٥ ـ ويحتل البيت هذه المكانة العظيمة فى القلوب ويحجه الناس « رجالا وعلى كل ضامر» وتقام حوله الأسواق ، وتعظم به مكانه قريش ويبنى أبرهة كنيسة بصنعاء ليحول اليها أنظار الحجيج • ثم يقبل على مكة ليهدم هذا البيت ، فيرسل الله عليه وعلى جيشه «طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول »

٥ ـ ويهاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، فلا يفوته ـ وقد تعلق قلبه بها وبالبيت العتيق فيها ـ ان يتطلع اليها ويودعها بهذه الكلمات •

والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ماخرجت •

ويقوم صلى الله عليه وسلم فى المدينة بين الانصار والمهاجرين وحيث كان يجد الجو الرحب • والمكان الخصيب ، فيتحرك

فى قلبه الشوق الى هذا البيت ويرفع بصره الى السماء عقب الصلاة يستشرف الى وحى يرضى نزوعه وشوقه ثم ينزل عليه قوله تعالى **« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون »**

٦ ـ وبذلك صار البيت قبلة المسلمين بعد أن كانوا يصلون الى بيت المقدس ، وكان ذلك هو الحق ، لأنه أحق مكان بأن يكون قبلة الناس ، ثم كان حجه كما يقول الله **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »** ثم كان حجاجه وعماره كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم : **الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم** .

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات

أرى الناس أفواجا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الاقدار مختلفات

٧ ـ أما الطواف حوله . فلتعظيم كل جانب منه ، ولأن كل جانب منه قبلة لجانب من المسلمين فى جميع انحاء الارض ، فالمسلم حين يطوف به يلتقى مع المسلمين فى كل اتجاه ، ويستقبل معهم قبلتهم وبذلك يتأكد المعنى الذى يتألف منه الاسلام . وهو وحده المعبود جل شأنه ، ووحدة القبلة التى تجمعهم على عبادته ، ووحدة المسلمين التى تفهم من قوله تعالى « ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . ووفقنا الى حج بيتك وزيارة قبر رسولك ، وصل اللهم عليه وعلى اله وصحبه اجمعين (*)

الأمن فى

الأمن والسلام ، والطمأنينة والاستقرار ، والسكينة والتعاون ، غاية من غايات الاسلام ، وامل من أعز آماله .

والخلف والخصام ، والقلق والاضطراب ، والشقاق والفزع ، مما يبغضها الشرع ويكره أهلها ، والداعين اليها . والذين يكشفون عن نقاب الدين ، ويتنشقون نسائمه الزكية ، وتنشرح صدورهم لحكمه واحكامه ، يجدون الاستجابة الى ندائه ، والاصاخة الى دعائه ، تؤدى حتما الى أمن تقر به العيون ، وسكينة تبتهج بها الحياة « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

والناس صنفان ، صنف يعرف حدود الله فلا يتعداها ، وصنف لا يبالى بهذه الحدود فلا يرعى حرمتها ، أما الأول فانه يرسم الطريق لأمنه ، واطمئنانه ، فهو آمن مطمئن ، فى سكون ودعة ، يحبه الناس ويسالمونه ، ويهيئون له من الخير ما يهيئونه لأنفسهم .

وأما الثانى فانه يرسم الطريق لفزعه وخوفه ، وضيقه وقلقه ، ويخلق له من الناس أعداء ، لا يعينونه على خير ، وقد لا ينقذونه من الشر .

والله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعد فتن تموج بين العرب ، وعداوات تضطرم ، وخلاف يستحر ، وشقاق يقطع العلائق ، ويستحيل بها الى نزاع وقتال ، فقد كانوا قبل الرسالة المحمدية فى هيجاء لا تهدأ ، وثارات لا تسكن ، وفتن لا تنام .

وكان لهم من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، علاج لفساد نفوسهم ، ودواء لتفرق كلمتهم ، فأين أكثر الناس ومن شاء من الناس على كل ما يعتز به من النفس ، والعرض ، والمال ، والعقيدة . (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها .

أما الأمن على النفس فقد صانها الله ، وجعل الاعتداء على النفس الواحدة اعتداء على الأنفس كلها « من أجل

الإسلام

فضيلة الشيخ محمد كامل الفقي

(ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) .

ونهى الله عن القتل في مواضع شتى من كتابه الكريم ، يقول ابن مسعود رضي الله عنه (من سره أن ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) .

وفي القرآن فيض من النهي عن جريمة القتل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس . والتارك لدينه ، المفارق للجماعة) .

فاذا تطلعت الى حكم القتل بالجزاء عليه في الآخرة فاقرأ قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها . وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) .

وأما الأمن على العرض ، فقد كان سبيله في الاسلام تشديد النكير على الفاسق الزاني ، وتسمية ما يأتيه فاحشة ، واقامة الحد الرادع عليه ، (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) .

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة . والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) .

فان قذف أحد محصنة من النساء ، فان الله جعل عليه حدا ، ثمانين جلدة ، (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة . ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ، والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة أحدهم ، أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) .

وانه لمن المبالغة في صون العرض ، شرع الحجاب للمرأة حتى لا تتبذل . وجعل الشرع ما عدا الوجه والكفين والقدمين عورة ، وحرمت النظرة الثانية اليهن ، (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) .

وامعانا في تصون المرأة حرم عليها النظر (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن .. الآية ..) .

وأما الأمن على الأموال ، فمرجعه الى أن الشرع قد جعل الأموال عصب الحياة . وجعلها هي والبنين زينة الحياة الدنيا . وكما أمر بتحصيلها من كل وجه مشروع ليقوم عليها الكون . أمر بالمحافظة عليها . ونهى عن الاسراف فيها . وذم الضن بها . وحذر من أكلها بالباطل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه . وأكلهم أموال الناس بالباطل) .

ومن تأمين الأموال شرع الله حد السرقة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) .

وأما الأمن على العقيدة ، فذلك أن الله بين فضل الاسلام ، وأنه ثمرة الحياة ، وضمان السعادة في الدنيا والآخرة . جعله مشرقا لا لبس فيه ولا التواء ، وبين الحلال والحرام . ثم ترك الناس أحرارا فيما يختارون . فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها . يقول الله تعالى في حرية العقيدة ، (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ذلك لأن طبيعة الايمان تأبى الالزام والاكراه ، وجاء في خطاب الله تعالى لنبيه (افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (ما على الرسول الا البلاغ) (لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر) .

هذه هي النفائس الغوالي التي تقوم بها الحياة ، بل هي الحياة . المال . والنفس . والعرض . والعقيدة صانها الاسلام أية صيانة ، وحرسها ودفع الغوائل عنها . وجعل صاحبها في أمن وسلام ، واطمئنان وسكينة . فمتى روعيت حرمات الله كان النفس والعرض أو المال والعقيدة في غير خوف ولا قلق .

ولا تقتصر نظرة الاسلام الى هذه الغوالي على مجرد صيانتها وحراستها . بل انه ليضيف الى سلوك الانسان سلوكا لو اتبعه لعاش مع المسلمين في أخوة ومحبة ، وتعاون ومودة . وصار الجميع بناء واحدا ، ويدين

تفصل احداهما الاخرى . بل لوجد فيهم من يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة .

لقد حرم الله القتال فى الأشهر الحرم . وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ثم رجب الفرد ، وهذه الشهور هى ثلث العام . السفر الى مشاعر الحج فى الحجاز . والعودة من هذه المشاعر يكون فى الثلاثة الأولى ، فالله سبحانه وتعالى أراد تامين الحجاج وحراسة انفسهم وأموالهم وتجارتهم فجعل القتال محرما فى هذه الأشهر ، كما حرمه فى رجب الذى يتجه الناس فيه الى البيت الحرام لأداء العمرة .

ان هذه الحرمة قصد بها تامين الطريق لأداء الحج وزيارة الله فى بيته الحرام . ولعل الحكمة من هذه الحرمة أنها كذلك تغرس فى القلوب عوامل الأمن والاطمئنان فالأشهر الحرم ذات قدسية خاصة نوه الله بها فى كتابه اذ يقول : (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) .

وفى القرآن مواضع كثيرة تشير الى قدسية هذه الأشهر والمحافظة عليها بتجنب القتال فيها وسائر المظالم والخيانات ، وتلكم من شعائر الله التى وجهت الأنظار اليها فى الأزمنة كلها . وفى الرسالات كلها .

والبلد الحرام ، كان الأمن والاطمئنان فيه استجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام اذ قال : (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) .

(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الأصنام) .

جعل الله البلد الحرام آمنا ، والبيت جعله عز وجل كما قال (مثابة للناس وأمنا) . وكفل له القدسية والجلال ، وشرفه بالاضافة اليه فقال (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) .

ان الأمن الذى فرضه الله للناس فى انفسهم وأموالهم فى مكة والبيت الحرام ، فرضه كذلك للحيوان فى هذه الأماكن المقدسة (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم . ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم الآية ..) .

وفرض هذا الأمن كذلك لأشجار الحرم لا يختلى خلاها ، ولا يقطع شوكها .

وليس الأمن الذى اوجبه الله للناس فى هذه المرحلة الا ترويضا للنفوس على الأمن والاستقرار بعد أن كان لها فى الغارات ضراوة . ومع القتال والثار والفتن تاريخ .

ان الأمن من أجل النعم التى يكافأ بها المؤمنون . اذ يحيون بها فى ظلال السعادة .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

وقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم هو وصحبه بمكة عشر سنين وهم فى خوف وقلق ، ولما هاجروا بالمدينة كانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فى السلاح .

حتى قال رجل : ما يأتى علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة) فانجز الله وعده ، وأظهرهم على جزيرة العرب ، وافتتحوا المشرق والمغرب ، وملكوا الخزائن واستولوا على الدنيا .

ومن الله على قريش بانه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف . وذلك بأن أهلك الله تعالى الحبشة الذين قصدوهم بالاعتداء حتى يتسامع الناس بذلك فيهابوهم ويخشوا باسهم . حتى انتظم لهم الأمن فى رحلتهم شتاء الى اليمن ، وصيفا الى الشام ، امنهم لأنهم أهل حرم الله . وولاة بيته . فاصبحوا لا يتعرض لهم . والناس يتخطفون من حولهم .

ان سلب الأمن ، واحلال الخوف والفزع محله عقوبة ونكال ، (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) .

وقد شدد القرآن النكير على الذين يردعون الناس ويفزعونهم ، ويبدلونهم من أمنهم خوفا ، باشاعة الفتن والتخريب والافساد (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) .

وان اشاعة الشائعات تذهب الأمن ، وتجلب الخوف والقلق . وتضعف الروح المعنوية عند الشعوب . وأصحابها هم الذين يسئلون عن وهن القوة وضعف العزيمة .

وان جمع الكلمة ، ولم الشمل ، يزيد فى القوة . ويوهن العدو . ويقلق الأمن ، ليس فى قطر دون آخر ، بل فى البلاد الاسلامية جميعا .

وان فى مطاردة اسرائيل ، وايجاد كيان لفلسطين ، وقيام وحدة عسكرية واقتصادية للعرب أمنا أى أمن للعرب ، واقلاقا أى اقلاق لأعداء الله وأعدائنا .

نعم ان هناك خوفا واحدا محمود العواقب هو الخوف من الله ، والخشية من عذابه (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

وفى مقابل هؤلاء من أمنوا جانب الله على غير عمل وسعى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) .

وقد ذم الله صاحب البستان اذ (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا) .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول (لا آمن مكر الله ولو كانت احدى قدمى فى الجنة) .

صحيح أن المجتهد فى الطاعات حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة .

(ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) .

من مبادئ
المجتمع المثالى

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

خلق الله الانسان واستخلفه فى الأرض وأمده بالأمكانيات اللازمة لعمارة الكون ، وهو كفرد لايستطيع أن يقوم بهذه المهمة وحده فلا بد من التعاون مع غيره حتى يحقق رسالته .

ولم تقم نهضة من النهضات فى تاريخ البشر ، ولم تنجح دعوة من دعوات الاصلاح فى العالم الا بتعاون القوى وضم الجهود لتستطيع أن تصمد أمام الحوادث وتنتصر على العقبات .

ورسالة الاسلام وهى أسمى رسالة فى الوجود ما كانت لتحظى بهذه المنزلة الا بمبادئها السامية ، وأخلاقها الاجتماعية العالية التى منها التعاون والمحبة والاخوة . والنهضة التى أسسها سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وهى أكمل نهضة فى تاريخ الانسان ، ما كان لها أن تثبت وجودها وتؤدى رسالتها الا بتعاون المؤمنين وتضافرهم وقوة الرابطة بينهم .

ولقد كان المعنى الاجتماعى القائم على المحبة والاهتمام بشئون الناس واضحا كل الوضوح فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام كما كان واضحا فى دعوته ، بل ان معانى الرحمة والعطف والاحسان الى الناس كانت تحتل مكانا عاليا من نفس النبى قبل مبعثه . تصفه السيدة خديجة رضى الله عنها فتقول :

(والله لا يخزيك أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق)

ورسالة النبى صلى الله عليه وسلم نفسها كانت رحمة للعالمين ، وأخلاقه كانت كما

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها تقوم على القرآن الكريم .. وقد وصفه ربه فقال :

« **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** » « **وانك لعلى خلق عظيم** » « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

ان اجمع مادة فى دستور الاسلام تنص على التعاون وتحدد معالمه وتبين مجالاته هى قوله سبحانه « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » والبر فى معناه الجامع ينتظم كل عمل يفيد منه الانسان ويستفيد منه مجتمعه ، وذلك فى جميع المجالات الروحية والمادية . وفى كل مايرفع شأن الفرد وينهض بالمجتمع . والتقوى معناها اتخاذ الوقاية ، وهى هنا وقاية تحمى هذا البر فى جميع مظاهره من أن تنال منه يد الفساد . أو تدنس حماه قوى البغى والعدوان . وتضمن له الاستمرار فى التدرج حتى يصل الى أعلى درجات الكمال . ومظاهر البر كلها لابد أن تكون فى اطار من الدين الذى شرعه الله لسعادة البشر وخير الانسانية فليس من البر ما يكون اثما ومعصية ، وخروجا على مقتضيات الفطرة السليمة .

واتخاذ الوقاية بالتسلح والاستعداد يكون للدفاع فقط عن القيم والمثل وحماية هذا البر من أن ينتكس أو تمتد اليه أيدى الباغين . ولا تكون هذه الوقاية أداة للظلم والتعدى غرورا واستكبارا وعلوا وفسادا « **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »

ولقد قوى النبى صلى الله عليه وسلم معنى التعاون والمحبة فى نفوس المسلمين ، كما كان قويا فى نفسه ، وطلب من كل فرد أن يدفع ضريبة الحياة الاجتماعية وحثه على ان تكون علاقته بالناس قائمة على تبادل المنافع ، لايعيش فى المجتمع آخذا كاسبا فقط ، بل لابد أن يقابل ذلك بالاعطاء والبذل والعمل للناس كما يعملون له"

يقول النبى صلى الله عليه وسلم ، على كل مسلم صدقة ، **قالوا فان لم يجديا رسول الله؟ قال يعمل ويتصدق ، قالوا فان لم يستطع ؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا فان لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا فان لم يستطع ! قال يمسك عن الشرفان أمساكه عن الشر صدقه**

رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى . وبين لهم النبى أن المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كالجسد الواحد ، وان المحبة والمشاركة الوجدانية أساس الايمان ، يقول صلوات الله عليه « **لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا** » رواه مسلم عن أبى هريرة . ويقول « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » **رواه البخارى ومسلم عن أنس ، ويقول** « **من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن سترمسلما ستره الله فى الدنيا والأخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ،والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه** » رواه مسلم عن أبى هريرة . ويقول (**أحب الناس الى الله انفعهم للناس ، وأحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم ، تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينا أو تطرد جوعا** رواه الأصبهانى عن ابن عمر . ويقول « **من مشى فى حاجة اخيه كان خيراله من اعتكاف عشر سنين** » **رواه الطبرانى عن ابن عباس والحاكم وصححه .**

والرسول صلى الله عليه وسلم ينعى على الانعزاليين والأنانيين فيقول « **ليس منا من** لم يهتم بأمر المسلمين » رواه الطبرانى عن حذيفة بن اليمان . ويبين الله خطأ من يظن أن التدين قاصر على أداء العبادات المعروفة كالصلاة مثلا ، وان لم تثمر ثمرتها فى تزكية نفسه ، ولم تهز جوانب الخير والعطف والرحمة فيه ، ساهيا عن حكمة مشروعيتها فى خدمة المجتمع وسعادة البشر متخذا اياها عطاء يستتر عن الناس ما فيه من شح وقسوة وأنانية ، **اقرأ قوله تعالى**

« أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ٠ الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » ٠

بهذه النصوص القوية التى تدل على مكانة التعاون والرحمة والاخاء فى التشريع الاسلامى وبهذه الأسس السليمة التى وضعها الاسلام للمجتمع الاشتراكى التعاونى التى يمثلها قوله صلى الله عليه وسلم ،

« من كان له فضل ظهر – أى دابة – فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، قال راوى الحديث : وذكر الرسول عليه الصلاة والسلام من أصناف المال ماذكر ، حتى رأينا انه لاحق لأحد منا فى فضل » رواه مسلم عن ابى سعيد الخدرى ٠

بهذا تكون المجتمع الاسلامى المثالى الذى بدأ حياته متشبعا بهذه الروح ، حريصا على تطبيق هذه الفكرة ، فرأينا ابا بكر الصديق رضى الله عنه يشترى العبيد المعذبين فى مكة ويعتقهم **« وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى »**

ورأينا النبى صلى الله عليه وسلم فى أول عهده بتكوين الدولة المنظمة فى المدينة يعقد مؤاخاة بين المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وبين الأنصار الذين سخت نفوسهم وآثروا اخوانهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ٠ وسار المجتمع الجديد على هذا النمط من التعاون والمحبة الخالصة حتى كانت الهدية تأتى الى الواحد منهم فلا تلبث فى بيته الا بمقدار ما يقسمها ثم يرسل بها الى اخوانه ، وقد تتناول الهدية أيد كثيرة وتنتقل من بيت الى بيت ، وكل يرى أن غيره أولى بها منه ، حتى تعود الى مرسلها الأول ٠

هذا المجتمع الذى يصفه عبد الله بن عمر فيقول : لقد أتى علينا زمان وما منا رجل يرى أنه احق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ٠ هذا المجتمع المثالى استطاع بتعاونه وترابطه واجتماع قلوب أهله على المحبة والصفاء دون فوارق ولا عصبيات أن يأتى بالعجب العجاب فى عالم القوة والابداع واستطاع أن يقف صامدا أمام الأحداث تتحطم على صخرته أمواج البغى و العدوان، وأمكنه فى فترة وجيزة من التاريخ أن يكون امبراطورية مترامية الأطراف ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، شاع فيها العدل والأمن والطمأنينة ورفرفت على ربوعها اعلام الحرية والعزة والسيادة ، فما أحوجنا ونحن بصدد بناء مجتمع جديد الى أن نقوى فى نفوسنا معنى التضامن والتعاون والمحبة وأن نعمل لذلك جاهدين فى أخلاص ، والأمل قوى والغاية قريبة المنال اذا صدق العزم وخلصت النية ، وماذلك على الله بعزيز ٠

عظمة الرسول والإسلام

الأستاذ محمد عطية الابراشي

افتراء المتعصبين :

لقد افترى المتعصبون من المستشرقين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يمحصوا ما كتبوه عنه تمحيصا علميا دقيقا، بل اعتمدوا على مادسه الاسرائيليون فى كتب السيرة النبوية ، من أحاديث مكذوبة ، وروايات ملفقة غير صحيحة ، لذلك كتبوا أشياء على الرسول الكامل بعيدة كل البعد عن الحق ، وكان التعصب ظاهرا فى كتابتهم ، غير أن هناك قليلين من المستشرقين قد أنصفوا الاسلام ، ورسول السلام ، مثل «توماس كارليل» (١٧٩٥ - ١٨٨١م) الفيلسوف الانجليزى ، والمصلح الاجتماعى . وهو أول من اعترف من الانجليز لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالبطولة والاخلاص ، وقال انه بطل وانسان مثالى غير عادى - أى رسول - فى كتابه : « الابطال وعبادتهم » ومثل الاستاذ المستشرق المنصف (ادوارد ج. براون) فى كتابه « التاريخ الأدبى لفارس » و (السير توماس أرنولد) فى كتابه « دعوة الاسلام » ، وغيرهم من المؤلفين المخلصين ، فقد أشادوا بعظمة محمد عليه الصلاة والسلام ، واخلاصه ، وصدقه ، وأمانته فى رسالته ، واعترفوا ببطولته ، لأنهم أحرار فى تفكيرهم ، عادلون فى أحكامهم ، منصفون فى آرائهم .

ويجب على الباحثين من رجال الدين فى كل أمة - مهما تختلف دياناتهم - أن يترفعوا عن التعصب ، ومحاربة الاسلام بالباطل ، والتجنى على العلم والتاريخ . وأرجو منهم الأمانة العلمية ، والنقد العلمى المنطقى البرىء ، لا النقد القائم على التحريف المشوه ، والادعاء الباطل . أرجو منهم أن يجردوا أنفسهم من الحقد على الاسلام، والكيد لنبى الاسلام ، حتى يصير بحثهم علميا خالصا ، لا حقد فيه ولا تعصب . اننى أريد الحقائق كاملة خالية من الاهواء والاباطيل ، غير متأثرة بالنزعات التبشيرية ، والميول الشخصية . أريد منهم أن ترتبط النتائج بالمقدمات ، حتى تبرز الصورة واضحة المعالم ، مبينة للحقائق .

وان من يطلع على ما كتبه المتعصبون والمبشرون فى القرون الوسطى يجد أن أكثرهم متأثرون بنزعتهم الدينية، وميولهم الطائفية ، فادعوا أن محمدا ساحر ماهر ، يسحر من يتصلون به بما أوتى من بلاغة وفصاحة وأن القرآن من عنده ، مع انهم كانوا يعلمون حق العلم أنه قبل البعثة صادق فى كل أقواله ، أمين فى كل أفعاله ، أمى لم يتعلم القراءة والكتابة . وزعموا أنه مبتدع للدين الاسلامى ، مولع باللهو والملاذ . والله يعلم أنهم لكاذبون، وأن الرسول الأمين لا ينطق عن الهوى ، والقرآن كتاب الله ، المنزل على رسوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . » « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . » وقد عجز الفصحاء والبلغاء من قريش أن يأتوا بسورة من مثله ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بآية واحدة تشبه أى آية منه .

ولو جرد هؤلاء المبشرون - من أمثال (زويمر) فى كتابه: « بلاد العرب مهد الاسلام » - أنفسهم من التعصب الأعمى لأدركوا الاسلام على حقيقته ، ولآمنوا بالقرآن الكريم واعجازه ، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لغلبة الهوى عليهم لا يدركون كنه الاسلام ، وعظمته الحقة .

وفى الوقت الذى نرى فيه التعصب من المبشرين ضد الاسلام نجد التسامح روح المسلمين ، فالاسلام يعترف بالتوراة ورسالة موسى ، ويقر الانجليل ونبوة عيسى ، وطهارة مريم وقد تسامح المسلمون كل التسامح مع أهل الكتاب ، وعاملوهم معاملة عادلة انسانية تدل على النبل والمروءة فى الماضى ، وما زالوا يعاملونهم كالاخوة والاصدقاء فى الحاضر .

وان نظرة واحدة الى العالم اليوم ترينا أنه مملوء بالمشكلات ، فقد طغت الناحية المادية على بنى الانسانية ، وأهملت الناحية الروحية كل الاهمال ، وصار معظم الناس ماديين ، يعيشون للمادة ، ولا يفكرون الا فى المادة ، ناسين قول العزيز الحكيم : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن

الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين . » وقول الرسول الكريم : : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنما تموت غدا . »

وقد انتشرت التفرقة العنصرية ، في جنوب أفريقية ، والولايات المتحدة الامريكية ، وعومل البيض معاملة السادة ، والسود معاملة الخدم والعبيد ، معاملة كلها وحشية ، يتبرأ منها الدين والمدنية ، في حين أن الاسلام قد ألغى الامتيازات بين الطبقات ، ورفع العبيد الى منزلة الاشراف ، وساوى بين البيض والسود ، وبين الاغنياء والفقراء ، ونادى بالحرية والمساواة والاخاء ، قال تعالى : « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم . » وقال الرسول العظيم : « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لابيض على أسود الا بالتقوى ، أو بعمل صالح كلكم لآدم ، وآدم من تراب . »

وانقسم العالم الى كتلتين كبيرتين : احداهما شرقية ، والاخرى غربية ، تتنافس كلتاهما فى القوة النووية ، والاختراعات الذرية ، المبيدة للعالم كله ، مع أن الاسلام نادى بالسلام ، وتعاون القلوب والأرواح ، والوحدة القوية الشاملة . قال عز وجل : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . » وقال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم . » أى قوتكم . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . »

وقد فسدت أخلاق الشباب ، وانتشرت الأثرة وحب النفس ، وأصبح الأخ لا يعرف اخاه ، والابن يتجاهل أباه الذى رباه ، ويتبرأ منه لجهله أو فقره ، وصار كل فرد اليوم يعيش لنفسه ، ولا يفكر الا فى نفسه ، وقد خاطب الله نبيه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم . » وقال الرسول الكريم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى . » « وانما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »

واذا بحثنا أحوال الأمم التى تحكم فيها الاستعمار عشرات السنين ، ثم تحررت بعد جهاد طويل شاق ، وجدنا الجهل والفقر والمرض وفساد الاخلاق من المشكلات العامة فيها .

وخير علاج لتلك الامراض الاجتماعية كلها هو الرجوع الى المثل العليا فى الاسلام ، والتمسك بأخلاق رسول الانسانية والسلام . فالاسلام دين العقل والمنطق ، دين العدالة الاجتماعية ، والمساواة والحرية ، قضى على الرق والاسترقاق والعبودية ، ولا يعترف بالتفرقة العنصرية ، وينادى « بالديمقراطية » ، والاخلاق المثالية ، ويدعو الى التعاون ، والتضامن ، والوحدة الروحية .

وان فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق للناس كافة ـ عظة للمتقين ، وآيات واضحة المحجة ، قوية الحجة ، تهدى الضال ، وتنير الطريق المظلم ، وتنبه الغافل ، وتردع الجاهل ، وتجلى الحق حقا ، والباطل باطلا .

وقد أنزل الله القرآن الكريم ، على رسوله الأمين ، وخاطبا النبى الناس أجمعين ، ليترسموا خطاه ، ويهتدوا بهداه ، ويتعظوا به ، فكم فى السيرة النبوية من عظة ، وكم فيها من عبرة . وما أكثر ما يجده الباحث المدقق فى سطورها من الحكم البالغة ، والدروس العالية ، التى تنير بصيرته ، وتهذب نفسه ، وتطهر روحه ، وتدعوه الى توخى الحق ، ومناصرة الفضيلة ، والتضحية بالنفس والمال .

والحق أن الاسلام دين بلغ النهاية العليا فى السمو ومصدر قوته الايمان ، والحق ، والعدالة ، والاخلاص ، والرحمة ، والبر بالفقراء ، والسهولة واليسرة والتسامح ، والتفكير المنطقى السليم . وان ما أخذه المتعصبون من المستشرقين والمبشرين على الرسول والاسلام ـ أكبر دليل على حقدهم وتضليلهم . والحاقدون المضللون كثيرا ما ينكرون الشمس فى رابعة النهار ، لانهم لا يسلكون سبيل الحق والصراط المستقيم ، فيصعب عليهم رؤية الحقيقة الواضحة ، وادراكها ، والحق منهم برىء .

ولتعصبهم قد ادعوا خطأ أن الاسلام هو السبب فى وحشية المسلمين ، وتأخرهم وضعفهم ، وأنه قام على حد السيوف وأسنة الرماح ، وأنه مخدر لهم ، يلهيهم عما هم فيه من بؤس وشقاء ، وجهل وفقر ومرض ، وسوء حال . ولو درسوا مبادىء التاريخ لعرفوا أن المسلمين فى العصور الأولى للاسلام ، قد فتحوا العالم بالايمان والاخلاص والعقيدة ، والرجوع الى العقل والمنطق ، وورثوا مجد الفرس والروم فى أقل من قرن . ونشروا الاسلام فى زمن وجيز لا يذكر ، وقادوا العالم قرونا طويلة فى العلوم والآداب والفنون والحضارة والمدنية ، فى العصور الذهبية للاسلام . وكانوا يمثلون الانسانية الكاملة فى معاملاتهم لغيرهم من أهل الكتاب ، ومحافظتهم على عهودهم ومواثيقهم . ولم يتأخروا مطلقا بسبب الاسلام ، ولكنهم تأخروا وضعفوا بسبب الاحتلال ، فقد أبعدهم عن دينهم ، ونشر الجهل والفقر والمرض بينهم . ولم يكتف بهذا ، بل قسم بلادهم وجزأها الى دويلات صغيرة ، وبث روح التفرقة والتنازع والحزبية ، والاختلافات الطائفية بين المسلمين ، حتى يستطيع أن يتحكم فيهم ، ويسيطر عليهم ، وتكون له السلطة والسيادة على تلك البلاد ، لينهب ما فيها من خيرات ، ويأخذ ما فيها من مواد أولية ليحتكرها ويستغلها اقتصاديا وسياسيا لمصلحته الخاصة ، عملا بالحكمة الاستعمارية المعروفة : « فرق تسد »

والحق ان من يعرف المبادىء الاسلامية يدرك تمام الادراك أن الاسلام قد حارب الجهل ، وجعل التعليم واجبا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . » وقوله : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم . »

وقد حارب الفقر بفرضه الزكاة على الأغنياء والقادرين ، لانفاقها على المعوزين والمصالح العامة ، ونادى بالصدقة والاحسان لرفع مستوى الفقراء والمساكين . قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله . »

وقد حث على الرعاية الصحية ، فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ان لبدنك عليك حقا » . وقوله : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف . »

وأمر بالتعاون والوحدة ، فى قوله جل شأنه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . »

ولو اتبع المسلمون اليوم قواعد الاسلام ، ومبادئه السامية ، وأخلاقه النبيلة ، ومثله العليا لارتفع مستواهم فى معيشتهم وأحوالهم ، ونظم حياتهم ، وعاشوا عيشة حرة كريمة ، كما كان يعيش أجدادهم الاحرار الكرماء ، ووجد الجاهل ضالته من العلم ، والفقير حاجته من العيش ، والمريض حقه من العلاج والدواء ، ولاستعدنا المجد الاسلامى التليد ، والحضارة الاسلامية الخالدة ، وهيأنا وسائل المعيشة الشريفة للأمة الاسلامية العظيمة .

ولا عجب ، فالاسلام نصير العلم والتربية والتعليم ، والمدافع عن الفقراء والمحتاجين ، والمساعد للعجزة والمقعدين ، والمؤاسى للمرضى والشيوخ واليتامى والضعفاء .

عيد الأضحى

الأستاذ أبو بكر محمد زكري

العيد لفظ مأخوذ من العودة ، لأنه يكون عادة موضع احتفال واحتفاء بمقدمه كلما عاد بمثل أيامه دورة الفلك .. ولا تكاد تعرف أمة ذات تاريخ ، دون أن يكون لها مآثر دينية أو اجتماعية تتخذ من عودة أيامها اعياد تعظمها وتبذل الكثير من الجهد والوقت والمال ، فى سبيل الاحتفاء بها .

وعيد الأضحى هو أحد الأعياد الاسلامية الكبرى بل هو أكبرها على الاطلاق .. واذا كانت كلمة العيد واضحة المعنى للخاص والعام ، فقد يقال : وما معنى كلمة الأضحى ؟ والجواب ان كلمة الأضحى جمع اضحاة ، وهى البهيمة التى يضحى بها ، كما قيل فيها الضحايا جمع ضحية ، والأضاحى جمعية أضحية بضم الهمزة وسكون الضاد وفتح الياء المخففة ، كما جاء فى القاموس المحيط .

والتضحية نوع من القربان يقدم تقربا الى الله سبحانه اعترافا بربوبيته ، واستجلابا لرضاه ورحمته ، كما تطلق على ما يقدم الى غير الله من آلهة الوثنية ومعبوداتها الباطلة على اختلاف اديانها وعقائدها .

وأنواع القربان كثيرة على مر التاريخ .. ولعل أقدم ما عرف منها ما جاء فى الكتب المقدسة عن هابيل وقابيل ولدى آدم (اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين) وكان قربان هابيل كبشا من غنمه ، وقربان قابيل شيئا من زرعه ، حسبما قال المفسرون ، وكما ورد فى التوراة .

ويروى أن نوحا عليه السلام ، بعد الطوفان ، بنى مذبحا قرب فيه لله كثيرا من الحيوانات وقد ورد ان ابراهيم عليه السلام كان يقرب الى الله الخبز والخمر فأمره الله أن يذبح له عجلة وكبشا وعنزا وحمامة ويمامة . (آية ٩ ، ١٧ من سفر التكوين) .

وبالتأمل نجد فى قصة هابيل وقابيل ان الذى قبل هو القربان الحيوانى ، والذى رفض هو قربان الزرع ، كما نرى فى قصة ابراهيم عليه السلام ان الله قد أمره بقربان الحيوان بدل قربان الخبز والخمر . واذن فما سر ذلك التشابه الغريب فى القصتين ؟ .. لعل السر ، والله اعلم ، انما هو لأن القربان من الحيوان يكون عادة مشوبا بشيء من الحرص المتأصل فى الطبيعة الانسانية ، اذ يمكن ان يقرب المتقرب الى الله من الزرع ، كما فعل قابيل ، ومن الخبز والخمر ، كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام أولا ، بمقدار لا يعز على البخلاء

الأشحاء أن يجودوا به . أما التضحية بالحيوان فلا يفعلها عادة الا الاسخياء ، ومن هنا اراد الله أن يعلم نبيه ابراهيم عليه السلام الطريقة المثلى فى التضحية فجمع له هذه المجموعة من الحيوان اشارة الى التوسع عندما يكون لدى المضحى قدرة على التوسعة ، وارضاء لما يمكن ارضاؤه من الأذواق ، أو لعل السر كله هو ارادته تعالى تعويد ابراهيم عليه السلام الكرم والسخاء الذى هو خلق الأنبياء ، والرضوخ لما يفرض عليه من تكاليف مهما كان فيها من صعوبة فى تحصيلها أو فى فهم الحكمة منها . والا فما سر التكليف بالحمامة واليمامة بعد تضحية العجلة والكبش والعنز ؟ وهذا نمط من تربية الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه .

ولقد ظلت التضحية زمنا طويلا تقدم للانسانية رمزا من أسمى الرموز لطاعة الله وحبه والتقرب اليه بما يتمشى مع المنطق الدينى الصحيح والفطرة السليمة ، ثم لم يلبث ذلك أن انحرف الى ضروب من الشذوذ والغلو تحت مؤثرات اجتماعية وطبيعية لا مكان لاستقصائها الآن .

بعد ان كانت العبادة لله وحده نشأت الوثنيات المختلفة ، ونشأت ضروب من الغلو فى التضحية لها ، حتى قربت لها القرابين البشرية ، فى صور بلغت من البشاعة أقصى ما يتصور صدوره فى احط مراحل التطور العقلى للانسانية البائسة . ويكفى اسفافا فى ذلك ان القرابين البشرية كانت تقدم أحيانا لاسترضاء الحيوان والنبات والجماد . ومن هذه المضحكات المبكيات ان بلاد المكسيك كان سكانها الاصليون يقدمون من القرابين البشرية كل عام ما يصل الى خمسين الفا من مواطنيهم وهو ما يربو على خسارتهم لو دخلوا حربا تشن عليهم للابادة بضع سنين . وكل ذلك من أجل نبات الذرة لكى يجود عليهم بمحصول يجنبهم المجاعات .

ولو رحنا نسرد أنواع السخافات الانسانية لهذه التضحيات الشاذة لما وسعتنا هذه الأوراق المحدود .

ولن ننسى ، من سطور التاريخ ، مهما نسينا ، تلكم المأساة الخالدة لعروس النيل معبود المصريين القدماء ، اذ كانوا يختارونها من أجمل العذارى وأشرف الأسر وأعظمها ، لتكون لائقة بقدر من تهدى اليه وهو النيل العظيم .. ثم اذا حان موعد وفائه البسوها من الحلى والحلل فوق ما يتاح لبنات الملوك ، ثم زفوها وهى فى نشوة المجد والانتصار والفرح الغامر لوقوع الاختيار عليها واحتفال المجتمع بها ورضاء الإلة العظيم عنها :

والمجد عند الغانيات رغيبة
يبغى كما يبغى الجمال ويعشق

زفت الى ملك الملوك يحثها
دين ويدفعها هوى وتشوق

مجلوة فى الفلك يحدو فلكها
بالشاطئين مزغرد ومصفق

فى مهرجان هزت الدنيا به
اعطافها وازدان فيه المشرق

حتى اذا بلغت مواكبها المدى
وجرى لغايته القضاء الاسبق

ألقت اليك بنفسها ونفيسها
وأتتك شيقة هواها شيق

خلعت عليك حياتها وحياءها
أعز من هذين شىء ينفق

واذا تناهى الحب واتفق الفدى
فالروح فى باب الضحية أليق

وتلك هى تصوراتهم وتخيلاتهم وانفعالاتهم يحكيها لنا أمير الشعراء الخالد الصيت كما لو كان وثنيا يعيش بينهم ويبادلهم تصوراتهم وتخيلاتهم وانفعالاتهم ، وتلك ميزة فيه يندر أن يطوله فيها شاعر من شعراء العربية .

أما ختام المأساة فانه عندما تنشق لجج المعبود العظيم لتبتلع التمثال الحى للجمال والايمان والحب والتضحية وتتم فصول المأساة وتبلغ النشوة اقصاها فى هذه الوفود البدائية المسكينة ، يصمت كل شىء وتعود اللجج البشرية الزاخرة وكأنهم ما فعلوا أمرا ادا تكاد السموات يتفطرن منه ، لكى يستعدوا للعيد المقبل باختيار ضحية جديدة لمأساة جديدة .

وبعد عصور متطاولة من ظلمات الجهل والكفر ، كان ما اراده الله لأمة ابراهيم عليه السلام وأمة خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم . ليشرع لهم ان يستبدلوا بالقرابين البشرية قرابين من بهيمة الانعام الطيبة الطاهرة ، فاوحى الله الى ابراهيم عليه السلام عن طريق الرؤيا ان يستعد لبلاء مبين هو التضحية بولده وفلذة كبده ، امتحانا لايمانه واظهارا لعلو شانه . ولما قال عليه السلام لولده (يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) عزم على تنفيذ ما أوحى اليه . ولما أسلما أمرهما لله وتل الوالد ولده للجبين أى كبه على وجهه ليعمل السكين القاسية فى عنقه كانت ارادة الله بالفداء أسبق فاوحى اليه (يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين) وفداه سبحانه بذبح عظيم فى قيمته للانسانية اذ خلصها من هلاكها وانقذها من هلاكها وانقذها من ضلالها .

ومن ذلك التاريخ أصبحت التضحية الحيوانية سنة الأسوياء من أمة ابراهيم وأمة محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبع سنتهما واحتذى طريقهما من الراشدين فى جميع الأمم الراقية .

وقد يسأل سائل : وما سر هذه المخازى الانسانية كلها ؟ ألم يكن للانسانية عقل تفكر به ليعصمها عند هذه الترديات والارتطامات المهينة ؟ والجواب هو ان الانسانية فى تلك الأونات كانت لا تتبع المنطق الدينى الصحيح المدعم بالعقل والتبصر . وانما كانت تحكم منطقا دينيا لا ركيزة له ولا أساس سوى غريزة التدين المجردة ترى به كل آية فى الكون وفى مشاهد الطبيعة فتنسى البارىء الحق وتؤله ما خلق . ولقد بلغ من غرابة شأن هؤلاء الحيارى انهم كانوا على حين ايمانهم بالله ، يضلون الطريق السوى الى التوحيد والتزين ويشركون معه غيره من المعبودات الباطلة (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) .

ولعل المقارنة بين الأديان ترينا ان دين الاسلام كان منطقه بعيدا تمام البعد عن هذا الاندلاع العاطفى الذى ينسف كل عقل وكل عاطفة خيره ليسير طائعا راضيا نحو الهلاك والدمار . ولعل القرابين البشرية التى أكلتها النار وحدها كانت كافية ، لأن تسهم فى عمارة الأرض أيام كانت تشكو خرابها وقلة عمارها .

ولعل فيما قدمناه هنا ما يكفينا ، لكى نستبعد السير وراء الغوايات التى لا تزال تلعب بالعقول وتجنى على الحياة ، جريا وراء العواطف الدينية المشتعلة بوقود الخيالات والأوهام .

ومما يدعو الى الرثاء للانسانية انها حتى بعد مضى أكثر من نصف القرن العشرين عصر المعجزات العلمية

والوعى العظيم ، لا تزال تندفع أحيانا بما بقى فيها من آثار البدائيات الى سبل من الضلال لا يقرها دين صحيح ولا عقل سليم . انظر الى أسرة كانت قانعة سعيدة بما رزقها الله يدخل عليها دجال فيوهما ان فى دارهاكنزا مخبوءا تحت أرض الدار وانه بما وهبه الله من العلم يستطيع أن يخرج لها كنزها فتصبح من أغنى الأسر ولم يكن الدجال ليطمع فى الفريسة لولا أنه سمع ذلك بتجوله فى الشوارع والأزقة وسمع الناس يحكون عن جد هذه الأسرة الثرى الشحيح الذى دفن ماله فى الأرض ولم يجدوا بعده شيئا مما كان يتهم به .

وصدقته الأسرة اليائسة بجهلها ، لأن كلامه طابق الواقع مع أنه غريب من الناحية . وحط رحله فى الدار ليستغلهم ويسلب كل ما تجمع لهم من عرق الجبين . وكانت العقدة المحكمة فى شرك الدجال أن أتاهم بقطع نحاسية من النقد جديدة لم تستعمل تشبه الجنيهات الذهبية ونثرها فى تراب حفرة حفرها ثم دعا رأس الأسرة وأراه القطع وادعى له أنها ذهب وانها أولى الامارات على أن الكنز أصبح فى اليد ، وفى نفس الوقت حذره من لمسها لئلا يضيع كل شىء فى طرفة عين . وجن رب الأسرة بالكنز وباع له كل ما يملك لكى يسافر لاحضار البخور اللازم من مصر (القاهرة) فهو لا يستحضر الا منها وباغلى الأثمان .

وفر الدجال بحلى النساء وأثمان ما بيع من أجل البخور لتصبح الأسرة تدوس على الذهب . ولم يفتحوا الحجرة التى كان يقيم فيها أياما طويلة كما أوصاهم الشيخ مع تلهفهم على ما فيها من القطع الذهبية ، الا بعد أن يئسوا من عودته ويالهول المصاب عندما عرفوا أن القطع الذهبية لم تكن أكثر من أنصاف ملاليم وان الضربة التى أنزلها الدجال بهم هى بؤس الأبد . وانهم انما حاق بهم جزاء ما صنعوا من اعتقاد الأسرار الالهية فى اخبث وأجهل وأسفل من تحمل الأرض ، دون أن يحكموا العقل والمنطق ، ولظنهم ان كل ما نطق به الشيخ ينم عن سر آلهى وضع فيه .

وشر من ذلك ان يعتقد أكثرية الناس ، حتى هذه الساعة ، ان الأولياء أو مدعى الولاية وما أكثرهم ، انما هم خلفاء الله فى الأرض ولهم فيها ما له من نفوذ وقدرة وان فى أيديهم الصحة والغنى والسعادة لمن سلم اليهم وآمن بهم ، واضدادها لمن كذبهم وقلل من شانهم .. ومن اجل التقرب اليهم ، خوفا وطمعا يضحون باغلى ، ما يملكون من أرزاقهم وأرزاق أولادهم . عرفت من هؤلاء من كانوا يجمعون عشرات الجنيهات طوال العام ويبخلون بها على أنفسهم غذاء وكساء ودواء لكى يذهبوا بها الى مولد السيد البدوى أو السيد ابراهيم الدسوقى فيقسموها هناك بين صندوق النذور ونفقات الاقامة فى ذبح واطعام واسراف فى الأكل والشرب والترف والعطل ، ثم يعودون بعد ليال من الصخب والضجيج الى ظلام بيوتهم وصمتها ووحشتها وما فيها من فقر وبؤس ، ويذهب على الأيام رجاؤهم الأبله فى قدرة الشيخ على ان يحول فقرهم الى غنى وأمراضهم الى صحة ، وبؤسهم الى حياة وسعادة ، وكأنما يفيقون من مخدر افاقة وقتية لكى ينسوا النتائج سريعا ويعودوا الى سيرتهم ويتخبطوا فى جهلهم .. ويحق هنا قول الشاعر :

أفيقوا من جهالتكم فانى
رأيت الجهل للأقوام غولا

ان أكثر مصائبنا من هذا النوع انما تنشأ عن انحراف المنطق الدينى وتجافيه عن طريق الاعتدال والقاعدة الأساسية فى ذلك انك ترى الألوف من الناس يفعلون الكثير من أعمالهم على ظن أنها من الدين ونابعة من صميمه ، مع أنها ليست من الدين ولا الدين منها فى شىء .. انهم بدل ان يضعوا ثقتهم فى الله وحده ويفردونه بالقدرة والارادة العليا المتصرفة نجدهم فى ظواهر من القلق والتسرع يستعجلون الفوائد والمنافع ويطلبونها من عند غير الله . وكم من مآس تحصل وتثور من جراء ذلك . كم هم الذين يتركون الداء ينخر فى عظام ذويهم ويتركون الطريق المتمشى مع منطق الدين والعقل والتجارب ، فى علاجهم واضعين ثقتهم فى رقية أو تميمة أو ورقة فيها بعض الأعداد قد رسمت على شكل خاص فهى لابد فاعلة لهم كل ما يريدون ما دام من ورائها سر الشيخ الذى كتبها . وما جاء بذلك كتاب ولا سنة ولا قامت عليه تجربة م ن الاستقراء الصحيح .

وانه ليقوى رجاءنا ان الوعى قد أصبح يبشر بخير كثير . وان بعض من لم يتلقوا العلم لا فى كتاب ولا مدرسة منهم من يستعمل عقيدته الصحيحة ومنطقه الدينى المتزن فيجتاز به الأزمات وينجو به من الحبائل . واذكر من ذلك ان امراة قروية من هذا النوع المؤمن الذكى جاءتها عميلة لشيخ من الدجالين تقول لها : بلغنى أن زوجك مغاضب لك من زمن طويل ، ويقول الشيخ لو أرسلت اليه اقتين من السمن فانه سيأتى به فى أسرع وقت . فقالت لها : لقد جربت هذا الدجل وذقت منه الكثير فقولى ذلك لغيرى فقالت لها : أنا أعرف ذلك الشيخ عن تجربة . انه ينقل الحائط على الحائط بمجرد البخور ولقد نقل الحائط امامى وأعاده فى لمح البصر . قالت لها : انا لست ملزمة بتصديقك أو تصديق غيرك .. اذا جاء ونقل الحائط أمامى فستنفق على كل ما يطلب .. واصفر وجه العميلة وسقط فى يدها . وقالت : هذه أسرار تسلب منه لو أكثر من اظهارها للناس .. قالت لها : هبى ان الله يريد أن يكون زوجى على حاله فهل يقدر الشيخ ان يقلب ارادة الله ؟ وهبى ان الله يريد ان يعيده الى غدا أو بعد غد فلماذا انسب الى الشيخ عملا هو من محض ارادة الله ثم اعطيه اقتين من السمن أولادى أولى بهما ؟ ورجعت العميلة تجر أذيال الخيبة . بفضل ايمان تلك المرأة العاقلة .

وبعد فان الايمان بغير الله ، ووضع خواص الالوهية فى سواه انما هو مرض الانسانية الأكبر وعدوها المهلك منذ اغوتها الشياطين بعبادة غيره ووضع الثقة فى سواه .

ان عيد الأضحى لم يكن أكبر أعياد الاسلام لأمر غير معلوم وسر غير مفهوم . انه كما كان عيد الفداء الأكبر للانسانية ومنقذها من مصير العجماوات ومن غوايات الوثنية هو كذلك عيد اتمام الحج الأكبر وتمام النعمة الكبرى على المسلمين باداء احدى قواعد الاسلام الأساسية التى لا تنال الا بعد أسفار وجهود ومشقات ومخاطرات جمة . وبتمام هذه النعمة الكبرى تغمر ملايين المسلمين نشوة روحية لا مدى لما فيها من سعادة .

هذه هى الجوانب الحرية بان نحتفى من أجلها بالعيد الأكبر ونسعد به كل السعادة . ليست العوائد التافهة من ترف المطاعم وتفنن فى المآكل والمشارب وخروج الى القبور ولهو ولعب عندها مما لم يجىء به تعليم دينى صحيح . وليس ركوب أراجيح ولا اطلاق صواريخ مزعجة ولا غير ذلك من مقلقات الأمن والاستقرار .

ان العيد الحق هو أن نذكر شعائر الله ونعظمها ونقيم السنن وننتهز الفرص لنشر الود والاخاء والتعاون الصادق على الخير والبر والتقوى وكل عمل نافع لمجتمعنا . ونسأل الله من فضله أن يلهمنا الصواب وأن يوفقنا لصالح الأعمال وان يعيد العيد كل عام على الأمة الاسلامية بالخير والبركات .

الأعياد
فيض العواطف السامية والمشاعر النبيلة

للأستاذ ابو الوفا المراغي

للانسان عواطف ومشاعر من البر والوفاء والحب والايثار يشعر أحيانا بالحاجة الى التعبير عنها وابرازها فيمن يحيط به من الجماعة ليرضى نفسه ويتخفف مما يثقله من واجبات يحس بها نحو جماعته وقد هدى الانسان بفطرته الى اختيار الأوقات والمناسبات التى يشبع بها عواطفه ويرضى شعوره

وكان للأمم جميعها قديمها وحديثها شرقيها وغربيها أعياد اما من وحى السماء أو من وحى الطبيعة أو من الهام العقول أو من املاء الظروف والأحوال ، لذلك تلونت الأعياد بألوان مختلفة واتخذت شتى الألقاب فهناك عيد النيروز وعيد المهرجان وعيد الحصاد وعيد الميلاد وعيد الاستقلال وعيد التحرير وعيد الفصح وعيد الفطر وعيد الأضحى الى أعياد أخرى كثيرة ، وكل عيد من هذه الأعياد يرمز الى حادثة سارة أو مناسبة سعيدة يحلو للانسان أن يستحضرها ويعيش فى جوها ويستمتع بما توحى به من أمل ونشوة ، وفرحة وانتعاش ويقضى فيها حق عواطف الحب والوفاء والشكر والولاء .

فعيد النيروز يرمز الى سرور الفرس بتولية ملك عادل حكيم مجاب الدعوة نعموا فى عهده بالعدل والرخاء وعيد المهرجان يرمز الى مثل هذا الحادث كما تروى كتب السير وعيد الفصح يرمز الى حادثة عجيبة وهى قيام السيد المسيح عليه السلام من قبره بعد الصلب . وعيد الأضحى يرمز الى مناسبة سعيدة وهى حادثة فداء أحد ابنى ابراهيم عليه السلام بالفداء الذى كرم الله به ابراهيم فجعله فداء لابنه . أما أعياد الاستقلال والتحرير والنصر فهى رموز الى حوادث سعيدة فى تاريخ الأمم وهى تحريرها من قيود الاستعمار والاستذلال وتخليصها من براثن البغى والاستغلال .

وفلسفة الأعياد العامة فى نشأتها أنها فترات استراحة واستجمام فى حياة الأمم تستذكر فيها المناسبات السعيدة التى ترمز اليها وتحاول أن تحييها بمظاهر البهجة والسرور وتعبر عن عواطفها النبيلة ومشاعرها الكريمة وتتخلى فيها عن خلال الأثرة والأنانية ، وكلما كانت الجماعات أوفر حظا من الوعى الدينى والاجتماعى كلما كانت مظاهر الأعياد أشد انسجاما وموائمة لمناسباتها .

ولكل جماعة أو فرد أسلوبه فى التعبير عن عواطفه ومشاعره فمن الناس من يتحرى فى احتفاله بالعيد عن ذوى الحاجة والبائسين من أقاربه أو مواطنيه فينضح عليهم من معين بره ويخفف عنهم ألم حرمانهم ويشركهم فى فرحة العيد ومناسبته السعيدة ، ومنهم من يمسح بيد المواساة والتسلية عمن امتحنتهم الأقدار فى أصدقائهم وأقربائهم أو فى أنفسهم وأموالهم . ومنهم من يرى أن واجب الوفاء يقتضيه الا ينسى اعزاءه واحباءه الذين رحلوا عنه وحرمته المنايا أنسهم وقربهم فيرى ان يزورهم فى مثواهم يحن اليهم ويأنس بقربهم وان كانوا أبعد ما يكونون عنه

فالأعياد فى واقعها وجوهرها تكافل اجتماعى أو اشتراكى تفيد منه الجماعة ماديا وخلقيا

يكرر فيها الأغنياء برهم بالفقراء ، ويشعر الفقراء أنهم من الجماعة لهم عليها ان تذكرهم وترعاهم ويجدد الفقراء حبهم للأغنياء وثقتهم بهم والتفافهم حولهم ويجدد فيها الأحياء وفاءهم لأحبائهم وودادهم لهم ، ففى الأعياد تجدد فى الحب وتجدد فى الوفاء والولاء ومن هنا كانت الأعياد ضرورة اجتماعية هدى الناس اليها قديما بوحى الفطرة وهداية الانسانية وأقرتها الأديان .

ولم يضع كثير من الأمم ولا الأديان رسوما تضبط بها عواطف الانسان فى هذه الأعياد من خير وبر ، ووفاء وحب ، ولذة ومتاع ، وتركت ذلك لتقدير الناس واستعدادهم ولتطورات العصور واختلاف الأحوال والقدر المشترك العام الذى أقرته التقاليد فى هذه المناسبات هو الاكثار من الخير والبر والبهجة والسرور فى شتى صورها . والاسلام فيما نعلم هو الذى وضع للخير وللبر وللهو والمتاع رسوما تضبط نزوات النفوس وطغيان الغرائز فيما اعتمده من الأعياد كيلا تنعكس مظاهر البر والسرور الى فوضى تسوق الجماعة الى ما لايحمده ويرضاه . لقد وضع الاسلام للاحتفال بالأعياد سننا ورسوما مالية وخلقية واجتماعية فمما رسمه الاسلام فى عيديه أن يبدأ المسلمون يوميهما بصلاة خاصة ليستفتحوهما بشكر الله على ما أنعم من طول العمر ووفرة الصحة وليلتقى جماعة المسلمين وبخاصة الأصدقاء يتبادلون التهانى متصافين متحابين . وندب الاسلام المسلمين الى أن يتناسوا الخصومات والحزازات فى نفوسهم ويظهروا الفرح والبشاشة ولايتقابلوا متعابسين تظللهم كآبة الحقد والبغضاء . ورخص فى شىء من اللهو البرىء فى الاعياد استمتاعا بما فيه من لذة لاتخدش دين المسلم ولا حياءه ، **ذكر صاحب شرعة الاسلام ان أبا بكر رضى الله عنه دخل على عائشة رضى الله عنها فى أيام التشريق وعندها جاريتان تدفان أى تضربان بالدف، وفى رواية تغنيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم مستتر بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما ياأبابكر فانها - أى أيام التشريق - أيام عيد وسرور ، وفى رواية يا أبابكر لكل قوم عيد وهذا عيدنا . قال صاحب الشرعة : فهذا اعتذار عنهما بأن اظهار السرور فى العيد من شعائر الدين .**

وندب الاسلام الى البر المادى لتتكامل مظاهر التكافل الاجتماعى فى الأعياد ماديا وخلقيا فسن زكاة الفطر يوم عيد الفطر وهى قدر مخصوص عينه للفقراء فى ذلك اليوم سدا لعوزهم ودعوة الى المشاركة فى السرور به كما ندب الى مشاركة الفقراء فى الأضحية فى عيد الأضحى وجعل لهم ثلث الأضحية ليستمتع بفضل الله ونعمه المسلمون جميعا حتى لايكون من جماعتهم من يمضه ألم الحاجة ولوعة الحرمان .

ذلك شىء مما رسمه الاسلام فى شئون الاحتفال بالأعياد ولم يشأ أن يطلق للمسلمين أعنة الغرائز تتخبط بهم فى ميادين الخلاعة والضلالة . وقد غفلت الجماعات عن فلسفة الأعياد وما توحى به من معان سامية ورسخ فى أذهان الناس أن الأعياد فترات فراغ وفرص استمتاع بملاذ الأطعمة والأشربة واستمتاع بما يباح وما لايباح من اللهو وليس هذا من معانى الأعياد ولا من سرها فى شىء . ولئن صح ان يعتذر لغير المسلمين فيما يفعلون فى أعيادهم فما عذر المسلمين فيما يقترفون فى أعيادهم والاسلام قد أنار لهم معالم الطريق ووضع لهم برنامج الاحتفال وجعل نشاطهم فى اطار يرضى الله عنه ويحسن أثره فى الجماعة .

اننا مللنا أن نقول انها عدوى التقليد ولكن هو الواقع رغم انوفنا ورغم صيحات التنبيه والتحذير .

الا وان هناك أياما نرجو ان يجعلها الله أعيادا فيوم تحرير فلسطين سيكون يوم عيد لأولنا وآخرنا ويوم تطهير أرض العرب وأرض المسلمين من دسائس المستعمرين سيكون يوم عيد لأولنا وآخرنا ويوم نستكفى باقتصادنا ونعيش فى اطمئنان من تهديد المهددين سيكون يوم عيد لأولنا وآخرنا ، فاللهم اجعل هذه الأعياد قريبة بعونك وتوفيقك .

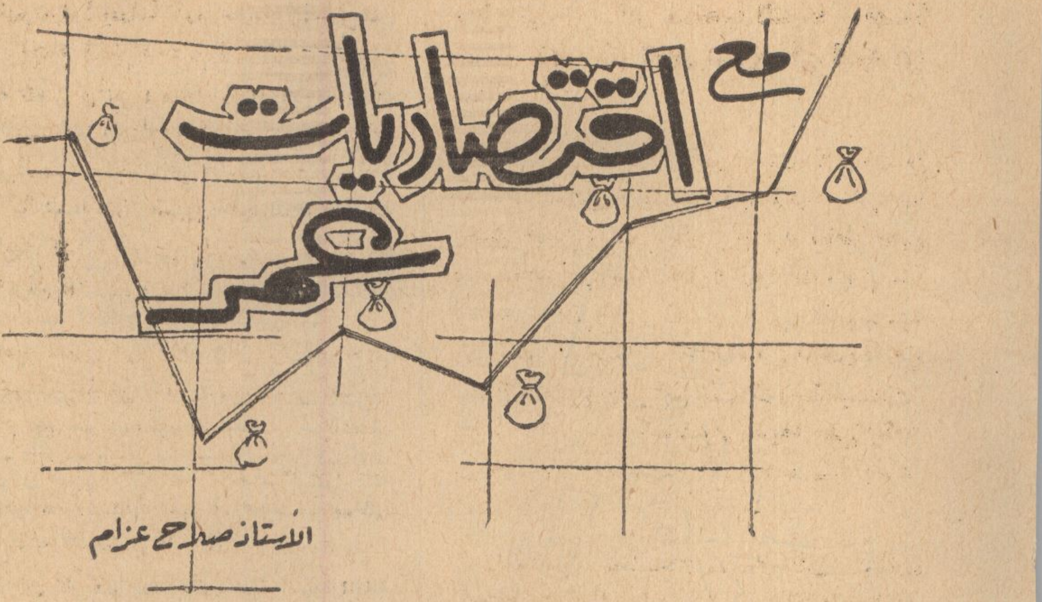

وجاء عمر ..

وكان عليه أن يضع التطبيقات العملية لقواعد توزيع المال ، وتقسيم الثروات ويزيل الفوارق بين الناس ويضعها موضع التنفيذ خاصة وقد استقر المجتمع الاسلامى من الفتن . اى انه كان عليه فى اختصار تطبيق الشعار الاسلامى « المساواة » تطبيقا واقعيا فعليا .. وليحتذى به ولاة المسلمين الذين ينتشرون فى الارض بعد أن أورثها الله لهم .. ولكيلا يتأثر الولاة بأوضاع اقتصادية أو معلومات أجنبية نتيجة الالتحام الفكرى بين شعوب لها نظم وتاريخ عريق .. ودين الله الخالد .

اذا كان على عمر أن يحمى الولاة وهم يبشرون بالاسلام ويحكمون باسم الاسلام من أن يفتنهم أى فكر غير ما جاء من عند الله .. ويحفظ فى الوقت نفسه الفكر الاسلامى الأصيل ..

وبدأ عمر .. وكان أمامه كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

وفى الكتاب ذكر كثير عن الاموال .. تبدأ على أنها ملك لله سبحانه وتعالى .. وان الانسان ما هو الا مستخلف عليها « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ..

وفى القرآن أيضا آيات خالدة تحدد معالم الحياة الرائعة وتبين وسائل استغلال المال وتوزيعه قرأها عمر ووعاها ومنها .

* « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا »

* « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم »

* « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا »

* « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ..

وعشرات من الآيات ..

ومئات من الاحاديث والاحكام المحمدية التى تعلم الناس كيف تطبق هذه الآيات ومنها « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . وقال راوى الحديث . فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ماذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى الفضل » . و .. « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع » ..

وتعلم عمر من النبى أكثر مما تعلم غيره .. وتعلم أن يأخذ العلم ممن عرفه أكثر منه .. فكان يأخذ رأى صحابته فى كل شىء .. وكل أمر .. ويعمل فيما أمر الله ورسوله لذلك فقد حدد منهاجه الاسلامى من اليوم الأول وهو يضع خطوط حكمه لولايته أمام جماهير المسلمين التى بايعته .

لكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها .

لكم على أن لا اجتبى شيئا من خراجكم وما أفاء الله عليكم الا من وجهه . ولكم على اذا وقع فى يدى الا يخرج منى الا فى حقه ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم ان شاء الله تعالى .

ويقول مرة أخرى « الا انى ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث أن يؤخذ من حق ويعطى فى حق ويمنع من باطل الا وانما أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف »

و .. « انى حريص على أن لا أدع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض فاذا عجزنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف »

من أجل ذلك كان عمر يؤمن من خلال ايمانه بالدين أن الثراء الفاحش المستغل أمر لا يقره الدين .. ولا يجب

أن تنوء به المجتمعات الاسلامية .. ومن هنا ظهرت قواعد عامة .. مثل أن تكون الارض الزراعية فى يد انسان يستغل آخرين ، ويكون ثروات هائلة أو يعطلها عن الانتـــاج .. فرفض فكرة توزيعها على الفاتحين واختار عشرة من صحابة رسول الله تفصل فى أمرها مبينا لهم أن الدولة تحتاج الى مال ونفقات فمن أين لها به ان لم يكن هناك موارد ثابتة تغطى نفقاتهـــا .. فكان الرأى أن تكون الارض للمسلمين جميعا على أن يكتفى واضع اليد بزراعتهـــا ويدفع ضرائبها لبيت المال وتشجيع احياء الارض وتمليكها لمن يصلحها ويضع للانتاج الزراعى قواعـــد منها أن من لا يصلحها خلال ســـنوات ثلاثة تزول عنه صفة ملكيتها وتؤول لغيره من المسلمين وبهذا حمى المجتمع الاسلامى الصحيح من شبهة الاقطاع وظهور الاقطاعيين ..

.. وأمر آخر حال بين قريش وغيرها ممن على شاكلتها من أن يتاجروا حتى لا يخرجوا من المدينة وتبهـــرهم الثروات وهم قوم تجار سيعملون بلا شك على جمع الاموال وتكديس الثروات ثم لكيلا يســـتغلوا أيضا فى تكوين ثرواتهم انبهار الشعوب الجديدة بصحبتهم لرسول الله .. وانهم كانوا حملة مشاعل الدين .. فحبســـهم الى جواره ولم يرض للكثيرين حتى بالجهاد ..

وبعد هذا .. كان عمر يعكف على تنمية الثروة العامة .. للناس جميعا .. بلا ارهاق على عامة الناس .. وكان يحرض الناس على العمل وعلى التجارة الشريفة من غيـر استغلال ويقول لهم « غدا سيكون لكم أبناء وحفدة فماذا يغنى عنكم هذا الذى يأتيكم » .. ويرفض أن يأخذ لنفسه أو تكون له حاشية تستأثر بأموال المسلمين التى ائتمنه الله عليها ، تأتيه حفصة ابنته تسأل نصيبها فى بيت المال وتسأله عن « يا أمير المؤمنين حق أقاربك فى بيت المال فقد أوصى الله بالأقربين » فيجيبها قائلا « يا بنية حـــق أقاربى فى مالى أما هذا فمـــال المسلمين .. قومى الى بيتك .. »

ويقول مرة أخرى لبعض نفر من المســـلمين « والذى نفسى بيده لولا أن تنقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا ولنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من آكليه ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وانى لاستبقى طيباتى لانى سمعت قول الله تعالى عـــن أقوام « أذهبتم بطيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » .. بل كان يقول لنفسه فى عام الرمادة « لتمرنن أيهـــا البطن على الزيت ما دام السمن يباع بالأواقى »

ثم كان كل هم عمر هو تنمية الثروة لعامة الشـــعب المسلم والحفاظ عليها .. والوقوف دون أى انحراف أو اتجاه لتكوين ثروات تهدد المجتمع فى أمنه وداخله وسلامه .. واستمر على ذلك حتى يقول فى أواخر أيامه .. « والله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاخذت فضول أموال الاغنياء ورددتها على الفقراء .. » ويقول « والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد وما أنا أحق به من أحـــد والله ما فى المسلمين من أحد الا وله فى هذا المال نصيب والله لو بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه .

ولكن القدر لم يترك لنا عمر لنرى ماذا كان سيفعل .. من خلال ايمانه العميق العمرى بالله ورسوله ودينه .. وانما ترك لنا عبر التاريخ حياته وحكمه .. نموذجا وعونا لكل حاكم مسلم وهو يطبق شريعة الله .. ويحكم بما أنزل بكتاب الله .. حتى تقوم الساعة .. بأمر الله

أسد بن الفرات

هو ابو عبد الله أسد بن الفرات ، مولى بنى سليم ، أصله من خراسان ، وولد بحران او بنجران ، وهو قاضى قيروان وأحد القادة الفاتحين .. وحل به أبوه صغيرا وكان ابن عامين ، مع جيش محمد بن الاشعث الداخل الى أفريقية سنة ١٤٤ ، فأقام بالقيروان ثم بتونس ، ورحل الى المشرق فى طلب الحديث ، سنة ١٧٢ هـ ، فتوجه الى الحجاز وأخذ عن مالك بن انس ، ثم انحـــدر الى الكوفة وبغداد ، فقرا على اصحاب ابى حنيفـــة النعمان ولا سيما محمد بن الحسن الشيبانى ، وفيما هو عائد الى بلده ، وعرج على مصر فأخذ عن عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وغيرهما ، واعتمد ابن القاســـم فى انشاء مدونته المعروفة بالاسدية ، وقد تلقى عنه أبناء أفريقية ، مثل سحنون وسليمان بن عمـــران وسواهما ، ويمكن أن نعد أسد بن الفرات أول مؤسس للمدرسة الفقهية القيروانية ، غير أن هذه المدرسة لم تكن تنتسب الى مذهب معين ، بل كانت تروى اقوال كبار المجتهدين ، مع ايضاح ما بينها من فروق ، وانما كان ذلك لان المذاهب السنية لم تكن قد تعينت بعد ، واستقل كل منها بنفسه ، فان ذلك لم يتسق الا فى القرن الثالث للهجرة ، وعلى اية حال فقد كان اسد بن الفرات يقرىء بالقيروان آراء مذهب اهل المدينـــة ، ومذهب أهل العراق بالسوية ، حينما اخذت كل طائفة تنحاز الى مذهب بعينه ، والمشهور عن اسد انه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده ، ويحق له ذلك لاستبحاره فى العلوم وبحثه عنها ، وكثرة من لقى من العلماء والمحدثين ، ويقول معاصره زين بن سنان الازدى ، كان اسد سرد قول العراقيين يقول مشائخ كانوا يجالسونه ممن يذهب الى مذاهب اهل المدينة أوقد لنا القنديل الثانى يا اباعبدالله فيسرد لهم اقوال المدنيين ، ويجدر بنا هنا ان نلفت النظر الى ان اشياع أهل العراق ، ابى حنيفة واصحابه ، كانوا اوفر عددا يومئذ من الذين يتابعون أهل الحجاز مالك واصحاب

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

السنن • وماذلك الا لان الامراء من بنى الاغلب وسائر رجال دولتهم كانوا يقلدون ساداتهم • خلفاء بنى العباس وقد تولى اسد قضاء القيروان سنة ٢٠٤ وكان شجاعا حازما صاحب راى • واستعمله زيادة الله الاغلب على جيشه واسطوله • ووجهه لفتح جزيرة صقلية سنة ٢١٢ وكان شجاعا حازما صاحب راى • واستعمله زيادة الله الاغلب على جيشه واسطوله • ووجهه لفتح جزيرة صقلية سنة ٢١٢ فهاجمها بعشرة آلاف فارس • ودخلها فاتحا وفى ذلك يقول ابن ناجى هو اول من فتح صقلية • وتوفى من جراحات اصابته • وهو محاصر سرقوسة برا وبحرا •

كيف دخلت الحنفية افريقية • قال اسد بن الفرات سألت علماء القيروان • كيف وقع مذهب ابى حنيفة اليكم • ولم يكن على سابلتكم • فقالوا لما قدم عبد الله ابن وهب من عند مالك رحمه الله من المدينة الى مصر وقد حاز من الفقه والعلوم ماحاز فاستنكف اسد بن الفرات ان يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه • فرحل اسد الى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا • فلما طال مقامه عنده • قال له مالك ارجع الى ابن وهب فقد أودعته علمى • وكفيتكم به الرحلة • فصعب ذلك على اسد • وسأل القوم هل يعرف لمالك نظير • فقيل له فتى فى الكوفة • يقال له محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة• فرحل اسد اليه واقبل عليه محمد بن الحسن اقبالا لم يقبله على احد وراى فهما وحرصا • فزقه الفهم زقا • فلما علم محمد انه قد استقل وبلغ مراده فيه سيبه الى المغرب • فلما دخل اختلف اليه فتيان القيروان • وراوا فروعا حيرتهم ودقائق اعجبتهم ومسائل ما طنت على اذن ابن وهب وتخرج على يد اسد خلق كثير وفشا مذهب ابى حنيفة رحمه الله بالمغرب فلما سقطت دولة بنى الاغلب وقامت الدولة الفاطمية الشيعية النحلة تضاءل عدد المستمسكين بالمذهب الحنفى حتى انقطع تماما فى اخر عهد المعز لدين الله قبل انتقاله الى ملك مصر سنة ٣٦١هـ ولم يبق بافريقية من أهل السنة غير المالكيين أوالمقلدين لمذهب الامام الشافعى •

المدرسة المالكية • أول من جدد بناءها سحنون بن سعيد التنوخى من أبناء الجند العربى • الذى ولد فى القيروان سنة ١٦٠ هـ وأخذ فى افريقية عن على بن زياد واسد بن الفرات وغيرهما • ورحل الى الحجاز ولم يدرك مالكا ورجع الى مصر • فسمع من عبد الرحمن بن قاسم • وعليه غالب اعتماده • واخذ عن غيره من كبار تلاميذ مالك • وعلى ابن القاسم راجع مدونة شيخه اسد بن الفرات • وقدظهر لابن القاسم العدول عن بعض آرائه الاولى واتخاذ آراء غيرها • وعاد سحنون الى بلاده • وأراد ان يحمل اسدا على أصلاح الاسدية • على ماتلقاه من ابن اقاسم • فلم يوافقه اسد • واستمر سحنون بما أوتى من براعة ومقدرة يبث فقه أهل المدينة خاصة مالك واصحابه ولا سيما بعد استشهاد اسد بن الفرات فى صقلية • ولذا عد سحنون أول من اظهر الفقه المدنى ورجحه • وأرسخ كلمته فى افريقية والمغرب •

شيوخ اسد بن الفرات • تفقه بابى الحسن بن زياد وكتب عن هشيم اثنى عشر الف حديث • وأخذ عن يحيى ابن أبى زائـــده وابى بـــكر بن عيـــاش •• وبمصر من ابن القاسم • وعنه دون الاسدية • وكانت على مذهب أهل العراق • وعن اسد أخـــذ أئمة منهم ابو يوسف موطأ الامام مالك لما التقى به والى أسد بن الفرات تنسب المدونة • وهى مجموعة رسائل تبلغ نحو ٣٦ الف مسألة جمعها اسد بن الفرات النيسبورى الاصل التونسى الدار وكان تلميذا لمالك سمع منه الموطأ • ثم رحل الى العراق •

وفعل فى العراق • مافعل محمد بن الحسن فى المدينة كلاهما خرج الفقهين • وقرب بين المدرستين فقـد لقى اسد بن الفرات صاحبى أبى حنيفة ابا يوسف ومحمدا وسمع منهما الفروع • على الطريقة العراقية ثم ذهب الى مصر ولقى اصحاب مالك بها ولاسيما ابن القاسـم • وعرض عليهم هذه الفروع ونحوها • وجمع اســد بن الفرات • ذلك كله فى كتاب سمى المدونة •

ودع ابن القاسم • قال أسد بن الفرات اتيت الى ابن القاسم اسمع منه فقال • انا رجل مشغول بنفسى وقد خلفت الآخرة امامى ولكن عليك بابن وهب وقال فاتيت ابن وهب • فقلت اسمعنى • فقال لى انما انا صاحب آثار ولكن عليك باشهب • موت أسد بن الفرات • وفى سنة ٢١٣ هـ مات اسد بن الفرات وهو محاصر سرقوسة ودفن بالقرب منها • وقبره معروف الى الساعة • فيما ذكر من وقف عليه وكان اسد فقيهـا ورعا • قال بعض رجال سليمان بن عمران • كان اسد اذا قرأ علينا يقول اسكتوا على أسرد عليكم دويا فى أذنى • وكان ربما رأيته يدق بيده على صدره ويقول • ياحسرتا ان مت • ليدخلن القبر منى علم كثير • وباسباب اسد ظهر علم اهل الكوفة بالمغرب • كما انه بأسباب سحنون ظهر علم اهل المدينة • وقال اسد لزيادة الله الاغلب فى وقت خروجه الى صقلية • اصلح الله الامير • عزلتنى عن القضاء قال ما عزلتك عن القضاء • وانما وليتك الامرة وهى اشرف من القضاء • فانت امير وانت قاض • فخرج اسد على ذلك • ولم يعلم احد جمع له القضاء والامرة بعد شريك بن عبد الله غيره •

رحم الله اسد بن الفرات فقد افاد الناس ونقلهم فى درجات المعرفة وفنون الحكمة •

في البيت العتيق

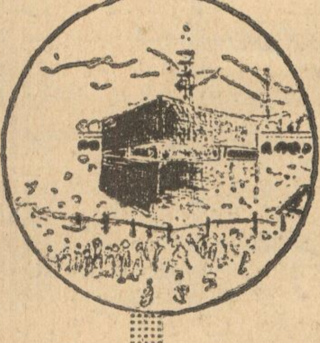

اقتداء ودعوة

الأستاذ محمد أمين هلال

من سنن ابى الانبياء ، ومن سمانا بأحب الاسماء ، هذه التضحية يقدمها الموسرون للقانعين والمعترين . . وهذا الحج يستجمع الارواح فى انسانيتها ، ويبطل فيها معنى حيوانيتها ، وينتزع الانسان من اقليمه ، ويجرده من اوهام الدنيا وحطامها الى المهاجرة الى الله الي من يلهم النفس فجورها وتقواها -

وليس غريبا أن يستوى عيد الاضحية والحج الاكبر فى وقت واحد فالاول يجدد المشاعر الانسانية ، وينسى الخصومات الدنيوية ، ويضفى على المسلمين روحا من المودة والصفاء ، وتناسى عوامل الجفاء ، ويبطل ولو الى حين قسوة الحياة ومتاعبها ليستأنف المسلم فيما بعد المشى فى مناكبها ، والضرب فى شعابها ، وقهر متاعها : والثانى تجريد النفس من ماضيها المشوب باثم لايكفى لازالة أوضاره وضوء يسبغه ، ولا استغفار يردده .. بل يحتاج فى تطهير النفس الى اكثر من التوبة العابرة : اذ هو محتاج الى أن ينخلع منها كلها ليستانف الحياة النظيفة من جديد •

والحج هو الحمام الذى ينخلع فيه المسلم من ماض تراكمت فيها أوضار الخطأ والاثم التى تعافها النفس الاسلامية ويكرهها الله ليستأنف بعده حياة جديدة هي حياة النعيم التى ترتاح لها النفس ويحبها الله . اجل هو تجديد لحياة نقية فيها الراحة وفيهـا النعيم .

وبقدر ما تصدق نية المؤمن فى ابتغاء هذا التجديد من الحج ، يكون حجه مبرورا

ولا عجب اذا اجتمع العيدان : عرفه والأضحى : فى عيد واحد يجمع الى اشاعة السرور والمودة والبذل ، أهم مظهر للامة الاسلامية ، تلك التى سلمت من داء التفرقة العنصرية واللونية والعقائدية وأقامت اسسها على التوحيد : فكان شوكتها • والمؤاخاة : فكان تعاونها . والمساواة : فكان عدلها والحرية : فكان كرامتها . والسلام : فكان رخاءها . وليس السلام ، كما قيل ثوبا يضفى على الانسانية من خارج ، ولكنه حالة تسود حياة الناس حين يسلم الانسان من شر نفسه فتصبح نفسه سلاما عليه . وهذه أولى ركائزه التى يقيمها الحاج فى جمال وروعة •

حقا هو توبة كبرى يغتسل بها الحاج من كل ذنبه ، ويفر بها تقربا الى الله فى ندم وشوق ، ويطوف بهـا خاشعا حول البيت ، ويهتدى بها داعيا ملحا عند الملتزم ويقف بها متشبثا برحمة الله على عرفه وتطوى بها نفسه وتنتشر ، أثناء المناسك جميعا ، حتى اذا قضاها رجع مغفورا له .. حتى انه ليأثم اذا أفاض من عرفه ونفسه يساورها خاطر من الشك فى أن الله قد غفر له

ولله سر فى هذا الدين . دين الخلود للدنيا والاخرة ، فقد قام بناؤه على خمس يشد بعضها بعضا بعمد

معدودة : من شهادة التوحيد ، وتزكية الصلاة ، والمرحمة والبر فى الزكاة والامساك عن محارم الله فى الصوم وكان الحج بينها واسطة العقد ، المتمــــم لكل هذه الفرائض ، فهو توسع منتظم مطرد فى الحقيقة النفسية الانسانية العامة ، يفرضه الاسلام بطريق عملى ، واقع محقق متماسك ينتظم الاجزاء ، ويحقق الاخاء ، ويصل الى ما عجزت عنه القوانين من فرض العلاقة وتحديدها وتنظيمها ، بطريقة اجبارية . تبدأ فى النفس وتتسع على النحو الذى انفرد به الاسلام . الذى بدونه لا تحـل المشاكل الانسانية لأن الحل الطبعي لهذه المشـاكل النفسية هو تنظيم العلاقة بين الأنفس المختلفـة . والاسلام كله يدور حول تنظيم هذه العلاقة وايجادها بالفعل ، وجعلها فوق الشهوات والاحقاد والمنازعات . اى وضع الحكم الذى تحكم به النفس فى مشارق الارض ومغاربها . وحكم النفس الانسانية هو حكم العالم فى الحقيقة .. ولهذا جاء الدين المحمدى للعالم كله ، وقام على أساس العالمية لا على أساس الفردية ولا على أساس الجنسية . فهو من كل الوجوه دين الانسان الكامل

ومن شاء فليتأمل فى سر هذه الكلمات البينـــات « يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » ففيها أقدس الغايات التى ينشدها المصلحون فى هذا التوحيد فى المشاعر الانسانية . وفى ذلك الربوبية والعقيدية . وفيها هذا الاجتماع وتبادل المنافع والاراء لامداد ما يذلل العيش الهنىء فى معزة الابى وجلد القوى • وفيها يجد أن الله جعل الدين للدنيا كالروح للجسد . فلا تعمل الا بوحيه ، ولا تسير الا على هديه . وآخى بين معتنقيه وجعل اجتماعهم كل عام فريضة مقدسة على من استطاع السبيل اليها . ليزدادوا بالوحدة ايمانا وتتوثق وشائج الاخوة حنانا • ويتخذ بعضــهم من بعض درعا سابغة تصد الاعداء ، وتمنع بطش الاقوياء ، وبخل البخلاء ، وظلم المتسلطين

لله ما أروع هذا الاجتماع الالهى فى صعيد « عرفة » حيث يجد الحاج هذه الرحمة تمد اكنافها حوله . وما أروع أن يكون للانسان موئل يسكن اليه اذا آداه الندم وأثقلته الخطيئة ، مــــوئل لا يحتكره تاجر يبيع صكوك الغفران أو يتاجر بالمقدسات ، ولكن اله عادل رحيم يمد يده الى كل مقبل عليه . وما أنضر وأذكى أمة توفد الى بيت الله كل عام هذا العدد الضخم من أبنائها ليعودوا اليها اطهارا ابرارا قد وصلوا مـــا بينهم وربهم ، وأقبلوا على مجتمعهم اقبالا جديدا يزكى فيهم مشاعر الرحمة والطهر

وكان الحج الاكبر ومؤتمره ، وشهود المنافع فيه : مشتمل على الطريق : وجهت المسلمين للدين والدنيا ، وتدريبا لجلدهم وقوة احتمالهم لقارعة الاخطار ، وجوب الاقطار ، ومفارقة الاهل والانصار، واذا خالطت بشاشة الدين قلوب المؤمنين اندفعوا اندفاع السيل ، يقتحم السدود ، ويتجاوز الحدود ، ولا يبالى بعد هذا شيئا « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . هو مولانا » وبهـذا أصبحت الامة المحمدية فى أقل من قرن من الهجرة أعظم أمة على وجه الدنيا . وفى جبهة الركب : تقول فتسمع وتطلب فتجاب . وأذكت شعلة الحضـارة ، وأعلت سناها ، ووجد فيها العالم العيش الذى يحيا بحرارته ويهتدى بنوره

وقد ثبت تاريخيا أن أبناء هذه الامـة انتشروا فى الارض يبلغون الامم دعوة الاسلام ويقتبسون مع هذا ما صادفوه من العلوم والصناعات ، ودفعهم حب التكمل الى البحث عن نصوص العلوم فى مصادرها المكتوبة فلم يحرقوا ما صادفوه فى البلاد التى افتتحوها من الكتب العلمية كما فعل غيرهم ، ولكنهم كانوا يستولون فيها على أمهـات المصادر العلمية ويستأجرون العارفـين بلغـاتها ثم توفروا على دراسـتها وتطبيقهـا وسـاعدهم فى ذلك ملوكهم وأمراؤهم وأثرياؤهم حتى انتقلت اليهم الخلافة العلمية بعد اليونان والرومان واصبحت جامعاتهم محط رجال مريدى الاستفادة من جميع الامم وزادوا فى مواد العلوم مما اكتشفوه فى الطب والكيمياء والطبيعيات .. الخ ، وصرفوا همتهـم فى اتقان العلوم المرتكزة على الادلة الواقعية والمنافع الحيوية ووصلوا الى مدى بعيد من الرقى استحقوا به خلافة الله فى الارض

فاى ركن من اركان الاسلام يعدل هذا الركن الخامس الذى وجه المسلمين الى افتتاح الاقطار ونشر الحضارة فى المدن والقرى والامصار • وفى الوقت نفســه ارسى هذه الركيزة فى مشاعر الناس ، وفجر بذلك أصدق ينبوع لعاطفة السلام . وأقام أيقظ حارس على ركائزه جميعا . والناس كما قيل بحق لم يفشلوا خلال العصور من خبل فى العقل أو عوز فى الرأى . ومازلنـــا نرى مؤتمراتهم فى الشرق والغرب يلاحقها الفشل وتنـذر بسوء المنقلب ، وانما أصلهم على علم خبل فى الضمير وعوز فى المشاعر الانسانية النبيلة . وطغيان الاهواء من كل نوع على الوازع الالهى العميق فى النفس ، الـوازع الذى يمسكها من جذورها على معنى الحق ، ويؤجج فيها النار اذا حادت عن طريقه والذى ان غاب لم تقم مقامه قوى الارض مجتمعة ، واستتبع غيابه غلبة الهوى وتفلت الزمام

ولكل من مناسك الحج حكمة سامية تجل بهـــا القلوب ويزداد بها المؤمن ايمانا : بذل المال وتجرع لمرارة السفر واعتزال مظاهر الترف ، وتعويد للمرء فضيلة الانفاق فى وجوه الخير ، ومصارف البر . وفى اعتزال مظاهر الترف عرفان بمقدار فضل الله ، وحجز للنفس عن تلك المـلاذ وتربية المهابة للخالـق

وفى التوجه للبيت رمــز الى أنه البيت الالهى الذى بناه ابراهيم ليكون قبلة للانسانية فى مختلف عصورها كانه تعيين لمركز هذه الدائرة المترامية بمحيطها الانسانى وما لم يعين لها مركز معروف لاتتعين الدائرة نفسها بل تذهب مع الفوضى هنا وهنا

وهذا الطواف من مظاهر الالتجاء الى الله وشــدة الحاجة اليه والتمسك به . وكأنه اذ يستلم الحجـر الاسود أثناء طوافه يتحسس العطف ويستشير الرحمة. وكان التردد بين الصفا والمروة يرمـز الى أنه اذا فاته التمسح ببيت الله فلن يفوته التردد فى ساحته والسعى فى حماه . وان اشعار النفوس مثل هذا لأقوى دافـع لها على التحفظ من مخالفته والمسارعة فى طاعته ورضاه

وفى رمي الحجار حرب يعلنها الاسلام على الشيطان وحزبه وتسويلاته وكلما خطر خاطر بسخط الله ادركنا أنه من الشيطان ، عدونا فنؤذنه بالحرب ، ونحن نرمى هذه الجمرات فى الحج . ومن تمام الحج بعد الحــج . وما دام الحاج على قيد الحياة : مواصـلة لمخالفـة الشيطان ، واعتباره العدو الذى لا ينبغى للعقل ان يغفل عن وساوسه وينقاد لتسويلاته . وهذه الادعية نعقل معناها لندرك أن بها تنعقد العهود بين الخالق والمخلوق . وان المخلوق ينبغى له عقد العزيمة على توخى ما يدعو الله بـه ويكون جادا فى دعائه ليستجاب له ، ليعود الى وطنـه

حاملا معه تصيبا مباركا من رسالة الاسلام كما بعث الله بها حامل أكبر رسالاته

اجل لو عقل المسلمون المعاصرون ما يعود على الامة الاسلامية ، اذا عقلوا هذه الاسرار سموا ووصلوا الي مستوى كان اجدادهم قد تربعته زمنا خطبت فيه الامم ودهم ، وتضافرت التيجان أمام أمرائهم ، على غير تأنق فى ملابسهم ، ولا تغال فى مظاهرهم ، بل هى عزة المؤمنين الذين يستصغرون كل شيء فى الوجود الى رب السموات والارض ، بل هى نصرة الحق وان لنصرائه عزة وسلطانا

يا يوم عرفة . يا يوم الجمع الحاشد ، بل يوم البعث الاصغر • فيك يلتقى الناس اجناسا مختلفة وأمما متباينة ، وقبائل متباعدة ، فاذا هم قلوب متعارفة، وآمال متواصلة ، وألسنة متفاهمة . بل هم قلب واحد نابض بتوحيد الله ، وأمنية واحدة متجهة الى الله ولسان واحد يهتف . لبيك اللهم لبيك . ان علماء الاخلاق ليفقدون مظهرا تتمثل لهم فيه مطالبهم الحكيمة ومثلهم العليا للانسانية الا فى تلك اللحظة الرهيبة التى يجتمع فيها المسلمون على متن الصحراء فى بيت الله ، حيث تتجرد الصدور مما ملكها من غل وما ملأها من احن ، وتخلص القلوب مماران عليها من اهواء وشهوات فلاتبقى الا روح نقية لا تشعر بغير المعانى السامية ، وعين صافية تتجلي لها حقائق الحياة ، لا زيف ولا بهرج . وأذن واعية يحتجب عنها ما ملأ جوانب الدنيا من ضجيج وعجيج ، وما زحمها من مشاغل ومشاكل

ها هنا . ها هنا . فى هذا المشهد ، صفوف متشابكة وأمشاج مختلطة ، لا فرق بين رب الخورنق ورب الشويهة ولا ثرى ذى حسب ، على مهمل ذى ضعة ، قد لفهم جميعا زى ساذج يتراءى فيه من يتخطر فى الديباج ومن يتعثر فى المزن . ويشتبه فيه من يجد الالوان بمن يفقد الكفاف . طارت عنهم كبرياء الالقاب، وعزة الانساب ، ومخيلة الشباب ، فى رحاب فساح مقدسة تموج بالجمهرة الكبرى من خلق الله وبينهم من وراء البحار طوائف وطوائف تتداعى اليها داعى الله فاجابت داعى الله . ودلفت الى مؤتمر تباعث فيه الناس استجابة لوحي العقيدة النازلة فيهم منزلة الشغاف ، السارية فيهم مسرى الدماء . لا يبتغون من ذلك فضل مال أو منصب أو جاه ثم يرجعون بجر الحقائب ، مما وقعت عليه الأذن ، وما ينفع الناس . وبذلك يتدانى العالم من مراحل التدابر والاختلاف فتأخذ الشعوب سبيلها ، ويقرب التشابه بين الخلق وتتجمع الجبهة الانسانية المتحدة التى هى أنبل أحلام الفلاسفة وأعلى درجة فى مراقى الفلاح

ومعانى الحج آهلة بذكريات تطيب بها النفس ، وتروى القلب من كوثر الايمان وناهيك ببلاد هى منبعث العقيدة المتأصلة فى النفس اللوامة . فليس بدعا أن تنحنى الضلوع لتلك البلاد على حب ، وتنطوى على تجلة . فتلك بقاع هى معاهد صبا الاسلام ومناجم جوهره . وفى أرجائها قامت الملة المحمدية واهتزت وربت . وعلى صعيدها حبا وشب رجال قاموا بالدعوة وفكوا الحبوة وأطاحوا بالعروش العتيدة الظالمة ، ونشروا الحضارة والاخاء والمرحمة . بقاع لا تزال أجواؤها تحفظ صوت النبى وتضرعه وشكواه وهو يقول « أنت رب المستضعفين الى من تكلنى » فما أجدر ان يتمثل للحاج حين يسعى ويطوف كل ما أثره التاريخ عن هذه التربة وبزوغ شمس الاسلام فى فلك هذه الجزيرة . ثم ما كان وراء ذلك من جهاد وفتح . وان فى تمثل الذكريات ما يملأ بالعبرة الخواطر ويشغل بالتدبر الفكر ويشب عاطفة الهداية والتقوى •

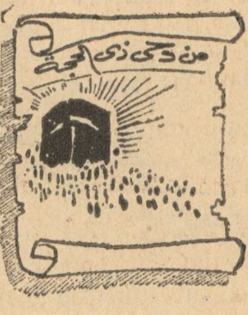

⊙ بسم الله اجند قلمى وفكرى لخدمة الاسلام نشرا له ودعوة اليه ، ومن فوق منبر الاسلام ارفع صوتى داعيا الى الله سبحانه « قل هذه سبيلى ، ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين »

⊙ وانى بتوفيق الله سبحانه ادخل ميدان الجهاد فى سبيل الله جنديا من جنود العروبة والاسلام مع تلك الصفوة الممتازة من رجال الفكر الاسلامى الذين يرفعون عقيرتهم بالدعوة الاسلامية وينشرون بأقلامهم صفحات مطوية من كنوز العلم والدين •

⊙ وانه لمن يمن الطالع ان تكون باكورة ما اقدمه لمجلة منبر الاسلام مع هلال ذى الحجة ولهلال الحجة شان اى شان فى دنيا المسلمين فما ان يطلع على الدنيا حتى ترى المسلمين من اقصى مشرق دنياهم الى اقصى مغربها وقد اتجهوا بأفئدتهم الى تلك البقعة المقدسة من ارض الجزيرة العربية ، الى بيت الله الحرام ، الى مكة بلد الله الحرام « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » •

⊙ وتتوارد الذكريات وتمر الخواطر سراعا ويذكر المسلمون يوم ذهب خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام واودع بجوار البيت الحرام فلذة كبده اسماعيل مع امه هاجر ويكل امرهما الى الله ويهم بالعودة الى اهله فتتبعه هاجر وتقول الى من تكلنا يا ابراهيم ـ فيقول : الى الله فتقول هاجر انطلق فانه لايضيعنا ـ ثم ينتحى ابراهيم ناحية متجها الى البيت مناجيا ربه ضارعا اليه «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

ويستجيب الله دعاء ابراهيم ـ وسبحان من يجيب المضطر اذا دعاه ـ فبينما هاجر تبحث عن ماء لوليدها

صلة الشيخ

عبد العزيز قنديل

اسماعيل وقد اخذ منه العطش ماخذه حتى اشرف على الهلاك فتصعد الى الصفا فلا تجد شيئا فتهرول الى المروة وتصعد فلا ترى شيئا وهكذا سبع مرات ثم تاتيه وهو يفحص برجله من العطش فيناديها جبريل من انت ؟ فتقول انا هاجر أم ولد ابراهيم : فيقول جبريل فالى من وكلكما ؟ فتقول قولة الواثق بالله المطمئن الى رحمته : « وكلنا الى الله فيقول جبريل وكلكما الى كاف • ثم يفحص جبريل الارض فتنبع زمزم فتشرب هاجر وترضع وليدها وتحاول ان تحبس الماء حتى لايضيع فيقول الملك مطمئنا لها مؤمنا من روعها : لاتخافى الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه ، وان الله لايضيع اهله •

⊙ ويشاء الله سبحانه ان تتم نعمته على اسماعيل تحقيقا لدعوة ابيه ابراهيم « فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم » فتمر بمكة رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة وراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء ـ وعهدنا بهذا الوادى ولا ماء فيه ـ فارسلوا من ياتيهم بالخبر اليقين فعرفوا ان الطائر يحوم فعلا على ماء فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك ؟ فقالت نعم ـ ولكن لاحق لكم فى الماء عندنا قالوا نعم ـ قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم « فالفى ذلك ام اسماعيل وهى تحب الانس » فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فاقاموا وعمروا الوادى •

⊙ وتمر الايام ويتعهد الله اسماعيل فيدرج فى رمال الصحراء بين الصفا والمروة وزمزم ـ والحطيم ـ ويشب اسماعيل ويتعلم العربية من جرهم ويعجبون به فيصاهرونه ويشاء الله سبحانه ان يكون اسماعيل ابا للعرب المستعربة ، ويكرمه الله بالدوحة الهاشمية التى انجبت اشرف الخلق محمدا النبى العربى صلوات الله وسلامه عليه •

⊙ وتعود الى اسماعيل لنراه وقد زاره ابوه ابراهيم فجاءه وهو يصلح نبلا له من وراء زمزم فيقول يا اسماعيل ان ربك عز وجل امرنى ان ابنى له بيتا فقال اطع ربك عز وجل قال انه قد امرنى ان تعيننى عليه فقال اذن افعل ـ فجعل ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يدعوان الله « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » •

⊙ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل • ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انت انت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » ـ وما ان يتم بناء البيت حتى يامر الله ابراهيم بأن ينادى فى الناس بحج بيت الله الحرام فيقول ابراهيم يارب وما يبلغ صوتى قال الله : « اذن » وعلى البلاغ ، فصعد ابراهيم مكانا مرتفعا وقال يايها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال « ان الجبال ـ تواضعت حتى بلغ الصوت ارجاء الارض واسمع من فى الارحام والاصلاب واجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله انه يحج الى يوم القيامة « لبيك اللهم لبيك »

⊙ قال تعالى : « واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا مايتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ، ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين » •

⊙ وهكذا فرض الله الحج على الناس من لدن ابراهيم عليه السلام قال الله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » •

⊙ ولما حرف الناس وبدلوا وجاء الاسلام فاعاد للبيت الحرام قدسيته ففرض على امة محمد صلى الله عليه وسلم الحج على المستطيع قال تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » • يهاجر المسلمون الى ربهم من كل حدب وصوب رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق يسارعون الى الله ـ الى رحاب البيت المعمور محرمين ملبين لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك

والملك لاشريك لك « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات » .

● ما أجمل هذا الدعاء يحيى به المحرم أخاه يرتفع به صوته كلما علا مرتفعا او هبط واديا تجرد من الدنيا وبعد عن ملذات الحياة . ذكر لله وتذكير بالله ـ طواف بالكعبة . سعى بين الصفا والمروة وتضلع من ماء زمزم وصلاة بمقام ابراهيم « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

○ ثم ماذا ـ ثم هذا الجمع الحاشد المتجه صوب عرفة ليؤدى ركن الحج الاكبر يقف الحجيج بعرفة خاشعين لله مخبتين له رافعين اكف الضراعة مكبرين مهللين ذاكرين يوم الحج الاكبر يوم حجة الوداع يوم خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء وقد طهر الله بلاد الجزيرة كلها من الشرك وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله افواجا .

○ يذكر الحجيج وهم بعرفات ذلك المؤتمر الاسلامى الجامع يوم خطب الرسول خطبته الخالدة التى ارسى بها قواعد الاسلام وخط بالامة الاسلامية منهاجا واضحا لاتضل ولا تنحرف عن صراطها المستقيم مادامت مترسمة خطاه .

○ ايها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لاالقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا ـ ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ـ الا قد بلغت اللهم فاشهد .

○ فمن كانت عنده امانة فليـــؤدها الى من ائتمنه عليها .

○ وابطل الرسول ما بقى من الربا « وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا . وبدأ الرسول باقرب الناس اليه عمه العباس » .

● وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ـ أيها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد فى أرضكم هـذه ابدا ولكنه ان يطع فما سوى ذلك فقد رضى له مما يحقرون من اعمالكم ـ فاحذروه على دينكم .

○ أيها الناس « انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم »

○ وان الزمان قد استدار كهيئتـه يوم خلق الله السموات والارض ـ وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متوالية ـ ورجب الذى بين جمادى وشعبان .

○ وفى هذه الخطبة التى يودع بها الرسول صلى الله عليه وسلم مكة بلده الحبيب ويكاد يودع بهـا العالم كله يضع الرسول صلى الله عليه وسلم للاسرة نظاما سماويا وهديا نبويا يحفظ كيانها ويدعم بنيانها

● أما بعد ـ أيها الناس فان لـكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقـا ـ لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ـ وعليهن أن لايأتين بفاحشة مبينة .

○ فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ـ ويوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لايملكن لانفسهن شيئا وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا ايها الناس قولى فانى قد بلغت .

○ وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا امرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه .

○ ايها الناس اسمعوا قولى واعقلوه لتعلموا ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن انفسكم، اللهم هل بلغت . قالوا: اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللهم اشهد .

○ فياشهر ذى الحجة مرحبا بك وانت تهل على على المسلمين فيترقبون اليوم العاشر منك يوم النحر يوم عيد المسلمين الاكبر يوم التضحية والفداء يوم يتقرب المسلمون الى الله باراقة الدماء شكرا لله على ما انعم على الحجيج وتذكيرا للمسلمين بافتداء الذبيح جد المصطفى اسماعيل عليه السلام .

○ يذكرنا هذا اليوم الخالد بذلك الابتلاء الاعظم برؤيا ابراهيم خليل الرحمن ذبحه ابنه اسماعيل وانقياد ابراهيم لامر ربه وصبر اسماعيل وطاعته لابيه ثم رحمة الله تتنزل من السماء بفداء عظيم قال تعالى « وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين » . فلعمرى ما اروع التضحية وما اعظم الفداء .

○ اخوانى المسلمين يامن تتاهبون ليوم التروية ، يا من تعدون العدة للمبيت بمنى والوقوف بعرفات يا من ستفيضون الى مزدلفـة لتجمعوا منها الجمار ، يا من ستمرون ببدر وتزورون شهداء أحد يا من ستتمتعون بمهبط الوحى بمكة والمدينة يامن ستصلون باول مسجد اسس على التقوى من اول يوم ، اذكروا ثلاثا وعشرين سـنة دعا فيها الرسول الى الله وكافح وجاهد فى سبيل الدعوة حتى اعزه الله ونصره ومكن لدينه فى ارضه فاجعلوا رسولكم قدوتكم وتاسوا بسنته واهتدوا بهديه واجعلوا من حجكم مؤتمركم الاسلامى الاكبر فتعارفوا فيه وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر واذكروا قول الله تعالى « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج »

○ ايها الحجيج ان من حج منكم فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه .

○ قبل الله حجكم واجزل عطاءكم وهدانا واياكم سواء السبيل .

○ وكل عام وانتم بخير .

السيد عبد الرحيم القنائى

بيت العلم والعمل

فضيلة الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

فى يوم من ايام هذه الحياة التى اكتنفها الرضا والسخط والنور والظلمة والايمان والكفروالنعيم والعذاب والفرح والحزن شأن من شئون الله فى عباده • بسمت الدنيا وتزينت السماء وتفتحت القلوب واطمانت النفوس بعد ضلال قد انتشر وظلم قد استبد وكفر قد خيم • وهلع قد ساور •

كلنا نحبه • ومن اعماق القلوب • من هو هذا الذى بلغ حبه أعماق القلوب ؟ أهو المال • انه زائل • اهو الجاه • انه لاشك مفقود • اذا من هو ؟

اننانحب ومن اعماق القلوب • نحب شيئا لايزول • شيئا باقيا • نحب الخير • ونحب الرضا • ونحب العفة ونحب الغنى • ونحب الايمان ونحب العلم • ونحب العمل • ونحب الاخلاق • ونحب الحياة الباقية • انها جميعا فى كلمة واحدة • وكلمة واحدة كبيرة جدا • انها ملء السموات والارض وما بينهما • اننا نحب سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم •

هذا هو الحب الذى انغمس العالم الجليل السيد عبد الرحيم بن احمد بن حجون السبتى الترغوى القنائى فيه• وهذا هو الحب الذى جعله رمزا يهتدى به فى حياته الخاصة والعامة • ورثه عن والده الشيخ الجليل احمد بن حجون امام مسجد ترغاى وعالمها بالمغرب الاقصى •

وينتهى نسبه من ابيه الى جعفر الصادق بن محمدالباقر على زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن على كرم الله وجهه وامه السيدة سكينة بنت احمد بن الحمزةالحرانى دمشقية الاصل ومن بنى حمزة المعروفين والذين كانوا نقباء الشام وهم عائلة شريفة ذات فضل وعلم ودين ينتهى نسبها الى الحسين بن على كرم الله وجهه ولد السيد عبد الرحيم القنائى عام ٥٢١ هـ ودخل مدرسة القرية فحفظ القرآن الكريم الا ان وفاة والده وهو فى سن السادسة عشرة جعله يتحول الىبيت اخواله ليتمم مانقص له منعلوم شتى فارسلته امه الى بيت اخواله وهناك تم له ما اراد بمشيئة الله تعالى فعاد الى سبتا اماما وواعظا وخطيبا وعالما لمسجدهاوكان له من فصاحةلسانه وقوة بيانهماجعل الناس يلتفون حوله التفاف الابناء حول والد كبير •

لقد اكتنف موطن السيد عبد الرحيم • الاصلى • سبته وترغاى • حروب وشغب ادت الى منازعات بين اقوام ايمانهم بالله وبرسوله ودينه الحق قوى وبين اقوام لعبت بهم الاهواء فافسدت العقيدة والضمائر وسدت طرق الخير فاصاب البلاد قحط شديد وعمها بلاء عظيم •

وهو حينما يرحل الى بيت اخواله وهو وحيد والده انما ليكونوا له سندا بسلطانهم العلمى والمركز الاجتماعى ومنهم من تولى نقابة الشام مثلحمزه بن محمد بن حسين الحرانى • ومنهم من برع فى الفقه والتفسير مثل السيد محمود مفتى دمشق ومنهم السيد زين العابدين وكان اماما لمذهب الشافعية كما ورد فى دائرة المعارف للبستانى •

كان السيد عبد الرحيم مالكى المذهب ـ وهو فى هذا العالم المضطرب من كافة الوجوه يجد ان المقام الصوفى لرجل غمرته افضال الله ونورانيته فبدت منه كرامات لمسها من التفوا حوله وعاشروه وتتلمذوا على يديه الوقت القصير الذى قضاه فى سبته ـ حتى كان عام ٥٤٢ هـ خرج حاجا الى بلد يسوده الهدوء والايمان او الى البلد الذى عرف السيد عبد الرحيم انه هو البلد الذى يلائم مشربه ويهدىء روعه ويتمم فيه رسالته •

ولم يخطط التاريخ الطريق الذى سلكه السيد عبد الرحيم الى مكة غير انه قال انه وصل الى الاسكندرية ثم قصد مكة وهناك ادى الفريضة مع حجاج بيت الله الكريم ثم قصد الى المدينة المنورة واتخذها مقاما حيث وصل الى بغيته •• وجد الحبيب الذى ملا قلبه نورا وهداية يتلمس منه ما عن له من علوم شتى ووجد ايضا الهدوء والسكينة التى حببته فى الاقامة متنقلا بين مكة والمدينة المنورة •

مضت سبع سنين او تسع حيث اختلف المؤرخون فى مدة البقاء وهناك التقى السيد عبد الرحيم بعالم قوص ورئيس مدرستها مجد الدين القشيرى حاجا ورغبة فى ان يعود معه ليسند اليه امرا من امور المسلمين •

عاد السيد عبد الرحيم بعد عام من هذا اللقاء حيث وصلالى قوص عام ٥٥١ هجرية التقى فيها بالسيد مجد الدين القشيرى والذى اصدر امرا بتعيينه عالما لقنا لقد كانت قوص فى هذا الوقت بلد العلوم الدينية ومهد للصوفية والمدرسة التى اخرجت للعالم اجمع مالا يقل عن اربعة الاف من العلماء فى شتى انحاء العالم الاسلامى • وكان فى هذه المدرسة السيد يوسف ابو الحجاج الكبير رضوان الله عليه ولم يتجاوز عمره العشرين عاما •

وصل السيد عبد الرحيم الى قنا ونزل بها وظل عامين لا يزاول عمله كرجل دين ليلقى الدرس او يجلس اليه ولكنه بحث عن عمل ياكل منه ويعيش عليه ففكر فى التجارة فعمل تاجرا للحبوب ثم تاجرا للاقمشة • ثم بنى مكانا متسعا فى شرق قنا سماه الرباط جعله استعدادا للمهمة التى اوكلت اليه وللمدرسة التى سيكون استاذها ومعلمها •

وفى غمرة هذا الوقت بين البحث عن العمل والاستعداد للمهمة التى اوكلت اليه اهدى اليه من مدرسة القشيرى

شاب لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ليكون له خادما ذلك هو ابو الحسن الصباغ القوصى • ثم وجد الشيخ حوله من يقوم بالخدمة فى المكان الذى بنى فيه الرباط قبل وصوله • شيخا كبيرا احتوته الامراض النفسية والجسدية بالعمل الشاق الذى يؤديه من رفع المياه ونظافة المكان فى اليوم اكثر من مرة ولا عمل له الا ان يقول للناس سيكون فى هذا المكان شيخ جليل - حتى قدم السيد عبد الرحيم القنائى - وقد وجد من قربه ما وجد وناله من المحبة ما ناله ذلك هو عبد الله احمد بن سنان القرشى المكى المصرى المدفون بقنا •

الصوفية شعور ورغبة :

كل مافعله الانسان من عمل وتفكير انما ياتيه لامور يحس بها او فرارا من خوف او الم • والشعور والرغبة هما القوتان المحركتان للسعى الانسانى والانتاج الادمى فى اى شكل من الاشكال • هذا الشعور وهذه الرغبة التى حملت الانسان على التفكير تفكيرا دينيا او على الايمان باوسع الايمان والتفكير الدينى • نجد ان عوامل مختلفة كانت دافعة للتفكير الدينى والاختيار الروحى • منها الخوف من الله ، والخوف من الموت ومنها الرغبة فى الثواب والبعد عن العقاب ، ومنها البعث والنشور ، ومنها الحب فى الجنة والخوف من النار • وعباقرة الدين الذين كانوا يمتازون فى جميع هذه العصور بهذا الادراك الدينى جعلوا نصب اعينهم مافكروا فيه من هذه العواطف المختلفة ففسروا التصوف حسب مايريح انفسهم أو فسروه تفسيرا يعبر عن صميم كامن نفوسهم بل لعله اذا قورن باعمالهم القاهرة والباطنة لوجدناه يحكى صورة حقيقية لنفوسهم من هذا الذى فعلوه ومن هذا الذى قالوه • وقد اتخذ اتباعهم طريقا لتثبيت آرائهم وتطبيع نفوسهم بطباع مشايخهم • ويمكننا الآن ان نذكر بعض الاقوال التى وردت على لسان ائمة الصوفية فى تفسير التصوف ثم نطبقه على طباعهم ونفوسهم بما حكى التاريخ عنهم • قال • رضى الله عنه :

الحسن بن على بن ابى طالب : التصوف - تنوير البيان وتطهير المكان •

الامام مالك بن انس : التصوف - تحقق فى التقوى وتخلق فى البلوى •

ابو موسى الاشعرى : التصوف - رتوع القلب الهائم فى مرتع العز الدائم •

« وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوتى مزمارا من مزامير آل داود »

ابو ذر الغفارى : التصوف - التاله عن غلبات التوله •

عبدالله بن عباس : التصوف - المنافسة فى نفائس الاخلاق وقصر النفس على انفس الاعلاق

عبد الله بن الزبير : التصوف - التظاهر بالحق على التكاثر بالخلق

عبد الله بن جحش الاسدى : التصوف - التماس الذريعة الى الدرجة الرفيعة •

معاذ بن جبل : التصوف - مزاولة الانفس فى رياض القدس

ابراهيم بن ادهم :التصوف - التكرم والتظرف والتنسم والتنظف •

ابو بكر بن عباس : التصوف - اغتراب لا اقتراب وانتصاب فى ارتقاب « وعاش اربعين عاما لاينام على جنبه استحياء من الله »

ابو رجاء العطاردى : التصوف - قبول الرسول للتوصل الى الوصول

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : التصوف - لزوم الخضوع والقنوع والتبرى من الجزع والهلوع

سلام بن ابى مطيع : التصوف - ارتفاع لازدياد واستماع فى استشهاد « ولقد قال فيه الامام ابن حنبل كان اذا قام للصلاة كأنه شيىء ملقى لايتحرك »

سعيد بن المسيب : التصوف - التمكين فى الخدمة والتحفظ للحرمه

شعبان بن سعيد الثورى : التصوف - براعة فى المعارف وبلاغة فى المخاوف

سلمان بن طرخان : التصوف - اغتنام الوقت والتزام الصمت•

الفضيل بن عياض : التصوف - المبادرة فى السفر والمسامرة فى الحضر « ولقد كان شديد الحب لله »

محمد بن مسلم بن شهاب الازهرى : التصوف - دراية وصدق وسخاوة وخلق •

وعبد الرحيم القناوى : التصوف - اخلاق ترتفع الى الادراك حتى يصير الادراك اخلاقا والاخلاق ادراكا •

ثم يقول رضى الله عنه • التصوف ليس بركن من اركان الاسلام ولكنه ركن من اركان الاخلاق • ثم يقول أيضا • الدين الاسلامى دين علم وعمل واخلاق فمن ترك واحدة فقد ضل الطريق •

فاذا نظرنا الى نفسية الشيخ رضى الله تعالى عنه وطبقنا هذا القول وجدنا انه رضى الله عنه كان عالما جليلا فقيها • ثم كان يعمل لياكل ويعيش وهو اول ما فكر فيه عند اقامته بقنا •

علومه :

ذكر يحيى بن موسى بن على القنائى « ويعرف بابن الحلاوى » وكان لديه جزء منتخب من كلام شيخه السيد عبد الرحيم - قال قال السيد عبد الرحيم فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب العلم تكفل الله برزقه » معناه • والله اعلم • محضه بالحلال من الرزق لمكان طلب العلم • روى ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى فى حسن المحاضرة والعلم نور وبدون هذا الفوز لانرى شيئا بل ولانحسن التمييز بين الضار والنافع وكما أن العمل هو طريق الانسان الى النجاح وهناك الكثير من اعمال الناس يفنى الجسم ويؤذى النفس ولكن من ذا الذى ينكر السعادة التى يحسها الانسان فى العمل المعتدل المنتج • ومعظم العلماء يسعدون باعمالهم بطبيعة نفوسهم والانسان الذى يحتقر نفسه تستحيل عليه السعادة •

يقول الكاتب الشهير برتراند رسل • السعادة نوعان الاول عاطفى مصدره القلب والاخر فكرى مصدره الذهن • يشترك فى الاول كل الناس على السواء ويستقل بالنوع الثانى طبقات المتعلمين دون غيرهم وعمدة السعادة فى كلتا الحالتين هو مبلغ حرارة الشعور فى الاقبال على العمل •

ثم يقول وحرارة الاقبال هذه منشؤها حرارة الايمان • ثم نقول له أن هذا القول قاله السيد عبد الرحيم فى القرن السادس الهجرى اذ يقول : العمل شعاع من اشعة القلب يلتف حول النفس فيحولها الى الاندفاع المستميت فى حبه حتى اذا انطفا هذا الشعاع يتخاذل عن العمل •

ثم يصور لنا السيد عبد الرحيم التصوف فيقول : التصوف أخلاق ترتفع الى الادراك حتى يصير الادراك اخلاقا والاخلاق ادراكا ثم يقسم الاخلاق الى أربعة أركان فيقول هى حسية ومعنوية ونفسية وكلامية • ثم جعل رضى الله عنه التصوف ركنا من هذه الاخلاق وخصه بالركن النفسى •

واذا ما نظرنا الى ماقاله السابقون من كبار الصوفية فى التصوف وجدنا ان كلام الشيخ رضى الله عنه يحكى

حقيقة لهذا الوصف وان اقوالهم تحكى عما فى نفوسهم بشعورهم الحسى والمعنوى والكلامى النفسى ولقد قال الابوصيرى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحمة كله وحـزم وعـزم
ووقار وعصمة وضـيـاء
لاتحل الباساء عرى الصـ
ـبر ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فمايخطر السـ
ـوء على قلبه ولا الفحشاء

قال هربرت سبنسر الانجليزى لشيخ الاسلام محمد عبده حين تلاقا بمدينة بون عاصمة سويسرا فى صيف عام ١٣٢١ هـ :

محى الحق من عقول اهل اوروبا . واستحوذت عليها الافكار المادية فذهبت الفضيلة . وهذه الافكار المادية ظهرت فى اللاتين اولا فافسدت الاخلاق واضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانكليز فهم الآن يرجعون القهقرى بذلك . وسترى هذه الامم يتخبط بعضها ببعض وتنتهى الى حرب طامة ليتبين ايها الاقوى فيكون له سلطان العالم .

ويقول الاستاذ اغناطيوس عضو مجمع العلوم الروسى نقلا عن كتاب الاداب لابن المعتز العباسى المخطط والموجود بالمتحف البريطانى يقول نقلا الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا

ما مات من احيا علما .

مات خزنة الاموال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات هذه خطوط فى العلم والعمل والاخلاق قالها غير السيد عبد الرحيم القنائى فى مواضع مختلفة وحققها الزمن .

ثم نجد ان السيد عبد الرحيم يكره ان يسمى اتباعه دراويش ولعلك تجد ذلك عند معظم اتباع مشايخ الطرق الصوفية يستعملون كلمة الدرويش .

ثم نفسر لك معنى كلمة درويش قبل ان نخوض معا مدرسة السيد عبد الرحيم ونظامها لنتبين كيف كان يعلم الناس .

درويش كلمة فارسية معناها فقير تستعمل فى بلاد المسلمين للدلالة على طريقة دينية صوفية . ولماذا بدل السيد عبد الرحيم هذا الاسم ولم يطلقه على اتباعه لانه لمس ان اكثر الدراويش يحبون البطالة على حساب الدين والدين الاسلامى كما قال الشيخ دين علم وعمل واخلاق. والدراويش لايحبون ان يتعلموا العلم على يد عالم فقيه ولكن ياخذون علمهم عن جاهل وهم فى هذه الحالة لايميزون بين النافع والضار . ومن هذا كانت مدرسة السيد عبد الرحيم مدرسة عملية علمية اخلاقية . فهو يطلب ممن يريد الالتحاق بمدرسته ان يكون له عمل وان يكون متزوجا ليعصم نفسه عن النزوات الشيطانية

ولقد كان الشيخ رغم حبه للعطف والاحسان يكره ان يكون عطوفا على امثال هؤلاء الناس مما لاعلم لهم ولا عمل ولا اخلاق وقد كان يقول العطف بالناس فيما ينتقص من دينهم واخلاقهم جريمة والنصح لهم هو الاحسان الكامل ومن تلاميذه السيد ابو الحسن الصباغ القوصى وعلم الدين المنفلوطى ويحيى بن موسى بن على القنائى والشيخ يوسف بن عبدالرحيم بن غزى ابو الحجاج الاقصرى وولده نجم الدين احمد ثم ابو بكر ابو يحيى بن شافع القنائى والشيخ مفرج بن عبد الله الدماميني والشيخ رفاعه ابن احمد بن رفاعه الجزامى .

ولقد كان مجلسه رضى الله عنه يغص بالعلماء وقد كان آخر من زاره بقنا من كبار العلماء الشيخ الجليل الحسين بن احمد بن الحسين بن سعيد بن على بن بندار ابن الامام ابو الفضل الهمدانى اليزدى وقد كانت تحت يده فى بلاده اثنتاعشرة مدرسة فيها الف طالب للعلم مات بقوص عام ٥٩١ هـ وحمل الى مصر ميتا ودفن بسفح المقطم قبل انتقال السيد عبد الرحيم بعام واحد .

وللشيخ اولاد من صلبه هم الحسن مات وعمره ٨٠ عاما وبلغ مرتبة من العلم والمعرفة ومن كراماته مخاطبة النبات له ودفن بمقبرة الشيخ ابى الحسن الصباغ القوصى بقنا ، ومحمد وبه كان يكنى ومدفون ببلدة دنوشر من اعمال المحلة الكبرى ومنهم من مات ودفن بالسباعية وسلوه وقفط وقوص .

شاهدت بنفسى :

عندما شيد المسجد الجديد صحب ذلك حفريات ضخمة على عمق بعيد حتى تصب الخرسانة وكان من نتيجة ذلك أن تقرر نقل مقام ابى الحسن الصباغ اسكندرى « وهو ابن عم ابى الحسن الصباغ القوصى والاول شيخه عالم الاسكندرية الشيخ الجزولى ومقامه بالقرب من محطة الاسكندرية » .

وصرحت الاوقاف بنقل جثته ولكن الكتاب الذى لدينا وهو الاصفياء حدد ابعاد هذه القبور بالنسبة لشيخهم . واتخذ المختصون بالحفر الشاره الموضوعة على القبر علامة لوجود الجثة التى تصرح بنقلها الى مكان اعد لها بجوار مقبرة الشيخ ولكن كان تحديد الابعاد يشير الى غير ذلك وقلنا للمقاول ان الجثة ليست فى هذا المكان ولكنها فى المكان الذى حدده الرسم بالكتاب وحتى لايتطرق لذهن الناس بعدما يكشف الامر فلا يجدون جثة ان القبور هكذا كلها واطلعنا المختصون على كل شىء . وكان المكان الآخر الموجود به الجثة سيتطرق اليه الحفر ولكن على حاشية من القبر . وتم الحفر وكشفت الجثة لشيخ جليل جاوز الثمانين ذلك هو جسد « ابو الحسن الصباغ السكندرى » راقد بجوار ربه ينعم برضائه تحت راسه وسادة من ليف ووجهه تزينه لحية كثة قد شاب اغلب شعرها يغطى الوجه لمعان الجلد بنورانية وضاءة كأنما مات أبو الحسن بالامس وتركت الجثة مكانها فهى اليوم بحرى العامود الثالث وانت داخل للمسجد من الباب القبلى المطل على الميدان .

وجاء دور حفر المكان لبناء المئذنة وقد اشار الكتاب ان فى هذا المكان ترقد طفلة ماتت صغيرة اسمها رحيمة عبد الرحيم القنائى لوجدنا لوحة حجرية على بعد اربعة امتار ونصف متر مكتوب عليها هذا الاسم وصدق الكتاب . ولكنا لم نجد الجثة ثم انتقلت الحفريات حول ضريح السيد عبد الرحيم نفسه وقد اشار الكتاب الى ان السور النحاسى الموضوع فوق المقبرة انما تحته حجرتان احداهما تبدا من منتصف السور النحاسى غربا لبعد السور بنصف متر من الغرب ومن الجهة البحرية والقبلية . وهذه الحجرة فيها جسد ولى الله السيد عبد الرحيم والاخرى تمتد شرقا لنصف متر خارج السور ايضا فيها اجساد ثلاثة . هى محمد هاشم البصرى وهو من احدى قرى جرجا وقد تولى الطريق بعد وفاة الشيخ لاختلاف حدث بين الابناء حتى عادت اليهم . ثم ابراهيم بن ابى الحسن الصباغ القوصى وجده لامه السيد عبد الرحيم ويوسف ابن شيخ الشافعية . وقد وصل الحفر الى ابواب هذه الغرف وفتحت الشرقية فوجدنا الثلاثة كما ذكروا بالكتاب واما حجرة الشيخ فقد وجدنا على بابها كثير من الحناء يعلوها رائحة زكية مدهونة بالغطاء شمها كل الحاضرين ومنعنا من أن يفتحها أحد ـ وصبت الخرسانة ـ وهكذا كان الحفر كله ليلا ـ حتى تامن عدم وجود احد سوى

الذين يعملون لهذه الامور خاصة ومعهم شيخ جبانة قنا - الى هنا انتهت المشاهدة ونعود للموضوع ·

علوم الشيخ :

لم يثبت ان هناك كتبا طبعت للشيخ فى حياته بل كان التلاميذ ينقلون اقواله الى كتب يحتفظ بها الواحـــد لنفسه · وقد كان للاختلاف الذى حدث بعد وفاته رضى الله عنه · بين الابناء والتلاميذ ان اختفت هذه الكتب وان كان فى بيوت قنا ماهو موجود منها الى اليوم بل لقد وجـد يوم السيل الذى غمر قنـا بعض من صفحات هذه الكتب القديمة يجرى على سطح الماء ·

وقد نقل المغفور له جد والدى عبد العاطى حسن محمد عبد الله شيخ المالكية بقوص عندما كان بالمدينة المنورة بعضا من كتاب هناك اسمه الاصفياء لجامعة الشـــيخ محمود ابو الوفا المدنى دون اقوال الشيخ عندما كان بالمدينة وكتب عنه الكثير - والظاهر من هذه الكتابة ان ابا الوفا المدنى عاصر الشيخ بنفسه بالمدينة وان عبـد العاطى زارها بالمشاهدة - وأن جميع ما يكتبه اهل قنـا اليوم مأخوذ منا كما وردت بعض العلوم فى كتب اخرى ولكنها قطعا متفرقة واولا استئثار التلاميذ من بعده بما امتلكوه من هذه العلوم لكانت اليوم بين ظهرانينا تحكى براعة السيد عبد الرحيم وتفوقه فى العلوم والفقه وتفسير القرآن والحديث · ومما نقله عبد العاطى عن كتـــاب الاصفياء الاحزاب التى كان يجعلها الشـــيخ وردا له ولتلاميذه وهى الحزب الكبير وحزب الحقيقة وحـــزب السكون وحزب تفريج الكروب وحزب التوحيد وحـــزب النور وحزب التكوين وحزب الوحدانية ثم نقل ايضـــا « التوسل لرب العزة ومناجاته » والشاهد فى هـــذه الاحزاب ان اولها القرآن الكريم الى نصفها ثم الدعاء ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم · وذكر فى الكتاب الكثير من الكرامات حتى وصل الامر الى دعاء الاربعاء والذى املاه القرشى بعد انتقال السيد عبـــد الرحيم وبقى لليـوم يتلى ثم ذكر الكتـاب هـذا الدعاء لسيدى عبد الرحيم رضى الله عنه كان يتلوه مابين ركعتى رغيبة الفجر وصلاة الصبح وبين ركعتى الشفع وركعـــة الوتر ·

بسم الله الرحمن الرحيم · اللهم ارزقنى علم الحياة وحياة العلم وامنحنى نعيم الحياة وحياة النعيم واغمرنى بفضل من النور ونور من الفضل واعطنى قوة الابدان وابدان القوة واسألك نعمة الشفاء وشفاء النعمة واسألك طول العمر ياذا الطول والانعام واحسن الى ياعظيم الاحسان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقد قام مولانا المغفور له الشيخ محمد سليمان سليمان مفتش وعظ القاهرة فى حياته بتفسير هذا الدعاء بعـد اطـــلاعه على اصوله وكان تفسيرا فيما سيأخذ طريقه للطبع وتكلم السيد عبد الرحيم فى علم التوحيد فقال اول مقـــام التوحيـــــد « ان تعبـــــد الـلـــه كانك تراه » وسئل عن اسم الله الاعظم فقال ارونى الاصغر فأريكم الاعظم ياهذا اسماء الله كلها عظيمة ·

وكان يقول : اذا اردت ان تنظر مقامك فانظر فيما اقامك وكان يقول الخلاص فى الاخلاص · وكان يقول العارف نومه يقظة ويقظته حضور وحضوره كشف وكشفه اتصال وكان يقول من لم يثبت لم ينبت وكان يقول كنت اعتقد ان لو ولد لى ولد لم ادعه يضحك ابدا وكان يقول ما رايت اقرب من الآخرة غمض بصرك وادخل الآخرة وكان يقول فتح لى بهذا العلم وانا ابن عشرين سنة او دونها وكنت رايت فى المنام كانى صعدت منارا عاليا الى اعلاها فاستوفيت منها فنزلت فوجدت فى اسفلها عين ماء قال والرؤيا صفة الحال ·

وله ادب خاص فى الذكر · فهو لايحب الترنـــح او الرقص او علو الصوت ويشترط ان يكون الذاكر على طهارة وفى مكان مستور بادب وخشوع وكان يختتم الذكر بنفسه الا اذا توجه السيد ابو الحجـــاج ســـمح له بذلك ·

ودعاء الاربعاء هو الوارد على لسان الشـــيخ القرشى المدفون بقنا امام مسجد السيد عبد الرحيم وهو المؤذن له فى حيـــاته ولقد بلـغ فى حياة السيد عبد الرحيم الولاية والقطبية تلميذه الاول ابو الحسن الصـــباغ القوصى واعترف له شيخه بذلك فقال له دخل ابو الحسن الصباغ من باب مادخلنا منه ·

انتقل الى رحمة الله عام ٥٩٢ هـ السيد عبد الرحيم وترك خلفه مالا كثيرا وثروة من العـلم بعد ان انجب الكثير من الابناء والبنات - ترك اقواما احبهم واحبوه - كما ترك أقواما احبهم وكرهوه · وفى وسط هذه الزوبعة اشتد الامر على مبارزة أولاده من بعده فشتتهم الحاكم فى المدينة عام ٦٠١ هـ فمنهم من رحـــل الى اســـنا والسباعيه وسلوه وبنى سويف والقاهرة ودفن الابناء فى هذه البلاد التى نزلوا فيها بعد ان اقاموا الطـــريق الصوفى فيها طريق والدهم وكما ورد هى الطريقـــة النقشبندية · ولم يبق بقنا سوى ابنه الحسن وتلميذه ابو الحسن الصباغ القوصى وعبد الله القرشى المـــؤذن والنيات ومحمد البصرى الجرجاوى وقد قاموا بما يمكن عمله لصيانة الطريق واتباع الوصية - وعاد بعض ابناء الابناء الى قنا عام ٦٠٣ هـ ورجعت الى المدينة اسرة السيد عبد الرحيم بعد أن ذاق اولو الشد مرارة ماقدموه ومن أخوات السيد عبد الرحيم الاناث واحدة اسمها شعثة مات زوجها بالمغرب وجاءت قنا فى حياة السيد عبد الرحيم ومعها اولادها الثلاثة جابر وعبد الشافى ورقية تزوجوا جميعا بقنا وكان عبد الشافى ضخم الجسم طويل القامة حتى لقبه خاله السيد عبد الرحيم بيوشع وهو المدفون شرق جبانة قنا ويعتقد الناس انه النبى يوشع ولكن الحقيقة هو ابن اخت السيد عبد الرحيم مات عام ٦٠٠ هـ اما جابر فدخل وظائف الدولة ولكن لم تعجبه الحال فرحل الى القاهرة ونزل فيها مع امه ولم يقف له على خبر بعد ذلك اما رقية فتزوجت من ابن السيد عبد الرحيم ضياء الدين ورحلت مع زوجها للمدينة المنورة وتوفيت مع زوجها هناك ·

قال العارف بالله مولانا قطب وقته الشيخ احمـــد رضوان البغدادى رضى الله عنه فى وصف السيد عبـــد الرحيم القنائى

كان رضى الله تعالى عنه مقيما على الكتاب والســـنة غيورا على الدين · يتعهد مريديه بالتقوى والعمل الصالح وكان يامرهم بأخذ الاسباب المباحة التى لاتشغلهم عن الله تعالى وكان زاهدا عارفا عالما ربانيا جامعا بين العلمين علم الشريعة وعلم الحقيقة · وصل الى مقام المشاهدة بعد المجاهدة وكان اذا اشار الى امى ان يتكلم بالقـــرآن والحديث يتكلم ما شاء الله ان يتكلم واذ قال له انصت فلم يجد شيئا · خرق الله له العادات حتى صار هواه تبعا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم

ويحتفل اهل قنا والمحافظة باجمعها وياتى الناس من كل انحاء الجمهورية زائرين لمقامه فى اول شعبان الى منتصفه فى كل عام لاقامة حفل مولده رضى الله تعـالى عنه ·

هذا فضل الله على اوليائه وهؤلاء هم اولياء الله الذين اصطفاهم لخدمته فرفعهم اليه مكرمين ثم جعل ذكراهم فى قلوب عباده الانقياء الاوفياء لهم ما يشاءون عنـــد ربهم ·

بقية معالم الطريق

وذهبنا الى اليمن

أما وحنا اليمن كنا نشعر بنفس الشعور اللى شعروه اخواننا فى سنة ٥٦ ، وحدة النضال العربى ، من اجل وحدة النضال العربى ومن أجل الجماهير العربية ، قاتلت قواتنا بشرف فى اليمن ٠

قاتلت قواتنا المسلحة بشرف وتصدت لمؤامرات الرجعية والاستعمار بذلك عاشت ثورة اليمن ٠

عاشت الثورة التى تنقل اليمن من القرون الوسطى الى القرن العشرين ٠ احنا ضحينا فى حملتنا فى اليمن ٠٠ ضحينا بأغلى شىء عندنا وأرواحنا وأرواح أولادنا ٠٠ ولكن أنا على ثقة أن وحدة النضال العربى تدفع الجماهير العربية فى كل زمان وفى كل مكان كما دفعتها فى سنة ١٩٥٦ بأن تضحى من أجل ثورة مصر ، فى سنة ١٩٥٦ ماتوا من أجل الثورة المصرية التى كانت تتمثل للجماهير العربية على أنها الأمل نحو التخلص الكامل من الاستعمار وعلى أنها الأمل نحو الوحدة العربية والتخلص من التجزئة والحدود المصطنعة ، ولكن علينا واجب ويجب أن نؤدى هذا الواجب ٠٠

أيها الاخوة ٠٠

نحن اليوم نحتفل بعيد الوحدة أحيى اخواننا الرجال الأبطال فى اليمن الذين أدوا الواجب بشرف وأدوا الأمانة نحو الجماهير العربية ٠٠ نحو الأمة العربية ونحو وحدة النضال العربى ٠

الصيف اللى فات بدأت محادثات بيننا وبين السعودية لتسوية مشكلة اليمن وكلنا نعرف ان السعودية كانت تساعد الملكيين وتمدهم بالسلاح والأموال وتسمح لهم انهم يقعدوا فى ارضها فى منطقة جيزان ونجران ويجعلوا من أرضها فى جيزان ونجران مخازن للسلاح ومخازن للذخيرة وأماكن يهربوا اليها ويلجأوا اليها اذا واجهوا القوات العربية ٠

لماذا لم تنسحب ٠٠

بدأت المحادثات مع المملكة السعودية بجدة وكان الدافع الى هذه المحادثات أن نحافظ على روح وحدة العمل اللى ظهرت فى مؤتمر القمة ٠ وتوصلنا الى اتفاقية جدة وأعلنا اننا نلتزم باتفاقية جدة ، ولكن اتفاقية واضحة ببساطة بتقول ان اليمنيين هم اللى يقرروا مصيرهم وبتنص على أن الطرفين اليمنيين يجتمعوا فى ٢٣ نوفمبر لعمل حكومة انتقالية ثم تنص بعد ذلك على سحب قواتنا ، فى حديث للملك فيصل امبارح قال ان على القاهرة أن تسحب

قواتها وتساءل لماذا لم تسحب القاهرة قواتها · وحصل ان المؤتمر اللى اجتمع فى ٢٣ نوفمبر لم يمكن له الاتفاق · والمؤتمر اللى اجتمع فى حرض بدون أن تتشكل الحكومة اليمنية كما ينص الاتفاق .. أظن مش معقولة ان انا رحت السعودية فى أغسطس اللى فات عشان اتفق معاهم على سحب القوات المصرية من اليمن لأن اذا كان الموضوع هو سحب القوات المصرية من اليمن أنا كنت أقدر أقرر هذا فى القاهرة من غير مروح السعودية · ولكن المباحثات اللى حصلت فى السعودية كانت تستهدف ايجاد حل للمشكلة اليمنية واعطاء الفرصة للشعب اليمنى ليقرر مصيره وفى نفس الوقت كانت تنص على سحب القوات ·· اذن سحب القوات مبنى على تسوية المسالة اليمنية وايجاد الحكومة اللى حتعمل الاستفتاء ·· واذا متوجدتش هذه الحكومة لن تنسحب قواتنا من اليمن ·

حتى تستطيع الثورة اليمنية أن تدافع بنفسها ضد مؤامرات الاستعمار ومؤامرات الرجعية ·

فى حديث الملك فيصل امبارح بيقول ان على القاهرة أن تسحب قواتها وتجاهل كلية تسوية المسالة اليمنية اللى هو الموضوع الأساسى اللى تفاوضنا عليه لما رحنا جدة ·

واذا كان هو بيعتقد ان احنا زهقنا أو طول المدة يتعبنا ·· احنا شعب مكافح مناضل ، شعب صبور ·· وباقول ان قواتنا ستبقى فى اليمن اذا لم تشكل الحكومة التى ستقوم بتقرير المصير ·

الملك فيصل امبارح أيضا بيقول أن القاهرة لم ترد عليه بشأن ما طلب حول تفسير المادة التى حصل الخلاف عليها فى اتفاقية جدة ··

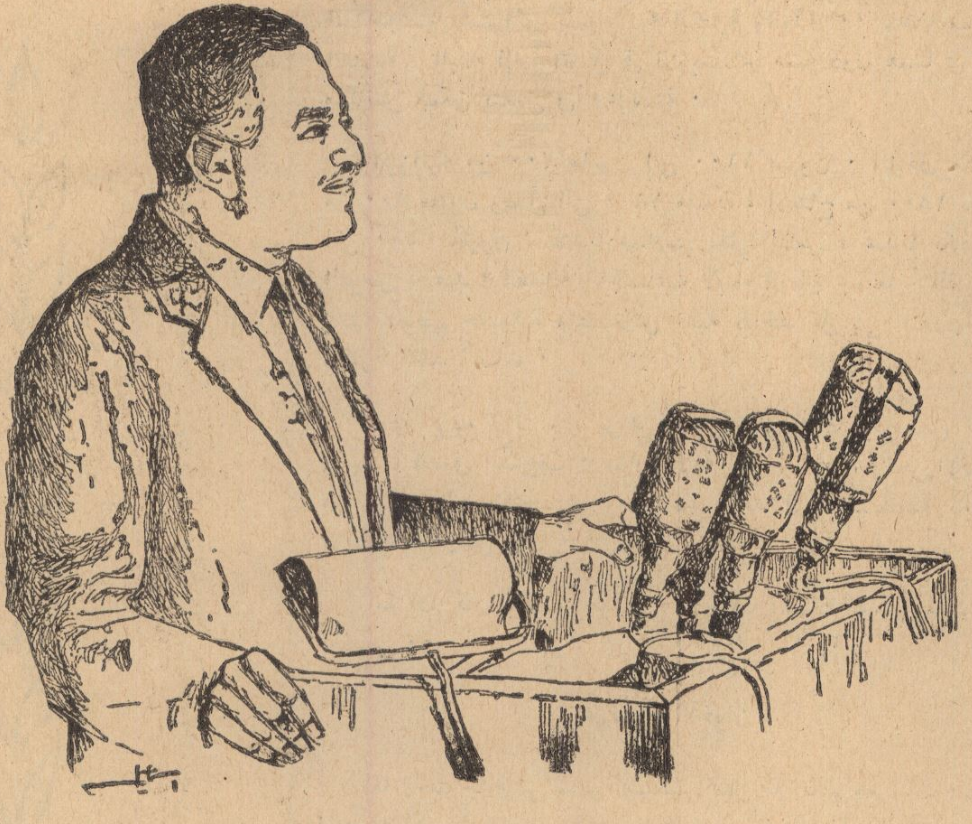

وبرضه با أقول ان الكلام ده غير واقعى لان احنا مشينا فى الاتصالات وآخر رد لنا كان فى يوم ١١ يناير وقلنا فيه ايه وجهة نظرنا بالنسبة للموضوع كله •

هذه مشاغلنا

ويسأل الصحفى الملك فيصل عن تفسيره بعدم سحب القوات المصرية من اليمن • الملك فيصل بيرد عليه ويقول له :

لا أعرف تفسيرا ولكننا نعرف أن لدى القاهرة مشاغل فى الداخل ناتجة عن ظروف خاصة • ثم هذا الصحفى يسأل الملك فيصل عن امكانية عودة القتال فى اليمن • فقال له ان احنا مش عايزين القتال واظن ان الرئيس لديه مشاغل فى الداخل لا تمكنه من القتال •

ايه هى هذه المشاغل ؟ طبعا عندنا مشاكل وعندنا مشاغل • وهو بيقول مرة مشاغل ومرة مشاكل أو بيقول مرتين مشاغل • يعنى هو تعريض بالوضع الداخلى عندنا •

احنا عندنا مشاغل تغيير المجتمع من مجتمع اقطاعى رأسمالى الى مجتمع اشتراكى تسود فيه الكفاية والعدل .. عندنا مشاغل التنمية البناء اللى اتعمل فى الاربعتاشر سنة دول هنا فى مصر ماكانش ممكن يتعمل فى ٥٠ سنة .

الميزانية من ٢٠٠ مليون الى ١١٠٠ مليون . الدخل القومى من ٨٠٠ مليون وصل الى ١٨٠٠ مليون ، الانتاج من ١٨٠٠ مليون الى ٣٥٠٠ مليون ، عندنا مدارس لكل الناس ، عندنا تكافؤ فى الفرص ، عندنا العدالة الاجتماعية لأبناء الوطن جميعا الفرص لأبناء الوطن جميعا ، ماعندناش أقلية بتاخد كل شىء لنفسها .. وكثرة تاخد الفتات .

نحن نرفع الانتاج ، نزيد الدخل القومى . نوفر لكل فرد فى بلدنا العمل الشريف . موارد الأمة لكل أبنائها ، ونحرر الانسان من الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى بعد أن أسقطنا تحالف الاقطاع مع رأس المال . دى احنا مشاغلنا .

أما اذا كان بيقصد موضوع الاخوان العملاء فهذا موضوع آخر ..

موضوع الاخوان

أما رحت جدة فى شهر أغسطس قبل ما اتكلم مع الملك فيصل قلت له أحب أديك صورة عن الوضع عندنا أحسن الاخوان المسلمين يكونوا مفهمينك انهم يقدروا يغيروا حاجة أو يعملوا حاجة ، هم أخدوا منكم فلوس وأنا عارف انكم طولتوا فى المحادثات على أساس ان – المحادثات حصلت بينا لمدة طويلة ، اتكلمنا عن مؤتمر القمة الثانى على أساس ان الاخوان بيقولوا لكم انهم حيغيروا الأوضاع فى شهر أو اتنين أو ثلاثة ، وأنا عايز أطمئنك كل الاخوان فى السجن ، مافيش واحد منهم بره .

طبعا وقلت له ان السعودية كانت بتدى فلوس لسعيد رمضان وان زغلول عبد الرحمن لما جه سلم نفسه قال فى التحقيق وفى اعترافاته ان فيه ٢٥٠ ألف جنيه اندفعوا أخيرا كدفعة لسعيد رمضان واخوان أبو الفتح بره للعمل ضد النظام القائم فى الجمهورية العربية المتحدة . وكان رد الملك فيصل انه لا يعلم أبدا عن موضوع الفلوس ولا تعامل له مع سعيد رمضان .

وبعدين ابتدينا المباحثات اذا كان بتقصد الاخوان العملاء فهو يعرف ان مؤامرات الاخوان دى كانت مدفوعة منين مدفوعة من حلف بغداد ومن السعودية ومن الرجعية العربية والناس اللى قائمين على شئون الاخوان فى الخارج باعو أنفسهم لكل واحد يقدروا ياخدوا منه فلوس ، لكل عدو لمصر ، واصبحوا فعلا عملاء

.. عملاء للرجعية وعملاء للاستعمار .

موضوع الاخوان ماكانش أبدا موضوع . واتلموا فى أقصر وقت ..

احنا عندنا هنا بلدنا بلد مفتوح فيه حرية وفيه نقد وفيه نقد ذاتى مش بلد مقفول رجعى يعدم فيه أى واحد ولا حد يدرى ولا حد يحس . احنا اللى بنقبض عليه بنقول ان احنا قبضنا عليه ، واللى بنحاكمه بيتحاكم علنا والجرايد بتنشر المحاكمة ، مجتمع مفتوح لكل الصحافة العالمية تكتب فيه ، واحنا مايخوفناش أبدا هذا الكلام . احنا جرايدنا بتنتقد ومجلس الأمة بينتقد ، وكل واحد بينتقد لازم ننتقد مايخوفناش أبدا ان يطلع واحد ويفسر هذا الكلام على أن عندنا مشاغل فى الداخل .

سنة ٥٦ الانجليز افتكروا ان عندنا مشاغل فى الداخل ، ويوم ما بدأت الطيارات تضرب علينا كانت السفارة البريطانية ، مستشار السفارة البريطانية بيسأل هى فين المظاهرات ما طلعتش مظاهرات ..

وطبعا قعد طول النهار جه نقبه على شونه ، لا طلعت مظاهرات ولكن طلع الشعب فى الشارع ينادى سنقاتل ، سنقاتل ده شعب مصر ودى طبيعة شعب مصر وايدن اللى كان معتمد على المظاهرات فينه دلوقت .. طبعا انتهى مع فشل العدوان على السويس .

نتائج ثورة اليمن

باكرر الكلام احنا نقدر نقعد فى اليمن سنة واتنين وثلاثة وأربعة وخمسة ونقدر نضحى ، ونقدر نستحمل انى احنا نؤمن بالجماهير العربية ، والثورة العربية ونؤمن بوحدة النضال العربى ..

كان من نتائج الثورة اليمنية ان بريطانيا ليس أمامها من سبيل الا اعطاء الاستقلال لعدن والجنوب المحتل التضامن ووحدة النضال نقلت الكفاح المسلح الى الجنوب المحتل ، والشعب العربى فى الجنوب المحتل يكافح من أجل الحرية والاستقلال ولم يكن فى امكانه أن يجد العون لولا وجود القوات العربية فى اليمن ، ولن تجد انجلترا من سبيل الا اعطاء الاستقلال للشعب العربى فى الجنوب .. النهارده كان فيه اعلان بيقول ان انجلترا قررت اعطاء الاستقلال فى سنة ١٩٦٨ طيب احنا بنقعد هناك لغاية بعد ١٩٦٨ .

أيها الاخوة .. السنة اللى فاتت قلت لكم انى احنا بنمر فى سنة من أعنف سنوات النضال العربى ومن أخطر سنوات النضال العربى ، أنا لما قلت هذا الكلام فى عيد الوحدة السنة اللى فاتت

كنت بأحس بالتحركات الرجعية والاستعمارية فى العالم العربى ، وكنت أحس أن الرجعية فى العالم العربى تتكتل مع الاستعمار حتى تقضى على فكرة القومية العربية وعلى الفكرة التقدمية حتى تدافع عن نفسها من الاشتراكية ..

ان الرجعية هى الرجعية المستغلة التى تستولى على أموال الناس وتعطى القليل للشعب ، وكنت أشعر أن الرجعية والاستعمار ينظروا بنوع من الاستهتار الى النضال الربى والى وحدة النضال العربى ، والى وحدة نضال العرب وبدأ الكلام يتقال من السنة اللى فاتت ان الرجعية استطاعت أن تعدل من موقفها وانها بقت على الهجوم وان النظم الثورية الوحدوية التى نادت بالقومية العربية أصبحت على الدفاع .. طبعا همه بدأوا بهذا الشعور من يوم الانفصال يوم ٢٨ سبتمبر ، يوم الانفصال بين سوريا ومصر ، ولكن بعد كده عززوا هذا الشعور واطمأنوا الى أنهم من الممكن لهم أنهم يقضوا على كل القوى التقدمية فى العالم العربى وأقنعوا أنفسهم أن وحدة النضال العربى شىء انتهى وتفكك ، ولكن وحدة النضال العربى شىء لم ينته وشىء لم يتفكك .

تاريخ الأحلاف والتكتلات

فكرنى هذا الموقف بالموقف اللى ظهر لنا ابتداء من سنة ٥٤ ـ ٥٥ ايه اللى فكرنى بهذا الموقف الكلام الجديد اللى طلع النهاردة فى العالم العربى عن الأحلاف وعن التكتلات فى سنة ٥٤ واعتقد أن ذكر هذه الأحداث النهارده ليه ضرورة لاعطاء الثقة للجماهير العربية على قدرتها واعطاء الدرس والعبرة للرجعية العربية من نورى السعيد . سنة ٥٥ زار رئيس الوزارة التركية العراق وتباحث مع نورى السعيد وانتهت المباحثات الى اصدار بيان مشترك جاء فى هذا البيان جرت مباحثات بين الطرفين حول وجوب ايجاد تعاون لتأمين استقرار منطقة الشرق الأوسط وسلامته وقد قررت الحكومتان التركية والعراقية عقد اتفاق يرمى الى تحقيق وتوسيع التعاون المذكور بأقرب وقت مستطاع وسيحتوى هذا الاتفاق على التعهد بالتعاون بصد أى اعتداء عليهما من داخل المنطقة أو خارجها . كما شرح البيان أهداف هذا الاتفاق وقال خدمة ميثاق الأمم المتحدة ـ تحقيق الاستقرار فى المنطقة ـ حماية السلام فى المنطقة كما بدأ دعوة الدول الأخرى الى الانضمام مقلش حلف بغداد مقلش أى حاجة قال اتفاق ومقلش حلف وفى هذه الأيام كانت محاولات الدول الغربية خصوصا بريطانيا وأمريكا متجهة لضم منطقة الشرق الأوسط داخل أحلافها لتبقى داخل مناطق النفوذ ، قبل الثورة فى سنة ٥٢ ظهرت فكرة الدفاع عن الشرق الأوسط تقدمت امريكا وبريطانيا وفرنسا وتركيا

بمقترحات للدفاع عن الشرق الأوسط للدول العربية ولاسرائيل وطبعا بعد تقديم المقترحات للدول العربيـــة ولاسرائيل فى نفس الوقت أجمعت الدول العربية على رفض حلف الدفاع عن الشرق الأوسط وسقط الحلف قبل أن يولد · فى سنة ٥٣ زارنا دالاس فى القاهرة واتكلمت معاه عن اننا لا نوافق على الأحلاف وهو كان يرغب فى ايجاد الأحلاف فى الشرق الأوسط عشان بريطانيـــا بحلف الأطلنطى · ومشى من هنا وفى اخر ٥٣ دالاس قال انه تجول فى المنطقة العربية ووجد ان فيه استعداد لقيام الأمن الجمـــاعى فى الشرق الأوسط ·

ولكن هذا النظام لا يمكن أن يفرض فرضا من الخارج ، بل يجب أن يرسم وينمو من الداخل · طبعا حتى لا تسقطه الجماهير العربية كان من الواضح أن البيان التركى العراقى هو تنفيــذ لفكرة دالاس أى يبدأ الحلف من الداخل وبالتدريج يرسم وينمو حتى يمكن خداع الجماهير العربية المناضلة ·

قبل اجتماع رئيس وزارة تركيا برئيس وزارة العراق وعرفنا بالنية العراقية سافر المرحوم صلاح سالم الى البلاد العربية وقابل نورى السعيد لاقناعه بالمحافظة على وحدة العرب· وقلنا سياستنا ان مصلحة الأمة العربية لا تتحقــق الا باتباع رفض الأحلاف والتكتلات وتوحيد السياسة العربية الخـــارجية فى كل ما يمس حاضر الشعوب العربية ومستقبلها ، تحويل الضـمان الجماعى العربى الى حقيقة واقعة ، تدعيم الجامعة العربية ·

اقتراح مرفوض

ووعد نورى السعيد بالحضور الى القـــاهرة لبحث الأمر · وحضر الى القاهرة فى أغسطس ٥٤ وبدأنا مباحثـــات مع نورى السعيد · وبدأت أتكلم معاه وكان كلامى منصب على تقوية ميثاق الضمان الجماعى العربى · وسألته كيف نقوى ميثاق الضـــمان الجماعى العربى اللى هو الدفاع المشترك العربى اللى كان حبر على ورق · وكان رد نورى السعيد بكل بســـاطة قال : أرى أن نستدعى السفير البريطانى وسفير أمريكا ونقول لهم ان احنـــا عايزين نقوى ميثاق الضمان الجماعى فما هى الوســائل وما هى اقتراحاتكم ·

طبعا اعترضت على هذا الاقتراح وفوجئت طبعا من السهولة اللى اتكلم بها نورى السعيد بهذه الطريقة رغم طبعا سـمعة نورى السعيد المعروفة ·

بعدين قال : نضم باكستان الى التضامن الجماعى العربى ·

فرفضنا على أساس ان باكستان متحالفة مع بريطانيا والغرب .. فاقترح ضم تركيا . فرفضنا على أساس ان تركيا عضـــو فى حلف الأطلنطى . فما كان من نورى السعيد الا أن قال : احنــا نتحالف مع اللى ينجدونا نتحالف مع الأمريكان ومع الانجليز .. مفيش داعى لفرنسا . نعمل تحـالف مع أمريكا وانجلترا وايران وباكستان ومعاهم كلهم ونوسع نطاق الضمان الجماعى ويقـول لنا ان احنا نضمن ان الغرب يسلحنا عشان اسرائيـــل ونكون عمليين ..

نصيحة لله

وقال ان القومية العربية اللى يتكلم عليهـــا دى غير عملية ... ايه هى الاردن وايه هى سوريا ومين هم العرب وقال انه لا يؤمن أبدا بالكلام اللى احنا بنتكلم به وميثاق الضمان الجماعى العربى ، وقال ان هو لازم يعمل حلف مع أمريكا ومع بريطانيا وتركيـــا وايران وباكستان . وبهذا كشف نورى السعيد فى أغسطس سنة ٥٤ عن الخطة كلها اللى مرتبة وحدد الدول اللى حاتشترك . وقبل ما يمشى اداني نصيحة لله من أجل مستقبلى الشخصى انى أنضم للحلف .

بعد كده فى ٢٤ فبراير سنة ٥٥ تم توقيع الميثـــاق التركى العراقى وبذلك بدأت أول خطوة لربط العـالم العربى فى الدفاع الغربى .

طبعا باركت أمريكا الحلف فى بيان رسمى . بعدين بريطانيا عقدت اتفاقية خاصة مع العراق حلت محـل معاهدة سنة ١٩٣٠ وانضمت بريطانيا للميثاق وسموه حلف بغداد . ليه سموه حلف بغداد .. علشان ياخد الطابع العربى ، الطابع اللى قال عليه دالاس النمو من الداخل والرسم من الداخل وسموه اسم عربى ، سموه حلف بغداد ..

بعد كده حصل ايه ؟ بدأ الضغط على الدول العربية للدخول فى الحلف خصوصا سوريا والاردن ولبنان . وبدأ الضغط علينــا احنا علشان مانقاومش الحلف . كان عندنا بعثة فى انجلترا راحت تجيب سلاح وقالوا لهم كده بصراحة ان احنا مش حانديكم ســلاح طالما القاهرة بتقاوم حلف بغداد .

انضمت ايران وباكستان بعد كده للحلف وبدأت المؤامرات ضــد سوريا حتى تدخل سوريا فى حلف بغداد ولكن الشعب السورى صمد ولم تتمكن كل القوى ان تدخل سوريا الى حلف بغــداد ...

وفى ديسمبر سنة ٥٥ راح الجنرال تمبلر الى الاردن عشان يضغط عليها لتنضم للحلف ولكن شعب الاردن المناضل أخرج تمبلر من الاردن .

بعد كده ، بعد ما انهزم تمبلر ولم تدخل الاردن حلف بغداد أصبحت أمريكا عضو مراقب فى الحلف .

حقيقة حلف بغداد نصوص حلف بغداد .. لا تكشف عن أهدافه الحقيقية توحى أنه حلف اقليمى دفاعى غير ضار بأحد .. والحقيقة ان حلف بغداد كان ينفذ خطة أمريكا وبريطانيا فى الشرق الأوسط .

سلسلة المؤامرات

طبعا اكتشفت مؤامرات عديدة ضد الاردن .. وضد سوريا وضد لبنان وأعلنت هذه المؤامرات فى المحاكمات اللى حصلت فى بغداد بعد الثورة فى ١٤ يوليو سنة ٥٨ .

وفى مذكرات ايزنهاور اللى نشرت أخيرا ، نشر أيزنهاور فى مذكراته انه تقرر سنة ٥٧ العدوان على سوريا من تركيا وانهم بعثوا مندوبين من أمريكا علشان يتفقوا مع تركيا على خطة لتغزو تركيا سوريا ثم تغير الوضع ففضلوا أن يكون الغزو من ناحية العراق من عند نورى السعيد .

فى ٣٠ مارس سنة ١٩٥٥ ألقى ايدن رئيس وزراء بريطانيا بيان فى مجلس العموم البريطانى قال فيه :

لقد وصلنا بموجب هذا الاتفاق الى مرحلة استطعنا أن نضع فيها نظاما يصح أن يكون أساسا لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط . وانى أوافق على أى تكتل يؤدى الى زيادة نفوذ بلادى ..

المتوسط . وانى أوافق على أى تكتل يؤدى الى زيادة نفوذ بلادى..

اذن الهدف هو وضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ لأن تركيا وايران وباكستان موجودة فى أحلاف مع بريطانيا ومع أمريكا ..

انتونى ناتنج وزير الدولة للشئون الخارجية فى هذا الوقت قال فى مجلس العموم البريطانى فى ١٤ ابريل سنة ١٩٥٥

ان مصلحتنا الأساسية تقتضى أن نشجع قيام هذا المسعى من قبل أحد شركائنا فى حلف الأطلنطى ، يقصد تركيا ، ومن قبل أحد حلفائنا القدماء فى العالم العربى ، يقصد العراق .

وقال ناتنج : كانت السياسة البريطانية ترمى منذ أمد طويل الى تأسيس وسائل دفاعية فعالة للشرق الأوسط .. وقد أضاف

استثمار البترول عاملا مهما الى ضرورة تامين وسائل دفاعية كافية وفعالة فى هذه المنطقة وهذا ما فعلناه باتفاقنا الجديد مع العراق وانضمامنا الى الميثاق التركى العراقى الذى سمى حلف بغداد .

بعد حرب السويس

بعد حرب السويس وبعد سنة ٥٦ وهزيمة بريطانيا فى حرب السويس أثرت جدا على حلف بغداد ٠

بعد حرب السويس ٠٠ بريطانيا فى حرب السويس أثرت جدا فى حلف بغداد خصوصا ان الحلف كان موافق على العدوان وكان موافق على تدويل قناة السويس ٠

بعد العدوان أصبح من الواضح أن مفيش امكانية أبدا لأى دولة عربية غير العراق انها تنضم لحلف بغداد وكان الشعب العربى والجماهير العربية معبأة فى كل بلد عربى ضد الأحلاف الاستعمارية ٠ ظهر مشروع ايزنهاور فى سنة ٥٧ ووافقت بعض الدول العربية على مشروع ايزنهاور فالمحاولة الجديدة مدوهاش اسم حلف سموها مشروع لأن الشعب العربى لا يقبل الأحلاف ٠٠ احنا فى مصر رفضنا مشروع ايزنهاور كذلك رفضته سوريا وأعلنا رأينا فيه فى سنة ٥٧ شهر ديسمبر وقلت وما مشروع ايزنهاور فى صميمه الا حلف عسكرى جديد فهو اذن بديل بمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط الذى رفض قبل ذلك وهو تكملة لحلف بغداد يقصد منها أن تبعث فيه الحياة ٠ وتعيد اليه النبض ٠

اين هم الان ٠٠

هل استمر مشروع ايزنهاور ٠٠ هل نجح مشروع ايزنهاور ؟

لم ينجح مشروع ايزنهاور والدول العربية ٠٠ الجماهير العربية والشعب العربى فى كل بلد عربى رفض مشروع ايزنهاور بعد كده فى اليوم اللى كان مقرر فيه أن يجتمع رؤساء الدول الموقعة على حلف بغداد فى أنقره ليبحثوا شئون الشرق الأوسط وينظموا عملية التدخل فيه استيقظ العالم على أنباء ثورة ١٤ يوليو فى العراق التى أطاحت بالنظام الملكى القائم فى العراق ٠٠ وبذلك سقط حلف بغداد بعد أن أصبح بلا بغداد ٠٠ وكان طبعا الناس اللى اختاروا اسم بغداد كان لازم يدوروا على اسم جديد وسموه الحلف المركزى ٠٠ والنهارده نتساءل أين ذهب نورى السعيد اللى قال ان القومية العربية كلام فارغ واللى قال لى مين هم العرب وايه هو الشعب العربى ٠٠ يوم ١٤ يوليو كان بيجرى فى شوارع بغداد وهو متخفى والشعب العربى اللى قال عليه هذا الكلام بيجرى وراه لغاية ما مسكوه وانتهى نورى السعيد ٠٠ وانتهى فصل من فصول الخيانة فى الأمة العربية ٠

استمر الحلف المركزى فى سياسته التى ترسمها انجلترا وأمريكا لمواجهة التقدم فى العالم العربى ضد القومية العربية ، ضد الحرية العربية ، ضد التقدم .. ضد العدالة الاجتماعية من أجل المصالح الأجنبية والاحتكارات الأجنبية والتركيز الأصلى ضد القاهرة بحملات نفسية وحملات دعاية ..

فى شهر ابريل سنة ٥٦ عندما عقد المجلس الوزارى للحلف المركزى ، طلبت حكومة شاه ايران تخصيص أكبر وقت ممكن لبحث سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى المنطقة . وظهر مما أذيع عن مناقشات الحلف لما وصف بمشكلات الشرق الأوسط ان الاجتماعات تحولت الى حملة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، فقد قال عباس آرام وزير خارجية الشاه فى اجتماع المجلس أن دولا عربية على اتصال بالحكومة الايرانية شكت الينا من أنها تتعرض لضغط من الجمهورية العربية المتحدة وجمال عبد الناصر لمقاومة خطط الغرب فى المنطقة . واستمر الوزير الايرانى يقول ان حكومته لا تؤمن بسياسة عدم الانحياز ولا تعترف بجدواها وان مصر باتباعها هذه السياسة التى اتسع نطاقها انما تساعد الشيوعية بطريق غير مباشر ثم تقدم وزير خارجية ايران بعد ذلك بمطلب حكومة الشاه وهو عمل موحد من دول الغرب الكبرى وحلفائها ضد الجمهورية العربية المتحدة وسياستها فى المنطقة العربية ..

وقالت وكالة اليونيتد برس ان وزير خارجية ايران قال : ان موقف الجمهورية العربية المتحدة يعتبر تهديدا لايران يبلغ من الخطورة مبلغ أى تهديد آخر فى العالم .. بعد هذا الادعاء استند على الحلف المركزى ليحميه من الخطر المصرى الذى يهدد عرش الشاه . ده الحلف المركزى ، وده الكلام اللى بيجرى فى الحلف المركزى .. وبعد عدة أيام ثبت هذيان شاه ايران الكلام اللى اتقال فى اجتماع الحلف المركزى فى قاعة المرمر فى طهران دوت طلقات مدفع رشاش يحمله جندى ايرانى ، مش جندى مصرى وبان أن الخطر اللى بيهدد عرش الشاه مش من الجمهورية العربية المتحدة ولا من شعب الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن من الشعب الايرانى المظلوم المغلوب على أمره .. المنهوبة ثرواته .. دى استكمال سلسلة المؤامرت من قبل حلف بغداد وبعد حلف بغداد .

لما اجتمع الحلف المركزى فى ابريل سنة ٦٥ كشفت التفاصيل التى عرفت عن المحادثات مع وزير خارجية أمريكا وبريطانيا عن طموح المد الاستعمارى والرجعى الجديد فى العودة الى المناطق التى فقدها بعد أن طردته الثورة العربية الشاملة وخاصة عن العراق ..

التآمر الرجعى الاستعمارى ضد العراق وابعاد بغداد عن القاهرة ونشر فكرة الوحدة الاسلامية فى مواجهة الوحدة العربية

واتفقوا على أن دول حلف بغداد الاسلامية تعمل من أجل الوحدة الاسلامية وتتصل بالدول العربيـــة حتى تقوم فكرة الوحـدة الاسلامية لتواجه الوحدة العربية ٠

سنة ١٩٥٧ الملك سعود راح أمريكا وزار مصر وهو راجع من أمريكا أول ماجه قال انه اتكلم مع ايزنهاور وان ايزنهاور نصحه بالسير فى عمل حلف اسلامى وطلب مننا فى هذا الوقت ان أحنا نشترك معاه فى حلف اسلامى ٠ الطرف الاخر ايزنهاور نشر مذكراته أخيرا وقال فيها : ان السياسة الامريكية سنة ١٩٥٧ اتفق على أساس استخدام الملك سعود ضد الوحدة العربية والوقوف فى وجه دعوة القومية العربية ٠٠ ده التاريخ ٠٠ الكفاح والنضال اللى مستمر

لماذا ايران بالذات

فى سنة ١٩٦٠ عندما أعلن شـــاه ايران أن ايران تعتـــرف باسرائيل أعلنا قطع العلاقات السياسية مع ايران ٠٠ طبعا فيه ناس بيتساءلوا لماذا لم نقطع العلاقات السياسية مع الدول الأخرى فيه دول أخرى فى العـــالم معترفة باسرائيل ولنا معاها عـــلاقات سياسية وعلاقات دبلوماســية ٠٠ ايران بالذات قطعنــا العلاقة السياسية لأن ايران باستمرار تمثـــل خطر الاتجار بالدين ٠٠ وايران تضلل باسم الاسلام ٠٠ ايران كانت اعترفت باسرائيـــل سنة ١٩٥٠ وجت حكومة مصدق سنة ١٩٥١ وأعلنت ســـحب اعترافها باسرائيل واغلاق القنصلية الاسرائيلية فى طهـــران ، ولكن بعد عودة حكم الشاه الرجعى سنة ١٩٥٣ عادت العلاقات التجارية والثقافية وفتحت الوكالة اليهودية فرع لها فى طهران ، وأعلن الشاه فى مؤتمر صحفى أن بلاده تعترف باسرائيل ٠

اذن دولة بيقولوا انها اسلامية من دول حلف بغداد ، تفتـــح كل مجالات العمل فيها لاسرائيل بل تساعد اسرائيل للعمل ضد الوطن العربى ، وفعلا فى هـــذه السنين أصبحت ايران قاعـــدة اسرائيلية تهدد الدول العربية ٠

فى سنة ١٩٦١ فى جريدة اسمها قل عاهـــام اسرائيلية نشرت الخبر ده « تم توقيع اتفاقية سرية بين ايران واسرائيل سنة ١٩٦١ فى مطار طهران وكان بن جوريون وهو فى طريقه الى بورما قد مر على طهران » الخبر ده اتنشر يوم ٦-١٢-١٩٦١، وبعدين قالوا « أمكنا معرفة السر فى زيارة بن جوريون لطهران يوم ٦ نوفمبر ســـنة ١٩٦١ وعلى الرغم من أن الصحف الايرانية قد فسرتهــــا بتعطل المحركات ٠٠ محركات طيارة بن جوريون وهو فى طريقه الى بورما مما اضطره الى التوقف فى مطار طهران ، الا أنه كان فى استقباله فى المطار على أمينى رئيس الوزارة الايرانية ، ومضت الجريدة تقول ان توقف بن جوريون فى طهران كان مرتبا من قبـــل وجرت محادثات بين بن جوريون ورئيس وزراء الشاه ، اشترك فيهـــا

رئيس أركان حرب الجيش الايرانى » والذى يمثل ايران فى الحلف المركزى ، وقد درس الجانبان فى هـذه المحادثات دور اسرئيل فى النظم الدفاعية لبلدان الحلف المركزى ، كما أكدا ضرورة تعزيز التعاون الاقتصادى والسياسى والعسكرى بين البلدين » .. وذكر على أمينى فى هذه المحادثات أن الخروج عن مبدأ السرية والتكتم المطلوب بشأن هذا الاتفاق يلحق ضررا بالعلاقات بين دول الحلف المركزى والبلدان العربية ..

الكلام ده اتنشر فى جريدة اسرائيل اسمها قل عاهام يوم ٦-١٢-١ سنة ١٩٦١ ..

ده حكاية منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط .. حلف بغداد ومشروع ايزنهاور والحلف المركزى .

محاولات لا تنتهى

محاولات لم تنته من قبل الثورة لغاية دلوقت لضم البلاد العربية الى الأحلاف الأمريكية الانجليزية ووضعها فى داخل مناطق نفوذ .

فى شهر ديسمبر السنة اللى فاتت بدأت المرحلة تنتقل الى مرحلة جديدة وبان ان احنا زى ما انتقلنا من حلف الدفاع عن الشرق الاوسط الى الميثاق العراقى التركى .. الى حلف بغداد الى مشروع ايزنهاور .. الى الحلف المركزى ، بان أن احنا بننتقل دلوقت من عهد حلف بغداد الى الحلف الاسلامى .

الكلا ده أول ما طلع طلع فى انجلترا فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥ بدأ الكلام عن الحلف الاسلامى .. فى ٣-١٢-١٩٦٥ ذكرت الصحافة البريطانية أن الملك فيصل أوفد صديقه المغربى محمد الكتانى فى مهمة سرية الى دول المغرب ، وأن هذه المهمة تستهدف انشاء حلف اسلامى مقدس ، يتصدى للثورات التقدمية فى المنطقة، ولمكافحة الشيوعية فى العالم العربى وأن الفكرة هى محاولة ايجاد صبغة اسلامية مناسبة لقيام الحلف . الكلام ده فى ٣-١٢-١٩٦٥..

يوم ٤-١٢-١٩٦٥ فى تعليق لصحيفة « لتربيو » الفرنسية.. قالت الصحيفة « ان واشنطون كلفت الملك فيصل وشاه ايران للقيام بمهمة تشكيل الحلف الاسلامى وأن هذا الحلف الملكى المقدس هو بطبيعة الحال محاولة للرد على حركة القومية العربية التى تتزعمها القاهرة » ، واختتمت الصحيفة المقال بقولها « انه اذا دعيت اسرائيل للاختيار بين جبهة الملوك والجبهة المتحررة فأنها ستختار بالتأكيد جبهة الملوك » .

فى ٧-١٢-١٩٦٥ قالت وكالة رويتر من طهران « ان الملك فيصل سيبحث مع الشاه .. شاه ايران شئون الشرق الأوسط والوحدة الاسلامية » .

فى ٢٨-١٢-١٩٦٥ قالت صحيفة «كومبا الفرنسية» ان فيصل انتهز الهدنة الحالية فى اليمن لوضع أسس لتحالف ايرانى سعودى فى جميع المجالات وانشاء جبهة اسلامية متحدة .

فى ٣٠-١٢-١٩٦٥ قالت مجلة تصدر لأ فرنسا اسمها « جين افريك » بمناسبة صفقة السلاح السعودى مع بريطانيا قالت : « هذه الصفقة لها صلة بزيارة فيصل الى ايران ودعوته فيها الى انشاء جبهة اسلامية » وقالت الصحيفة « ان هذه الصفقة وهذه الدعوة هما فى الأساس بعث لمشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الأوسط وتحقيق لحلم بريطانى أمريكى قديم بانشاء جبهة تخلف حلف بغداد والحلف المركزى للوقوف فى وجه موقف القومية العربية والحياد التى تجتاح الشرق الأوسط ، وان بريطانيا ماكانت تزود فيصل بهذه الصفقة من الأسلحة لو لم تحصل منه على وعد بعدم استعمالها فى اسرائيل وانما تستخدم فى اقامة قوة دفاعية عن الغرب شرق السويس تحت اسم الجبهة الاسلامية وان واشنطون لا يهمها سوى أن يبقى البترول بعيدا عن كل مفاجأة .

فى ١٣-١-٦٦ قالت صحيفة لاسوار الفرنسية ان التفاهم الايرانى السعودى المؤيد من الانجليز والأمريكان يدعم النظرية القائلة بأن واشنطون ولندن تساعدان فيصل والشاه فى مشروع حلف اسلامى ضد توسع الاشتراكية فى الشرق الأوسط .

وفى نفس التاريخ قالت صحيفة لاتريبيون الفرنسية . ان أمريكا بدأت تعتمد على السعودية فى تعبئة العالم العربى ويبدو أن هناك نوايا لاستراتيجية واسعة قد يفسرها تزويد ايران والسعودية بالأسلحة وتغيير تكتيك حلف بغداد الأرضى بتكتيك جوى بحرى .

وقالت الصحيفة : ان الغرض مساندة التيارات الرجعية وخنق المطالب القومية والاقتصادية وربط رفاهية هذه البلاد بالمصالح الخارجية ..

وفى ١٨-١-٦٦ قالت الديلى تلجراف البريطانية أن الملك فيصل يقود حركة احياء فكرة الحلف الاسلامى . وقالت الصحيفة: طالما أن الشرق الاوسط حانوت مغلق من الدول العربية فان القاهرة تظل بلا جدال عاصمته السياسية . ولكن وجود حلف اسلامى فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان يغير الوضع . وتضيف الصحيفة : ان كثيرا من الزعماء المسلمين يرون أن الحلف الاسلامى يمكن أن يكون أقوى نفوذ من القومية العربية فى الشئون العالمية .

طبعا أقوى نفوذ فى الموالاة للغرب طبعا لأن الحلف الاسلامى حيكون موالى للغرب .

قالت التايمز فى ١٥-٢-١٩٦٦ ان فكرة عقد مؤتمر اسلامى ليست جديدة وعلى الرغم مما يقال من أن المؤتمر الاسلامى سيبحث

مسائل اجتماعية واقتصادية فالمسلم به أن أهداف المؤتمر سياسى أساسا اذ ستحضره دول غير عربية مما يساعد على تخفيف ثقل الدول العربية المتحررة ·

فى ١٦ فبراير سنة ١٩٦٦ جريدة فرنسية أسمها لوموند دبلوماتيك بتقول على الحلف وبتتساءل والآن هل سيتمكن شعار الاسلام من القضاء على القوى التقدمية فى العالم العربى !

ليس من عندى

الكلام اللى أنا قلته ده كله مافهوش ولا كلمة من عندى ، أنا لميت شوية كلام طالعين فى الجرايد واحنا بنقرا الجرايد دى كل يوم وكنا بنتتبع الكلام عن الحلف الاسلامى اللى قالوا عليه انه تجمع اسلامى واللى قالوا عليه لا ده تكتل اسلامى وبعدين قالوا عليه لا ده مؤتمر ذروة اسلامى ومقلناش رأينا الا فى التصريح اللى أنا قلته من عدة أيام ان احنا بنعتقد ان هذا الحلف زى حلف بغداد ومصيره زى مصير حلف بغداد ·

وأنا قلت العرض أو السرد التاريخى عشان نحس وتحس الجماهير العربية فى كل بلد عربى الجماهير المكافحة المناضلة ، أنها باستمرار كانت تكافح · ويوم ما قام حلف بغداد اعتقد نورى السعيد أن الجماهير العربية لم تكافح ولم تناضل ولكن الجماهير العربية كافحت وناضلت وأسقطت حلف بغداد وأيضا بوريهم الأسلوب اللى اتبع فى الماضى أنه نفس الأسلوب بيتبع النهارده ·· ونفس الطريقة طريقة ان احنا نبتدى بشعار وبيبتدوا من الداخل وبطريقة سهلة لغاية مايكتفوا البلاد العربية كلها ويسلموها لانجلترا وأمريكا · مثال مما يدل عليه سياسة الغرب فى الشرق الأوسط أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى السابق قام بجولة فى الدول العربية بعد فشل حملة السويس ثم نشر عدة مقالات فى صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » سنة ٥٧ قال ايه ناتنج ·· قال ان الوسيلة الوحيدة للتفاهم مع القومية العربية يجب أن تكون عن طريق تأسيس جامعة اسلامية من الممالك الاسلامية بالمنطقة وحينئذ تخرج البلاد العربية من حيز القومية العربية الضيق الذى لا يمكن التفاهم فيه الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع الذى يجمع العربى والتركى والايرانى والباكستانى فى مجال واسع حيث ينسون جنسياتهم ولا يفكرون الا فى الاسلام وحينئذ يمكن للبلاد العربية أن تتفاهم مع الغرب حتى اسرائيل يمكن التفاهم معها عن طريق هذا حيث أن العرب لا يقبلون وجود اسرائيل بينهم ولكن الدول المسلمة تقبل وجود اسرائيل · طبعا استند هو فى هذا على اعتراف ايران وتركيا باسرائيل .. الكلام ده اتقال سنة ١٩٥٧ عن الحلف الاسلامى أو الجامعة الاسلامية أو التكتل الاسلامى ·

بين العقال والعمه

الكلام اللى أنا قلته السنة اللى فاتت عن لسنة دى عصيبة فى النضال وخطيرة فى النضال العربى بدأوا يعملون له وبدأ يظهر وفيه اعتقاد عند الدول الاستعمارية والدول الرجعية ان القوى التقدمية فى العالم العربى رجعت تعبت وان الدول التقدمية فى العالم العربى مختلفة مع بعضها وان الجماهير التقدمية فى العالم العربى تعبت من النضال ومن الكفاح .. وبهذا أصبح الطريق مفتوح أمام الاستعمار القديم والاستعمار الجديد علشان يحطوا البلاد العربية فى حلف جديد يتخذ من الدين اسم ويتخذ من الدين صفة . حلف بغداد وجدوا له اسم عربى سموه حلف بغداد لبسوه عقال ولبسوه عباية عشان يخبوا بيهم انجلترا وأمريكا . الحلف الجديد لبسوه عمة .

الحلف الجديد يلبسوه عمه .. يسموه سموه الحلف الاسلامى أو التجمع أى حاجة بس تكون اسلامية أى اسم بس يكون اسلامى أى اسم تركب عليه العمة اللى عايزينها . ويضحكوا على المسلمين من الناس بالدين ولكن طبعا الأهداف واحده .. الأهداف سواء فى حلف بغداد أو الحلف الاسلامى هى القضاء على القومية العربية التى سيطرت على امكان واتجاهات الشعوب العربية باعتبار أن القومية العربية هى الوسيلة الوحيدة للتخلص من الاستعمار ومناطق النفوذ وتحقيق الوحدة العربية ...

حركوا بورقيبة

فى سنة ٦٥ بدأ هذا الكلام ودى اللى خلانا نقول ان دى هاتكون أكثر أعوام النضال العربى .

عدت سنة ٦٥ قوى تقدمية واقفه والجماهير العربية المناضلة واقفة .. قلت القوى التقدمية والجماهير العربية المناضلة لم تتحد الاتحاد السكانى لتواجه تكتل الاستعمار والرجعية .. السنة اللى فاتت الاستعمار والرجعية رغم المتناقضات الموجودة بينهم رغم المتناقضات الموجودة بين الرجعيات المختلفة الموجودة فى البلاد العربية وخارج البلاد العربية .. رغم هذا وجدوا الفكر .. واستطاع الاستعمار فى السنة اللى فاتت انه يحرك بورقيبة ... بورقيبة اللى كان جه فى مؤتمر القمة العربى الأول وتبنى قضية فلسطين وقال أنا مستعد يبعت تونس علشان تقف على حدود فلسطين يبعت الجيش التونسى جه السنة اللى فاتت ونادى بتصفية قضية فلسطين ونادى بالتفاوض مع اسرائيل وكان هذا يمثل سياسة الاستعمار ولم يكن الا عميل فعلى للاستعمار مستعد يبيع ى فكرة لقاء أى مبلغ يكون الهدف من كلام بورقيبة تفتيت الجبهة

العربية اللى ظهرت متحدة ومتالفة فى اجتماعات القمة العربية نجحت اجتماعات القمة العربية الأول والثانى والثالث فى أنهـا مكنتنا من أن احنا نعمل خطة موحدة للعمل من أجل فلسطين ونعمل على أن نقوى الدول المجاورة لفلسطين ونتفق جميعا على عمل موحـد ..

فى تناقضات .. تناقض مع الرجعيات العربية فى تناقضات مختلفة ولكن استطعنا أن نعمل وحدة عمل من أجل فلسطين وكان ده نجاح كبير اسطعنا أيضا أن ننشأ القيادة العربية الموحدة لأول مرة . والقيادة العربية الموحدة هى حدث كبير فى تاريخ الدفاع عن نضال الأمة العربية .

واستطعنا أيضا من خلال مؤتمرات القمة أن تجمع الشعب الفلسطينى لأول مرة منذ سنة ٤٨ وبذلك ظهر الكيان الفلسطينى وهيئة التحرير الفلسطينية . هل يرضى الاستعمار بهـذا الكلام احنا قلنا فى الأول ان الاستعمار واسرائيل لا يقبلوا الوحدة .. بل لا يقبلوا وحدة الصف ..

اذن وحدة العمل من أجل فلسطين لا يمكن أن يقبلها الاستعمار ولا يمكن للصهيونية أن تقبلها .

فأذن بيطلع واحد بيفتت الجبهة العربية وبعدين يدوروا على واحد تانى يطلع علشان يفتت الجبهة العربية .

طبعا الرجعية بتتعاون مع الاستعمار ، وهى تشعر بخوف من المد الثورى العربى يمثل خطر متزايد على مصالحها . والاستعمار بيشعر أن المد الثورى العربى يمثل خطر متزايد على احتكارات البترول والرجعية تشعر أن ما يحمله تيار الاشتراكية يهدد كيانهم ويهدد وجودهم ..

اذن سوف تتحالف الرجعية مع الاستعمار ويدعو لفكرة جديدة استغلال الدين كسلاح حتى تتحقق أهداف الرجعية والاستعمار . الرجعية فى المحافظة على نفوذها والمحافظة على دورها فى سلب ناتج عمل الشعب العربى .. والاستعمار ليستمر وليضمن المحافظة على الاحتكارات البترولية اللى بياخد منها مكاسب طائلة . ويضمن أيضا استعادة نفوذه فى البلاد العربية وبهذا يمكن التخلص من الحركات التحررية والشعبية فى العالم العربى .

لم نرفض التعـاون

طيب قد يتساءل بعض النـاس ، طيب وايه الضرر من الحلف الاسلامى .. ايه الضرر من الحلف الاسلامى وليه بنرفض التعاون الاسلامى .. احنا ما رفضناش أبدا التعاون الاسلامى ولكن يجب

أن يكون فعلا لوجه الله ولوجه الاسلام .. مش نتيجة لسياسة أمريكية - انجليزية .. الحلف الاسلامى حلف استعمارى هدفه أن يقاتل حركات التحرير .. هدفه أن يتصدى للتقدم الاجتماعى . الحلف الاسلامى عبارة عن حلف للتامر ضد الشعوب العربية ووضعها فى مناطق النفوذ الغربية .

الحلف الاسلامى هو تآمر أيضا على البلاد الاسلامية الأخرى الغير عربية التى تتبع سياسة عدم الانحياز .. الحلف الاسلامى عملية تجميع لكل القوى الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى خط دفاع أخير أمام المد الثورى العربى التقدمى فى البلاد العربية .

ايه المبرر اللى يخلينا نتهم الحلف الاسلامى بالرجعية والتعاون مع الاستعمار ضد العروبة وضد المسلمين وضد فلسطين ..

الرد على هذا بيرد عليه أصحاب الدعوة الأصليين فى صحفهم فى لندن وواشنطن ، وأنا قرأت لكم قالوا ايه هؤلاء الناس فى لندن انهم قالوا ان الحلف سياسى ولا يمكن أن يكون الحلف اجتماعى .. أيضا ايزنهاور قال لسعود فى سنة ٥٧ على فكرة الحلف الاسلامى وجاء سعود اتكلم فى هذا الموضوع هنا فى القاهرة . أيضا الدول الداعية للحلف الاسلامى او المؤتمر الاسلامى هى جدة وطهران .. ووجود طهران يؤكد ويزيد التأكيد على أن الحلف ضد العرب وضد المسلمين ولحماية الرجعية .

مين أيد الحلف فى العالم العربى ، غير ايران والسعودية فى العالم العربى صحف بورقيبة فى تونس أيدت الحلف ، أعداء العروبة والاسلام فى لبنان أيدوا الحلف .. والناس اللى كانوا بيطبلوا ويزمروا لحلف بغداد فى سنة ٥٥ وبعد هذا والجرايد اللى كانت بتنادى لحلف بغداد فى سنة ٥٥ و٥٦ هم نفس الناس النهارده اللى بينادوا بالحلف الاسلامى والناس اللى معروف أنهم أعدى أعداء الاسلام فى لبنان بقوا النهاردة من أشد أنصار الحلف الاسلامى والمؤتمر الاسلامى .

البداية والنهاية واحدة

مين اللى خطط للحلف واشنطن ولندن . بيقولوا ان الحلف يخللينا نكسب تأييد لفلسطين نفس الكلام قاله نورى السعيد فى سنة ٥٥ .. بيقول الملك فيصل ان الغرض هو مقاومة الالحاد . هل حا نقاوم الالحاد بالسياسة والا نقاوم الالحاد بالدين . ده حلف سياسى مش حلف أو مش تكتل دينى . اذا كان تكتل دينى كان يكون من رجال الدين .

والالحاد • بقى شاه ايران وبورقيبة هم اللى حايقاوموا الالحاد فى العالم العربى والعالم الاسلامى •• اشمعنى •• شاه ايران بيعرف ايه عن الاسلام •• من امتى بورقيبة بيدافع عن الاسلام • ده حتى آخر حاجة أجازة العيد الأخير لغى أجازة العيد كلها وخلاها يوم واحد ، ايه المكاسب اللى تجنيها فلسطين من حلف اللى بتشرف عليه أمريكا وبريطانيا ويشترك فيه حكام ايران وحكام تونس اللى دعوا للصلح مع اسرائيل

نفس الكلام عن فلسطين قاله نورى السعيد سنة ٥٤ و٥٥ والكلام عن السلاح قاله نورى السعيد فى سنة ٥٤ و٥٥

بعدين ممكن واحد يسألنى يقول لى انت كتبت فى كتاب فلسفة الثورة سنة ٥٣ وقلت عن الدايرة الثالثة : تبقى الدايرة الثالثة• احنا قلنا ان عندنا ٣ دواير العربية والافريقية والاسلامية وتكلمنا فى فلسفة الثورة على كل دايرة بالتفصيل وفى الكلام عن الدايرة الثالثة اتقال فى فلسفة الثورة : تبقى الدايرة الثالثة وهى الدائرة التى تمتد عبر قارات ومحيطات والتى قلت انها دوائر اخوان العقيدة الذين يتجهون معنا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة وتهمس شفاههم الخاشعة بنفس الصلوات •

وقلت يجب أن نغير نظرتنا الى الحج ويجب أن يكون الحج قوة سياسية ضخمة مؤتمر سياسى • وقلت دوريا يجتمع فى الحج كل قادة الدول الاسلامية يجتمعون خاشعين ولكن أقوياء متجردين من المطامع لكن عاملين ، مستضعفين لله لكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم • عالمين بحياة أخرى ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة •

الفرق بين الدعوتين

اذن احنا دعينا الى هذه الفكرة ولكن دعيناها على أساس سياسى فى سنة ٥٣ وسرنا فى هذا الطريق بعد ٥٣ وبعدين ليه ماكملناش هذا المؤتمر السياسى •

طبعا بعد كده أما قام حلف بغداد فى أوائل سنة ٥٥ أصبح من المستحيل أن يجتمع المؤتمر الاسلامى كمؤتمر سياسى غير مرتبط بالاستعمار وكمؤتمر سياسى يعمل لصالح الاسلام وصالح المسلمين ، يعمل للتخلص من الاحلاف ، يعمل لاقامة العدالة الاجتماعية ، يعمل لانصاف الانسان المسلم فى كل بلد مسلم • بعد قيام حلف بغداد وانضمام تركيا وايران وباكستان لهذا الحلف والعراق أصبح من العسير أن يجتمع المؤتمر الاسلامى على أساس

سياسى ، بل أصبح من المستحيل ولذلك سرنا بالفكرة على أساس شعبى .

وكنا نشعر ان كل تقارب اسلامى على أساس الذروة يجب ان يبدأ من الذين استشعروا لتحرير بلادهم من الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ ودول كانت اتصالاتهم ببعض مستمرة .

اذا لم تكن دعوة التقارب الاسلامى على هذا الاســاس ، اذا كانت على أساس سياسى ، وعلى اجتمــاع قمة الدول التى تكون غايتها رغم رفع اسم الاسلام ضرب المسلمين باسم الدين وتشتيت المسلمين وتفتيت العرب لحساب الاستعمار أى تكون تزييف الدين من أجل خدمة المبادىء والاهداف الاستعمارية .

احنا اتكلمنا فى مؤتمر القمة الاخير عن التعاون الاسلامى لكن ما أخدناش قرار زى مابيتقال فى المؤتمر الاخير مؤتمر القمــة ما أخدناش قرار بهذا الأساس . ما أخدناش قرار عن التضامن الاسلامى ما أخدناش قرار عن التضامن الاسلامى ولكن قلنا كل واحد يعمل ما فى مقدوره بحيث ان احنا نشجع ونفهــم الفكرة الاسلامية انها تسير معانا من أجل قضايا الحرية ومن أجل قضايا فلســطين .

الملك فيصل امبارح قال لاحدى صحف الكويت فى الحــديث اللى تكلمت عليه فى أول كلامى ، قال وهو بيعلق على المؤتمــر الاسلامى . بيقول : لقد قام تعاون بين الطوائف المسيحية وكان هناك اجتماع المجمع المسكونى . فلماذا لم يفسر هذا الاجتماع على أنه تحالف :

طبعا هذا الكلام ، هذا القول فيه مغالطة واضحة جدا اذ أن اجتماع المجمع المسكونى ليس جتماع سياسى أو عسكرى بل ان اجتماع المجمع المسكونى هم رجال الدين المسيحيين رلم يضــم رؤساء الدول المسيحية واذا ضم رؤساء الدول المسيحية على طول ينقلب الى اجتماع سياسى ومؤتمر سياسى .

نعارض التحركات المشبوهة

موقفنا هنا فى الجمهورية العربية المتحدة من المرحلة الجديدة والتحركات الجديدة ، نحن نعــارض كل التحركات الاستعمارية الرجعية المشبوهة ونحن نعارض استخدام الدين واسم الدين من أجل تحقيق أهداف الاستعمار والرجعية .

نحن نعارض تزييف الدين . نحن نعارض استغلال المبادىء المقدسة لنا بواسطة الرجعية والاستعمار . نحن نعــارض الحلف

الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى كما عارضنا حلف بغداد ومشروع أيزنهاور وكل الحركات الرجعية المشبوهة والاستعمارية التى قامت فى هذه المنطقة من أول الثورة لغاية دلوقت .

ونحن نقول ان التضامن الاسلامى الحقيقى هو تضامن الشعوب الاسلامية المناضلة ضد الاستعمار لا تضامن الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار والمستغلة للاسلام والمزيفة للاسلام .. الحكومات الرجعية التى تريد أن توقف سير التاريخ ، سير التقدم . ونحن نقول ان الجماهير العربية المناضلة التى ناضلت فى سنة ٥٥ و٥٦ و٥٨ واللى ناضلت بعد كده فى سنة ٦٢ ولازالت هى الجماهير العربية الموجودة اليوم تستطيع أن تناضل ولكن عليها أن توحد نضالها وتستطيع أن تكافح ، تستطيع أن تتصدى لهذا التحالف الاستعمارى الجديد كما تصدت لحلف بغداد .. تستطيع أن تسقط هذا التحالف الاستعمارى الجديد كما أسقطت حلف بغداد . تستطيع أن تكشف كل شىء .. الجماهير العربية المناضلة تستطيع أن تعلم من هى القوى المتحررة ومن هى القوى الرجعية ومن الذى يعمل لمصلحة الجماهير ومن الذى يعمل لاستغلال الجماهير ، الجماهير العربية قادرة على تصنيف البشر وقادرة على تصنيف الناس ، تعرف مين الرجعى ومين الاشتراكى ومين اللى بيزيف الدين ومين اللى بيستغل الدين .. وتعلم الشعوب المناضلة ان وحدة النضال العربى فى جميع البلاد العربية تستطيع أن تقضى على أقوى مؤامرة توجه الينا ، قضت على العدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦ وقضت ودفعنا الثمن ناس ماتوا وناس استشهدوا ، ناس هنا قتلوا ودفعنا الثمن بعد كده ، بعد الوحدة وأيام الوحدة وبعد الانفصال ولغاية دلوقت الجماهير العربية المناضلة على استعداد لأن تكافح ولأن تناضل وأن الجماهير العربية المناضلة تعرف ان الرجعية التى استغلت الشعوب وأبقتها فى اطار من التخلف لا تجد أمامها اليوم للدفاع عن كيانها تجاه الاشتراكية والدعوة الى تكافؤ الفرص والثورية والتقدم لا تجد الرجعية المتحالفة مع الاستعمار من خط دفاع سوى تزييف الدين . الجماهير العربية ستكشف بكل سرعة تزييف الدين وستكشف الجماهير العربية استخدام الدين لوضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ وستسقط الشعوب العربية الحلف الاسلامى المزعوم كما أسقطت بغداد .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حلف ضرار وسيلة استعمار

فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون

الاسلام كما شرعه الله ـ عز وجل ـ وبلغه رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دين الفطره السليمة ، يحفظ عليها صفاءها ، ويديم لها طهرها ، ويرقى بها الى عقيدة سامية تتفاعل فيها عناصر الحق والخير والجمال ، وعن هذه العقيدة يصدر السلوك الشريف الى الهدف النبيل ، وبهذا عرف المسلمون الاسلام تحقيق فهم وتطبيق عمل ، وحكمة دعوة وسماحة عرض واخلاص قصد وسلامة نية .

وعلى مقدار ما أخذ المسلمون به أنفسهم من تعاليم الاسلام كان مدى شيوعه فى الدنيا واشعاعه فى العالم ، وعلى قدر استمساكهم بمبادئه قداسة نص واخلاص فهم ، ووحدة صف ، كان دورهم البطولى فى تخليص البشر من شرك العبادة أولا ، ومن شرك طغاة العباد ثانيا .

ولقد كانت حاجة الدنيا الى الاسلام أكبر عون له ، فهى التى شوقت اليه قبل أن يشرق عليها ففتحت له قبل أن تفتح به ، وكان ضحايا الفساد فى كل نواحى الأرض جنودا للاسلام ، يجذبون اليهم طلائع التبشير به ، وكان للاسلام من مدد الله قوتان ، قوة بشرت به فاندفعت ، وقوة استشرفت له فجذبت .

واذا كان الاسلام قد جاء لتخليص الدنيا من فساد ـ فشر خصومه بلا شك هم المفسدون وألد أعدائه هم الذين حتموا بطغيانهم الحاجة اليه ، لأنه ما جاء الا ليسلبهم وسائل العدوان على بنى الانسان ، وما شرعه الله الا ليرد الطغاة المستبدين والمسلطين المستغلين ـ الى مكانهم فى صف البشر ليعيش الناس جميعا على قانون سواء من عدل الله ووحى السماء ، ولكن هؤلاء المفسدين الذين جاء الاسلام حربا عليهم ـ ليس من السهل على نفوسهم أن يتخلوا بيسر عن مواطنهم من جبروت الاستعلاء وسلطان وضراوة السيادة ، وليس لهم كذلك من الشجاعة ما يجابهون به المد الاسلامى الزاحف ، فلم يجدوا مخرجا لهم الا اسلام ألسنة وكفران قلوب ، وقالوا فى عصر الرسول : آمنا ، فقال الله لرسوله (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) .

ومن ذلك التاريخ الاسلامى البعيد نبتت فكرة الاحتيال على الاسلام باسم الاسلام وقيلت كلمة حق أريد بها باطل ، وافتن خصوم الاسلام فى الكيد له ، وجعلوا منه شعارات تخدع لتصدع ، وتروق لتعوق ، فاتخذوا مسجدا ، وما أروعه من سمة ! وما أروعه من بنيان ! ولكن الله فضح أمرهم ، ليعلم الناس كيف يفطنون الى معسول القول وتضليل الاحتيال ، فقال سبحانه « **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون • لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » الى أن قال سبحانه : لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم »** •

وهكذا وضع الله للمسلمين مبدأ اليقظة التى تكشف نوايا الحقد وخبيئة الكيد حتى يسلم دينهم من تآمر الأدعياء وخداع الأسماء •

أيها المسلمون :

ما أشبه الليلة بالبارحة فها أنتم هؤلاء تسمعون اليوم ما أسمعكم ربكم من قبل فقديما استغل بعض شعارات الاسلام فكان مسجد الضرار ، واليوم يستغل كل الاسلام فيدعى الى حلف الاستعمار •

وحسبكم أيها المسلمون لاكتشاف الخداع أن تكشفوا عن هؤلاء القناع ، حتى تعرفوا التاريخ الداعين اليه وحظهم من الاسلام معرفة به وفقها له ، وحتى تعرفوا حظ شعوبهم من اسلامية دعواهم •

وحسبكم أن تقارنوا بين ما يدعى اليه اليوم وبين مواقفهم من قضاياكم فى التحرر من التبعية والخلاص من ركود التخلف وحسبكم فى الحكم عليهم أن تذكروا مواقفهم من الاعتراف باسرائيل ومن تخذيلهم أحرار العروبة عن طرد الدخيل من فلسطين •

وحسبكم أن تنسبوا فكرة هذا الحلف لتردوه الى آباء آثمين من أول مشروع الشرق الأوسط البريطانى الى نهاية الحلف المركزى •

واعلموا جيدا ان وعيكم أيها الشعب قد كتم أنفاس هذه الأحلاف ليحرس المكاسب التى حققتها ثوراته المخلصة ، واعلموا جيدا أن هذه المكاسب هى التى تخيف هؤلاء وهؤلاء خشية أن يمتد نورها الى شعوبهم ونارها على طغيانهم •

أيها المسلمون :

ان مصر المسلمة وفيها الأزهر معهد الاسلام الأول لا تترك فرصة فيها للاسلام مجد وللعروبة عز ، وهى حين ترى هذه الفرصة ستكون الداعية المشمرة الشجاعة الثائرة • واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة قد حاربت الأحلاف السابقة فى صورها السياسية وخشيه على سياستها التقدمية أن تنتكس فان دينها أعز عليها من سياستها ، ولهذا فلن تترك لمخادع به أن ينال منه ، ولا لمتجر به أن يربح فيه ، وان تاريخ مصر مع الاسلام تاريخ مشرف ، ماضيه متوثب حاضره آت باذن الله مستقبله ، وأنها بأزهرها الشريف وهيئاتها الاسلامية المتعددة ترعى الاسلام وتدفع عنه وتراعيه عدالة تطبيق ومساواة طبقات واشتراكية خير ، وتعمل للاسلام خارج حدودها فتوفد علماءه لكل الشعوب الاسلامية معلمين ، وتستورد أبناء هذه الشعوب الى معاهدها متعلمين • وهى مع هذا لم تستشرفى حلف ، ولم تدع اليه مما يدل على أنها مرادة بشر ما يدبرون مما ينادى به مسلم ويلقنه مستعمرون •

أيها المسلمون :

افتحوا عيونكم ، واشحذوا أذهانكم ، واعلموا جيدا أن نصر الله قريب (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) •

وليكن شعاركم فى حرب هذا الافك ورد هذا البهتان انه حلف استسلام لا حلف اسلام •

ألا ساء ما يحكمون

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

مما وصف الله به المؤمنين قوله عز وجل : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »

وقوله سبحانه « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » .

ومما وصف المؤمنين به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « وهم يد على من سواهم » .

فالآية الأولى تقرر مبدأ التناصر والتآزر بين المؤمنين ، أى أن يكون كل منهم وليا للآخر، يحبه ، ويحرص عليه ، ويسعى لما فيه خيره ، وينطوى على كل اخلاص له .

والآية الثانية تأتى مؤكدة لهذا المعنى ولكن عن طريق نفى « الموادة » بين المؤمنين ومن يحادون الله ورسوله مهما كانت العلاقة بينهم حتى علاقة الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة ، فلا يتصور القرآن الكريم أن يجتمع الايمان بالله ورسوله وتبادل الود والمحبة مع أعداء الله الذين يحادونه، أى يقاومون دينه وشريعته وأهل الايمان به ، وهذا أمر منطقى ، لأن الايمان بالله ورسوله اذا كان صادقا حقيقيا ، له مقتضيات أولها مجانبة أعداء الله ، والا فكيف يدعى امرؤ أنه مؤمن وهو يواد الظالمين الآثمين أهل العدوان ومقاومة الايمان ؟

أما الحديث الشريف، فانه يقرر أن المؤمنين يد واحدة على من سواهم ، فاذا رايت امرأ يقف فى صف المؤمنين وأهل الاصلاح والخير والحق ، موقفا واضحا ثابت القدم ، فاعلم بأنه مؤمن صادق فى ايمانه ، وان على المؤمنين أن يحبوه ويوالوه ، أما اذا رأيت امرأ يدعى الايمان ، ويتشدق به ، ويحاول أن يظهر بمظهر الحريص عليه ، وهو مع ذلك يقف فى صف أعداء الله وأعداء الحق، من أرباب الفساد والافساد ، فاعلم أنه منافق لم تخالط بشاشة الايمان قلبه .

وعلى هذا الأساس يجب أن ننظر الى هؤلاء الدعاة لما يسمونه « بالحلف الاسلامى » ثم نقول لهم :

* ان « الحلف » معناه الموالاة التى ذكرها الله تعالى فى قوله (بعضهم أولياء بعض) .

* ومعناه قطع المودة عن كل عدو لله ورسوله ، أى عن كل من يصطنع الفساد ، ويقف فى سبيل الاصلاح ، ويتنكر للحق ، ويكره العدل .

وذلك لأن الله هو الحق ، وهو العدل ومن أسمائه الحق والعدل .

* ومعناه أن تتوحد قوة المؤمنين ويتكتلوا على من سواهم ، أى على أعداء الحق ، أصدقاء الظلم والعدوان .

فاذا لم توجد هذه الثلاثة فلا يمكن أن يوجد « حلف اسلامى » لأنها هى مقومات التحالف، وأركانه التى لا يقوم الا بها .

واذن فكيف يدعو فلان وفلان الى تحالف اسلامى وفى نفس الوقت نرى أنهما يرتميان فى أحضان اسرائيل عدوة العرب والمسلمين، التى اغتصبت حقوقهم وشردت أبناءهم ، والتى تعمل دائبة فى كل محيط دولى على الكيد لهم، وعلى مساندة الاستعمار فى كل مؤامراته وخططه ضدهم ؟

ألا ساء ما يحكمون !

الحلف الإسلامي استعماري قلبا وقالبا

فضيلة الشيخ حنفي عبد المتجلي

لا مماراة فى أن تدعيم بناء الوحدة الاسلامية مما يعتز به الاسلام ، ويعتبره من محاسنه ، وحسناته ، فقدعمل على توثيق أواصر الأخوة بين أفراده ، لتتكون منهم أمة متينة القواعد، مشدودة البنيان .

ولقد دعا الاسلام الى تلك الوحدة الجامعة ، دعوته الخالدة ، التى لم يسجل التاريخ دعوة تماثلها فى الأديان الأخرى ، ولا فى توجيهات المصلحين من زعماء الأمم ، وعلماء الاجتماع والأخلاق ، قال سبحانه : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » ، وقال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** » ، وقال نبى الوحدة الاسلامية عليه صلوات الله وسلامه : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » ، وقال : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى** » ..

وبهذه الوحدة الاسلامية التأم شتات المسلمين ، واتحدت كلمتهم ، وكانوا سادة الأمم ، وقادة الشعوب ، وجعلهم الاسلام لا يعرفون وراء الحق مذهبا ، ولا غاية ، وأذاب من بينهم الفوارق الجنسية ، واللونية ، واللغوية ، قال جل ذكره : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » وقال رسول الانسانية ـ صلى الله عليه وسلم : « **يا أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وقال بعض الشعراء :

الناس بالناس أشباه وأكفاء
أبوهم آدم والأم حواء
وان يكن لهمو فى جاههم حسب
يفاخرون به فالطين والماء

هذا ، وان شعار الوحدة الجامعة ، التى دعا اليها الاسلام ، هو الاعتصام بحبل الله ، أى بكتابه فلن تقوم للمسلمين قائمة ، ولن تنتظم لهم وحدة ، الا اذا كانوا متمسكين بكتاب الله، قائمين بتعاليمه ، قال صلى الله عليه وسلم :

« ان هذا القرآن هو حبـل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء الناجع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه » أما التخلف عن التمسك به ، والانحراف عن تعاليمه ، فليس من ورائه غير الفشل ، وذهاب الريح •

والحلف الاسلامى الذى ينادى به الآن بعض الناس ، فهو فى مدلوله - قبل أن يأخذ صبغة أخرى - لا يخرج عن اطار الدعوة الى الاعتصام بحبل الله ، أى التمسك بكتـابه ، واقامة تعاليمه ، لأن الحلف معناه العهد ، أما الأحلاف بمدلولها الاستعمارى لا تخرج عن كونها أداة استعمارية ، وان استترت وراء الشـعارات الكاذبة •

واذا كان ذلك كذلك فيجب أن يراعى أن الدعوة الى اقامته ، لتكون به وحدة جامعة ، لا تصدر الا من رجال الاسلام أنفسهم ، فهم حفظة تعاليمه ، وهم حملة شعلته ، وهم الهداة والدعاة ، الى الاعتصام بحبـل الله ، وأولئك هم العلماء الذين تقتضيهم رسالتهم ، أن يدعوا الناس الى ما فيه صلاح أمرهم ، واستقامة حياتهم ، دينا ودنيا ، فمن الخير والصالح العام للاسلام والمسلمين ، أن يترك لرجال الشريعة الاسلامية ما ليس لسواهم أن يؤدوه ، حفاظا لكيان الأمـور ، وتقديسـا لمجرياتها ، وليس صـوابا أن يعتـدى على رسالتهم ، ويقوم آخرون بما ليس فى نطاق اختصاصهم •

أما وقد خرج الحلف الاسلامى عن نطاق شعار الوحدة الاسلامية ، ويرمى الى أهداف ارتكزت على صد تيار القومية العربية فى كافة أنماطها ، التى تتصل بالحياة تفكيرا وارادة وأسلوبا ، فيجب أن يلقى مصرعه ، لينهـار نشاط الداعين اليه من عملاء الاستعمار، الذين اتخذوه سـتارا ، أو شـعارا للرجعيـة والاستعمار •

والذى يجب أن يراعى أن صاحب الجلالة شاه ايران ، هو الـذى أختير ليكون قائدا للرجعية والاستعمار ، فيخرج على المسلمين بمشروع هذا الحلف ، وينادى به ، وذلك لأن ايران أصبحت مستعمرة أمريكية صهيونية ، وأصبح بترولها الذى منحه الله اياها ليساير شعبها ركب الحضارة العالمية ، بعد أن تخلف عن ركبها أجيالا طويلة أصبح عائدا للامريكيين وعملائهم والمال الذى يدره البترول صار قاسما مشتركا بين الشركات الأمريكية ، صاحبـة الامتياز وبين الشاه ، ومن أجـل هذا اختاره الاستعمار ليكون محققا لرغباته وأهدافه •

ويجب أن يراعى أن اسرائيـل - وهى الدولة التى أنشأها الاستعمار ، لتكون شوكة فى جنب العرب ، تعمل على تمزيق وحدتهم ، وتقويض البنيان الذى أريد لهـم أن ينتظموا فيه متـكاملين ، نراها قد رحبت بمشروع الحلف الاسلامى أيما ترحيب ، وما رحبت به الا لأنه تهوين للقومية العربية ، التى تجمع العرب على الوحدة الشاملة ، التى لا تعرف الجنسية ، واللونية واللغوية •

وبعد : فلنحزم أمرنا ، ولنجمع كلمتنـا ، ولنعمل على محاربة الاستعمار وعملائه دائما ، فما حدث من ألاعيبه وحيله لا تغيب عن البال ، ولنستمع الى السيد بطل الحرية ، ورجـل العروبة ، الرئيس جمال عبد النـاصر فى قوله :

« لقد بدأت قوى الاستعمار والرجعية، داخل العالم العربى وخارجه ، هجوما جديدا ، لذلك يتحتم على جميع القوى التقدمية - داخـل العالم العربى وخارجه - أن تشد صفوفها ، وتدعم وحدتها، وتضاعف يقظتها ، حتى تصبح لها فعاليتها » ••

وان لتوجيهات السيد الرئيس الأثر العميق والمدى البعيد فى نفوس سامعيها ، وقارئيها ، وما ذلك الا لأنها جاءت فوضعت النقط فوق الحروف ، وأزالت عن الأعين الغشـاوة التى نسجها على الأعين سحب الاستعمار القاتمـة المضللة ، فأنارت الطريق ، ورسمت معالمه ، وأطاحت بالمؤامرة التى دبرها أعداء الاسلام للاسلام ، باسم الاسلام •

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

وصدق الله العظيم •

الحلف الإسلامي المزعوم خديعة استعمارية

الأستاذ الرفاعي الباز

ما أكثر الحيل التى يلجأ اليها الاستعمار . وما أجمل الالفاظ البراقة الخادعة التى يطلقها على حيله والاعيبه ليخدع الشعوب الاسلامية وليفرق وحدتها وليمزق شملها ، وانى له ذلك وهى أصلب وأقوى من الجبال الراسخة ، لانها تعتمد على الايمان بالله وبمبادىء الاسلام الاشتراكية . وتعتمد على القيم الروحية وعلى تجارب الماضى الذى كان الاستعمار فيه يبتكر أسماء جميلة فى ظاهرها منطوية على الغش والخداع وامتصاص الدماء ونهب الخيرات وقتل القيم واهدار الاخلاق .

والذى يعجب له المسلم أن الذى يقوم بالدعاية لهذا الحلف هو شاه ايران وربيب الاستعمار بورقيبة والاثنان لا يخفى على الشعوب الاسلامية ما يقومان به من العمل على هدم مبادىء الاسلام وهدم دعائمه وتفريق وحدة الشعوب العربية وطعن القومية العربية . كما لا يخفى على الشعوب الاسلامية ما بين ايران واسرائيل من علاقات واتصالات فاسرائيل هى التى تسيطر على شركات ايران وعلى صحافتها وعلى أغلب وسائل الاعلام فيها فهى تسيطر على عدة صحف أذكر منها على سبيل المثال صحيفة كبنهان وتصدر باللغة الانجليزية . وجريدة اطلاعات وجريدة ازانك وجريدة فاتدنيها . ومجلة الاخاء التى تصدر عن جريدة اطلاعات . أما بالنسبة لمحطة التليفزيون فانها تدار بواسطة صهيونى يدعى « ثابت باسيلى » بل وصلت قوة سيطرة اسرائيل على صحافة ايران أن الصحافة بدأت بتوزيع منشورات تدعو الى زيارة اسرائيل وتبادل الوفود الصحفية بين اسرائيل وايران كما أن ايران تعتبر محطة تجارية هامة بالنسبة لاسرائيل فاليها تصدر جميع البضائع ثم توزع بالتالى من ايران الى امارات الخليج .

اما ما يقوم به ابن الاستعمار ورائد التفرقة والاختلاف بورقيبة من الدعوة الى الصلح بين اسرائيل تلك الدويلة صنيعة الاستعمار والخنجر المسموم الذى يستعمله الاستعمار فى ظهر الأمة العربية . وما يقوم به من دعوة شعبه الى الافطار فى رمضان وانتهاك حرمة الصيام لان الصيام كما يدعى أو يخيل اليه فيه تعطيل للانتاج وانهاك للقوى وضعف للصحة . وهذا قليل من كثير مما يقوم به أذناب الاستعمار وعملائه من بلبلة للافكار وترويج للشائعات وحياكة للفتن والمؤامرات وتنفيذا حرفيا لما يمليه عليهم سادتهم وكبراؤهم وأولياء نعمتهم .

أفبعد هذا كله تقبل الشعوب المؤمنة الواعية المتطلعة الى وحدة عربية صميمة اسلامية اشتراكية من المحيط الى الخليج تقبل الانضمام الى ذلك الحلف المزعوم . بعد ان رفضته قبل ذلك حينما كان متقنعا تحت اسم حلف بغداد .

ان ذلك لم يتم ولن يتم حتى يلج الجمل فى سم الخياط ولن يلج .

ربما يقبل هذا الحلف رؤساء بعض الدول ممن ترتبط مصالحهم وتستند ظهورهم وعروشهم الى الاستعمار والصهيونية خوفا على عروشهم وحفظا عليها من الضياع على حساب شعوبهم واذا حصل ذلك فان النهاية معروفة لكل ذى عقل وان فى مصير عبد الكريم قاسم ونورى السعيد وكل خائن لوطنه لعبرة وعظة لأولى الالباب وليعلم هؤلاء الأذناب والعملاء ان الجمهورية العربية المتحدة فى مركز قيادى قوى يسمح لها بمقاومة جميع الاحلاف مهما تنوعت وتشكلت كما ان الاشتراكية العربية التى يرسى دعائمها الرئيس جمال عبد الناصر لا تخشى أى هجوم دينى لانها تقوم على أساس الايمان بالله وتقديس القيم الروحية كما نص على ذلك فى الدستور وأخيرا فليعلموا أن الشعوب العربية لن تنخدع بهذه الاساليب وانما هم يخدعون أنفسهم . كما يقول الله « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون »

خلف وليس حلفاً

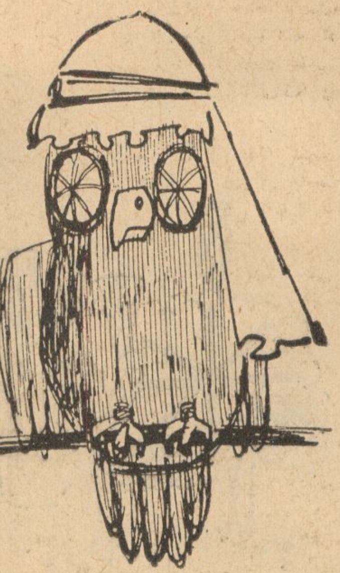

فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل

تطالعنا الانباء من هنا وهناك ، بان دعوة تنبعث من أحد ملوك العرب ، مبشرة بحلف اسلامى أو داعية الى مؤتمر اسلامى ، فما حقيقة هذه الدعوة ؟ وما هو هدفها المنشود ؟ أحقا يريدون جمع كلمة المسلمين ؟ أصدقا مايزعمونه من أنهم ينشدون وحدة الصفوف الاسلامية ؟ أم هو الكذب والنفاق ؟ أم هو التضليل والخداع ؟

وأى وحى ذلك الذى هبط فجأة على حفيد مسيلمة الكذاب ، فهب مرتحلا يجوب البلاد ، يبذر بذور الفتنة والتفرقة بين العرب والمسلمين .

ومن سخرية القدر أن يفترى على المسلمين باسم الاسلام .

ولعلنا لسنا فى حاجة الى أن نذكر الناس بأن هؤلاء الذين يفترون الكذب على الاسلام وهم يعلمون ، لسنا فى حاجة الى أن نذكر الناس بأنهم صنائع الاستعمار وعملاؤه وأن المسلمين والعرب قد نكبوا بهم يوم أن أقام لهم الاستعمار عروش الظلم والفساد ويوم أن تربعوا على تلك العروش الواهية جثموا على صدر الامة العربية ، وكتموا أنفاسها وحالوا بينها وبين نسيم الحرية . وكانوا حربا عوانا على العروبة والاسلام وارتموا فى أحضان حماة عرشهم من الانجليز والامريكان .

وان هذه النهضة العربية الاسلامية التى يحياها اليوم شرقنا العربى ، وهذه الوثبة الكبرى التى وثبتها العروبة منذ فجر الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ وتلك الهزات العنيفة التى زلزلت أركان الاستعمار . وهذا الحاضر المتحفز الذى نحياه وتخطيطنا لمستقبل عربى اسلامى سعيد للعرب والمسلمين - بفضل الله وجهاد المخلصين عزمهم ومجدهم . ان ذلك كله لن ينسينا ماضينا مع الاستعمار ومع أعوانه وعملائه الضالين المضللين . لقد قاسينا وما زلنا نقاسى نحن العرب والمسلمين من الاستعمار ومن أولئك العملاء ، الذين ان اخلصوا العمل يوما من الايام ، فانما اخلاصهم لسادتهم المستعمرين .

ان تاريخ هؤلاء الذين يزيفون ويكذبون ، وباسم الاسلام يخادعون ويضللون ، تاريخ يجلله الخزى والعار

واننا - عملا بالآية الكريمة - « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » - نعود بالقارىء الكريم الى مابعد الحرب العالمية الاولى لنرى ويرى معنا ابناء هذا الجيل ماذا حدث للامة العربية والاسلامية - على ايدى الاستعمار وأعوان الاستعمار .

لقد كان للعرب دولة واحدة ، حدودها من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى يقيم العربى فى جنباتها العريضة ماطابت له الاقامة ، ويرحل الى اى مكان فى أرضه العربية حيث يشاء . فهو اذا شرق او غرب مقيم فى ارضه ووطنه . فجاء الاستعمار ، وكافا العرب وجازاهم على نصرتهم له ومحاربتهم فى صفه حتى النصر أسوأ من جزاء « سنمار »

فرق الاستعمار شمل العرب ، واحتل ارضهم ، وفتت وحدتهم . وجعل من دولتنا العربية الكبرى دويلات صغيرة ، اصطنعوا لها عروشا وهمية ، واجلسوا فوقها نفرا من ابناء العرب الذين كفروا بعروبتهم يوم آمنوا بالاستعمار وركنوا اليه . والله تعالى يقول « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون » ولكن هؤلاء اصموا آذانهم عن قول الله وركنوا الى انجلترا وامريكا - والله تعالى يقول : « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من افواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » .

ولكن هؤلاء العملاء قد طمس الله على قلوبهم فهم لايفقهون الا ما تقوله لندن ولا يأبهون الا بما تشير به أمريكا

لقد مزق الاستعمار وحدة العرب ، واتخذ من هؤلاء العملاء اعوانا له يأمر فاذا هم نعم المجيبون ، ويشير فتراهم وبأسرع من الصوت الى واشنطن يحجون

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم يعطى الاستعمار الوعود ويوثق العهود ، ولكنه كدأبه مع العرب ناقض لعهده مخلف لوعده - اما الوعد الذى لايتخلف ، وأما العهد الذى لاينقض فذلكم هو

وعد بلفور - وذلكم هو عهده لليهود بان يقطعهم فلسطين .

ويهب الشعب العربي ينادي بعروبة فلسطين . ويعطى الله العرب سلاحا بتارا دونه ما عرفه الناس من اسلحة الفتك والدمار . اعطى الله العرب سلاح البترول .

ولكنه - والاسى يملأ القلوب - سلاح فى ايدى المنافقين العملاء .

انني لن انسى يوما من ايام فلسطين تجمع التحامنا فيه فى الازهر الشريف ، وكان ذلك قبيل التحامنـا باسرائيل فى حرب سنة ٤٨ ، وخرج الجمع الحاشد من الازهر فى مظاهرة عربية جامعة ، وكان الشباب ينادى « السلاح السلاح » ، وسارت المظاهرة حتى بلغ تجمعها الاكبر ميدان الاوبرا ، وكان الزعماء العرب وفيهم ممثل العربية السعودية ولا اذكر اكان سعودا ام فيصلا .

وما ان لمح المتظاهرون ، وهم الوف مؤلفة . ما ان لمحوا طلعة الامير السعودى بعباءته الفضفاضة ، وعقاله العربى ، وقد حسب المتظاهرون ان هذا الرداء العربى يرتديه امير عربى ، يعمل للعروبة والاسلام ، ويجاهد لوحدة العرب ، وعزة الاسلام ، ويكافح مع المكافحين لانقاذ العرب والاسلام من الجرثومة الصهيونية التى كانت تهدد فلسطين معتمدة على جبروت الاستعمار وخيانة عملائه الرجعيين فنادوا يومها « البترول - البترول »

لم يكن هتافا . بل كان هديرا . ولكن وكانى به وقد شق عنان السماء - لم يصل - وبكل اسف - الى مسمع الامير العربى ، فضلا عن ان يخالط شغاف قلبه . وظل العرب يدعون الى سلاح البترول ، ولكن القائمين على البترول كانوا كقوم نوح « جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا » خافوا على سادتهم الذين اقاموا عروشهم ، وفى سبيل حماية هذه العروش باعوا عروبتهم وتنكروا لشعوبهم واذلوهم وتاجروا باقوات العرب والمسلمين . بل بمصير العرب والمسلمين .

« اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لايرجعون »

وبايدى هؤلاء الذين يدعون - اليوم - الى ما يسمونه - زورا وبهتانا - بالحلف الاسلامى - ضاعت فلسطين ونكبنا نحن العرب والمسلمين بتشريد اهلنا وذوينا ، وبنى عروبتنا ، واخوتنا فى الدين والعروبة . واغتصب اليهود ارضنا وقتلوا نساءنا واطفالنا . ومازال السلاح فى ايدينا ، ولكننا عاجزون عن استعماله ، لانه فى ايدى قوم لايخشون احدا الا سادتهم الانجليز والامريكان .

ولكنهم وبجراة لا يحسدون عليها يغالطون ، بل ويخادعون ، ويزعمون انهم يدعون الى توحيد صفوف المسلمين فى حلف اسلامى .

ياعجبا كل العجب ، حلف اسلامى ؟ مع من ؟

مع شاه ايران حليف اسرائيل . الذى لايعرف من الاسلام شيئا ، وكانى به لايفقه حتى اسم الاسلام .

ان الذين عاشوا فترة من الزمن ابتليت فيها مصر بزيارة هذا الشاه يوم صاهر تلك الاسرة المخلوعة ، اسرة « فاروق » وكان اليوم يوم جمعة وتساءل الناس فى دهشة وعجب لماذا لايصلى جلالة الامبراطور . شاه ايران صلاة الجمعة مع نسيبه ؟

وتزداد دهشتهم حينما يقال لهم ان مذهب الشاه لايعترف بشىء اسمه « صلاة » فاى اسلام هذا الذى يزعمون انهم ينتسبون اليه ؟

نعم : مع من تريدون حلفا اسلاميا ؟

امع تركيا التى تنكرت للاسلام والمسلمين ، بل كانت نكبة على الاسلام والمسلمين يوم صارت خلافة المسلمين لآل عثمان . ثم تنكرت تركيا للاسلام وبجرة قلم الغته من دستورها كدين رسمى للدولة . واضطهدت علماء المسلمين وهدمت بيوت العبادة وخربت المساجد وحق عليها قول القرآن الكريم

« ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيهـا اسمه وسعى فى خرابها اولئك ماكان لهم ان يدخلوها الا خائفين ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

وحاربت تركيا لغة القرآن ، ولم يعد احد حتى من المسلمين منهم يعرف كيف يتلو كلمة من كتاب الاسلام القرآن الكريم .

وامست تركيا - بعد ان كانت حاضرة الاسلام - امست قطعة من اوروبا ، حياتها اوربية وتقاليدها غربية وهى كسابقتها ايران تقيم علاقات الصداقة والمودة بينها وبين اسرائيل .

ثم ياتى اليوم من ينادى بحلف مع ايران وتركيـا والحبيب بورقيبة وكلنا نعرف من هو الحبيب بورقيبة حلف مع هؤلاء واولئك حلف خداع وتضليل . يخدم الاستعمار ويستسلم للاستعمار وباسم ماذا ؟ باسم الاسلام

نفاق ورياء وخداع :

ونحن وان كنا قد ابتلينا بهؤلاء المخادعين . فمن قبل ابتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلافهم ينافقون ويخادعون ، ونزل فيهم قول الله تعالى :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

ايها المرتمون فى احضان الاستعمار : حتى متى تظلون هكذا سادرين فى غيكم متمادين فى خيانتكم ؟

ان الله حملكم امانة عظمى . ولكنكم نقضتم العهد وخنتم امانة الله

والله تعالى يقول :

« يايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون » تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم . الا وبترولنا بيننا دخيل او مستعمر ، ان تكون ارضنا لنا وبترولنا لتحرير اوطاننا .

انفضوا ايديكم من الاستعمار ، فتاريخ الاستعمار مع العرب والمسلمين اسود من الليل البهيم .

آمنوا بعروبتكم كما آمن بها اخوان لكم فى العروبة والاسلام

فهل من مستمع منكم لنداء العرب الاحرار والمخلصين الاطهار ؟ ام على قلوب اقفالها »

وصدق الله العظيم حيث يقول فى اسلاف لكم

« واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس . قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون ، واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين »

أحلف أم خلف ؟

الأستاذ محمود الدجوى

والليالى من الزمان حبــالى
مثقلات يلــدن كــل عجيبــة

وهل أعجب مما تلده الليالى فى هـــذه الايام ، وما تتمخض عنه بطونها المثقلة بكل عجيبة ؟

وهل هناك ماهو أغرب من هذا الذى نسمعه الآن ، يتردد صداه فى كل مكان وينعق به دعاة السوء فى كل ناحية ؟

وهل هان الاسلام الى هذا الحد حتى يستخدم سلاحا فى أيدى خصومه ، يفرقون به كلمة المسلمين ، ويتخذ منه الاستعمار ، اداة لضرب وحدتهم ، وتشتيت جماعتهم واشاعة الفرقة بينهم ، بوساطة نفر من الرجعيين الذين اتخذوا من الدين ستارا يخفون به نواياهم السيئة ، ومقاصدهم المغرضة ؟

ومنذ متى كان شاه ايران من الدعاة الى جمع الكلمة تحت لواء الاســلام ، ومنـذ متى تقمصته هـذه النعرة الدينية ، حتى يبكى ويتباكى على الاسلام ؟

شاه ايران الذى تنكر للمسلمين فى كل بلاد العرب حين اغتصبت اسرائيــل أرض العرب ، وشردت ملايين المسلمين ، فوقف الى جانب المعتدين ، واعترف بعصابتهم الزائفة ، ورحب بقيامها على ارض عربية اسلامية ، ومكن لها فى بلاده ، وربط مصالحه بمصالحهم ، رغم معارضة الشعب الايرانى المسلم ، ورغم احتجاج الملايين من ابنائه ، الذين اعلنوا سخطهم على موقفه هذا فى كل فرصة سانحة .

شاه ايران الذى ارتمى فى أحضان الغرب ، وربط مصيره بعجلة الغرب ، واستعداه على شعبه المسلم ، يضربه بسلاحهم ، ويقتله برصاصهم ، ويشرد شبابه المؤمن فى كل مكان ، ويمعن فى الطغيان ، ويحكم بالحديد والنار ، ويسند بحراب الغرب عرشا يهتز من تحته ، ويسدد هذه الحراب الى شعبه المسلم الذى ثار على حكمه الجائر الظالم .

هذا هو شاه ايران الداعية الاول الى ذلك المسخ المشوه الذى يدعوه افتياتا بالحلف الاسلامى ويتمسح فى دعوته اليه بكلمة الاسلام ، ليخدم بذلك الحلف سادته من المستعمرين والمستغلين والصهاينة ، فهو لايريد وجه الله فيما يدعو اليه ، وانما يريد وجه الشيطان ، ويريد أن يضرب الاسلام والمسلمين بهذا الحلف ، حتى يمكن لسادته من رقابهم ، ويعيد اليهم مافقدوه من نفوذ فى موطن الاسلام .

ولقد نقب شاه ايران وبحث عن اسناد يدعم بهم دعوته ، ويؤيد بهم مؤامراته ، فلم يجد من يناصره فى هذا الاثم ، ويؤازره فى هذا المنكر ، الا حفنة من الحكام الرجعيين ، الذين استغلوا شعوبهم ، وعبثوا بمقدرات أممهم ، واستبدوا بالحكم فى بلادهم ، فراحوا يتمسحون مع الشاه بهذه الدعوة الجديدة ، علها تستر أوزارهم وتخفى جرائمهم ، وتلهى شعوبهم عن التطلع الى الآفاق الجديدة التى تفتحت أمامهم ، بفضل الدعوات الحرة المؤمنة بمصير الشعوب .

فكل دعاة هذا الحلف الجديد من هذا الطراز ، حفنة من الطغاة المستبدين ، الذين هالتهم يقظة الشعوب ، واذهلتهم صحوة المحكومين من سباتهم ، وعصفت بعروشهم رياح الثورة التى تعتلج بها النفوس ، وتضطرم بها القلوب فى بلادهم ، فهم أعداء لكل جديد ، قد استمرءوا استغلال شعوبهم ، واستراحوا الى استنزاف موارد بلادهم ، فأمعنوا فى الطغيان ، ولجوا فى العتو والاستبداد ، فهم يخشون أن تجن فى أعقاب اليقظة ساعة الحساب ، فتحرمهم مما يرفلون فيه من ترف ، وماينعمون به من بذخ ، وما يتقلبون فيه من ثراء فاحش ، أفسد نفوسهم ، ونكب ضمائرهم

لو كان هؤلاء الدعاة يريدون بما يدعون اليه وجه الله حقا ، لنشروا العدل فى بلادهم ، وقضوا على الظلم بين شعوبهم ، ونشروا تعاليم الاسلام السمحة بين ربوعهم ، ورجعوا بهذا الدين الى ينابيعه الاولى من المساواة بين الافراد ، والشورى فى الحكومة ، والعدل بين الرعية ، والاخذ من الاغنياء للفقراء ، والقضاء على الفقر والجهل والمرض . ولكنهم كاذبون مخادعون ، يتلاعبون باسم الاسلام ، لتنفذ دعوتهم الى قلوب البسطاء ، ويتحايلون باسم الدين لتسرى دعاتهم بين الدهماء ، حتى اذا تحقق ماتوهموه وتخيلوه انكشف القناع عن حقيقة دعواهم ، وبان الزيف فى اخلاقهم ، واسفرت من خلفهم وجوه المستعمرين الكالحة ، التى اتخذت منهم دمى تحركها كما تشاء ، ومخالب تغرزها فى أجساد شعوبهم ، وتطبق بها على اعناقهم .

ولماذا لم تتكشف هذه الدعوة الا فى هذه الايام ؟ ان ابسط الناس ادراكا يعرف ماترمى اليه هذه الدعوة فى تلك الظروف ، فهؤلاء المستعمرون والصهاينة يخيفهم ويزعجهم أن تتحد كلمة العرب ، وتتوحد مشاعرهم ، فهذه الوحدة تهدد مصالح الغرب ، وتقض مضاجع الصهاينة ، وتدنى يوم الخلاص من كابوس هؤلاء الدخلاء الذين دنسوا أرض العرب ، وشردوا ملايين المسلمين ، والاستعمار بكل صوره وأشكاله يهمه ان تحيا ربيبته اسرائيل ، ويقوى ساعدها ، وتشتد قبضتها حتى تتوسع فى بلاد العرب على حساب الملايين المسلمة فى تلك البقاع ، وأن تشرد الملايين كما شردت اخوانهم من قبل ، فتبقى امة العرب جماعات من اللاجئين ، لايضمهم وطن ، ولا يميزهم كيان ، كما حدث لفلسطين المنكوبة . فهذا الحلف الذى يدور دعاته فى انحاء الوطن العربى يدعون اليه ، ويزينون شعاراته ، حلف مسموم ، يرمى الى الكيد لامة العرب ، ويهدف الى القضاء على الاسلام والعروبة ، ليظل هؤلاء الحكام فى غيهم وطغيانهم وجبروتهم .

ولكن الشعوب الاسلامية ستدرك بفطرتها السليمة ما يرمى اليه هؤلاء المغرضون ، وستعرف ان من ورائهم نوايا المستعمرين الخبيثة ، واغراضهم المدمرة ، وهم الذين طالما حاربوا هذا الدين فى مختلف العصور ، وسددوا سهامهم اليه على مر الدهور ، وستدرك الشعوب الاسلامية بفطرتها السليمة ان هذا الغرب الفاجر الماكر لايسند احلافا تبتغى صلاح الاسلام وقوته ، وتأييد الدين ودعوته ، بل هى تسند انصارها فى تلك المنطقة لتصل بهم الى اغراضها من تفريق كلمة العرب ، وتشتيت شملهم ، لتضرب بذلك الدين الاسلامى فى موطن الرسالات وتعيدها حربا صليبية من جديد بأيدى اعوانها من الرجعيين والصهاينة .

بقيت كلمة نسوقها الى هؤلاء العملاء والمأجورين .. نسوقها مخلصين لهم النصح ، راجين لهم الهداية .

هل أمرهم دينهم بان يتخذوا من أعدائه أولياء من دون الله ، وأن يستعينوا على ابناء ملتهم بمن يتربصون بهذا الدين الدوائر ؟

هل أمرهم دينهم بأن يعملوا على نشر الفرقة فى الجماعة الاسلامية ، وبث روح الخلاف بين صفوف المؤمنين ، بما يدعون اليه من اثم يتستر بستار الدين ، ويتخذ من اسمه شعارا ، ليبلبلوا خواطر المسلمين ، وتتفرق أهواؤهم ؟

هل أمرهم دينهم بأن يعوقوا الدعوة الى الخير والاصلاح والعدل والمعروف التى تنادى بها ثورة الشعوب فى هذه المنطقة ، وأن يوقفوا سير الزمن فلا يتحرك ، ويوثقوا الافلاك فلا تدور ، لانهم حريصون على امتيازاتهم التى توارثوها من يد الغرب ، ونالوها بفضل تأييده ؟

هل هذه دعوة الى السلام الذى يدعو اليه الاسلام ، او دعوة الى اللدد والخصومة والكيد والاحتراب ، حتى تتفكك أواصر الاسلام وتنحل عراه ، فيضرب بعد ذلك سادتهم الضربة التى يتحرقون اليها من اقدم الحقب ، ويزلزلون بها اركان هذا الدين ؟

اتقوا الله أيها العملاء فى دينكم وأوطانكم ، فما كان للاحلاف ان تشفى احقادكم ، او تذهب غيظ نفوسكم .. فكم قامت فى هذه المنطقة احلاف يسندها الاستعمار ثم انهارت أمام يقظة الشعوب وايمان الشعوب .

مطر ولا عشب

للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

مالا ريب فيه أن الدين القويم يخلع على دعاته لونا من الصدق تلمحه العيون لأول نظرة وتهتز له القلوب عند أول خطرة ولايكون ذلك الا اذا التزم الدعاة فى قرارة نفوسهم طريق الدين وأدوا ما أمرهم بأدائه من حقوق الله وحقوق العباد .

ومالا ريب فيه أن كل بهاء وحسن يرتديه الدعاة فيظهرون به للأبصار والقلوب انما هو منحة من الدين وعطية من عطاياه فهم الآخذون وهو المعطى وهم التبع وهو المتبوع فما لم تظهر على الدعاة يده التى أعطاها دون غيرها ومالم يرفل عليهم كساؤه الذى كساه دون غيره فان المتحدثين به والمتكلمين فيه يبدون فى غير حسن ويظهرون فى غير بهاء مهما لبسوا من الأسماء واتخذوا من الألقاب والأبهات .

ونعوذ بالله ان يكون زماننا الذى هتفت فيه الخدعة بالحلف الاسلامى قد وثبت اليه خدعة السنين ــ كما انذر رسول الله فى بعض أحاديثه ــ حيث أنذر بسنين خداعة تكثر فيها السحب وتنسكب الأمطار ولكنها تتجاوز الخصب الى ملوحة البحر وجفوة الرمل فلا يخضر العشب ولا ينبت الزرع لأن السحب لم تخيم الى على الجدب والأمطار لم تنهمر الا على الخراب واليباب .

ومعاذ الله ان تكون هذه السنين قد وفدت أو تكون مقدماتها قد سبقت وجاءت السحب الخداعة فى الوان من الأقوال تزرع الفتنة وتجر الخيبة ، ومعاذ الله أن يكون الزمن قد صار بالعرب وبالمسلمين جميعا الى جهل وظلمة لا يتبين فيهما الحق من الباطل واليقين من الزلل والفرور .

معاذ الله وايماننا لم يزل ثابت القواعد ويقيننا لم يزل راسى الأركان ومهما امتحننا الزمن واصابتنا الحوادث فان مخابل الخدع لا تجوز علينا وصور الأكاذيب لا تروق عيوننا ومهما تنكب بعض الولاة واضح السبيل ونقضوا وثائق الدين وداروا كما تدور الرياح

الهوج فى هرج واضطراب فان قلوب المسلمين والعرب آمنة من أن يضطرب بها قرار أويقلق بها حال .

ربما قال قائل ان هذا الكلام خاطرة من خاطرات الروح أو نزعة من نزعات الفلسفة واذن فلنذهب مع هؤلاء الى ما أنشأته التجارب وتواضعت عليه الأفهام والعقول وندلهم من هذا الطريق على انه ما من ضجة وصيحة واسراع والحاح وخبط وشماس الا وهى تدل على منكر قد تنازع أهله فعله وتسارعوا الى ورده فلا يستطيعون له الا مرافقة والتزاما.

ومن يرسل ببصره وسمعه وراء دعاة الحلف الاسلامى - وفى مقدمتهم شاه الاستعمار وحليف اسرائيل يراهم كالجند المذعور لا يسلك طريقا من السداد بل هو يثب بلا نظام ويسير بغير احكام . ومن عادة الجند الظافر أن لا يترك فى طريقه جيوبا تجهده وخلايا تنقض عليه فتحطمه .

ثم هم لايتعظون مما حدث للأحلاف التى سبقتهم وكانت فى بلادهم عوامل للتفريق والتمزيق وما زالت تدفعها نوايا السوء بالعرب والمسلمين حتى دارت عليهم هم فأبادتهم وأخلت الدنيا منهم .

وكان من الممكن - لو توفرت نية الخير - ان تتضافر الجهود على أن تتألف وحدة العرب ويقوى ائتلافهم وتشتد أواصرهم دون أن تبذل الجهود الى وحدات خيالية لا ينتج عنها الا الاكثار من المشاكل وتوسيع هوة الخلاف وهو ما يسعى له الاستعمار ويبغيه للعرب والمسلمين من الهلاك والدمار .

وكان من الخير - لو توفرت نية الخير- أن يلقى هؤلاء الدعاة بأنفسهم قبل كل الناس فى الوحدة العربية أو مساندتها بكل ما أوتوا من قوة لتحمى أرضهم ودينهم وتاريخ حضارتهم ومستقبل أيامهم .

ولا بد من أن يعلم هؤلاء أنه لم تنهض دعوة من ذاتها الا الدعوة للوحدة العربية ولم يكن فى زعماء المبادىء كزعمائها والدعاة لها ، فاذا داخلتها وحدة اخرى فلن يكون ذلك الا لتبديد الهمم وبعثرة القلوب .

وانه لنطق سقيم وفكر عقيم أن تنحرف الدعوة عن أصلها الذى قامت عليه والحق الذى قامت من أجله ولم يكن العرب الا البدن القوى الذى اختاره الروح الاسلامى لينبض فيه ويتحرك به ثم مضيا معا فى أرجاء الزمن ومدارج الحضارة لا يتعاديان ولا يفترقان .

ومن الفكر العقيم أن توأد مخلوقات سوية وتركب مكانها مسوخ عوجاء والانسان حينما ينادى للاستعانة والغوث انما ينادى الجار أو من هو قريب منه على مدى أمتار أما أن ينادى من بينه وبينه أميال فانما هو خيال لأنه ضرب من المحال .

وأى كفاح مرير ادخل أولئك الدعاة أنفسهم الى ميدانه ؟ والشباب العربى - بل والاسلامى أيضا - تستشرف نفسه للجهاد والاستشهاد والاقلام المنافحة والافكار الثائرة تشعل أنفاس الشباب وتؤجج نيرانهم وتضىء سبيلهم ، فلا وقوف ولا نكوص دون البلوغ الى غاية المجد والوصول الى أشرف الآمال ؟!

وأى مخايل من الكذب تبدو فى العيون وأمام القلوب من مخايل أيد تمتد الى الأبعداء قبل الأقرباء ، وصور من الخطايا الجامحة التى أفلتت أزمتها وانخلعت لجمها ، فباتت جديرة بأن توردأصحابها موارد الهلكة وترديهم فى وهدات الدمار ؟!

ان شباب العرب وشباب المسلمين لم يعودوا يستجيبون الا للكلمة الطيبة والدعوة الصادقة لأنها تلبس ثوبها وتصدر من مكانها أما الكلمة الخبيثة فحسبهم أنهم يرونها تتردد فى الأفواه وتتعثر على الشفاه .

وانحدار الدعوة القائمة - فى حيرة واضطراب - من حلف الى مؤتمر أو ارتفاعها من مؤتمر الى حلف فلن يدنيها الانحدار أو الارتفاع خطوة واحدة من طريق النجاح . والاجتماع على الموائد فى السر أو فى العلانية لن يؤثر فى نفوس الأمة العربية والاسلامية اثرا .

وما لم توزن الأمور بموازين التجارب وتحسب للحقائق أقدارها وللشعوب أمانيها فان هذه المنابر المهتزة لن تظل قائمة لتذيع لهم كلما أو تحمل لهم قدما .

حول ما يسمى بالحلف الإسلامي

صفاء الإسلام ونقاء خواصه الحقيقية ومستحدثات (اللافتات) والواجهات الأمامية

الأستاذ محمد الخضري عبد الحميد

مثلما يحدثنا التاريخ عن المعوقات فى شتي صورها ، والحواجز والعراقيل على تباين الوانها وتعدد أساليبها التى تحاول الوقوف حجر عثرة فى طريق كل رسالة نبيلة القصد كريمة ، أو خطة اصلاح خيرة قويمة ، أو حتى مشروع اجتماعى محدود يبغى الرفعة والارتقاء للمجموع .. تحدثنا (الاحداث) هذه الايام عن أخبار (الفحيح) الحاقد الذى تتردد اصداؤه الخافتة الهزيلة المرورة ، مستخفية مهتزة مذعورة ، تحاول ان يعلو (الهمس) ليصير صوتا محدد المعالم والابعاد .. وان يجد هذا الصوت : الصدى ، فضلا على : القبول ، والتحبيذ !

أصبحنا نسمع ترجيعات منكرة ، ونلمح آثارا كابية باهتة ، لتلك الهمسات التى يبعثها الحقد أول كل شيء ويحفزها ويضرم اوارها الحسد ليس أكثر .. فمنها ما قال باقامة (مؤتمر) .. ومنها ما قرر قيام (حلف) .. و .. الستار المستعار للتمويه والتضليل كلمة من أقدس الكلمات عند القلوب والعقول ، تضاف كـ : (صفة) أو (واجهة امامية) تخفى وراءها حقيقة المضمون .. كلمة : (اسلامى)

لكأن أولئك الداعين الى ذلك (الشيء المريب) يعتقدون انه بمجرد الصاق (الصفة) السامية الجليلة - احتيالا وبهتانا - بمؤتمرهم ذاك أو (حلفهم) .. فان الامر سيغدو مقبولا .. وان (شيئهم المريب) الذى يدعون اليه سيجد لدى الاذان والأفئدة سمعا وتصديقا !

والاسلام العظيم ذاته ، وهو دين البشرية الخالد الأسمى ، لم يخل طريقه من أمثال هاتيك الافتراءات والتعلات التى تجاهد عبثا فى الاستناد به والتستر باسمه ، وكلها بحمد الله وفضله امحت وتمحي .. وتتقشع سراعا .. ونور الاسلام باق ، ومعدنه النفيس باهر متألق الى يوم الدين

كما أن نبى الهدى نفسه ، (محمد) صلوات الله وسلامه عليه ، لم يسلم من ايذاء الخادعين المتاونين الذين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم .. ولكنه يسمو بخلقه العظيم ، وينجو من شرور أولئك المفسدين الضالين الذين يبيعون ضمائرهم ويختانون أنفسهم ..

قال الله تعالى فى كتابه المكنون - سورة النساء - : « ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، أن الله لايحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، وهو معهم ، اذ يبيتون ما لا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطا .) - صدق الله العظيم . (الأختيان : الذى هو مصدر (يختانون أنفسهم ، يعرفه الاصفهانى فى مفرداته بانه : تحرك شهوة الانسان لتحرى الخيانة ، وتحرك الشهوة لتحرى الخيانة قصد اليها وتعمد لها وعمل على احكامها والنفاق باب واحد ، موضعها من النفس واحد .. ومعنى قوله تعالي (الذين يختانون أنفسهم) : الذين يقصدون خيانة أنفسهم ، ويتحرونها ، ويحكمون اخفاء المستور من جرائمهم ، وأضيفت الخيانة للنفس لان الذين يصنعون ذلك انما يحدثون فى الامة ذعرا عاما ، يعود ضرره على الجماعة ، ويعود عليهم أنفسهم »

فليس - اذن - أشد ضررا ، وأكبر شرا ، من صنف من الناس تلك طبيعتهم .. طبيعة اختيان النفس والناس ابتغاء مقصد ذاتى ، أو مغنم شخصى ، أو مجد مؤقت صغير (محلى) !

ومن ثم فقد وجب علينا نحن أمة العرب والاسلام أن نحذر ما يبيت لنا من نيات ملتوية ، ومقاصد غير مستقيمة ولا واضحة ، حتى وان كانت (الواجهة الامامية) التى يضعونها عنوانا لما يدعون اليه - من ورائها - اسم : (الاسلام) ..

فالاسلام لم يك يوما منذ أشرق نوره علي العالم الا : دين الصفاء ، والنقاء ، والوضوح .. دين الدعوة السامية الى كل ما من شانه التاليف بين القلوب ، ونشر النور الهادى على معالم طريق الاوفياء ، الاصلاء غير الدخلاء ، المؤمنين بخير الامة وعزها ..

ولقد انهارت على الفور ركائز (الشيء المريب) الذى دعو اليه اثر اقامتها .. ففطنت أمة العرب الى خديعة الصاق (اللافتة) ، عنوة واعتباطا ، بموضوع دنيوى سياسى ، نائى النسب ، لا صلة له بالدين ، ولا سيما الدين الأسمى ، دين الاسلام كاشف كل شائبة - مهما استدق جرمها ! - تجرؤ علي أن تتطاول ، فتحاول التمسح فيه أو الالتصاق به !

عن كتاب أعلام الموقعين لابن القيم أن رجلا سأل نبى الاسلام (محمد) عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقال

خواطر وذكريات ... ... الاستاذ عبدالرحيم فوده ١٤٩
الامن فى الاسلام ... ... فضيلة الشيخ محمد كامل الفقى ... ١٥٠
من مبادىء المجتمع المثالى ... ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ١٥٣
عظمة الرسول ... ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ١٥٦
عيد الاضحى ... ... الاستاذ أبو بكر ذكرى ١٥٨
الاعياد فيض العواطف السامية ... ... الاستاذ أبو الوفا المراغى ١٦١
مع اقتصاديات عمر ... ... الاستاذ صلاح عزام ١٦٣
اسد بن الفرات ... ... فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق ١٦٤
فى البيت العتيق ... ... الاستاذ محمد أمين هلال ١٦٦
من وحى ذى الحجة ... ... فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل ... ١٦٨
السيد عبد الرحيم القنائى ... ... السيد : عبد السلام الشاذلى القوصى ١٧١
« بقية معالم فى الطريق » ١٧٥
حلف ضرار وحيلة استعمار ... ... لفضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر ١٩٦
الا ساء مايحكمون ... ... فضيلة الشيخ محمد المدنى ١٩٨
الحلف الاسلامى الاستعمارى قلبا وقالبا ... فضيلة الشيخ حنفى عبد المتجلى ... ١٩٩
الحلف الاسلامى المزعوم ... ... الاستاذ الرفاعى الباز ٢٠١
حلف وليس حلفا ... ... فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل ... ٢٠٢
أحلف هو ام خلف ... ... الاستاذ محمود الهجرسى ٢٠٤
مطر ولا عشب ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٢٠٦
حول ما يسمى بالحلف الاسلامى ... ... الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد ... ٢٠٨
حول الحلف الاسلامى ... ... فضيلة الاستاذ أحمد الشرباصى ٢١٠
الحلف الاسلامى ... ... الدكتور أحمد شلبى ٢١٤
الحلف الاسلامى الوئيد ... ... فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه ٢١٦
الحلف الاسلامى ... ... الاستاذ محمد فتحى محمود ٢١٨
وضوح شخصية الفنان ... ... الدكتور حسن الباشا ٢٢١
الحلف المزعوم « شعر » ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ٢٢٥
ورضيت لكم الاسلام دينا « شعر » ... ... الشاعر محمود جبر ٢٢٦
قصة العدد ... ... الاستاذ حسين القبانى ٢٢٨
الشعر الدينى ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٢٢٣
وحدة القوى الثورية فى الجنوب العربى ... الاستاذ احسان بكر ٢٣٦
ندوة الشهر ... ... اعداد عبد الرحمن الشربينى ٢٣٨
باب الرياضة وحديث مع « الشيخ » طه اسماعيل ... ... اعداد ناصف سليم ٢٤٠
ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ٢٤٣
باب العلم ... ... الدكتور جمال الدين الفندى ٢٥٣
أضواء على المسلمين فى العالم ... ... اعداد رياض خليفة ٢٥٦
عادات وتقاليد الدول الاسلامية ... ... تحقيق من اعداد : عفاف خليل ومصطفى زاهر ٢٦٠
العالم الاسلامى فى شهر ... ... الاستاذ محمود الكوالى ٢٦٤
المسلمون والسلوك الامثل فى العيد ... ... تحقيق اعداد عبد الودود محمد طه وعبد القادر محمد فيوض ٢٦٦
المسجد النبوى بالمدينة ... ... الاستاذ عبد الرحمن عبدالتواب ٢٧٠
المراة المسلمة ... ... اعداد نجاة الزنيرى ٢٧٢
السيدة فاطمة النبوية ... ... اعداد عائشة حسنى ٢٧٦
انت تسال والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر ... ٢٧٧
مع القراء ... ... اعداد فؤاد هيبة ٢٨١
بريد التعارف ٢٨٢

أقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ٣

خطاب السيد زكريا محيى الدين فى مجلس الامة ٧

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ١١

الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ١٥

ليلتان سعيدتان ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ٢٠

يوم عرفة ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٢٤

مظاهر العدل الالهى ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٣٠

عود على بدء ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٣٢

خواطر مستشار ... ... المستشار على على منصور ٣٦

فى اتجاه البيت العتيق ... ... المستشار محمد رجب ٤٠

بحث فى القومية ... ... الاستاذ محمود كمال ٤٣

جريمة الحرابة فى الاسلام ... ... المستشار أحمد موافى ٤٦

الدعوة روح الفكرة ... ... الاستاذ عبد السميع البطل ٤٩

تربية النفس ... ... الاستاذ منصور نسيم ٥٣

الكسب المشروع ... ... فضيلة الشيخ محمد الشرقاوى ٥٤

أضواء على التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ٥٦

مكانة الحج بين العبادات ... ... الاستاذ محمود على أحمد ٥٨

رحلاتى فى الاسلام ... ... الشيخ محمود الحصرى ٦١

من شعائر الحج ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٦٥

القتال فى الاسلام ... ... فضيلة الشيخ محمد انيس عبادة ... ٧٠

عيد الاضحى المبارك ... ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ٧٢

سياسة الهدم فى التاريخ الاسلامى ... ... الدكتور ابراهيم شعوط ٧٥

شعر البطولات ... ... الاستاذ على الجمبلاطى ٧٨

دعوة الميثاق الوطنى ... ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ٨١

الاسلام يربى المصلحين ... ... فضيلة الشيخ السيد عبدالرحمن ... ٨٣

من هو الذبيح ؟ ... ... الاستاذ محمد السباعى ٨٦

من وحى البيت العتيق ... ... الاستاذ عطية صقر ٨٩

حياة المقر الشهابى ... ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ٩٢

وحى العيد الاكبر ... ... فضيلة الشيخ عبد الرحيم البلينى ... ٩٦

الاسلام بين العقل والنقل ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ١٠١

الى البيت العتيق ... ... فضيلة الشيخ محمد أبو شهبة ١٠٣

شاعر البرادى وشعره ... ... الاستاذ محمد عبد العزيز حسن ١٠٦

ابو لبابة الانصارى ... ... فضيلة الشيخ أحمد البسيونى ١٠٩

حديث مع سفير ماليزيا فى القاهرة ١١٢

موقف الاسلام من تنظيم النسل ... ... فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ١١٥

التطور الاقتصادى ... ... الدكتور أحمد شلبى ١١٧

اول امير للحج فى الاسلام ... ... فضيلة الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب ١١٩

التفسير العلمى للقرآن ... ... فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى ... ١٢٢

سليمان مع الهدهد ... ... الاستاذ بهاء الدين القبانى ١٢٦

التكافل الاجتماعى فى الاسلام ... ... الدكتور محمد سلام مدكور ١٢٩

فى حج بيت الله ... ... الاستاذ حسن الشيخة ١٣٣

الاسلام دين بناء وبقاء ... ... الاستاذ محمد حافظ سليمان ١٣٥

عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ١٣٧

التنظيم الادارى ... ... الاستاذ عبد العال شعيب ١٣٩

الحج ... ... الاستاذ سليمان الحكيم ١٤١

شاعرات اسلاميات ... ... الشاعرة روحية القلينى ١٤٣

اعتراف الاجانب ... ... سماحة الاستاذ مبشر الطرازى ١٤٥

بريد التعارف

الاسم : سعد ضياء الحسنى
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : قراءة الكتب الاسلامية ومراسلة الشباب المسلم – وتعليم اللغة الالمانية بالمراسلة
العنوان : جامعة بغداد – معهد اللغات العالى القسم الالمانى ٠

الاسم : رءوف فؤاد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٨ سنة
المهنة : مدرس ومقرر هواة الطوابع والمراسلة الدولية
الهواية : جمع طوابع البريد والمراسلة والرحلات
العنوان : ٢ شارع جبارس ١٣ مصر الجديدة القاهرة

الاسم : احمد البنفالى الطاهرى
البلد : المغرب
السن : ٢٠ سنة
المهنة : معلم
الهواية : المراسلة – تبادل الصور الطبيعية قراءة الكتب
العنوان : الدار البيضاء – عين الشق – درب انحيزرنقة
141 No -43 -A

الاسم : أسامة صالح يوسف
البلد : الاردن
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع والصور والمراسلة
العنوان : الاردن – رام الله شعبه بريد سلواد

الاسم : سالم صالح بامنيف
البلد : أثيوبيا
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بالمدرسة الانجليزية
الهواية : المراسلة – والاطلاع
العنوان : أديس أبابا – اثيوبيا ص٠ب٧٥٦

الاسم : نادر شيخ الشباب
البلد : الجمهورية السورية
السن : ٢٤ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع ومراسلة الشباب المؤمن
العنوان : دمشق – مزة حارة الشيخ الطيب رقم ١٠

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان الجانب الاجتماعى لفريضة الحج يواكب فى عظمته جانبها الروحى ، فمن دروس عملية فى المساواة والتعاون ، وعظات بالغــة فى التضحية والعدالة الاجتماعية ، الى تطبيــق واع لمبادىء المجاهدة والصبر تأكيدا للاخلاص الحق النابع من التوبة النصوح ، والممارسة الايجابية للحرية المشرقة فى كنف العبودية المطلقة لله .. وفى كلا الجانبين يكمن الخير كل الخير للانسانية، فحجيج بيت الله يعيشون فى رحلتهم المقدسة الحياة الصادقة المؤمنة، الآمنة الراضية مترسمين مسلك سلفهــم الصالح .. فاذا هم رسل عدل وحرية ودعاة اصــلاح واشــتراكية ، وعلى قدر معــاناتهم للحقائق ، يكمل دينهم ، ويغمر نور الاسلام قلوبهم ، ويكون عيدهم أكبر ، والمجلة اذ تهنىء الامة الاسلامية بعيدها الاكبر تهيب بالمسلمين أن يحرصوا على مقاومة كل مارق او دخيــل يهدف الى نقض مقوماتنا القومية، التى جعل الله لنا قياما ..

مهد النبوة .. قبلة الاحرار

السيد/صفوت عبد اللا ـ دماص دقهلية :

فى قصيدة بعنوان ((بشائر العودة)) يسطر لنا انطباعات أصيلة نابعة من وجدان صادق أثاره جلال ((يوم عرفة)) يوم الخـلاص من علائق الدنيا فى رحاب المسجد الحرام ((قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام))

يا رب تلك الذكريات تثيره
ماذا يقول ولم يزل يهـواك ؟
آلام عمـــار وآهــة ياسر
الله جل . علا . على الاشراك
بوركت مدرســة الفداء أبية
تثبين مجهـدة عـلى الاشـواك
يا قبلتى الله جـــل جلالـه
فى محكم التنزيل قد أعـلاك
للمسجد الاقصى هنـالك موعد
تلقين فيه ((جمال)) بل يلقاك

منهج العقاد .. ديمقراطى اشتراكى

السيد/محمد ماجد محمد عبد الفتاح ـ بنى سويف :

حقا يا اخى .. ان مؤلفات العقاد هى قبلة الادباء والعلماء وكعبة المفسرين والمؤرخين ، ومنتدى الشـعراء والنقاد ، وكانت لمواقف العقاد الخالدة فى ميدانى السياسة والصحافة صدى عميقا فى منهجه الاجتماعى الذى عبر عنه فى مجموعته ((مطالعات فى الكتب والحياة)) مناديا بضرورة تمتع المجتمع بالحرية الاصيلة، وفى مجموعته ((ساعات بين الكتب)) مبرزا عمق تصورنا للحريه ، ومؤكدا صدق ما ذهب اليه بالادلة القاطعة التى ساقها فى كتـــابه الديمقراطية فى الاسلام)) كما سجل العقاد آراءه الاشتراكية فى كتابه ((خلاصــة اليومية)) مستنكرا حكم الطبقة، وداعيا الى قيام مجتمع العدالة الاجتماعية فى كتابه ((الفلسفة القرآنية)) **مبرهنا بالنص القرآنى على كـون الاشتراكية بدعامتيها الكفاية والعدل حتميـة تاريخية يفرضها الواقع والآمال العريضة التى منها انبثقت ثورتنا المباركة لتطيــح بالملكية الفاسدة والاحزاب المتكالبة ولتقضى على الاقطاع والاستغلال ولتنهى عهد مجتمع النصف فى المائة ، ولتشيد صرح مجتمع المائة فى المائة مجتمع الحرية والاشتراكية والوحـدة .. وهنا يكبر العقاد مباركا هذه الوثبة التاريخية ومؤرخا لها فى قصيدته ((عيد النيروز)) :**

اهلا بنيروز وليـد	أهلا بميـلاد سعيد
يوم جديد قلت ، بل	عهـد على مصر جديد
عهـد تصان كرامة	فيـه وتتبعها جهود

سعادة الانسان .. تقوى وايمان

السيد/محمد المحمدى ابو جميل ـ المحلة الكبرى :

ينظم لنا فى قصيدته ((عبـاد الرحمن)) سبل السعادة الحقة فى الدارين قائلا :

ايهـا الطـالبون عزا وسعدا
فى الحياتين احسنوا الاسلاما
واعملوا بالكتاب فى كل شـأن
من شئون الكتاب تغدوا كراما
وانعتــوا ذاتكم بأكرم وصـف
لعباد الرحمن تعـلوا مقاما

الخلفاء الراشدون .. مقررات دراسية

السيد/عز الدين خورشيد ـ طالب ثانوى:

سبق للمجلة يا اخى ـ ان تناولت تاريخ الخلفاء الراشدين فى دراسة تحليلية شيقة يمكنك الرجوع اليها .

صهيونية فقد تؤثر على عقيدته وعروبته بما لطائفة الصهيونيين من اساليب المكر والخيانة.

ولا يجوز للمسلم ان يتزوج مشركة وهى من ليست من اهل الكتاب قال تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم » كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير مسلم ولو كان مسيحيا أو يهوديا ، فان فعلت فزواجها باطل ومعاشرتها لهذا الزوج معاشرة محرمة وغير مشروعة .

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار ، والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » .

ولما كانت الولاية فى البيت للزوج وهو القوام على زوجته ويخشى على عقيدتها أن تتأثر بعقيدته فقد منع الله زواج المسلمة بغير المسلم قال تعالى «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

سؤال ١٠

من السيد/ا. د. م - ش.ح سوهاج :

قامت مشاجرة بين والدتى وحرمى وتدخلت لفض النزاع فلم استطع فنبهت على زوجتى بالامتناع على الكلام مع والدتى فلم تقبل زوجتى النصح والارشاد فاقسمت اليمين الآتى :

على الطلاق بالثلاثة من اربع مذاهب لتكونى حارمة على مثل أمى واختى ولم لك ردة على أى مذهب . فما حكم الشرع فى هذا اليمين ؟

الجواب

تطبيقا للقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعمول به فى محاكم الاحوال الشخصية يكون هذا الطلاق واحدا رجعيا ما لم يكن مسبوقا بطلقتين ، فيجوز للسائل ان يرجع زوجته ولو بدون علمها ما دامت فى العدة فاذا انقضت العدة ولم يراجعها بانت منه بينونة صغرى لا تحل له الا بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها - اما اذا كان مسبوقا بطلقتين فانه يكون طلاقا مكملا للثلاث وحينئذ فقد بانت منه زوجته بينونة كبرى فلا تحل له الا بعد ان تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا ويعاشرها كما يعاشر الزوج زوجته ثم يموت عنها أو تطلق منه وتنقضى عدتها وبعدئذ يحل زواجها من الاول قال تعالى :

« الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان .. الى ان قال سبحانه : فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لمن تزوجت بعد طلاقها ثلاثا وارادت العودة الى زوجها الاول قبل الدخول لا : حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك .

والله اعلم .

السؤال ١١

من ابراهيم محمد سلطان - زراعة عين شمس :

ما رأى سيادتكم فى حكم من رضع على ابنة عمه رضعة واحدة فى حالة ولادته مباشرة وتزوجت ابنة عمه التى رضع عليها بغيره ، ويريد الزواج من الاخت التى بعدها .

نرجو توضيح هذه المسالة على ضوء من هدى القرآن والسنة .

الجواب

يرى الامام ابو حنيفة ثبوت التحريم بالارضاع ولو مرة واحدة ، وعلى هذا الرأى لا يجوز لمن رضع من عمته ان يتزوج اية واحدة من بناتها سواء من رضع معها ومن لم يرضع معها لان عمته اصبحت امه من الرضاع وبناتها جميعهن اصبحن اخوات لمن رضع منها ، والاخت من الرضاع تحرم كما تحرم الاخت من النسب لقوله تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم » الى ان قال « وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة » .

ويقول صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

ويرى الامام الشافعى عدم ثبوت التحريم فى مثل هذه الحالة لان الرضاع المحرم عنده ما كان خمس رضعات متفرقات وهو رواية عن الامام احمد .. وهو ما نختاره ونفتى به.

والله أعلم .

الجواب

في مثل هذه الحالة اذا نسى الامام وسلم بعد التشهد الاول فى الصلاة الثلاثية كالمغرب او الرباعية كالظهر والعصر والعشاء فعلى المأمومين الا يتابعوه فى السلام بل عليهم ان يذكروه بمثل قولهم « سبحان الله » فان عاد الى الصلاة وقام مكبرا للركعة الثالثة تابعوه وعلى الامام ان يسجد للسهو فى آخر الصلاة ويتابعه المأمومون وتصح صلاته وصلاتهم .

اما اذا لم يعد الامام الى الصلاة بعد خروجه منها فقد بطلت فرضيتها وصارت نفلا وعلى المأمومين ان يخرجوا من صلاتهم هذه بالسلام بعد التشهد الاول لان صلاتهم اخذت حكم صلاة الامام وعليهم جميعا ان يعيدوا صلاتهم مع الامام او بدونه .

والله اعلم .

سؤال ٨

من الطالب عبد الوهاب مهدى ابو زيد ـ معهد دمنهور الدينى :

يقول السائل : ان رجلا سأله هذا السؤال :

بنتى ولدت ولدا ومن كثرة لبنها حلبت منه جزءا فى اناء فجاءت اختى وشربت من هذا اللبن الذى فى الاناء . فهل تحل بنت اختى هذه لابنى أم لا ؟.

الجواب

اذا كان شرب الاخت للبن من الاناء قد استوفى شروط الارضاع المحرم من حيث الزمن والمقدار بأن كان ذلك فى زمن الارضاع المحرم وهو ما كان قبل تمام الحولين للرضيع وكان الرضاع او الشرب لا يقل عن خمس مرات متفرقات وهو ما اخترناه للفتوى وهو مذهب الامام الشافعى ، وظاهر مذهب الامام احمد بن حنبل فان التحريم ثابت بين الابن وبنت اخت السائل لانها صارت بنت اخت الابن رضاعا فتحرم عليه كما تحرم بنت الاخت نسبا ـ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » .

ولا فرق بين الشرب من الاناء وبين التناول من الثدى لتحقق سبب التحريم بالشرب وهو انبات اللحم وانشاز العظم لما رواه ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا رضاع الا ما انشز العظم وانبت اللحم » وحديث ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء » اخرجه الترمذى وصححه ـ قال الامام الصنعانى فى كتابه « سبل السلام الجزء الثالث بعد ان اورد حديث ام سلمة : واستدل به على ان التغذى بلبن المرضعة محرم سواء كان شربا او وجورا او سعوطا او حقنة حيث كان يسد جوع الطفل وهو قول الجمهور ، وقالت السهادوية والحنفية لا تحرم الحقنة لانها عندهم لا تدخل تحت اسم الارضاع .

هذا وان التحريم بالارضاع عند الحنفية والمالكية ثابت ولو برضعة واحدة وقد ارتضينا مذهب الشافعى وافتينا به كما ذكرنا .

والله اعلم .

سؤال ٩

من مسلمى شمال افريقيا ـ يسالون عن :

زواج المسلم بالمسيحية دون ان تضطرها الظروف للاسلام ؟

وما هى الظروف التى يمكن للمسلم فيها ان يتزوج يهودية ؟

الجواب

زواج المسلم بالكتابية سواء أكانت يهودية ام مسيحية جائز اذا استوفى شروط عقد الزواج بأن كان بايجاب من أحد الطرفين وقبول من الطرف الآخر امام شاهدين على الصداق الذى يرتضيانه . قال تعالى فى سورة المائدة الآية الخامسة :

« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ، ولا متخذى اخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

غير اننا نرى قبل ان يتزوج المسلم يهودية ان يتحرى عنها فان وجدها يهودية صهيونية فالواجب عليه الا يتزوجها لانها تنتمى لطائفة اساءت الى العرب والاسلام باغتصاب جزء عزيز من ارض العرب ولانه لو تزوجها وهى

تعالى « انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ، « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » ، والكسب الذى يحصل عليه بعض الناس من ورق اليانصيب مال خبيث وهو اكل لاموال الناس بالباطل ، والله تعالى يقول « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

سؤال ٤

ذهب رجل الى الحج فتوفى هناك وتسلم نقوده التى كانت معه أحد زملائه لاجل توصيلها الى ورثته ، ولكنه اشترى بها حاجيات لنفسه وعند رجوعه الى بلدته أراد أن يسلم النقود الى ابن المرحوم فرفض وقال له « اريد اقتسام السلعة التى اشتريتها » ما حكم الشرع فى هذا التقسيم ؟

الجواب

اذا اتفق الطرفان على اقتسام السلعة بينهما فلا مانع من ذلك . أما اذا لم يتراضيا فليس لابن المتوفى الا النقود التى سلمها أبوه لزميله فى الحج . وذلك لان هذه النقود وديعة والمودع امين عليها وهو بشراء سلعة بها قد بددها فتنقلب يده من يد أمين الى يد غاصب ، والغاصب ضامن ، وحينئذ فقد اصبحت هذه النقود حقا فى ذمته يؤديه لورثة المتوفى ، والنقود لاتتعين بالتعيين ، ولذلك كان الواجب عليه شرعا دفع مثل ما أخذ من نقود المتوفى .

والله اعلم .

سؤال ٥

اختلفت الناس فى انفاق الاب على أبنائه . فقال بعضهم ينفق الاب على اولاده حتى سن البلوغ ولا يكون ملزما بالانفاق عليهم بعد هذه السن ، وقال آخرون غير هذا ، فما الحكم فى هذه المسالة بالتفصيل ؟؟ .

الجواب

تجب النفقة على الاب لطفله الفقير ذكرا أو انثى ، وكذا تجب عليه لولده الكبير العاجز عن الكسب ، كطالب العلم ، والانثى حتى تتزوج ، فلو كان لها كسب فلا تجب نفقتها على ابيها ، والمريض مرضا مزمنا ، قال ابن عابدين فى حاشيته « رد المحتار على الدر المختار » الجزء الثانى والمراد هنا من به ما يمنعه عن الكسب كعمى وشلل ، ولو قدر على اكتساب ما لا يكفيه ، فعلى ابيه تكميل الكفاية .

والله أعلم .

سؤال ٦

من السيد/محمد فهمى احمد ـ عضو الاتحاد الاشتراكى بشركة النصر للغزل والنسيج بالاسكندرية .

ما حكم صلاة الامام ورأسه عارية ؟ لان عرى الرأس اصبح متفشيا حتى بين الائمة . نرجو رأى فضيلتكم ؟ .

الجواب

من شروط صحة الصلاة ستر العورة ورأس الرجل ليس بعورة باجماع العلماء . فمن صلى عارى الرأس فصلاته صحيحة الا انه يندب له ستر رأسه وعلى الاخص اذا كان اماما لان ذلك أدعى الى الوقار وحسن الادب امام الله سبحانه . والعبد وهو يقف بين يدى الله يجمل به ليحسن صلاته ان يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله سبحانه يراه .

ولذلك يقول السادة الحنفية : ان الصلاة عارى الرأس مكروهة الا ان يكون قد قصد من تعرية رأسه المبالغة فى الخشوع والخضوع لله سبحانه وتعالى .

والله أعلم .

سؤال ٧

من السيد/عبد الحميد محمد الخضيرى مدرس بمدرسة بنى عياض المشتركة ب «ابو كبير شرقية» :

أريد أن اعرف رأى فضيلتكم فى صحة هذه الصلاة »

اقتدينا فى صلاة المغرب بشيخ عجوز ، وبعد الاعتدال فى الركعة الثانية رفع يديه الى السماء واخذ يدعو بالدعاء الذى نتوجه به الى المولى عز وجل فى صلاة الصبح ، فذكرناه ، ولكننا اتبعناه ، وبعد ان جلس لقراءة التشهد بعد الركعة الثانية سلم وخرج من الصلاة . فماذا كان يجب علينا ان نفعله ؟؟ .

انت تسأل والمفتي يجيب

فضيلة الامام الأكبر : الشيخ حسن مأمون

سؤال ١

من السيد حافظ عبد الله محمود ـ طالب بالازهر من اليونان :

تتردد على ألسنة المسلمين فى اليونان الاسئلة الآتية :

هل يصح اعطاء الزكاة المفروضة لبناء المساجد او اصلاحها ؟ وما الحكم الشرعى عند الاحناف فى هذه المسألة ؟ وهل يوجد خلاف بين الائمة ؟ .

الجواب

لا يجوز عند الائمة الاربعة صرف الزكاة لبناء المساجد لانعدام التمليك الذى هو ركن الزكاة ، وقد ذهب بعض الفقهاء الى جواز صرف الزكاة لبناء المساجد ونحوه من وجوه البر التى ليس فيها تمليك استدلالا بعموم قوله تعالى « وفى سبيل الله » من آية انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية ـ وفى سبيل الله هو طريق الخير على العموم فيدخل فيه جميع القرب ، وقد نقل هذا الرأى القفال فى تفسيره عن بعض الفقهاء كما نقله المغنى لابن قدامه عن أنس والحسن وارتضاه صاحب كتاب الروض النضير ـ وعلى الرأى الاخير اذا صرف المزكى الزكاة الواجبة عليه فى بناء المسجد سقط عنه الفرض وأثيب على ذلك.

ونرى الاخذ بالرأى القائل بدخول القرب ومنها بناء المساجد فى صنف سبيل الله فى آية الصدقات وخاصة اذا كان اهل البلدة فى حاجة الى مسجد يقيمون فيه الصلوات المكتوبة والجمع والاعياد لعدم وجود مسجد ببلدهم والله أعلم .

سؤال ٢

نحن من جالية تركية مسلمة تعيش فى اليونان بجنسية يونانية والحكومة مسيحية ، هل يصح أخذ الاعانة أو المعاش من الحكومة اليونانية ، وما الحكم الشرعى فى الاعانة التى ترسلها الحكومة التركية للمدرسين المتجنسين بجنسية يونانية ؟.

الجواب

لا مانع ابدا ان يأخذ الرعايا ما تعطيه لهم دولتهم من اموال وان كانوا مختلفين عن حكومتهم فى الديانة فهم مواطنون عليهم ما يجب على كل مواطن نحو دولته ، ولهم ما لجميع المواطنين من الحقوق ، فكما يدفعون لحكومتهم ما تفرضه عليهم من الضرائب ويؤدون لها ما تطلبه من خدمات ودفاع وغير ذلك ، فان لهم ان يأخذوا ما تعطيه لهم من اجور ومكافآت واعانات .

سؤال ٣

ما الحكم الشرعى فى أوراق اليانصيب التى تباع فى الاسواق ؟ وفى النقود التى يكسبها بعض الناس حظا منها ؟

الجواب

شراء اوراق اليانصيب نوع من القمار ولعب الميسر ، والله تعالى قد حرم ذلك بقوله

السيدة فاطمة النبوية

إعداد عائشة حسنى

هى فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب وأمها ام أسحق التميمية بنت طلحة بن عبيد الله .

زواجها :

تزوجت فاطمة من حسن بن الحسن السبط فانجبت له عبد الله الذى لقب بالمحض وسمى كذلك لمكانه من الحسين كما انه شبيه برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل له لم صرتم أفضل الناس فقال لأن الناس كلهم يتمنون ان يكونوا مناولا نتمنى ان نكون من أحد .

وانجبت فاطمة كذلك ابراهيم القمر والحسين ومات المحض واخوته فى سجن المنصور العباس سنة ١٤٥ كما مات عنها الحسن .

وبعد وفاة الحسن حزنت فاطمة عليه حزنا شديدا وضربت على قبره فسطاطا وكانت تقوم الليل وتصوم النهار .

تقدم منها عبد الله بن عمرو بن عثمان ولكنها رفضته وقالت كيف بايمانى وكانت قد حلفت لزوجها ان لا تتزوج بعده . فارسل اليها يقول لها لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شىء شيآن معوضها عن يمينها وتزوجها وانجبت محمد والقاسم . وكان لزواجها هذا غرض فى أن تصبح اموال والدها فى العالية (لولدها عبد الله) .

صفاتها :

كانت فاطمة كريمة الأخلاق حسنة الاعراق ومن صفاتها الحميدة : ان دخل يوما عليها الكميت فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وسقت الكميت فشربه ثم امرت له بثلاثين دينارا . فهملت عيناه وقال : لا والله لا اقبلها انى لم أحتكم للدنيا .

وقيل عنها أيضا انه لما جهز يزيد أهل البيت الى المدينة بعد قتل الحسين ارسل معهم رجلا أمينا من أهل الشام فى خيل سيرها صحبتهم الى ان دخلوا المدينة فقالت فاطمة لأختها سكينة : قد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك ان تصليه بشىء فقالت : والله ما معنا ما نصله به الا ما كان من هذا الحلى قالت : فافعلى . فاخرجت له سوارين ودملجين وبعثنا اليه بهما فردهما وقال لو كان الذى صنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا كفاية ولكنى والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكرت فاطمة بنت الحسين عند عمر بن عبد العزيز وكان لها معظما فقيل : انها لا تعرف الشر : فقال عمر : عدم معرفتها الشر جنبها الشر .

حينما قتل ابوها الحسين حمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على أحقاب الابل فلما دخلن على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد ابنات رسول الله من سبايا ؟ قال : بل حرائر كرام ادخلى على بنات عمك تجدين قد فعلن ما فعلت فدخلت فاطمة اليهن فما وجدت فيهن سفيانية الا ملكومة تبكى.

ومن قولها تنعى اباها :

نعق الغراب فقلب من
تنعاه ويحك يا غراب
قال الامام فقلت من
قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لى
بمقال محزون أجاب
ان الحسين بكربلاء
بين الأسنة والحراب
ابكى الحسين بعبرة
ترضى الاله مع الثواب
ثم استقل به الجنا
ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بى
بعد الرضى المستجاب

وقيل بان فاطمة تخلفت فى المدينة فجاء غراب وتمرغ فى دم الحسين فى كربلاء وطار حتى وقع على جدار فاطمة فرفعت طرفها ونظرت اليه وبكت وقالت هذه الأبيات .

روت فاطمة عن جدتها فاطمة مرسلا وعن أبيها وعمتها زينب بنت على وبلال المؤذن وعبد الله بن عباس وأسماء بنت عميس وعائشة أم المؤمنين وعلى بن الحسين وعلى زين العابدين .

وروى عنها أولادها عبد الله وابراهيم وحسين وأم جعفر بنو الحسين بن الحسن بن على ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وعائشة بنت طلحة وعمارة بن عرفة وهشام بن زياد ويحيى بن أبى يعلى .. وروى لها الترمذى وأبو داود وابن ماجه وذكرها ابن حبان فى الثقات .

وفاتها

توفيت السيدة فاطمة النبوية سنة ١١٠ هـ وهى مدفونة فى مسجد بالدرب الأحمر وعلى المسجد المهابة والجلال لعظم مكانتها وكراماتها .

وقيل فيها :

اسكنت من كان فى الاحشاء مسكنه
بالرغم من بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة
بنت الائمة بنت الانجم الزهر
يا قبر من فيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر

وهذه الأبيات مكتوبة فى مسجدها الى الآن . كما كتب على أحد الالواح الرخام فى المسجد أحد اقوالها وهى :

(والله ما نال أحد من اهل السفه بسفههم شيئا ولا ادركوا من لذاتهم شيئا الا وقد ناله اهل المروءات فاستتروا بجميل ستر الله) .

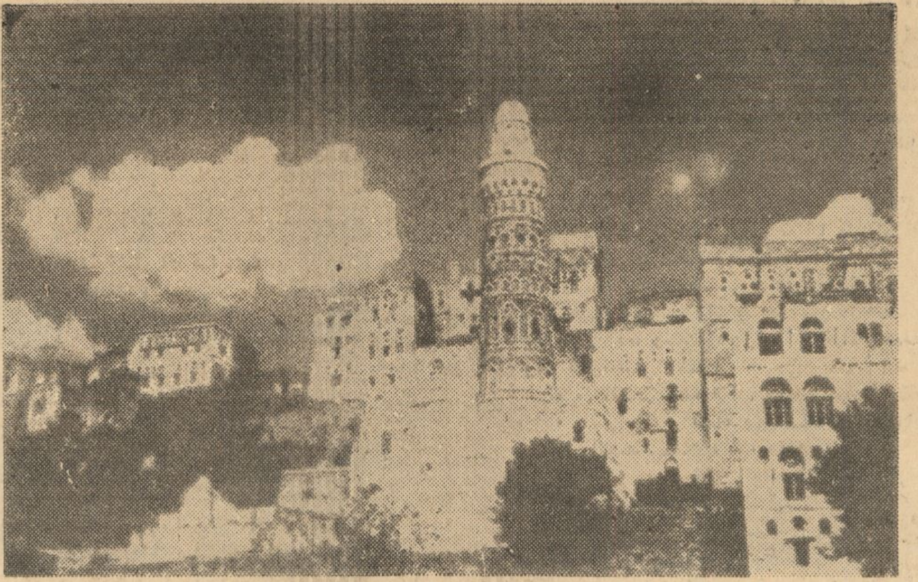

جانب من محافظة تعز

حتى النصر وتحضر لهم الطعام وهى شجاعة لا تخاف الرصاص .. ومن عادة الشعب اليمنى احترامهم للمرأة اذا سارت بين الصفين المتقاتلين فانهم لا يمكن أن يمسوها بسوء حتى ولو كانت هى نفسها مقاتلة وتحمل السلاح فلا يمكن أن يقتلوها رغم انها تستطيع ان تقتل أى واحد منهم فعندما تسعى بين الصفين المتقاتلين لتمد أهلها بالغذاء والماء فانهم يرونها ولا يتعرضون لها لأن لها قدسية واحتراما كاملين .

بعض تقاليد الريف البعيد عن صنعاء

وهناك بعض العادات المتأصلة فى الريف اليمنى البعيد عن المدينة صنعاء مثل شرق اليمن والجوف .. من هذه العادات .

١ ـ للمرأة الحق فى ان تجير من يستجير بقبيلتها :

فاذا جاء رجل من أى قبيلة الى قبيلة أخرى خائفا مستجيرا من ثأر يلاحقه أو خطر يهدده أو دين عليه لا يستطيع سداده وقابلته سيدة أو فتاة أو حتى طفلة صغيرة وأجارته أى وعدت بحل مشكلته وفك كربته فان أسرة هذه السيدة أو الفتاة تصبح ملتزمة بتنفيذ الوعد فيدفعون له ما عليه من دين أو يقومون بحمايته من الخطر الذى يهدده وقد تفنى القبيلة كلها فى سبيل هذه الحماية ولكن يستحيل ان تتخلى عن التزامها له بحمايته .

٢ ـ اذا صوتت المرأة مرحبة بالضيف :

وهناك عادة عربية قديمة ما زالت باقية على جو العروبة القديم فاذا حل ضيف غريب باحدى القرى أو عند احدى القبائل ورأته فتاة أو سيدة وصوتت بصوت مرتفع وبطريقة خاصة . قائلة (مرحبا بالضيف) فلكل صوت تطلقه يذبح خروف أو شاه لاكرام الضيف واذا تكررت الأصوات سواء من عدة منازل أو فى منزل واحد فعلى كل صوت تذبح رأس خروف وتقدم كل الذبائح للضيف فيأكل كفايته ويوزع الباقى على أهل القرية أو القبيلة التى استضافته .

٣ ـ اذا اجاروه ثم غدروا به :

أما اذا استجار شخص ما بقبيلة ووعدوا بحمايته ثم غدروا به فانه يضع قطعة خشب أمام القرية ويحرق رأس الخشب ويضع فوقه غطاء أسود .. وعندما يسأل سائل عما حدث يقولون له أن هذا الشخص قد سود وجه أسرة فلان أو قبيلة فلان لأنهم وعدوا بحمايتهم ثم غدروا به . وينتشر الخبر فى القرية والقرى المجاورة وينقطع الجميع عن التعامل مع هذه الأسرة أو القبيلة ويسمونهم بالأندال ويوصمونهم بالسفالة لكن هذا نادر ما يحدث فالشائع هو تحقيق الحماية حتى الموت .

٤ ـ العربون :

اذا لجأ أحد الاشخاص لقبيلة أخرى وقدم لأحد أفرادها مبلغ (ريال) فان هذا يعنى التزام هذه القبيلة بحماية الرجل الغريب القادم اليها ويسهرون على حمايته ليلا ونهارا والتعبير الشائع هو : (اذا خرج العربون ننجيه من كل سوء) .

٥ ـ العار :

لو تعرض أحد الأفراد لضائقة مالية أو حقت عليه غرامة ولا يستطيع سدادها أو قتل أبوه ظلما ولايستطيع الانتقام له .. فان هذا الرجل يقتل كلبا ويسحبه خلفه متقدما لاحدى القبائل .. وعلى القبيلة ان أرادت مساعدته ومحو العار عنه أن تأخذ هذا الكلب المقتول منه وتلقيه بعيدا وتتعهد له بسداد دينه أو حمايته أو الانتقام لأبيه وهناك من يستبدل بالكلب جملا يدهنه باللون الأسود ويسوقه الى أى قبيلة يستجير بها .

٦ ـ التقيد بالحبل فى المسجد :

ومن هذه الوسائل أيضا ان يذهب الشخص لأحد المساجد ويربط نفسه بردائه فى احدى سوارى المسجد وعندما يلتف حوله المصلون ويسألونه عما به يخبرهم بأزمته أو بعجزه عن دفع دينه فيساهم جميع الموجودين بالمسجد بدفع دينه وفك كربته وحل أزمته .

ولكنه فى النهاية لا يجبرها على شخص ترفضه . أما الثيب فانها تصرح برغبتها أو برفضها ولها حق الاختيار .

٢ ـ عقد القران : ثم تتوطد سبل التفاهم بين الأب والخطيب ويحدد الأب الصداق أو المهر بمبلغ معين أو يحدد المبلغ المناظر للمبلغ الذى دفع لأختها السابقة مثلا ، ويتولى الخطيب تاثيث المنـزل كله وهو المكلف بكساء عروسه منذ عقد قرانه عليها ويدفع مبلغـا معينا من المال يسمى : (مقابل ما تاكله النـار) أى قيمة ما ينفقه الأب فى بيته لاقامة حفل الزفاف فيكون المهر مثلا ٤٠٠ ريال + ٢٠٠ ريال لتكاليف حفـل الزفاف ولا يتكلف الأب شيئا الا بعض الملابس والحلى وفى يوم عقد القران وعندما يوضع المنديل الأبيض فوق يد ولى أمر العريس والعروس يجتمع الأهل حولهما ويلقون الحلوى على المنديل ويسارع كل واحد من الحاضرين باخذ مايقع من الحلوى على المنديل للتبرك به ويسمى ((النثار)) وتقام الأفراح عدة أيام .

٣ ـ يوم النقش : وهو اليـوم الذى تتزين فيه العروس . ومن أنواع الزينة ما يسمى ((الخضاب)) وهو صباغ أسود يوضع فى الأصابع .. (الحناء) وتوضع فى كف اليدين والقدمين ثم ترسم فوق الحناء فى كف اليد خطوط سوداء وحمراء فوق خطوط اليد الطبيعية فتبدو اليد منقوشة بنقوش جميلة .

٤ ـ المخرجون : وفى يـوم الزواج يأتى من يسمون المخرجون وهم ولى أمر العروس وعشيرته الذين يتولون اخراج العروس من بيت والدها والذهاب بها الى منزل الزوج حيث تقام الأفراح سبع ليال وتؤخذ العروس وهى فى أكمل مظاهر الزينة الثمينة الذهبية والملابس المرصعة باللآلىء والجواهر والياقوت وتحمل فى سيارة خاصة وعندما يقتربون من البيت يخرج العريس ومعه عشيرته لاستقبالهم ويتسلم العروس ويراها لأول مرة وجهـا لوجه وفى هذه السـاعة تتلى فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص .

٥ ـ أول زيارة للعروس : وفى اليوم الثانى يذهب الأب وعشيرته لزيارة العروس فى منزلهـا وتهنئتها ويقدمون لها الهدايا والنقود الذهبية وكلما كانت هذه النقود كثيرة شرفت العروس فى نظر أسرة زوجها حيث تقيم معهم وبعد انقضاء اليوم يعودون ثانية .

٦ ـ فى اليوم السابع : وفى اليوم السابع تكون الزيارة الثانية للعروس فيذهب والدها وأسرته اليهـا ومعهم الحقائب المليئة بالثياب الثمينة والكساء لتقدم هـدية لها .

٧ ـ يوم الشكمة : وبعد انقضاء شهر أو أربعين يوما يقام فى بيت العريس حفل يسـمى ((الشكمة)) وتجمع الأسرتين للاحتفال بهذا اليوم وتقام الولائم وتقدم الأطعمة المتنوعة . وابتداء من هذا اليوم يسمح للعروس بالخروج من بيتها لزيارة أسرتها وقريباتها .

وصايا الأم :

وتتولى الأم تلقين ابنتها بعض النصائح الهامة التى تقوم على أساسها دعائم الحيـاة الزوجية المستقرة السعيدة ومن هذه النصائح :

ان تفهم الزوجة طبائع زوجهـا وما يميل اليه وان تراعى مشاعره كل الرعاية وان تستقبله كلما عاد الى البيت مستبشرة وان تسأله عن حاله اذا عاد غاضبا وتروح عنه وتسهل له أسباب الراحة فى بيته وان كانت تقيم مع والدته وشقيقاته فيجب أن تراعى مشاعرهم وتنصح زوجها بالعطف عليهم والاهتمام بهم حتى تخلق جوا عائليا يسوده التفاهم والحب المتبادل بين أفراد العائلة جميعهم وان تتجنب كل ما يضايق زوجهـا من جراء مطالب الكساء أو مظاهر الزينة واذا طالته بشىء تحتاجه فبلطف أو تلويح من بعيد فمثلا تقول له عندما تختلى به فى ساعة راحة انها رأت عند احدى قريباتها قماشا أعجبها ثمنه كذا ومن عند محل كذا .. وعنـدئذ يفهم الزوج أنها ترغب فى مثل هذا القماش لها فاذا احتكمت عـرى الود والحب بينهمـا يسر مطالبهـا واشترى لها ما تريد .

الزى اليمنى :

تتميز أزياء الرجال بالوانها الزاهية ويضع الرجل على رأسه عمامة ويلف وسطه بحزام يتدلى منه خنجر . أما المرأة فتغطى جسدها كله بستارة منقوشة ذات ألوان سوداء وحمراء منذ بلوغها السادسة من عمرها ويختلف زى المرأة فى المدينة عنها فى الريف .

ففى المدينة ترتدى غطـاء كاملا يغطى كل جسدها يسمى (شرشف)وترتدى فوقه (المقمق) وهو أشبه بالبرقع فترى النـاس ولا يراها أحد . (والخمار) ترتديه فوق الشرشف فلا يبدو منها شىء على الاطلاق .

أما المرأة الريفية فخمارها يسمى (المصـون) لكنها لا تغطى وجهها ولا يديها فهى أشبه بالفلاحة المصرية التى تخرج للعمل فى الحقل .

الطعام اليمنى :

يختلف الطعام اليمنى فى المدينة عنه فى الريف وفى كل بيت فى اليمن يوجد فرن يوقد بالنار لطهو الطعام وتعتمد الأطعمة على الوجبة الدسمة من اللحم (والحنيذ) وهو الخروف وقد طهى كاملا ـ ومن الفطائر يوجد ما لا يقل عن عشرين نوعا منها (بنات صحون) وهو مثل البقلاوة المصرية ـ (والسـبايا) وهو الرقـاق ومن الاطعمة ايضـا الفتـه والعصيدة وهذه توجد فى الريف وتصنع على شـوربة الكباش أو باللبن ، (والسبيه) وهى عبـارة عن قرص واحد كبيرا جدا يتكون من مائة ورقة فوق بعضها البعض مثـل ورق الرقاق ويكفى القرص الواحد لاطعام ٤٠ شخصا ويحتاج فى صنعه لمهارة خاصة .

اذ لابد أن يخرج القرص كاملا من الفرن وهناك مدن ثلاثة تشتهر بهذا النوع من الطعام خاصة وهى خبان ـ يريم ـ ذمار .

المرأة فى الريف تاجرة وفلاحة وعاملة ومحاربة

المرأة الريفية أعمالها شاقة ومضنية تخرج للعمل مع الرجل وتشاركه فى الحقل فتصنع الطعـام وتحضره لزوجها فى الحقل وتخدم الماشـية وقد تسير مقدار ٤ كيلومترات من أجل احضار الماء لسقيا الماشية وتعمل بالفلاحة فى الحقول كما تعمل فى المصنع البدائى فى أعمال النسيج وتشارك فى شئون الكسب وتجلب الى السوق كل محاصيل القرية من سمن وعسل وأطعمة مختلفة وعلف الماشية ، وتعمل بالتجارة فتبيع وتشترى وهى بحكم خروجها للعمل سافرة لا تحجب وجهها ولا يديها ، والمرأة الريفية تحارب اذا لزم الحال فاذا قامت الحرب بين قبيلتين فانها تحمل البندقية وتشترك فى الحرب وتضمد الجراح بصورة بدائية تعتمد على الخبرة والتجربة وتشجع رجال قبيلتها على المضى فى الحرب

السيد سفير اليمن

خارج اليمن لان التقاليد لا تحكم بخروجها ولا سفرها وحدها ولا باخذ صورة لها .

الكفاح السياسى من وراء الستار

والنساء اللائى أتيحت لهن معرفة الأوضاع السياسية عن طريق أزواجهن ، كن يمارسن كثير من الأمور السياسية من وراء الستار .. فالمراة اليمنية تشتهر بكتمان السر والتعقل والاخلاص لزوجها حتى الموت وحفظ أسراره الخطيرة والانطواء على نفسها ساعة العسر ، واذا سجن زوجها تقوم بنقل رسائله الى رفاقه فى التنظيم السرى وتعطيه الملابس والنقود اللازمة ورغم انه لم تكن توجد أحكام بمدة السجن فقد يستمر فى السجن عشر سنوات أو أكثر ، كانت لا تشكو ولا تتبرم وتظل صابرة حتى النهاية ، فالمراة اليمنية هى الزوجة والصديق لزوجها .. وعندما قامت الثورة اشتركن فى المعركة فقامت بعض السيدات بتوصيل صناديق الذخيرة والقنابل الى الثوار وكن يزغردن بقصد التشجيع ويعملن الشاى ويوزعنه عليهم لرفع روحهم المعنوية .

المراة فى المدينة

والمراة اليمنية فى المدينة لا تخرج من البيت بحكم التقاليد ولا تشارك فى المشاكل الحيوية الخارجة عن نطاق البيت ، الا ما ندر من النساء المستنيرات المتفهمات للأوضاع .

وهى المتولية لكل شئون بيتها ، ومن دأبها الحفاظ على الشرف وكل ما يمت الى سمعتها بصلة ، ومن دأبها الصبر فى أحرج المواقف ، وكل يمنى يثق بمحرمه ثقة لا حد لها .

وهى تحافظ على أرزاق زوجها وبيته ولا تطلب فوق حاجتها من كساء وضروريات لازمة لها . ويحرم على الرجل دخول بيته اذا كانت فيه زائرة غريبة حتى تغادره ، وفى أعلى كل بيت توجد قاعة زجاجية تسمى (المنظرة) يستقبل فيها الضيوف الرجال ، والقهوة أهم ما يقدم للضيف ثم الفاكهة وفى مقدمتها عنب اليمن .

وهى شاعرة بالسليقة

وفى اليمن توجد شاعرات بالسليقة الا انهن ينظمن (الحمينى) أى الشعر باللهجة الدارجة الشعبية أو الزجل مثل نظم الاغانى فيسجلن الحوادث الكبيرة السياسية أو العائلية بالأغنية حتى ان أكثرهن يحفظن تاريخ كل حادثة وسببها بمجرد ترديد الاغنية التى يتداولنها فى مجالسهن ووقت أعمالهن المنزلية .

وعندما قامت الثورة المجيدة ولأول مرة فى تاريخ اليمن انشأت ثلاث مدارس ابتدائية للبنات فى صنعاء وتعز والحديدة ، وأقبلت البنات اقبالا كبيرا على التعليم وكلهن شوق غريب الى انتهال العلم ، وفى بادىء الأمر تولى التدريس فى هذه المدارس مدرسون رجال لكن بحكم الرواسب القديمة رفض البنات وأولياء أمورهن أن يتعلمن على أيدى الرجال وطالبن بالحاح أن يتتدب لهن من الجمهورية العربية المتحدة مدرسات متخصصات ، وفعلا وجدن استجابة سريعة فقد تفضلت وزارة التربية والتعليم بالقاهرة وأرسلت مدرسات فضليات لهن سمعة طيبة وتعليم عال وخبرة تربوية وانتدبتهن للتدريس بمدارس البنات باليمن .. والآن توجد ٦ مدارس للبنات وسوف تنشأ مدرسة ثانوية قريبا .. ولا يخلو بيت فى اليمن من التلميذات الصغيرات المشغولات بالدراسة والتحصيل وأصبحت توجد من بين الطالبات خطيبات يقدرن على التعبير عن مشاعرهن وأفكارهن فى الحفلات الكبيرة المدرسية والرسمية والاعياد القومية .

وقد رأينا فى التليفزيون العربى أفلاما عن اليمن اخذت ساعة القاء الخطب الحماسية من بعض الطالبات اليمنيات .

حتى الأمهات لم تفتهن فرصة التعليم وتعويض ما فات من العمر فى ظلمات الجهل فقامت حملة محو الأمية للأمهات داخل بيوتهن ، كما ان التوعية القومية والسياسية والصحية والاجتماعية لنساء اليمن تتم داخل البيوت ذلك لأنه لم توجد بعد الجمعيات النسائية الخاصة بهذا الشأن . وعما قريب سيوجد التعليم المهنى للبنات ، وقد فتحت المدارس الصحية فى تعز والحديدة لتخريج الممرضات واستغلال جميع المنح المعروضة لتعليم الممرضات داخل البلاد وخارجها وترغيب المواطنين فى تعليم البنات اليمنيات ليصبحن ممرضات وطبيبات وهى الآن تعمل ممرضة فى مستشفيات اليمن ويوجد فى الجمهورية العربية المتحدة ٤ طالبات يمنيات يدرسن فى معهد التمريض وكلية الطب .

تقاليد الزواج :

١ ـ فى الخطبة : عندما يريد الشاب اليمنى أن يتزوج فانه يرسل أسرته للخطبة وتتولى الأسرة رؤية الفتاة ثم يصفونها له .. وبناء على رضاهم عنها ووصفهم لها يقرر الزواج منها ، ودون ان يراها ، ثم يذهب لمقابلة والدها أو ولى أمرها ويقوم الأب بتعريف الأم لكى تبلغ ابنتهم بأن فلان تقدم لها ، ويعتبر اليمنيون سكوت البنت البكر رضاء منها كما انها لا تستطيع أن ترفض الزوج المتقدم ما دام الأب قد وافق عليه فللاب الكلمة النهائية

اعداد : نجاة الزنيري

عادات وتقاليد يمنية

عندما التقيت بسفير اليمن الاستاذ محمد أحمد المطاع في العدد الماضي من المجلة كان حديثه معى عاجلا خاطفا لانشغاله بوجود الوفد اليمني بالقاهرة .

ثم وعدني بلقاء آخر وحديث جديد عن عادات وتقاليد الشعب اليمنى .. وفى الموعد المحدد استطعت أن اشغل من وقت سيادته ساعتين حدثني خلالها باستفاضة تامة عن كل مظاهر الحياة فى اليمن ، وأهم العادات والتقاليد الراسخة هناك على مر العصور ووضع المرأة ومكانتها ما بين الماضى والحاضر .

قال لى سيادة سفير اليمن بالقاهرة .

ـ يتميز المجتمع اليمنى بانه ذو طابع عربى من أقدم العصور ، ونظرا لأن الاستعمار الأجنبى لم يدخل أرض اليمن اطلاقا لذلك فعاداته وتقاليده عربية بحتة .

والمرأة اليمنية لها تاريخ طويل مجيد ، ففى الوقت الذي حرمت فيه المرأة الأوروبية من أبسط قواعد الانسانية ، كانت المرأة اليمنية حاكمة وقاضية وعالمة وأديبة وشاعرة ومثقفة ولها رأى فى السياسة والحكم والعلم ـ وملكة سبأ أشهر ملكات التاريخ .

لكن انتهى هذا المجد الى حلقة مغلقة من الجهل والظلم والظلام فى السبعين عاما الأخيرة حيث عانى الشعب اليمنى كله رجاله ونساءه من التخلف والجمود والقهر .

ثم كان الطريق الثورى هو الجسر الوحيد الذى تتمكن به اليمن من الانتقال بين ما كانت فيه وبين ماتتطلع اليه .

وبدأت المرأة اليمنية تسترد مجدها القديم فى دنيا الرقى والتطور عندما اعترفت الثورة بحق المرأة كانسانة فى العلم والتقدم .

وتختلف تقاليد اهل المدينة عن تقاليد أهل الريف .. كذلك يختلف وضع المرأة فى المدينة عن المرأة الريفية .

قبل الثورة لم توجد مدرسة واحدة للبنات

كانت المرأة اليمنية قبل الثورة تحيا حياة كلها انكماش وانزواء عن المجتمع، لقنوها مبادىء عدم الاختلاط بالناس والانعزال التام عن الحياة خارج البيت ، وكانوا يعيبون عليها الشكوى من أى معاناة ، أما تعلم القراءة والكتابة فمن المحرمات عليها ، لم يهتم الأب بتعليم ابنته الا فى حدود أن تحفظ قراءة جزء عم وتبارك ، والطهارة والنجاسة وفروض الصلاة فقط . وداخل البيت .

وكان الاعتقاد السائد ان الفتاة اذا مارست الكتابة فان ذلك سيؤدى الى فساد اخلاقها ويدفعها الى اتخاذ الخلان والمكاتبات الغرامية ، ولهذا غاب عن المجتمع اليمنى اسم السيدات الأديبات والعالمات والمتعلمات رغم أن المرأة اليمنية على جانب كبير من الذكاء والفهم الدقيق وكن يتحرقن شوقا ولهفا لارتشاف مناهل العلم عندما يشاهدن نساء لهن كفاءة ومقدرة على قراءة الصحف والكتب العلمية .

وهؤلاء قد أتيحت لهن هذه الفرصة عن طريق أزواجهن ، فالمرأة التى تحتل مكانة كبيرة فى قلب زوجها ويكون مثقفا محبا للعلم فانه يتولى تثقيف زوجته وتعليمها القراءة والكتابة ، فلم تكن توجد فى اليمن مدرسة واحدة للبنات واذا شذ أحد الآباء ممن استنارت عقولهم فانه يأذن لطفلته الصغيرة ان تلتحق بمدرسة الأطفال الذكور حتى تتمكن من تعليم القراءة والكتابة فقط .

لكن مثل هذا الأب كان يلقى المعارضة الشديدة من مجتمعه وأسرته ، وكانوا يعيبون الأب اذا تعلمت ابنته الخطابة أو الشعر .. ولم تخرج واحدة لتلقى العلم

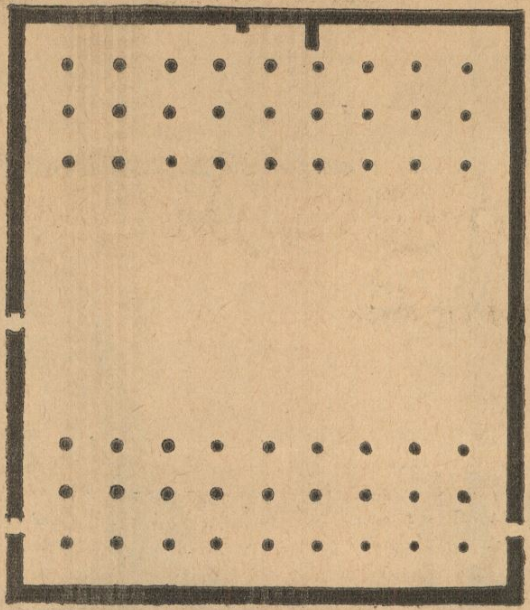

مشروع رسم تخطيطى للمسجد النبوى فى عهد الرسول
عن الدكتور أحمد فكرى

اول الامر ، وعند ماشكا الصحابة الى الرسول شدة الحر ، اقام له ظلته ، وجعل فى المسجد سوادى من جذوع النخل ، ثم طرحت عليها العوارض والخصف والادخر ، وان اساسه كان قريبا من ثلاثة اذرع بنى بالحجا . وبنيت الجدر باللبن وجعل عمده الجذوع وسقفه الجريد .

اختلف الرواة فى مقاسات المسجد ، فذكر البعض انه كان مائة ذراع فى مائة ، وانه كان مربعا ، وذكر البعض انه كان اقل من ذلك ، وذكر صاحب مرآة الحرمين انه كان ٧٠ ذراعا فى ٦٠ ذراعا واسفرت دراسات الدكتور فكرى على ان صحة درع المسجد الاول هو ثلاثة وستون ذراعا عرضا وسبعون ذراعا طولا . وكان به ثلاثة اروقة فى الجهة القبلية وله رحبة .

كانت قبلة المسجد عند تاسيسه الى بيت المقدس اى فى الجهة الشمالية ، وقد صلى الرسول الى هذه القبلة سبعة عشر شهرا ثم تحول الى المسجد الحرام ، واقيمت ظلة ثانية عليها ، وبقيت الظلة الاولى مكانا لاهل « الصفة » ، وكان مابين الظلتين رحبة واسعة ، وقد سمى هذا المسجد مسجد القبلتين .

اقام الرسول من حول المسجد منازل لازواجه ، وكانت كلها فى الشق الايسر ، وقد ذكر ابن النجار ان حجر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ولكن ابوابها شارعة فى المسجد . وكانت هذه المنازل تسعة بيوت باللبن ولها حجر من جريد مطرود بالطين ، وجاء فى بعض المراجع ان بعضها كان فى الجهة الشرقية من المسجد وبعضها فى الجهة الشمالية ، ومهما يكن من امر فقد ظلت هذه البيوت خارجة عن حدود المسجد حتى ادخلت فيه . وكان بيت عائشة رضى الله عنها حيث حجرته الشريفة

وبعد سبع سنوات ضاق المسجد باهله ، فجددت سقفه ، وزيدت فيه البقعة التى اشتراها الرسول من احد الانصار ، وقد اختلف الرواة فى تحديد نهاية المسجد من الجهة الغربية ، بالرغم من ان غالبيتهم قد اتفقت على الزيادة قد جعلت المسجد « قريبا من مائة ذراع » وقريبا من مربع . ويرى الدكتور فكرى ان هذه الزيادة فى شرقيه بمقدار عشرة اذرع ، وفى غربيه بمقدار عشرين ذراعا ، وفى شماليه بمقدار ثلاثين ذراعا ، واصبح ذرع المسجد بذلك قريبا من مربع ، طول جدار القبلة فيه تسعون ذراعا ، ومنه الى جدار المؤخرة مائة ذراع .

ويظهر من الرسم تخطيط مسجدالرسول ، بعد تحويل قبلته الى الكعبة المكرمة وزيادته الاولى فى السنة السابعة من الهجرة اى على عهد الرسول .

ويبدو فيه ان مكان الصلاة كان مكونا من ثلاثة اروقة بكل منها تسعة من جذوع النخل ، هذا ومقاس الرسم بالذراع .

وبعد وفاة الرسول صلوات الله عليه توالت على المسجد الزيادات منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى الان . كما توالت عليه الاصلاحات ، ومنذ ان اصبحت بلاد العرب جزءا من الدولة المملوكية الموحدة واصبح السلطان المملوكى يفخر بانه خادم الحرمين الشريفين انتقلت مسئولية التجديد والاصلاح والزيادة فى الحرم المدنى الى سلاطين مصر ، وحتى بعد استيلاء الاتراك العثمانيين على مصر واستئثار سلاطينهم بلقب خادم الحرمين الشريفين .

فان الزيادات التى طرات على المسجد كانت تتم على ايدى مهندسين وعمال مصريين وباموال مصرية ايضا شانها فى ذلك شان معظم اعمال البر والخيرات التى انشاها سلاطين آل عثمان فى اراضى الحجاز . ولم تال الجمهورية العربية المتحدة جهدا فى رعاية الحرمين الشريفين فهى تسارع فى ارسال مايطلب منها من خبراء وفنيين لاصلاح الحرمين كلما طلب منها ذلك .

المسجد النبوى بالمدينة فى عهد الرسول

صلى الله عليه وسلم

- الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب •

لم يحظ مسجد جامع من مساجد الاسلام بكثرة ماكتب عليه مثل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو مسجد الرسول الكريم ، واحد المساجد الثلاث التى يشد اليها الرحال ، فضلا عن كونه يضم الاعضاء الشريفة وحسبه من ذلك شرفا ومقاما ، ثم هو مقصود بالزيارة من جميع البقاع مما أتاح الفرصة لكثيرين الكتابة عنه .

وتنقسم المؤلفات التى تعرضت لتاريخ مسجد المدينة الى ثلاثة انواع : كتب التاريخ العامة والطبقات ، والكتب التى انفردت بذكر تاريخ المدينة المنورة وتاريخ مسجدها الجامع ، وكتب الرحالة وما اكثرها • ومن كتب النوع الاول مؤلفات ابن سعد والبلاذرى واليعقوبى والدينورى وابن رسته والطبرى وابن عبد ربه وغيرهم من مؤلفى القرن الثالث الهجرى وقد نقلوا كتاباتهم عن المصادر الموثوق بها • وكانت هذه المؤلفات هى المصادر التى يرجع اليها الكتاب والمؤرخون والرحالة الذين كتبوا من بعدهم واقدم مانعرفه من كتب القسم الثانى مؤلف محمد بن الحسن بن زبالة الذى الف فى سنة ١٩٩ هـ كتابا عن تاريخ المدينة وتاريخ مسجدها ، وتلاه يحيى بن الحسين او يحيى بن جعفر العبيدى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ، وقد فقد هذان الكتابان على أن السمهودى الذى الف فى اواخر القرن التاسع الهجرى قد قرا مؤلفيهما ونقل معظم ماجاء بهما عن مسجد الرسول وتلك حسنة من حسنات التاليف فى العصور الوسطى وهى حفظ بعض مافقد من تراثنا التليد عن طريق النقل فى مثل تلك المؤلفات • ويعتبر كتاب الدرة الثمينة فى اخبار المدينة لمؤلفه محب الدين محمد بن محمود بن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ والذى ما زال مخطوطا حتى الان وكذا كتاب وفاء الوفى باخبار دار المصطفى والمطبوع بالقاهرة فى مجلدين لمؤلفه نور الدين على بن احمد السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ يعتبر هذان الكتابان اهم ما الف عن مسجد الرسول • وثمة ميزة ينفرد بها كتاب السمهودى هى ان مؤلفه تناول مصادره بالتحقيق والتمحيص ، وراجعها على معالم المسجد فى عصره ، وكتب كتابه فى المسجد النبوى نفسه ، اثناء اقامته بالمدينة • اما كتب الرحالة وقد تخلف لنا منها عدد وفير للغاية ، خاصة كتب الرحالة المغاربة ، فتعتبر رحلة ابن جبير اهم تلك الرحلات وقد كانت المنار الذى هدى كل الرحالة الذين كتبوا بعده مثل العبدرى وابن بطوطة وغيرهم •

وفى القرن الحالى يعتبر كتاب مرآة الحرمين للواء ابراهيم رفعت والذى طبع فى القاهرة فى جزئين سنة ١٩٢٥ أوفى مرجع حديث تكلم عن الاقطار المقدسة ، وقد وصف جامع الرسول وصفا مسهبا • اما الدراسة التى قام بها الاستاذ الدكتور احمد فكرى فى مؤلفه مساجد القاهرة ومدارسها فتعتبر احدث وادق ماكتب عن المسجد النبوى بالمدينة فقد تناول فيها كل الابحاث التى سبقته بالنقد والتحليل خصوصا المحاولات العديدة التى سبقته لرسم تخطيط المسجد النبوى وتعتبر مشروعاته التى رسمها للمسجد فى عهد الرسول ثم فى عهدى الوليد والمهدى مطابقة تماما لما جاء بالمراجع الاصلية التى تناولت الكتابة عن المسجد •

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجرته نزل بقباء واقام فيها بضع عشرة ليلة اسس فيها مسجد قباء ، ثم تحول الى المدينة وما وطئت اقدامه صلى الله عليه وسلم ارض المدينة حتى اقام جدران مسجد فيها يجعل بيتا لله ، ومركزا لدعايته الى الايمان ، وكان هذا اول ما شغل به وكان بناء المسجد فى نفس المربد الذى بركت فيه ناقته ، وكان مربدا لسهل وسهيل ، غلامين يتيمين من الانصار ، وكانا فى حجر ابى امامة اسعد بن زرارة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ، فابى رسول الله حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وقال معمر عن الزهرى ، وأمر ابابكر ان يعطيهما ذلك •

وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف ، وقبلته الى بيت المقدس • وكان أسعد بن زرارة بناه فكان يصلى باصحابه فيه ، ويجتمع بهم فى الجمعة قبل مقدم رسول الله • فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالنخل الذى فى الحديقة ، وبالفرقد الذى فيه ان يقطع ، وامر باللبن فضرب ، وكان بالمربد قبور جاهلية ، فأمر بها رسول الله فنبشت وامر بالعظام ان تغيب ، وكان بالمربد ماء مستنجل فسيره حتى ذهب • واسسوا المسجد ، وجعلوا الاساس قريبا من ثلاثة اذرع على الارض بالحجارة ، ثم بنوه باللبن ، وجعلت قبلته الى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة ابواب ، باب فى مؤخره وباب يقال له باب الرحمة ، وهو الباب الذى يدعى باب عاتكة ، والباب الثالث الذى يدخل فيه الرسول ، وهو الباب الذى يلى آل عثمان ، وجعل طول الجدار بسطة ، وسقفه جريدا •

من الوصف السابق عن الرواة ، يتضح ان المسجد على عهد الرسول كان يقتصر على رحبة واسعة ، تحيط بها جدران من جهاتها الاربعة ، وانه لم يك مسقوفا

رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » ولا يجرفنه ذلك التيار الذى يجرف كثيرا من الناس ويدفعهم لحياة يأباها الاسلام وتنكرها تقاليد المسلمين الصالحين .

ولنذكر جميعا قول الله تعالى : « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

ويقول فضيلة الشيخ احمد هريدى

عن أنس رضى الله عنه قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فوجد للانصار يومين يلعبون فيهما . فقال : « ما هذان اليومان » . قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال : « قد أبدلكم الله بهما خيرا. يوم الأضحى ويوم الفطر . »)

وروى البخارى ومسلم واحمد عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : (وجد عمر حلة من استبرق تباع فى السوق . فأخذها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله . ابتع هذه فتجمل بهما للعيد والوفد . فقال : « انما هذه لباس من لا خلاق له »)

وروى الشافعى رضى الله عنه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنهم « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس برد حبره »

وروى البخارى عن عائشة رضىالله عنها قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث . فاضطجع على الفراش وحول وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دعهما » . فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب . فاما سألت النبى صلى الله عليه وسلم . وأما قال : « أتشتهين تنظرين » ؟ قلت نعم . فاقامنى وراءه خدى على خده وهويقول : « دونكم يا بنى ارفده » حتى اذا مللت قال : « حسبك ؟ » قلت نعم . قال : « فاذهبى »

وفى رواية أخرى قالت : (دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث وليستا بمغنيتين . فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك فى يوم عيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « يا أبا بكر . ان لكل قوم عيدا . وهذا عيدنا »)

والاعياد ظاهرة من ظواهر الحياة . حياة الناس وحياة الأمم والشعوب . ومعالم على طريق الكفاح فى سبيل العزة والمجد تنشر صفحة الماضى المشرق المجيد باحداثه وأيامه وشخصياته ونعمه وامجاده . فتبعث فى النفوس قوة عظيمة على الكفاح وتملؤها أملا فى النصر .

واعيادنا تذكرنا بنعمة الدين الالهى والتشريع السماوى الذى اقام دولة الاسلام فى الارض وبعث أمة التوحيد فى الوجود فى خير أمة أخرجت للناس . تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . وتوجه حضارة الانسانية وتقيم دعائم السلام .

وتذكرنا بنعمة اكمال الدين واتمام النعمة به . وبقائه خالدا على الزمن لا ينطفىء نوره ولا يخبو شعاعه « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » .

وتدل الاحاديث على ان من السنة أن يتجمل الناس فى العيدويأخذوا زينتهم ويأخذوا معالحياة البريئة ومرفهاتها المشروعة ما يشاؤون وما يشتهون . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات منالرزق » « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . »

فلا نسرف على انفسنا فنحملها ما لا نطيق . ولا نسرف على ديننا فنخرج على آدابه وتعاليمه ولا نسرف على اخلاقنا فننحدر بها الى مستوى وضيع وننغمس فى الشهوات والملاذ . وننقلد الاخرين فى عبثهم ومجونهم ونلطخ صفحة العيد الكريم بصور ساخرة فاجرة ينكرها الدين ويأباها التقاليد ان من أساليب المرح واللعب ومن صور الترفيه مايسر النفس ويملأ القلب متعة ولكنه مهذب وكريم .

فانعموا أيها الشباب ببهجة العيد وخذوا لانفسكم وقلوبكم من متع الحياة البريئة الكريمة ما يقوى عزائمكم على الكفاح والعمل لمجد وطنكم . واتخذوا من أيامه فرصة تتبادلون فيها التهانى والتزوار وتتعاطفون وتتراحمون وتوثقون ما بينكم من عرى المحبة والاخاء . وتتمتعون بطيبات ما رزقكم الله .

ويقول الدكتور محمد كامل الفقى

العيد فرحة وذكرى . وبهجة واعتبار . وفكرة ورمز. يقبل عيد الفطر فيكون مظهر ابتهاج من المؤمن الذى وفقه الله للصوم الذى سمت به روحه وقويت به ارادته .

وكان العيد من بعد رمزا لنصرة النفس على الشهوات ومن ثم كان على المسلم فيه صدقة الفطر اذ كان البذل آية عرفان وأسلوب شكر .

ويقبل العيد الاكبر فتراه مظهر فرحة بفضل الله على المسلمين بالحج الذى يغسل الذنوب ويعود به من لم يرفث ولم يفسق كيوم ولدته أمه .

فالعيد هو الخواطر الكريمة التى تطيف بنفوس المسلمين يشهدونها بقلوبهم وعقولهم . ويقفون من تذكرها على أنعم الله عليهم . ويرون أنفسهم فى مجالى العيد . ومواسم الرحمة اخوة على موائد الله الذى استضافهم حتى حرم عليهم صوم العيد .

حينما يقبل عيد الاضحى يتذكر الناس فضل العشر الأوائل من ذى الحجة تلى التى أقسم الله بها فى كتابه فقال : « والفجر وليال عشر » قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ما العمل فى أيام أفضل من هذه العشر، فقالوا ولا الجهاد يا رسول الله فقال ولا الجهاد الا رجل خرج يقاتل بنفسه وماله فى سبيل الله الخ .

وان احتفال المسلمين بعيد الأضحى انما هو بالتوفر على الذكريات الخالدة التى تشرق فيه . وانما هوبالتزام الجادة . والتعاطف وأخذ النفس بآداب الاسلام . وهذه المظاهر التى نرى عليها فريقا من شبابنا من التهتك والاباحية والرقص فى الشوارع والحدائق ، والنطق بالمنكر من القول والتطاول على الفتيات ، انما هو عمل أقرب الى الاستهتار منه الى فكرة العيد المقدسة .

وبعد ...

فما أجمل أن يعود شبابنا ـ عدة المستقبل ـ الى دروس يلقنهم العيد فلسفتها . وأن يجعلوا من عبره منهاجا وسلوكا لهم . ومثلا يتحلون بها . وما أروع أن يذكروا قصة الذبيح اسماعيل رمز البطولة والطاعة للأب الكريم. وآية التضحية بالنفس . والجود بالنفس أقصى غاية الجود . وما أكرم أن يتصوروا أن الله فدى الابن المطيع بذبح عظيم ..

« فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ما ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » الخ ..

الرجل الذى رويت قصته المحزنة .. وقد يحتج البعض بأن ذلك ما يقصد منه سوى مجرد الصدقة .

احتجاج باطل ..

لكن لو صح ذلك فلماذا لاتوزع الصدقة فى البيوت؟ ولماذا تكلف نقلها الى القبور فى تعب وارهاق ؟ الحقيقة اننا لانزال نفعل افعالا بدائية شنيعة يخجل منها كل ذى عقل يعلو على مستوى التقليد الاعمى . وما ولع بعض الناس بتجديد الاحزان فلعله نوع من القصور الاجتماعى اذ يوجد ناس يعجزون حتى اليوم عن ستر انانيتهم التى تسول لهم انهم ما داموا قد نكبوا فى أقاربهم فلا بد من جعل الدنيا كلها تحزن معهم على موتاهم من جراء المظاهرات الحزينة الصارخة المدوية التى يقيمونها فى أيام الاعياد التى هى أجدر الايام بالصفو والمودة والتعاون على كوارث الحياة .. لقد كان الاجدر بهم أن ينشطوا فى عبادة الله والدعاء لانفسهم بالتوفيق ولموتاهم بالرحمة فى هذه الايام المباركة

أما الآداب التى حددها الاسلام للزيارة فتكون لمجرد الاتعاظ والذكرى بعالم القبور وما فيه من عظات بليغة ، وفى غير أيام العيد لما قدمنا من انها بدعة لا أصل لها من تعاليم الاسلام ..

تقليد أعمى ..

وأما عادات المبيت واقامة المآدب هناك فلا يقبلها من له اثارة من دين أو خلق .. ويظهر والله اعلم ، ان أولها كان مجرد قراءة للقرآن استتبعت مطالب القراء من شاى وقهوة وغيرهما ثم تطور الى المباهاة والفخر خصوصا عند الاقطاعيين والاثرياء وقلدهم الحمقى والجهلاء يرهقون بيوتهم بالتكاليف ليسمعدوا أحجار القبور ويجروا على انفسهم غضب الله وسخطه.

وقال الدكتور محمد كامل الفقى :

لا يمنع الاسلام زيارة الرجال للقبور . بل انه استحبها لهم . فقد ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور . فزوروها . وفى رواية : فمن أراد أن يزور القبور فليزر فانها تذكرة للاخرة . وروت عائشة ان النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين . وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون . وانا ان شاء الله بكم للاحقون. اللهم اغفر لاهل بقيع الفرقد . وروى بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه اذا خرجوا الى المقابر ان يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون . أسأل الله لنا ولكم العافية .. وأثر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يزور قبور أصحابه للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم .

ومتى كانت زيارة القبر مستحبة فى رأى الشرع كما عرفنا - للرجال - فهى لهم غير مخصوصة بوقت عيد أو غير عيد . غير انه لا بأس بالزيارة فى الاعياد من باب أولى لان الناس ليسوا فى عمل يمنعهم من زيارة موتاهم. والعيد يثير الذكرى نحو الاعزة الراحلين . فالعيد باعث لمعنى الوفاء من الباقى للذاهب . يزوره ويترحم عليه ويدعو له ويستغفر .

وفى الحديث ان النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث . صدقة جارية . أو عمل ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له .

ويروى أن رجلا قال للنبى - صلى الله عليه وسلم - ان امى افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها من أجر ان تصدقت عنها ؟ قال نعم .

ومن آداب الزيارة مراعاة ما نهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عنه فقد نهى أن تهان القبور . وأن توطأ ويجلس عليها . أما زيارة المرأة فهى غير مستحبة فى نظر الاسلام . وبخاصة على الصورة التى نشاهدها الآن.

عادات يجب أن تزول

فهى اما تفجع وصياح ودعاء بدعاء الجاهلية ، وأما اصطحاب للاطفال الذين لا يعرفون الطهارة ولا يحسنون جلال الموت ، مع احتشاد ألوان من الطعام والشراب والفراش وقضاء فترة هى بالعبث والحياة العامة أشبه، وكل ذلك بدع منكرة .

وقد لعن النبى - صلى الله عليه وسلم - زوارات القبور . وفى السلوك الذى نراه الآن على المقابر فى الاعياد قراءة القرآن من المحترفين وصبيانهم فى غير خشوع أو تجويد . وذلك بدع من المناكر التى يجب محاربتها . واذا عرف أن المقابر حينذاك مهازل وفرص للمنحرفين كان حراما الابقاء على تلك العادات السيئة.

العيد

فضيلة الامام الاكبر :

يرى بعض الناس أن العيد هو الخروج عن الحياة المستقيمة والانكباب على الشهوات والملاهى واتيان المنكر فما هو العيد وكيف يحتفل المسلمون به ؟ ما هى الآداب التى يلتزمها الشباب فى العيد ؟

العيد فى الاسلام يومان فى العام يأتى كل منهما عقب رحلة روحية يقطعها المسلمون فى عبادة خاصة ذات شأن فى شريعة الاسلام . أما الرحلة الاولى فهو صوم رمضان يمتنع المسلم فيه عن شهوة بطنه ورغبة جسده من طلوع الفجر حتى غروب الشمس ثلاثين يوما يصوم فيها عن كل ما يغضب الله

ويحيا حياة مثالية بين الناس يزينه فيها صفح عمن أساء وعفو عمن ظلم ، لو سابه أحد أو تعرض له بشر قال ((انى صائم)) فجعل له الاسلام عقب رمضان يوما يزهو فيه على نفسه ويفرح بفضل الله ونعمته فللصائم فرحتان فرحة يوم فطره وفرحة يوم لقاء ربه ذلك هو يوم عيد الفطر .

وما أن ينتهى المسلمون من رحلة الصوم حتى يستعدوا لرحلة أخرى .. رحلة للجسد والروح ، عبادة بدنية ومالية .. رحلة ما أشقها على الجسم وما أحلاها وما أمتعها للروح والقلب .. رحلة الحج الى بيت الله الحرام بمكة وزيارة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بزيارة قبره الشريف بالمدينة المنورة وقد جعل الله للمسلمين منهم من نعمته فيشكرونه فى هذا اليوم الاغر. ويتقربون اليه باراقة الدماء من الهدى شكرا لله ، والضحية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واحياء لسنة خليل الله سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وينبغى للمسلمين فى أعيادهم الاسلامية أن يستقبلوها فرحين مسرورين يهنىء بعضهم بعضا يوسعون على أولادهم ويصلون أرحامهم ويتوادون ويتراحمون متعاونين على البر والتقوى متصدقين على الفقراء مواسين اليتامى والبؤساء حتى يشعر المسلمون أنهم جميعا فى يوم عيد.

هذا هو العيد فى الاسلام ، بشر يعلو الوجوه وفرح يملأ القلوب وتمتع بما أحله الله من الطيبات وليس العيد انكبابا على الملذات وانتهاكا للحرمات ، ولا هو انحراف عن صراط الله المستقيم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)) .

فعلى المسلم ان يقضى العيد فى بهجة وسرور وان ينهج نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لقد كان لكم فى

الصدقة بها افضل

فاذا قدر على أن يتصدق بها كان افضل وأبقى عند الله ثوابا . سأل النبى صلى الله عليه وسلم عائشة عن شاه ذبحوها ما الذى بقى منها فقالت له : ذهبت كلها وبقى ربعها فقال لا : بل بقيت كلهـا وذهب ربعها .. يعنى ان الاكثر هو الذى بقى فى الحقيقة لبقاء ثوابه . أما الربع الذى سيأكلونه فهوالذى ذهب حقا لانه لا ثواب عليه فانه يذهب بمجرد ابتلاعه . والافضل ان يذبحها صاحبها بيده ، فان كان لا يحسن الذبح أناب عنه وهو حاضر من يقوم له بذلك لان فى حضور ذبحهـا ثوابا اجزل .

وقد وجهنا هذا السؤال للسيد الدكتور محمد كامل النقى

من هو القادر ..؟

فاجابه بقوله :

القادر عنـد الحنفيـة من يملك مائتى درهم « ٢/٣ ٥٢٩ » قرشا تزيد على مسكنه وملبسه ومايحتاج اليه من المتاع ، واذا كان له عقار يستغله تلزمه الاضحية اذا دخل منه قوت عام وزاد مع النصاب المذكور . وقيل تلزمه الاضحية ان دخل منه قوت شهر . وان كان العقار وقفا تلزمه الاضحية ان دخل له من العقار قيمـة النصاب وقت الاضحية .

والقادر عند الشافعية فهو من يملك ثمنها زائدا عن حاجته وحاجة من يعوله يوم العيد وأيام التشريق . ومن الحاجة ما جرى العرف به من التوسيع على العيـال فى موسم العيد .

والقادر عند المالكية هو الذى لا يحتاج الى ثمنها لامر ضرورى فى عامه ، فاذا احتـاج الى ثمنهـا لا تسن له الاضحية .

والقادر عند الحنابلة من يمكنه الحصول على ثمنها ولو بالدين متى كان قادرا على وفاء دينه

من ذلك نرى أن شرط الاضحية ـ واجبة كانت عند الاحناف او سنة عند غيرهم ـ القدرة على اختلاف فى تفسير القدرة بالاضافة الى الشروط الاخرى من الحرية او الاقامة او البلوغ ، او العقل مما هو ملاحظ مع القدرة فى وجوبها أو سنيتها .

فلو كان رب الأسرة غير قادر على الاضحية لم تكن واجبة ولا مسنونة وفى رأيى انه آثم متى شق على نفسه وبخاصة اذا كان يقصـد من وراء ذلك الرياء وحب السمعة مما يبطل الاعمال .

زيارة المقـابر

فضيلة الامام الاكبر

ما هو موقف الاسلام من زيارة المقابر ؟ ولماذا يختار الناس زيارة المقابر فى الاعياد وتجديد الاحزان ؟ هـل هناك آداب حددها الاسلام للزيارة ؟ ما حكم الاسـلام من عادات بعض النـاس فى المبيت واقامة المـآدب بين القبور ؟

زيارة المقابر مندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة وتتـأكد يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها ـ وقال الحنـابلة لا تتاكد الزيارة فى يوم دون يوم . وقال الشـافعية تتاكد من عصر يوم الخميس الى طلـوع شمس يـوم السبت وهذا قول راجع عند المالكية .

آداب تتبع أثناء الزيارة :

وينبغى للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع والاعتبـار بالموتى وقراءة القرآن . ومما ورد أن يقول الزائر عند رؤية القبور « اللهم رب الارواح الـفـانية والاجسام البالية والشعور المتمزقة والجلود المتقطعة والعظـام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة انزل عليها روحا ومنك وسلاما منى »

ومما ورد أيضـا أن يقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » . وكما تنـدب للنساء بشرط

زيارة القبـور للرجال تندب أيضـا للنساء العجـائز اللاتى لا يخشى منهن الفتنة ا ذالم تؤد زيارتهن الى الندب او النياحة والا كانت محرمة .

أما النساء اللاتى يخشى منهن الفتنـة ويترتب على خروجهن لزيارة القبور مفاسد ـ كما هو الغالب فى هذا الزمان ـ فخروجهن للزيارة حرام .

ويرى الحنابلة والشافعية كراهية خروج النسـاء لزيارة القبور مطلقا سواء كن عجائز او شابات الا اذا علم أن خروجهن يؤدى الى فتنة او وقوع محرم فانهـا تكون حراما .

الزيارة فى هذا الزمن :

ومن هذا يتضح ان ما يفعل الآن فى زيارة المقابر فى الاعياد والمواسم من المآدب والمبيت والهرج والمـرج وانتهاك حرمات الموتى كل ذلك لا أصل له فى الشريعة ، والاسلام لا يرضى عن شىء منه لانه مخالف لآداب زيارة القبور وليس فيه شىء من العظة والاعتبار .

فضيلة الاستاذ ابو بكر ذكرى

ما حكم الاسلام فى زيارة المقابر

موقف الاسلام من زيارة القبور فى العيد فالعلمـاء مجمعون على أنه بدعة محرمة ولم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه زار القبور فى العيد . بل كانت سنته أن يذهب الى المصلى من طريق ويرجع من الاخر دون أن يعرج على القبور مع أنها كانت فى طريقه !

اعتقاد خاطىء

اما اختيار الناس زيارتها فلاعتقادهم الناشىء عن جنون العاطفة بأن أقرباءهم ينتظرون برهم فى يوم العيد وان اهداء الفطائر وشهى المأكولات يسعدهم وكل ما يوزع على القبر من صدقات يصل فى الحقيقة اليهم وكم من فقير رأبناء يتكلف ما لا يطيق لان أباه جاءه يوما فى المنام وطلب منه عنبا أو بطيخا او كذا وكذا من المشتهيات الغالية الثمن .. وما هو الا أن يحصل على ثمنها بأية وسيلة فتكون هناك عند القبر . وليت شعرى ماذا بقى من عقائد قدماء المصريين الذى تضحك من تحنيطهم أشهى الاطعمة ووضعها مع الموتى فى قبورهم لتكون موضع عجب الناظرين اليها بعـد الوف السنين وهى كما هى لم

من القصص الغريبة ..!!

تمسها يد ميت قط . وأكاد ابكى الآن لذكرى رجل من قريتنا كان أميا نزيلا لا نعلم من أى البلاد جاء ، ماكان يخرجه من داره وانطوائه المؤبد بين غيابات جدرانهـا سوى حزنه على ابنته الطفلة الجميلة التى ماتت عطشى لان مرضها كان يمنعها من بلع الماء .. كنا فى طفولتنا ومع حشد من الكبار والصغار نتضاحك عليه وهو كالمخبول قد زاغت عيناه وحمل قلة من الماء المبرد بعناية وأسرع الى طوب القبر يسكبها عليه وينادى فى نواح الثكلى : اشربى يا بنتى اشربى يا بنتى . آه منك عطشانة ! اشربى ان قصته «الحزينة كلها» تثير ضحكنا وهو الامه التى كنا اذ ذاك [illegible] الحداثة لا نحسها . ومن المضحك أن جميع الذين كانوا يضحكون عليه اذ ذاك كانوا يعتقدون مثل [illegible] «الوثنية» [illegible] وهم كانوا [illegible] [illegible] [illegible] بين مجتمع يعتقد ذلك بينما هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] الموت [illegible] لا [illegible] لا حد لسخفه!

على كل حال لعل هذه [illegible] هى احد [illegible] ولعل كثيرا من قاعيها الآن لا يريدون [illegible] [illegible]

المسلمون والسلوك الأمثل فى العيد

إعداد: عبد الودود محمد طه : عبد القادر فيومى

العيد : تضحية وفداء . بذل وعطاء . حب واخاء . امل ورجاء .

ولقد عنى الاسلام أول ما عنى بتكوين مجتمع سليم يكون نموذجا للخلق القويم والسلوك المستقيم وكان المسلمون الاوائل نبراسا يهتدى به فى حياتهم العامة والخاصة حينما تمسكوا بشرعة الاسلام من تقويم للاخلاق وتهذيب للعادات .

ونحاول هنا أن نلقى الضوء على ما أراده الاسلام من تشريعاته الحكيمة .

الأضحية

أولا : الاضحية ومحاولة بعض الاسر أن تجعلها لزاما عليها ولو كان رب الأسرة غير قادر على ثمنها ، الاضحية ولمن تعطى وعلى من تجب ؟ كيف يتصرف المضحى فى أضحيته ؟ ما موقف الاسلام من ذلك ؟

زيارة المقابر

ثانيا : زيارة المقابر . ولماذا تعارف الناس عليها فى العيد خروج السيدات لزيارة المقابر والمبيت بها واقامة المآدب بينها . موقف الاسلام من هذه العادات الشائنة

معنى العيد

ثالثا : تحريف بعض الناس لمعنى العيد بالانغماس فى الملذات والخروج عن الحياة المستقيمة فما معنى العيد فى الاسلام ؟ وما معنى السلوك الامثل الذى يجب ان يتمثل به المسلم ؟

ومعنا فى هذه المناقشة أصحاب الفضيلة :

فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر

فضيلة الشيخ أحمد هريدى مفتى الجمهورية

فضية الشيخ ابو بكر ذكرى

فضيلة الاستاذ الدكتور محمد كامل الفقى الاستاذ بكلية اللغة العربية .

مع فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر

الاضحية : ومحاولة الاسر أن تجعلها فرضا على رب الأسرة مهما كانت ظروفه ؟

ما موقف الاسلام من الاضحية وعلى من تجب ؟ ولمن تعطى ؟

الاضحية على القادر

اتفق جمهور الفقهاء على أن الاضحية سنة مؤكدة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها والمعتمد من مذهب الحنفية انها واجبة ، ووجوبها أو سنيتها انما هو للقادر عليها واما العاجز عن فعلها فلا تجب عليه ولا تسن له.

والقادر عند الحنفية هو من يملك نصاب الزكاة اى مائتى درهم ، وعند الحنابلة من يمكنه الحصول على ثمنها ولو بالدين . اذا كان يقدر على وفاء دينه ، وعند المالكية من لا يحتاج الى ثمنها لأمر ضرورى فى عامه فان احتاج الى ثمنها فى عامه فلا تسن .

وقال الشافعية : القادر عليها هو الذى يملك ثمنها زائدا عن حاجته وحاجة من يعول يوم العيد وأيام التشريق . مما جرت العادة بوجوده ايام العيد وزاد الحنفية « الاقامة » فلا تجب على مسافر وان تطوع بها اجزاته .

توزيع الضحية

قال المالكية يندب أن يجمع بين الأكل منها والتصدق والاهداء بدون تحديد معين . بل يفعل فى ذلك كما يحب .

وقال الحنفية : يندب أن ياكل من لحم أضحيته ويدخر ويتصدق ، والأفضل أن يتصدق بالثلث ويدخر الثلث ويتخذ الثلث لاقربائه وأصدقائه ولو أخذ الكل لنفسه جاز لان القربة تحصل باراقة الدم . هذا اذا لم تكن منذورة . والا فلا يحل الاكل منها مطلقا بل يتصدق بها جميعها .

وقال الحنابلة : يسن أكل ثلث الاضحية واهداء ثلثها ولو لغنى والتصدق بثلثها على الفقراء .

ويقول الاستاذ ابو بكر ذكرى : الاضحية فى قول أكثر العلماء سنة مؤكدة

وعند أبى حنيفة قول بالجواب وقول بالسنية - يلاحظ أن الواجب عنده فوق السنة ودون الفرض - وشرطها القدرة واليسار اعنى أن يكون ثمنها فاضلا عن ديونه العاجلة وحاجاته الضرورية

هل تجب على الصغير

اختلف هل يكلف بها الصغير او لا يكلف ؟ قيل لا يكلف لانها قربة الى الله والصغير لا يعقلها .

وقيل أن يضحى عنه المتكفل بأمره اذا كان لهذا الصغير مال فائض . أما التكلف من أجلها مع عدم القدرة عليها فحرام لمخالفته الاصل الاسلامى المشهور « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ولان الفرض منها حينئذ يكون حب الظهور والفخر والخضوع للتقاليد وذلك كله خروج عن الاخلاص الواجب فى جميع القربات والعادات . أما من تعطى له فهم الفقراء والمساكين والذين اعسروا بعد يسر اذا كان ذلك بطريق لا يسىء الى مشاعرهم :

وأما عن التصرف فيها فالمهم الا يقل المتصدق به عن الثلث وللمضحى بعد ذلك ان ياكل منها ويطعم من يشاء غنيا او فقيرا !

الرى بان الارض « الطينية » الصالحة للزراعة لا تبعد عن سطح الرمال باكثر من عشر سنتيمترات •

وفى اليمن :

⊙ استقبلت جمهورية اليمن المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، والسيد انور السادات رئيس مجلس الامة والسيد حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للسيد رئيس الجمهورية حيث عقدت عدة اجتماعات هامة •

⊙ ابرقت جماهير الشعب اليمنى الى الرئيس جمال عبد الناصر تسجل شكرها بتصريحاته الوطنية فى عيد الوحدة بان القوات المصرية ستبقى فى اليمن حتى تتم تسوية المشكلة •

⊙ بدات مؤسسة الادوية العربية الجديدة فى اليمن نشاطها ، كما بدا الدكتور محمد كامل الواسعى وزير الصحة يزور المناطق الشعبية لاعداد الاحتياجات اللازمة منها من المستوصفات والمصحات العلاجية •

⊙ تعقد جمهورية اليمن – لاول مرة – امتحانا لطلابها هذا العام فى الشهادة الثانوية العامة فى نفس الوقت الذى تعقد فيه الامتحانات فى القاهرة وفقا للاتفاق الثقافى بين الدول العربية وسترسل الاسئلة الموحدة من القاهرة الى اليمن والبلاد العربية •

وفى عدن :

⊙ استنكر اتحاد العمال العرب اغتيال الزعيم العمالى العدنى على حسين القاضى زعيم نقابات العمال فى عدن، وقد طالب مؤتمر نقابات عمال عدن المندوب السامى البريطانى هناك باجراء تحقيق عاجل بعيد عن التحيز•

⊙ تم تشكيل مجلس موحد لقيادة الثورة فى الجنوب اليمنى المحتل يضم ٣٠ عضوا ، وسيكون مقره الدائم فى مدينة تعز ، وقد انشا مكتبا له فى القاهرة وانتخب السيد مكاوى امينا عاما لجبهة التحرير . وقد أعلن ناطق باسم الثوار فشل المقترحات الدستورية البريطانية فى المنطقة •

وفى السودان :

⊙ اعدت حكومة السودان مشروعا بقانون يقضى باعتبار نشر الشيوعية والالحاد جريمة يعاقب عليها القانون • وقد اصدرت المحكمة السودانية العليا حكما بالسجن ستة اشهر على بعض طلاب شيوعيين تطاولوا بالقول على مقام حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه السيدة عائشة رضى الله عنها فى احدى الندوات •

⊙ زار فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر جمهورية السودان لمدة اسبوع التقى فيه بكبار رجالات السودان من اصدقائه القدامى لتوطيد دعائم الصلات الثقافية والاسلامية •

⊙ ادلى السيد الصادق المهدى رئيس حزب الامة السودانى بتصريح هذا الاسبوع كذب فيه ما اذاعه راديو لندن منسوبا اليه عن الحلف الاسلامى وقال : ان حزبه يؤيد الاتصال بالشعوب الاسلامية ولكنه لا يوافق على الارتباط بهذا الحلف •

وفى لبنان :

⊙ بدا عملاء الحلف الاستعمارى الاخير يستخدمون سلاح المال والسهرات المشبوهة للدعاية الى الحلف الكافر

⊙ اذاعت جبهة التحرير العمالى فى لبنان بيانا طالبت فيه بتمثيل العمال فى المجلس النيابى وفى ادارة المؤسسات والشركات ، وانشاء قطاع صناعى عام

⊙ اقترح الشيخ نجيب علم الدين وزير الاشغال اللبنانى على مجلس الوزراء الغاء مصلحة السكة الحديد لما تكبده للدولة من خسائر ، ورفضت وزارة المالية اللبنانية الاشتراك فى عدد من المعارض الدولية توفيرا للنفقات •

⊙ انشات لبنان مركزين ثقافيين لتعليم اللغة العربية فى كل من نيجيريا والسنغال •

وفى باكستان :

⊙ اقامت الجامعة القاسمية عددا من الاحتفالات الدينية الشعبية فى كراتشى ، وبشاور ، ولاهور ، وراولبندى ، وملتان ، وضم كل احتفال نحو ٣٠٠ الف شخص من طوائف الشعب، وحضرها الرئيس ايوب خان رئيس الجمهورية والوزراء والمحافظون كما شهدها رجال الهيئات الاسلامية والثقافة وفى طليعتهم الشيخ زاهر قاسمى شيخ الجامعة واخوته والشيخ احتشام الحق الزعيم الدينى والشيخ محمد يوسف والشيخ محمد عبد الحامد البديونى رئيس علماء باكستان واشترك فى احيائها الشيخ محمود الحصرى شيخ المقارئ العربية والمستشار الفنى لوزير الاوقاف والشيخ عبد الباسط عبد الصمد وعدد من قراء السعودية واليمن وكراتشى •

وفى غانا :

⊙ منع سفر الحجاج المسلمين من غانا بسبب الانقلاب الذى جعل اكرا فى قبضة الثورة المضادة للرئيس كوامى نكروما •

وفى الاردن :

⊙ بعثت حكومة الاردن الى حكومة لبنان باحتجاجها على حملات بعض صحف لبنان على الاردن •

وفى الكويت :

⊙ انتهت أعمال المؤتمر العربى لتنمية الصناعة فى الكويت الذى بحث مشكلات التصنيع والتعاون فى المجال العربى •• وقد انتخب الشيخ عبد الله الجابر رئيسا للمؤتمر • واعلنت الجمهورية العربية المتحدة انها تضع خبرتها وتجاربها فى خدمة الشعب العربى •

وفى البحرين :

⊙ تشير بعض الانباء الى ان بريطانيا على وشك نقل قاعدتها العسكرية من عدن الى البحرين •

وفى سيراليون :

⊙ اذاع جهاد جلاوى من سيراليون بيانا طالب فيه التنظيمات الشعبية فى العالم الاسلامى ان توحد صفوفها لضرب الحلف الاستعمارى الجديد الذى يهدف الى محاصرة الجمهورية العربية المتحدة ودورها القيادى •

ومن لندن :

⊙ جردت الحكومة البريطانية احد اللوردات من لقبه لانه اعلن اسلامه

⊙ تلقى الاتحاد العام للطلاب العرب فى المملكة المتحدة وايرلندا برقية شكر من السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ردا على برقية تهنئتهم بعيد الوحدة قال لهم فيها : « تلقيت برقيتكم التى حملت الى تهنئتكم بمناسبة عيد الوحدة ويسرنى ان ابعث اليكم بتحيتى مقدرا لكم وطنيتكم وعروبتكم الصادقة ومشاعركم الرقيقة نحوى • ومع شكرى العميق ابعث اليكم بتمنياتى بالتوفيق راجيا ان يسدد الله على الطريق خطانا جميعا حتى تتحقق اهداف امتنا فى الحرية والاشتراكية والوحدة » •

ومن المانيا :

⊙ اذاع شباب حركة القوميين العرب فى المانيا بيانا بمناسبة ذكرى الوحدة العربية بين مصر وسوريا بيانا اعلنت فيه انه قد آن الاوان لوحدة عربية هدفها التعمير الذى قام أثناء الوحدة بين مصر وسوريا وليست وحدة الحلف الاستعمارى المزعوم

العالم الإسلامى فى شهر

أخبار - أحداث - تعليقات

الأستاذ محمود الكوكى

- المجلس الاعلى للشئون الاسلامية يواجه نشاط الاستعمار ضد الاسلام بين الشعوب الاسلامية .
- حفر ١١ كيلو مترا فى جبل الفيوم لتروى مياه النيل ٤٠ ألف فدان بوادى الريان .. (القاهرة)
- بريطانيا على وشك نقل قاعدتها العسكرية من عدن الى البحرين (البحرين)
- عمال عدن يطالبون السفير البريطانى بتحقيق عاجل عن اغتيال زعيم العمال (عدن)
- منع سفر الحجاج المسلمين فى غانا بسبب الانقلاب الاخير . (غانا)
- الحكومة البريطانية تجرد أحد اللوردات من لقبه لانه أعلن اسلامه .. (لندن)
- عمال لبنان يطالبون بتمثيلهم فى البرلمان ومجالس المؤسسات والشركات .. (لبنان)

فى القاهرة :

⊙ احتفلت القاهرة بعيد الوحدة بين اقليمى مصر وسوريا فى الجمهورية العربية المتحدة ، والقى قائد النضال العربى والاسلامى السيد الرئيس جمال عبد الناصر خطابا موجها الى الشعوب العربية والاسلامية ربط فيه مراحل النضال العربى ضد الاستعمار والرجعية وكشف تحركات الاستعمار وعملائه لتحطيم القوى الثورية فى العالم الاسلامى .

⊙ بدات اجهزة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ولجانه المختلفة تعقد عدة اجتماعات مع السيد محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس لمواجهة نشاط الاستعمار وعملائه فى الصعيد الاسلامى وفى بلاد آسيا وافريقيا على مستوى الشعوب والهيئات الاسلامية .

وقد وزع المجلس الاعلى يوم الاحتفال بعيد الوحدة ٥٠ الف نسخة من آراء علماء الدين ورجال الدعوة الاسلامية وأساتذة الجامعات فى الحلف الاسلامى على الهيئات والشعوب المختلفة فى الداخل والخارج .

⊙ أصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية كتابين جامعيين ضمن برنامجه العام فى طبع الكتب الجامعية للتيسير على طلاب جامعة الازهر احدهما « الشريعة الاسلامية والقانون الدولى للمستشار على منصور ، والثانى « من الفقه الجنائى المقارن للمستشار احمد موافى » وهما مقرران على طلاب كلية القانون والشريعة الاسلامية

⊙ يجرى حفر احد عشر كيلو مترا فى جبل الفيوم لتوصيل مياه النيل الى ٤٠ الف فدان فى وادى الريان . وقد صرح المهندس عبدالخالق الشناوى وزير

اليمن

وعن اليمن تحدث الينا السيد احمد عبد الوهاب الحبشي وسالناه عن المظاهر المتبعة التى يستقبل بها شعب اليمن الحبيب عيد الاضحى المبارك وتفضل سيادته بالاجابة قائلا :

تستقبل اليمن عيد الاضحى المبارك بفرح كبير ويستمر هذا الفرح اسبوعا كاملا لعودة كثير من اليمنيين الذين يعملون خارج الجمهورية اليمنية وتكثر حفلات الزفاف لان العيد يعطى فرصة الوقت اللازم لاتمام الزفاف ويتجمع الاصدقاء والاحباب •

وهناك وقفتين وقفة صغيرة ووقفة كبيرة والوقفة الصغيرة تكون قبل يوم العيد بيوم اما الوقفة الكبيرة فهى اليوم الذى يليه العيد وتذبح الذبائح بعد صلاة العيد مباشرة •

وهناك يذهب المريد الى الشيخ فى الطرق الصوفية ويهنئه بالعيد السعيد وتخرج الطوائف حاملة المرفع « الطبلة » ويرقصون فى الشوارع •

موريتانيا

بعد ذلك توجهنا الى سفارة موريتانيا وبسؤالنا السيد المستشار الصحفى عن كيفية استقبال شعب موريتانيا الحبيب عيد الاضحى المبارك قال :

لايوجد فى موريتانيا مظاهر خاصة للاحتفالات غير المتبعة فى الدول الاسلامية التى تتبع السنة ذلك لانكم تعلمون ان شعب موريتانيا مائة فى المائة مسلم فليست هناك عادات او تقاليد من اديان اخرى انما يهتمون بالعيد اهتماما كبيرا يسمونه العيد الاكبر ويحتفلون به اكثر من رمضان ويكثر الذبح وتضحى كل عائلة واللحوم هناك متوفرة باختلاف الطبقات ويكثر فيه اكل اللحوم ويوزع على المحتاجين والفقراء جزء معين وجزء بسيط لذابح الفدية ويوزع الباقى على الجيران • وفى مثل هذا العيد نجد ان الاطفال يلبسون الجديد ومعظم الناس يتزاورون • ثم استفسرت المجلة من سيادته عن الطريقة المتبعة فى ذبح الفدية ؟

فقال : شعب موريتانيا يتبع فى ذبح الفدية مثل البلاد الاسلامية الاخرى وذلك بان يذبح الناس الفدية بعد تاكدهم من ان الامام قد ذبح فديته وهذه السنة المفروض ان تكون متبوعة لان الرسول هو الامام حينما كان يذبح يتبعه الناس وكذلك كان فى فجر الاسلام كان الامام يضحى ويقتدى به الباقية وهى ليست شعيرة من الشعائر وليست صفة مميزة لناس دون ناس وانما هتمام ناس دون ناس ومقدار اتباعهم للسنة وردت فى الكتب الفقهية وكتب السيرة •

واكثر الاضحية هى الاغنام او الماعز واكثر الشعب فى موريتانيا يعيشون على تربية الاغنام ذلك ان جميعهم يدرسون الشريعة دراسة واضحة فيهتمون بصلاحية الغنم من حيث ان لاتكون عرجاء او مريضة وهذا يعطينا فكرة انهم متمسكون بالسنة ونواحى الدين •

وهناك ليس فيه غلو من ناحية زيارة المقابر فهم يزورونها فى اى وقت زيارات خفيفة وهى عبارة عن دعوات وتكون المقبرة قريبة • كما انهم يتبعون السنة فى عدم وجود شواهد ظاهرة للمقابر •

والمذهب المتبع هناك مالكى ويوجد هناك بعض الطرق الصوفية وان بدات تضمحل نسبيا واكثرها موجود فى البلاد المجاورة كالصومال ويوجد لهم اتباع فى موريتانيا

ثم انهى سيادته حديثه بقوله : وبطبيعة الحال انتهز هذه الفرصة لازف تهانى شعب موريتانيا بعيد الاضحى المبارك الى العالم الاسلامى كله •

الصومال

وانتهى بنا المطاف فى سفارة الصومال حيث قابلنا المستشار الصحفى السيد حسن العجيل وتفضل مشكورا بنقل هذه الصورة لاستقبال شعب الصومال لعيد الاضحى المبارك •

الصومال كغيره من البلاد الاسلامية يستقبل عيد الاضحى المبارك بفرح وسرور ومرح وكل عائلة تستعد استعدادا خاصا سواء بشراء بعض الحاجيات للاطفال او بشراء الخراف والبعض الاخر يشترى الجمال لاجل زيادة الكمية الموزعة على الفقراء والبعض الاخر يشترى بقرتقل حسب الامكانيات المادية •• وتلقى بعض الاناشيد الدينية فى المساجد وفى الاماكن العامة ويذكرون الله ويكبرونه فى كل مكان والعائلات فى زيارات مستمرة فرحة مستبشرة بقدوم العيد السعيد •

وبعض الناس يقومون بجميع مناسك الحج وهم موجودون فى الصومال •• مثلا يحلقون شعورهم ويلبسون اللباس الابيض ويتقشفون ويذكرون سيرة النبى •

وتسمع صيحات من التكبيرات والذكريات والتلبيات الدينية اسوة بالحجاج على اساس ان قطار الحج قد تخلف عنه لاسباب مادية ويريد ان يشعر بانه يشارك المسلمين معنويا •

ونجد فى العيد ايضا كل العائلات متوجهة الى الميادين ليشاهدوا الرقصات الشعبية وتستمر هذه الحفلات حتى بعد ايام العيد بايام ولا يشترط عندنا ان يذبح الامام الفدية اولا ولكن يتم الذبح بعد صلاة العيد مباشرة والمذهب شافعى •

وطبعا نجد ان رئيس الجمهورية يتصدر المصلين فى يوم العيد وكذلك رئيس الوزراء والوزراء واعضاء البرلمان والصلاة تتم بشكل رسمى وجرت العادة بان يوجه رئيس الجمهورية كلمة موجزة للشعب الصومالى يهنئهم بالعيد ويذكرهم بمصالح البلاد كما يهنىء المسلمين فى جميع انحاء العالم بهذا العيد المبارك •

اما الاطفال الصغار فهى لا تختلف عن اولاد المسلمين فى العالم الاسلامى حيث يسعون نحو اقاربهم للحصول على قدر اكبر من الهبات والعطايا •

الخاتمة : وبعد •

فقد كانت هذه جولات اردنا بها ايضاح معالم الصورة الاسلامية فى العيد وكيفية استقبال المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها لهذا العيد السعيد ونرجو ان تشرق على المسلمين شمس اليوم الجديد وهم فى عزة وقوة ومنعة والمسلمون بدينهم متمسكون وعلى طريق الحق سائرون وفى سبيل القوة والعزة ماضون والله متم نوره ولو كره الكافرون •

والى اللقاء •

المدينة يملكون سيارات فتجدهم خارج المدينة فى مكان بناء او نزهات بعيدة عن المدينة اما فى القرية فيتناولون افطارهم من اللحم • ويطلقون الرصاص تحية للعيد ويتبارى الرجال بالقاء الاشعار الزجلية ويتبارون فى العاب الفروسية والمسابقات ولعبة « السلس » هى لعبة التحطيب • والنساء يتجمعن عند احدى الجارات او القريبات وينشدن الاغانى الريفية على الطبل وهكذا لمدة ثلاثة ايام •

وتجد النساء يذهبن الى المقابر قبل ظهور الشمس لزيارة موتاهم ويصطحبن المقرئين لتلاوة سورة ياسين •

اما الاطفال فيستيقظون مع الفجر ويرتدون ملابس العيد الجديدة ويذهبون الى ساحات تقام فيها مدن صغيرة للملاهى •• وبعد ان يكونوا قد اخذوا العيدية من والديهم يزورون اصحابهم واقاربهم •

الاردن

كانت مناسبة جميلة ان جمعتنا الظروف فى ساعة من الصفاء مع السيد موسى الكيلانى المستشار الصحفى لسفارة شعب الاردن وتحدثنا معه فى كيفية استقبال شعب الاردن الحبيب لعيد الاضحى المبارك فاجاب :

ينتهز الشعب الاردنى عيد الاضحى المبارك ويجد فيه فرصة مواتية لتجديد وتلميع الاواصر العائلية بين مختلف الاسر •• فما من مريض راقد فى فراشه الا ويراه افراد العائلة يزورونه فى يوم واحد ، وما من عجوز قابعة فى بيتها الا وتجد جميع اخوانها وابناء اخوانها يزورونها فى يوم واحد •

وقد جرت العادة ان يتوجه فى الساعات الاولى من صباح يوم العيد جميع الرجال والشباب الى المسجد حيث يؤدون صلاة العيد ثم يتوجهون الى زيارة المقابر كما يقوم اهل الفقيد فى يوم العيد بالمكوث فى بيتهم بعد ذلك وتقبل الزيارة ايضا فى المنزل وذلك بمناسبة مرور العيد الاول للميت • وبعد ذلك يتوجه اهل البلد كل الى بيته حيث يذبحون احد الخراف ويقدمون قطعا منها الى الفقراء والى الجيران •

وقد جرت العادة ان يتناول جميع افراد العائلة طعام الغداء فى اول ايام العيد لدى بيت كبير العائلة وزعيمها وبعد الغداء ينتشر الناس بزيارة بعضهم البعض وتقديم التهانى بالعيد وتقبلها •

ولقد جرت العادة فى الاردن ان يكون العيد مناسبة كبرى لتصفية الخلافات والحزازات والوصول الى توافق وصلح وانسجام فيما بين اهل البلد اما بالنسبة للاطفال فى مظاهر العيد فهى متشابهة تقريبا فى كل بلد - الالعاب والمراجيح ووسائل اللهو الاخرى الخاصة بهم

الجزائر

ولقد تناقشنا مع السيد زبير فضاله والسيد مسعود سياد من الرابطة الخاصة بالطلبة الجزائريين وسالته كيف تستقبل الجزائر عيد الاضحى المبارك فقال :

عيد الاضحى اساسه دينى يبدا من صلاة العيد ثم يعود صاحب العائلة الى المنزل لذبح الفدية بعد سماعه ضرب المدافع الثلاث ولتاكيد الناس ان امام المسجد قد ذبح الفدية • ويبدا الناس فى ذبح الفدية وتكون عادة من الخراف الا الفقراء فيذبحون الماعز • المهم ان الجميع يقومون بعملية الذبح وتاخذ الاحتفالات طابعا اجتماعيا تجول فى الحدائق العامة - احتفالات الاطفال - تبادل الزيارات وتسوى المشاكل الخاصة بالعائلات

وتحتفل الاذاعة بالاناشيد الدينية والذكر ونجد فى كل مكان التكبير « الله اكبر » « لبيك اللهم لبيك » • وفرق الكشافة والمسرح تعرض سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وتقوم الناس بالسهرات والاحتفالات •

السودان

وفى سفارة السودان :

تقابلنا مع السيد الطاهر محمد على البشر المستشار الصحفى للسفارة وسالناه كيف يستقبل شعب السودان عيد الاضحى المبارك •• فقال •

عيد الاضحى المبارك هو مايطلقون عليه العيد الاكبر ويبدا الاستعداد له بشكل اوسع منه فى العيد الاصغر وتبدو هذه الاستعدادات فى شكل ملابس جديدة وشراء الذبائح وخصوصا الخراف •• كلهم يضحون من هذه الذبائح التى تقسم بعد ذبحها حتى بالنسبة للذابحين وفى العاصمة يكون هذا التقليد ايضا •

والانسان الاجنبى عن الشعب السودانى يكون اكثر رعاية وخصوصا فى هذا العيد •

وصلاة العيد بالاحياء على مجموعات •• كل منطقة تصلى بمفردها وهذه الصلاة ينفرد بها شعب السودان دون غيره من الشعوب وهى الصلاة فى العراء وخصوصا صلاة العيد •

وهناك مظهر من المظاهر اللطيفة فى كل حى وهم يسيرون فى مجموعات للتعارف والزيارة حتى للذين ليست بينهم علاقة •

ومن مظاهر العيد ايضا ان جلود الاضحية ترسل الى المساجد تباع وتصرف على المساجد والمدارس للتبرع والتاسيس وبعضهم يرسلها الى الفقراء •

وطبعا سكان الاقاليم يتواجدون بالعاصمة والاخرون يذهبون الى القرى ويعطى هذا مظهرا من مظاهر الاخاء والمحبة فى السودان •

وعادة يكون الزواج فى خارج العاصمة فى مثل هذه الايام والغرض من هذا هو اجتماع كل الناس فى هذه الايام وهذا يشمل فرصة الزواج والعيد •

ويتبع الناس المذهب المالكى وهم يشترطون ان الذبيحة تكون بعد انتهاء الصلاة وان الامام يذبح اولا ثم يليه الناس بعد التاكد من ان الامام قد ذبح ضحيته فعلا ، وان كان هناك عدة اسر فى منزل واحد فى العيد لايكفى ان يذبح الفرد الواحد الذبيحة وانما العادة ان ترتب الذبيحة على ايام العيد الثلاثة الاول •

وعادة الذهاب الى المقابر فى العيد الاكبر لاتكون ملحوظة الا فى العاصمة وبطريقة مبسطة •

وان العيد الاول بعد وفاة القريب او الحبيب يجدد الحزن ويتجمع الناس وخصوصا فى الاقاليم وهذا الحزن لعدم مشاركته اياهم فى هذه الايام المباركة •

وفى هذه الايام تكثر الاجتماعات الدينية لاصحاب الطرق الصوفية •

لامر ربه ويضحى بولده طاعة لله وكذلك يخضع ابنه اسماعيل للامر متذرعا بالصبر على هذا البلاء وما ان يهم الأب بذبح ابنه حتى تشملنا رحمة الله تعالى بفداء عظيم • ويقص علينا القرآن الكريم قصة التضحية والفداء فيقول الله سبحانه « وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى اننى أرى فى المنام أنى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال ياابت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين »

وهكذا يتعلم المسلمون كيف يكون الثبات على المبدا وكيف ترتخص النفوس وهى اعز ما يملك الانسان فى سبيل المبدا والعقيدة •

يتذكر المسلمون هذا الدرس فى يوم العيد الاكبر ، ويقدمون الضحايا من الابل والبقر والضان ، ويختارون ضحاياهم مبراة من العيوب ، سالمة من التشويه ولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فقد ضحى صلوات الله وسلامه عليه بكبشين اقرنين املحين ، وقال فى احدهما « اللهم هذا عنى وعن اهل بيتى » وقال فى الاخر « اللهم هذا عن فقراء امتى »

فعلى المسلمين ان يختاروا ضحاياهم ، فان كانت من الابل او البقر - اجزات الراس منها عن سبعة اشخاص ، وان اختاروها من الضان فان الراس منها لاتجزىء الا عن واحد فقط • قال تعالى « انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر »

أسال الله سبحانه أن يوفق حجاج بيته الحرام لاداء مناسك الحج على خير وجه واحسنه وان يقبل من المسلمين نسكهم فى يوم عيدهم الاكبر •

وكل عام وانتم بخير •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

العراق

وفى جولتنا التقينا بالسيد الملحق الصحفى لسفارة العراق ونقل لنا تلك الصورة التى يستقبل بها شعب العراق المجيد عيد الأضحى المبارك •

والواقع انه منذ مجىء الرئيس عبد السلام عارف بدا تقليد جديد •• هو ان يذهب الرئيس لاحد مساجد بغداد يحف به كبار ضباط الجيش والوزراء ويؤدى صلاة العيد ثم ينطلق موكبه مخترقا شارع الرشيد حيث يصطف ابناء الشعب على الارصفة وتنطلق الاكف بالتصفيق والهتاف له • ثم يقصد نصب الجندى المجهول فيضع اكليلا من الزهر عليه ويقرا هو ومن معه الفاتحة ثم يواصل جولته فيزور المستشفى العسكرى فى معسكر رشيد ثم يزور النادى العسكرى لتهنئة الزملاء العسكريين بالعيد •

ويعود الى القصر الجمهورى حيث يتزاحم الناس لتسجيل اسمائهم فى سجل خاص يفتح لهذه الغاية يتقبل من المواطنين التهانى •• هذا التقليد بدا فقط منذ عهد الرئيس عبد السلام عارف ولم يكن موجودا من قبل •

اما العادات الثابتة والتقاليد المتوارثة والدارج عليها شعب العراق كما هى العادة تختلف عادة اهل القرية قليلا عن اهل المدينة • فنظرا لان معظم عائلات اهل

عادات وتقاليد الدول الإسلامية

فى عيد الأضحى المبارك

إعداد : عفاف خليل - مصطفى زاهر

○ يستقبل المسلمون عيد الاضحى المبارك وتجمعهم فرحتان فرحة المسلمين وقد ادوا فريضة الحج وقضوا مناسكهم وتيسرت لهم زيارة قبر النبى عليه السلام . وفرحتهم بعودة الايام والاسلام يزدهر وينتشر فى كل مكان ترفرف رايته خفاقة فى جميع البلدان .

○ والاسلام بدا قويا باصحابه وهاهو اليوم يعود قويا كما بدا بفضل تآزر المسلمين وترابطهم .

○ ويستمد المسلمون فرحتهم بالعيد من ذكريات الماضى المجيد حيث كان المسلمون أيام الرسول عليه السلام يلتقون فى مثل هذه الايام على جبل عرفات يؤمهم الرائد الاكبر والمصلح الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم فيستشعرون بالراحة الكبرى ويحسون بقيمة هذا العيد ، واذا بهم فى غمرة من الفرح والسرور بما من الله على المسلمين من النعم وأتم عليهم دينهم « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

○ وهكذا تعم الفرحة الغنى والفقير الصغير والكبير ويلتقى الناس فى صفاء واخلاص

○ والعالم الاسلامى يهنىء بعضه بعضا بهذه المناسبة العظيمة ويرسلون تحياتهم وتمنياتهم الطيبة ويتبادلون الاخوة والمحبة .

○ وقد التقينا بالسيد الاستاذ فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر فوجه الى العالم الاسلامى تمنياته الطيبة فى كلمته التالية :

عيد التضحية والفداء

حينما يبزغ هلال ذى الحجة تهفو قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها الى بيت الله الحرام ، وتتعلق مشاعرهم بام القرى « مكة المكرمة » التى شرفها الله ببيته العتيق « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » ، كما تهفو القلوب الى مدينة يثرب حيث مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه قبره الشريف، ويشدون الرحال لزيارته فى قبره التى تعدل زيارته فى فى حياته كما ورد فى حديث صحيح عنه صلى الله عليه وسلم .

ويعد المسلمون عدتهم وقد شد منهم الرحال من ناداه ربه لحج بيته فاجاب « لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك » وهكذا يقصدون بيت الله الحرام رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ، تحقيقا لدعوة جد العرب الاكبر خليل الله سبحانه ابراهيم عليه السلام « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ويجتمعون فى تاسع ذى الحجة فى عرفات يلبون ويتجهون الى الله بالدعاء لهم ولاخوانهم وللاسلام بالعزة والقوة والنصر والتاييد .

ثم ياتى عاشر ذى الحجة وفى هذا اليوم الاغر يتقرب كل واحد من الحجاج الى الله بهديه شكرا له على ماوفقهم اليه من اداء المناسك ووفقهم لحج مبرور يعودون منه وقد قبلهم الله وغفر لهم ، يتقرب المسلمون بالضحايا احياء لسنة أبيهم ابراهيم فى التضحية والفداء ويسن للمسلمين أن يذبحوا ضحاياهم فى يوم عيد الاضحى متذكرين الدرس العظيم الذى اعطاه للانسانية كلها ابراهيم وفلذة كبده اسماعيل ، فابراهيم يرى فى منامه - ورؤيا الانبياء ضرب من الوحى - انه يذبح ابنه اسماعيل قربانا لله سبحانه ، وكان ابتلاء من الله عظيما فيصدع

الحج واقامة شعائره ووصلوا الى على ظهر الباخرة مكة الى السويس ثم القاهرة وركبوا الطائرة الى وطنهم

وعن المساجد :

فيبلغ عدد المساجد فى يوغسلافيا أكثر من ٢٠٠٠ مسجد ولكل مسجد امام يقوم بمهة الوعظ والارشاد واداء رسالة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقوم على الخصوص بمهمة التعليم الدينى •

دستور الطائفة الاسلامية فى يوغوسلافيا

وللمسلمين فى يوغوسلافيا دستور اقره مجلس الاوقاف الاعلى فى جلسته المنعقدة فى ١٣ يوليو سنة ١٩٥٩ بمدينة سرايفو وهذا الدستور هو القانون الاساسى وتقوم عليه تنظيم الحياة الدينية للطائفة الاسلامية فى الجمهوريات الاربع التى يسكنها المسلمون مع مواطنيهم من اتباع سائر الاديان •

ويحدد الدستور الهيئات الدينية الاسلامية واختصاصاتها ويعين الاساليب والطرق التى من شانها حماية التعاليم والمبادىء الاسلامية والمحافظة عليها وتقويتها وقد جاء فى دستور هذه الطائفة ان من اهم اهدافها المحافظة على حياة المسلمين الدينية وتقويتها وتعزيزها •

وتصل الى اهدافها بما هو آت :

١ ـ تعليم الدين الاسلامى وتلقينه •

٢ ـ الاهتمام بتربية افراد الطائفة الاسلامية تربية دينية وخلقية

٣ ـ القاء المحاضرات الدينية « الوعظ »

٤ ـ اصدار الكتب والمجلات

٥ ـ بناء المساجد وتاسيس المدارس الدينية

٦ ـ اعداد الموظفين للوظائف الدينية • واعداد المدرسين للقيام بمهمة تدريس العلوم الدينية

٧ ـ القيام بكل نشاط وعمل من شانه ترقية الحياة الدينية لافراد الطائفة الاسلامية بمقتضى تعاليم الدين الاسلامى الحنيف •

زعيم مسلمى يوغوسلافيا

هو الحاج سليمان كمورا ويشغل منصب رئيس العلماء المسلمين فى يوغوسلافيا منذ تولاه فى اعقاب اعتزال الحاج ابراهيم فيتش بسبب شيخوخته ومرضه •

وهو من مواليد سنة ١٩٠٨ بسرايفو ومن اسرة معروفة برز اعضاؤها فى كثير من ميادين العلم منهم الشيخ سيف الدين كمورا المستشرق والعالم الدينى المعروف

الآثار الاسلامية فى يوغوسلافيا

تمثل العمارة الاسلامية جانبا كبيرا من التراث القومى فى يوغوسلافيا وفى البلاد ثروة رائعة من المساجد والمدارس والاسبلة ولا سيما فى سرايفو وسكوبى وموستار •

ففى سرايفو مجموعة طيبة من المدارس والمساجد والنافورات شيد غالبها فى العصر العثمانى • واهم الآثار الاسلامية هو مايوجد فى سرايفوا عاصمة اقليم بوسنة وهرسك والتى تعتبر حاضرة الاسلام فى يوغوسلافيا • ونلاحظ ان طائفة كبيرة منها تنسب الى منشئها خسروبك احد ولاة العثمانيين على بوسنة وقد عاش فى سرايفو الى ان مات عام ٩٤١ هـ ـ ١٥٤١ـ ١٥٤٢ م ـ ودفن بالمسجد الذى شيده عام ٩٣٧ هـ ـ ١٥٣٠ م ـ وقد اشتهر خسرو بك بغزواته الكثيرة للبلاد التى على حدود تركيا وخاصة بوسنة وعلاوة على المسجد المذكور شيد مدرسة مقابلة له كما شيد حمامات للرجال والسيدات ومازالت ذكرى هذا الرجل باقية فى اذهان هذا الاقليم الى اليوم •

على انه لم يكن خسرو اول من انشأ المبانى الاسلامية فى سرايفو فقد سبقه فى هذا المضمار الغازى اسحاق حاكم الاقاليم الغربية وكان قد شيد مسجدا على الشاطىء الايسر لنهر « ميلياكا » يعرف اليوم بمسجد القيصر وكان اسمه فيما مضى مسجد السلطان محمد الثانى والحقت به حمامات شعبية كما بنى قنطرة على ذلك النهر ومستشفى ودار اقامة للمسافرين • والى جانب هذا هناك مساجد عديدة •

وتتناثر مساجد سرايفو فى احيائها القديمة وتؤلف مع دورها الصغيرة انسجاما فتانا لاتجد له نظيرا فى اى مدينة اوربية اذا استثنينا استامبول

فى سكوبيا

كانت سكوبيا خلال الحكم العثمانى احدى كبريات العواصم التركية فى جنوب شبه جزيرة البلقان وبلغت المدينة اوج مجدها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر • ولقد اطنب الزائرون الذين تقاطروا عليها من الشرق والغرب فى وصف جمالها وجمال مبانيها وفخامة منشآتها •

ولما هاجم القائد النمسوى « بيكولوميني » المدينة فى اكتوبر سنة ١٦٨٩ واستولى عليها : احرقها بعد هزيمته وانسحابه • ولم يسلم من هذا الحريق الا النزر اليسير من الآثار •

ولعل اكبر الآثار الاسلامية الباقية بمدينة سكوبيا الى اليوم هو جامع السلطان مراد الذى انشىء عام ١٤٣٠ فى مكان كان يشغله قصر لاحد ملوك الصرب • اما جامع الغازى ازبك فهو اصغر حجما واحدث بناء من جامع السلطان مراد ولكنه عظيم الاهمية من الناحية الفنية • واعظم الآثار المعمارية فى سكوبيا قنطرة « دوشان او القنطرة الحجرية وهناك ايضا العمارة الشهيرة المعروفة باسم « فرشوملى » التى تضم اليوم متحف الآثار القديمة المحلى •

قنطرة درينا

كان الطريق الموصل من مقدونيا الى البوسنة فى الشمال يعتبر من اهم طرق الامبراطورية العثمانية ولا يزال يتوسط هذا الطريق اثر من اهم الآثار الاسلامية فى البلاد وهو القنطرة التى تعلو نهر درينا عند « فيسجراد »

شيدت هذه القنطرة على نفقة رئيس الوزراء محمد باشا سوكولوفتش الذى كان من اصل يوغوسلافى وانشأها اعظم المعماريين الاتراك « سنان باشا » بنيت فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ولها احد عشر عمودا من الحجر المنحوت وقد تهدم جزء منها فى الحرب العالمية الثانية واعيد ترميمها وصيانتها حتى صارت اليوم صالحة للمرور وحلقة للاتصال بين البوسنة والصرب عبر نهر « درينا »

وبعد :

فقد كانت هذه لحظات سريعة عشناها مع مسلمى يوغوسلافيا ، منذ وطئت اقدام الفاتحين المسلمين اراضى هذه البلاد الى اليوم ، ونامل ان تزداد اشراقا على اشراق ويعم نور الاسلام كل شبر فى الارض حتى يعرف الجميع التسامح فى اجمل مظاهره ، والتعاون فى ابهى صوره ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، والى لقاء جديد •

بيوتهم الجبلية وشاهدت اساليبهم في المعيشة وشعرت كأنني في بيوت العرب المتقدمين »

وقد دخل اهل البوسنة في دين الله افواجا بعد فتحها عام ١٤٦٣ م واسلموا طواعية ومن الادلة الساطعة على عدم اكراه اهالي البوسنة على اعتناق الاسلام ماورد في الوثيقة الموجودة في « دوجي » احدى البيع الارثوذكسية في هرسك والمؤرخة عام ١٥٠٥ وجاء فيها ان كثيرا من الناس اعتنقوا الدين الاسلامي بدون اكراه وظل الاسلام يعيش بين عدد كبير من مسلمي اوربا الجنوبية والشرقية فترة طويلة .

قصة الاسلام في يوغوسلافيا

وقد عرف الاسلام في البلاد التي كانت تتالف منها جمهورية يوغوسلافيا قبل الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨ وذلك فيما بين ١٠٨٠-١٢٥٠- ولكن الانتشار السريع للدين الحنيف جاء في اعقاب واقعتين «تشرنو» عام ١٣٧١ م « وكوسوفو » ١٣٨٩ وجاء من بعدهما الفتح العثماني الكامل في عام ١٤٥٩ ثم اعقبه وصول عدد كبير من القبائل التركية الرحل « يوروك » وانشاء المواقع العسكرية والحاميات التي استوطنت البلاد ولا سيما في المدن كبلغراد وموستار وسراييفو وبانيالوكا . واعتنق الاسلام كثير من فلاحي البوسنة كما اسلمت طائفة كبيرة من الاقطاعيين الكروات والصرب المسيحيين فيما بين سنة ١٤٦٣-١٥٢٢ وتالفت من هؤلاء طبقة البكوات الذين كانوا يخضعون للوالي التركي في « ترافنيك » او « بانيالوكا »

وقد اشتهر افرادها بالفروسية والشجاعة والحمية الاسلامية والدفاع عن الاسلام وبرز منهم محمدسوقولي الوزير الخطير فيما بين سنتي ١٥٦٥-١٥٧٩ وكانت اهم العناصر التي دخلت في الاسلام واعتنقته .

١ - الصرب والكروات الذين تجمعوا في البوسنة والهرسك وتوفي بازار وبيلوبولجي

٢ - الالبان فيما بين « بروكوبولجي » و « دياكوفتشيا » وحول « موناستر » .

٣ - الاهالي الذين كانوا يقطنون الشاطيء الشرقي لنهر فاردار في سكوبي

على انه يوجد في يوغوسلافيا ثلاثة اجناس من المسلمين : الالبان والاتراك في الجنوب ويقطن في وسط يوغوسلافيا الصقالبة في بوسنة وهرسك وسنجق بني بازار وهم الاكثرية من المسلمين وعرقهم الصقلبي انقى عناصر الصقالبة في البلقان وكذلك في الجبل الاسود وفي بعض مناطق مقدونيا . و « صقلب » لفظة عربية تقابلها كلمة « سلاف » باللغة الاوروبية

واوسع منطقة اسلامية واجملها واغناها - كما ذكرت قبلا - في يوغوسلافيا هي « البوسنة » مع جزئها الجنوبي « هرسك » والجنوبي الشرقي « سنجق بازار بين نهر سافا شمالا ونهر « درينا » شرقا وبلاد « دلماسيا » غربا « والجبل الاسود » جنوبا

واما عنمسلمي البوسنةوالهرسك فقد كان عددالمسلمين في عام ١٩١٠ في الولايتين ايام خضوعهما لامبراطورية النمسا والمجر حوالى ٦١٢ر١٣٧ مسلما وفي عام ١٩٣٠ كان عدد المسلمين ٨٣٨ر٩٩٨ مسلما تقريبا وفي عام ١٩٤١ حينما تمت عملية الاحصاء رسميا بلغ عددهم ٧٨٨ر٤٠٣ مسلما

ويوجد اليوم في البوسنة والهرسك حوالى الف امام من ائمة المساجد واكثر من ١٠٠ شخص متقاعد كان يعمل اماما وحوالى ٤٠٠ مؤذنا للمساجد

مسلمو زغرب

وكما قلت سابقا يبلغ تعداد المسلمين في يوغوسلافيا اكثر من ٢ مليون شخص موزعون في الجمهوريات الستة التي تتالف منها يوغوسلافيا اغلبهم كما ذكرت في البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الاسود وقليل منهم يعيش في جمهورية سلوفونيا وكرواتيا .

ويوجد الآن في جمهورية كرواتيا حوالى ٦١٠ الف مسلم ومعظمهم في مدينة « زغرب » و « دوبرفنيك » المطلة على البحر الادرياتيكي .

ومن الهيآت الرسمية التي تشرف على حياة المسلمين بزغرب : لجنة الاوقاف في كرواتيا وتراقب اعمال مجلس الجماعة بمدينتي دوبرفنيك واوسك

الحركة العلمية لمسلمي يوغوسلافيا

ومما يعتز به المسلمون هناك انهم شاركوا بحظ وافر في بناء صرح المدنية الاسلامية في نواح متعددة . ولم يكن حظهم في ميدان العلم والادب باقل من حظهم في ميدان الحكم والسياسة والفتح .

فقد برز من علماء مسلمي يوغوسلافيا في كافة العلوم والفنون الاسلامية من التفسير والحديث والفقه واصول الفقه وعلم الكلام والمنطق والتصوف والتاريخ والادب والشعر وعلوم اللغة العربية من الصرف والنحو والبيان والبديع والمعاني .

وجدير بالذكر ان علماء مسلمي يوغوسلافيا كانوا الى عهد غير بعيد يكتبون ويؤلفون باللغة العربية والتركية واكثر مؤلفاتهم الدينية باللغة العربية .

اما مؤلفاتهم باللغة التركية والفارسية فكثيرة ايضا .

ومسلموا يوغوسلافيا لعبوا دورا هاما في خدمة العلم والدين وهم لايزالون الى اليوم يحملون رسالة الاسلام في هذه البقعة من الارض

المدارس الدينية والمساجد

وعن المدارس ففي مدينة « بيريشتيا » مدرسة اسلامية ومدة الدراسة فيها اربع سنوات تدرس فيها العلوم الدينية والكونية ويجوز الالتحاق بها والانتساب لكل من اتم المرحلة الابتدائية ويعين الخريجون ائمة للمساجد في الجزء الجنوبي من جمهورية صربيا وبالمدرسة مساكن للطلبة .

وللمسلمين ثلاث معاهد دينية تعمل على تخريج علماء الدين وتقع في مدن « سراييفو » وفي « سكوبيا » عاصمة مقدونيا و « برشينا » . وتتولى الهيئة الاسلامية العليا نشر مجلة « جلاسنيك » التي تصدر كل ثلاثة اشهر بانتظام وفيها تظهر بعض المقالات باللغة العربية . كما تنشر تقويما دينيا ومصاحف مطبوعة طبعا انيقا ولرجال الدين الاسلامي اتحاد يضمهم شان رجال الاديان الاخرى .

ولعل اهم مكتبة اسلامية في البلاد هي التي توجد في المعهد الشرقي في سراييفو ومكتبة الغازي خسرويك وهناك عدة مكتبات خاصة يملكها الافراد

ويؤدي مسلمو يوغوسلافيا فريضة الحج وقد سافر سنة ١٩٥٩ حوالى ٥٠ مسلما لاداء الفريضة وقد قصدوا القاهرة ومنها حصلوا على تاشيرات الدخول الى السعودية من سفارتها بالقاهرة وعند وصولهم الى جدة سافروا راسا الى المدينة المنورة لزيارة الروضة الشريفة والاماكن الاخرى المقدسة ثم عادوا بعد اداء مناسك

مسجد « على باشا » بسرايبفو بيوغوسلافيا

وفى مقدونيا ومع ذلك فلهم جماعات كثيرة منتشرة فى جميع الجمهوريات .

ومسلمو مقدونيا يمتون الى الاتراك والالبان وهم يتكلمون هاتين اللغتين على عكس مسلمى البوسنة الذين ينحدرون من سلالة السلاف كالصرب والكروات

اوربا .. والعرب والاسلام

بعد ان انتصر المسلمون على البيزنطيين فى مصر وسوريا وآسيا الصغرى . وبعد ان تم لهم فتح شمال افريقيا والاستيلاء على طنجة كان من الطبيعى ان يوجهوا عنايتهم الى التقدم نحو اوروبا . وبهذه الفتوحات أصبح امام المسلمين طريقان الى أوروبا .

طريق من ناحية الشرق وطريق من ناحية الغرب .

وقد دخل الاتراك اوربا من الشرق فى القرن الخامس عشر . وكان العرب والاتراك يحملون فى هذه الفتوحات الدين الاسلامى والثقافة الاسلامية اللذين كان لهما تأثير كبير فى نفوس الاوربيين فاعتنق بعضهم الاسلام واحب بعضهم الثقافة العربية حبا جما وعكف على دراستها والتزود منها وانشئت معاهد تهتم بالثقافة الاسلامية والحضارة العربية ونقل بعض آثار العرب الى اللغات الاجنبية وكان تأثير الفلاسفة والعلماء العرب فى الحضارة الاوربية قويا ملحوظا .

وحاول العرب فتح القسطنطينية اربع مرات ومن المعلوم انه لم يكن من نصيب العرب فتحها وان كانوا قد ارادوا ذلك بكل عزم ولكن حكمة الله سبقت وشاءت ان يتم فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح من سلاطين الاتراك عام سنة ١٤٥٣ أى بعد المحاولة الأخيرة من العرب بنحو ٧٣٨ سنة .

فلما يئس العرب من محاولاتهم للدخول الى أوربا من ناحية الشرق . وجهوا عنايتهم الى الدخول بطريق الغرب فتم لهم باذن الله ماارادوا وفتحوا الاندلس سنة ٧١١ م وبقى حكمهم فيها ثمانية قرون . على ان ماخسره الاسلام فى الاندلس من غرب اوربا كان له عنه العوض حين تم فتح القسطنطينية ومكن للاسلام فيها عام ١٤٥٣ وبذلك فتحت صفحات مشرقة فى تاريخ الاسلام . وهناك امتدت كلمة الاسلام الى دول البلقان كلها من بلغاريا واليونان ويوغسلافيا والبانيا وانبلج نوره فى روسيا وبولونيا .

وقد حكم الاسلام معظم دول البلقان حوالى خمسة قرون ومهما قيل فى اساليب هذا الحكم من مؤرخى تلك البلاد فان مما لاشك فيه ان ذلك الحكم كان يسوده التسامح والعدالة لان الاسلام يأمر بذلك اذ يقول الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ويقول « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » ويقول « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »

وقد وصف احد الرحالة حالة المسلمين فى البوسنة فقال « انه لعجيب حقا ان يتغلب الاسلام فى هذه البلاد الاوروبية على التقاليد القومية اليوغوسلافية حتى لينظر اليها المسلمون الآن كانها عادات اجنبية عنهم . ولعل هذا هو ما يميزهم عن بقية مسلمى العالم .. فهم فى قلب أوربا أشد تمسكا بالتقاليد والعادات الاسلامية اكثر من اخوانهم فى الشرق . وقد اتيح لى ان ازود بعض

أضواء على المسلمين فى العالم

الإسلام والمسلمون فى يوغوسلافيا

إعداد رياض خليفة

اخى القارىء

الواقع انه تعتريني حيرة قاتلة حينما اود الكتابة عن اشقاء لنا فى الدين والانسانية ومهمة الانسان تبدو صعبة جدا اذا اراد ان يحدد البلد الذى يبغى التعريف به وكيفية دخول الاسلام اليه ٠

ولكنى غالبا ما افضل الكلام عن البلاد التى تعلم فيها للاسلام تاريخه المجيد . وللمسلمين فى تلك البلاد صفحات وصفحات من المجد والبطولة ٠

وهذا الشهر ٠٠ بينما كنت غارقا فى التفكير عن اى البلاد اكتب اذ عن بفكرى اسم يوغوسلافيا فزاد احساسى نحو المسلمين هناك وشعرت باننى فى حاجة الى بيان تاريخهم واصلهم على صفحات منبر الاسلام مع التعرض لتاريخ دخول الاسلام الى هذه الاصقاع واثرهم او تاثيرهم فى عالمنا الحديث ٠

وجمهورية يوغوسلافيا جمهورية اتحادية شعبية تقدر مساحتها ب ١٠٠ر٠٠٠ ميلا مربعا وتلاصق حدودها سبعة بلاد هى : البانيا واليونان ورومانيا والمجر والنمسا وايطاليا وتطل على البحر الادرياتيكى ولها مئات الجزر الصغيرة التى تتناثر فى مياه هذا البحر ٠

والمسلمون فى يوغوسلافيا عاشوا اكثر من خمسة قرون بعيدين عن المراكز الاسلامية العلمية والثقافية وبمعزل عن العالم الاسلامى ومع ذلك فانهم حملوا رسالة الاسلام ودافعوا عنها بكل حماسة واخلاص واستطاعوا ان يصمدوا امام جميع التيارات ٠

والمسلمون فى يوغوسلافيا هم اعظم طائفة اسلامية منظمة فى اوربا لها منظماتها وهيأتها ومؤسساتها ولها من هذه الناحية اهمية عظمى بالنسبة للعالم الاسلامى وتعتبر سراييفو عاصمة المسلمين فى يوغوسلافيا وهى زاخرة بالآثار الاسلامية من مساجد ومدارس واسبلة وتتمتع بموقع طبيعى خلاب ، ورئيس علماء المسلمين مقره فى هذه المدينة ومن بين الـ ٢٧٠ نائبا فى الجمعية الوطنية لجمهورية البوسنة والهرسك يوجد ٨٥ مسلما وهناك ٢٧ مسلما من البوسنة والهرسك فى البرلمان الفيدرالى ٠

ولمسلمى يوغوسلافيا منظماتهم وهيأتهم ومؤسساتهم الاسلامية فلهم الهيئة الدينية الاسلامية العليا ويطلق عليها اسم الرئاسة الاسلامية العليا ويقوم على راسها رئيس العلماء وهو الرئيس الدينى الاعلى للطائفة الاسلامية بيوغوسلافيا ٠

وهناك المجلس الاسلامى الاعلى ولكل جمهورية رئاسة اسلامية ومجلس اسلامى وهيئات ومؤسسات اخرى من المعاهد والمجالس الاسلامية المحلية ٠

ولمسلمى يوغوسلافيا مكانة هامة بين الشعب اليوغوسلافى ٠ فهم اكثر عددا ويؤلفون اكثر من مليونى مسلم ويقيم السواد الاكبر منهم فى البوسنة والهرسك

قال الرجل : ولماذا لا يتصل بنا عالم الأرواح ؟

قلت : ان العودة الان الى ماكان عليه الناس قبل الموت أمر مستحيل ، تماما كما أن العودة الى بطن الأم بعد الولادة أمر مستحيل • أما أمر الاتصال بنا من ذلك العالم الروحى فهو خرافة نظرا لأن الجهاز الواعى هنا وهو الجسد يكون قد تعطل وانتهى عمله •

قال : ولماذا لا تستخدم الأرواح أجساد الأحياء الأخرى الحية ؟

قلت : لعلك تعنى ما يسمى بالوسيط لدى فئة المشتغلين بالأرواح والأشباح !

اننى أحب أن أضيف هنا أنه حتى اذا ما فرضنا جدلا أن شخصا ما عاد الى الأرض فى حالتها الراهنة وبوضعها الحالى بعد أن انتقل الى الحياة الأخرى ، وراح يقص علينا ما رأى ، فاننا لن نستطيع أن نفهم ما يريد أو نستوعب ما يقول ، وذلك لقصر عقولنا وادراكنا وعجز حواسنا، تماماكما لايستطيع الطفل وهو فى بطن أمه أن يفقه لنا قولا اذا رحنا نشرح له ما هو كائن على الأرض وما يجرى عليها من أحداث •

والحق أن ثبوت هذه القواعد والنظم كلها هو خير دليل على وجود الخالق الذى لا مبدل لأمره ، فالخالق المبدع لا يمكن أن تتبدل نظمه أو تتغير لسبب من الأسباب أو فى عصر من العصور ، وهو عين ما نراه ونشاهده فى هذا الوجود ، سواء فى عالم الجماد أو فى عالم الأحياء • ان قوانين الطبيعة وقوانين الحياة كلها ثابتة لا تتغير ، فسبحان من أبدعها وأودعها هذا الوجود لتكون له بمثابة الدستور الذى ينظم حياة الأفراد فى كل أمة ••

والآن ، بعد هذه المقدمة ، اتركك أيها القارىء الكريم لترى وتلمس كيف أن المعجزات الكبرى لا يمكن ان تكون تلك التى تكسر فيها نواميس الطبيعة ، وأن مثل هذه الخوارق مما حدث على أيدى بعض الرسل مثل موسى وعيسى وابراهيم – عليهم السلام – لا يمكن أن تكون خالدة أبد الدهر ، فهى اذن موقوتة بزمان ومكان معينين ، كما أنها لا تشبع غليل اهل هذا العصر الذين يؤمنون بالعلم ويرون أن الخالق المبدع لا تتبدل قوانينه ولا تخرق نظمه وقواعده التى استنها لهذا الوجود •• ومن هذا كله يتضح لنا أن المعجزة الخالدة هى بكل بساطة كتاب يخاطب العقول الناضجة ويحاجها ويجادلها بما يجعلها تقتنع فى كل عصر •• ان مثل هذا الكتاب لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا يحد بحضارة بالذات ، وتلك هى عين صفات القرآن الكريم •

ومن هنا نرى انه لم يكن بالعجيب أن يميز خاتم الأنبياء بهذا الكتاب الذى هو وحى من لدن الخالق العليم • ولقد من الله تعالى على الأمة العربية بهذا النور وأسبغ عليها من فضله ما يلزمها الشكر ويوجب عليها تبليغ الأمانة • فلقد كنا خير أمة أخرجت للناس لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر • ويقول الحديث الشريف :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان » •

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

ونحن نستطيع أن نسوق هنا بعض الأمثلة التى تقال لدى الأمم الأخرى عندما يروا المنكر باعينهم حتى نتبين الفرق الكبير فى المبادىء والمثل الأخلاقية :

فالانجليز يقولون : « كن فى حالك » – و « عندما تكون فى روما افعل كما يفعل أهلها » •

فهل بعد هذا تعجبك حضارتهم الزائفة وتروقك مبادئهم المنحلة •• اظن اننا نحن العرب لنا من المبادىء ما نسمو به فوق هذه الترهات والتفاهات فى الامثال والعظات •

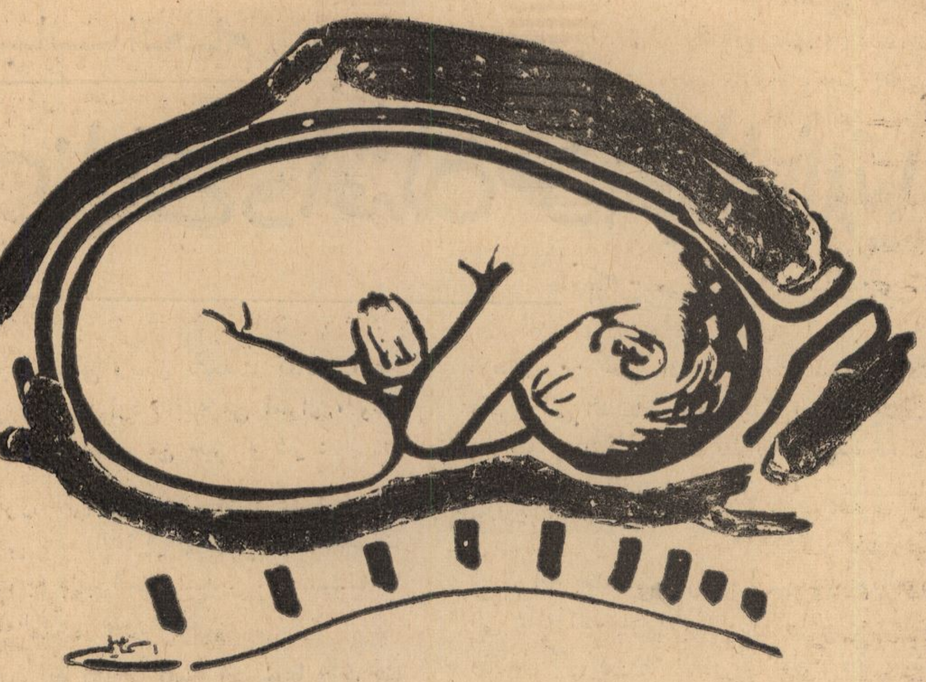

توجد عليها أحياء ، ولكننا فى معزل عن تلك العوالم ولا سبيل الى الوصول اليها لأنها انها تبعد عنا بعشرات ، ومئات ، بل وآلاف السنين الضوئية ! واذن فنحن نعيش هنا فى معزل تام عن العوالم الأخرى ، ويفصلنا عن خضم الفضاء اللانهائى غلاف الأرض الجوى الذى يعتبر بمثابة السقف الذى يحمينا من أهوال الفضاء وما يضم من أسراب الشهب والأشعة الكونية ، وهو فى نفس الوقت يسمح بمرور ضوء الشمس وأشعتها الحرارية الى سطح الأرض حيث توجد مملكة الحيوان ، وحيث وجدت منذ القدم مملكة النبات .

ولعله من الواضح أن أهل الأرض ظلوا لا يفارقون كوكبهم منذ وجدوا عليه بعد أن طرد أبوهم آدم من الجنة. فهم لم يستطيعوا النفاذ الى السموات ممثلة فى الكواكب الأخرى الضاربة فى أعماق الفضاء رغم ما بينها وبين الأرض من تقارب فى كثير من الصفات والخواص الطبيعية ، وان اختلفت مقومات الحياة عليها ..

قال صديقى : وما هو المغزى من ذلك كله ؟..

قلت : ان القصة مظهر من مظاهر الالوهية ولا يمكن أن تنتهى بالموت الذى يفر منه الناس ، والذى هو مآل كل نفس مهما طال بها العمر وامتد الأجل . والموت بلا شك هو السلاح من هذه الحياة وانتهاء لعمل الجسد ، ليبدأ الناس حياتهم الأخرى فى عالم الأرواح الذى لا نعرف عنه شيئا .. ولا سبيل الى دراسته ، فهذا أمر تعجز عنه حواسنا ولا يستوعبه عقلنا ، تماما كما تعجز حواس الجنين وهو فى بطن أمه عن ادراك ما على الأرض من بهاء وجمال .. وضياء وظلمات الخ ..

ان العلم لايستطيع أن يضع أسس الحياة الدائمة الأبدية بطريقة تماثل ما هو قائم على الأرض ، فهناك لا بد أن تختلف سبل الحياة ومقوماتها ، وهو مما لا نعرف عنه شيئا ولا نستطيع أن نتصوره بعقولنا ..

باب العلم

عظات وأمثلة من الحياة الدنيا

الدكتور محمد جمال الدين الفندي

قلت لصديقي ونحن نتحدث كعادتنا عن هذا الوجود وما أودع فيه من أسرار ، وعن الناس وما يصادفهم من خير أو شر :

ألا ترى معى أن الله - عز وجل - قد منحنا فى هذه الدنيا من الأمثلة والعظات ما يثبت به قلب العالم المتدبر ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة يس :

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا . » ، « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

قال : وماذا تعنى ؟

قلت : ان الطفل الذى فى بطن أمه يعيش فى عالم خاص به وحده ، وهو يتغذى بطريقة معينة ويتنفس بطريقة خاصة تتبع عالمه المحدود الذى يعيش فيه طوال مدة الحمل سواء طالت أو قصرت . ولكن هذا الطفل السعيد فى بطن أمه لا يعرف عن العالم المحيط به على الأرض أى شىء . وحتى اذا ما افترضنا جدلا اننا استطعنا الاتصال بحواسه التى لم يعتد بعد استخدامها وهو فى بطن أمه ، ورحنا نحدثه عن ما فى الأرض من زخرف ونور وبهاء وكد وشقاء ، لما حرك ساكنا لأنه لا يستوعب شيئا مما نقول ولا يعيه على الاطلاق .

نعم ان حواسه فى تلك المرحلة تكون قاصرة عن الادراك ، كما أن عقله لا يعى شيئا على الاطلاق .. حتى اذا ما حانت ساعة ولادته وخرج الى الدنيا ، جاءها يبكى، وراح يتنفس بطريقة جديدة ويتغذى بطريقة جديدة تختلف تماما عن ما ألفه فى بطن أمه ! فسبحان الخلاق العظيم !

ثم انه بعد تلك المرحلة لن يستطيع العودة الى عالمه الصغير الأول ، والا اختنق ومات، وانتقل الى مرحلة أخرى . انه الان يعيش على الأرض وتغمره ضياؤها وأنوارها ، ويهب من حوله نسيمها . لقد أصبح من أهل الدنيا !

قال صديقى : انك لم تأت بجديد ، فهذه قصة كل انسان منذ وجد البشر .

قلت : بلى ، ولكن القصة رمز لعالم آخر، واشارة اليه ، ولو لم نكن نبصره ولا تدركه حواسنا .. وقد يكون هذا العالم معنا هنا يحيط بنا كما يحيط عالم الأرض ببطن الام الذى فيه الجنين .

ان أهل الأرض يرحبون بالمولود ويتعهدونه بعد انسلاخه من حياته الأولى ، ويعدمون فضلات تلك الحياة مثل « الخلاص » ونحوه ، لأنه أصبح فردا منهم يعتمد فى حياته على جسده المادى ، وهكذا يستقر به المقام على الأرض الى حين .

ولكن الأرض ليست هى كل شىء فى هذا الوجود المترامى الأطراف ، وهناك على كثب من النجوم الاخرى توجد الكواكب التى تشبه الأرض فى ظروفها الطبيعية ، ولا بد وانه

الوقت الشيخ (زبير) وبلغت قسوة الكويت البحرية سنة ١٨٤٥ م القدر الذى جعل تركيا تطلب منها حماية ميناء البصرة • ولم يلبث حاكم الكويت أن تعهد للخلافة العثمانية ببسط تلك الحماية • كما أن الكويت اشتركت بعد ذلك فى حملة الأحساء وساعدت أهل البحرين على طرد الفرس من جزرهم •

وفى عهد الشيخ (صباح) بدأ ارتباط بريطانيا والكويت يأخذ مظهرا آخر •

وفى عام ١٨٩٦ م تولى حكم الكويت الشيخ (مبارك) وعاود الأتراك بذل الجهود لبسط سلطانهم الفعلى بجانب سلطانهم الأسمى على البلاد وخشية أن تنجح تركيا فى مساعيها ، وطبقا للتقليد الذى كان سائدا فى ذلك الوقت طلبت الكويت •• مدفوعة بتلك العوامل من بريطانيا أن تبرم معها معاهدة وأن تسبغ عليها حمايتها •• ولكن انجلترا أعرضت عن هذا الطلب بحجة أنها لا ترغب فى التدخل حتى لا تخل توازن الأمن فى الخليج العربى •

ولكن فى سنة ١٨٩٨ م بدأت روسيا تتطلع الى الخليج العربى وأخذت تبذل المساعى بغرض انشاء ميناء أو قاعدة تجارية لها فى الكويت وتحت هذه المؤثرات تمت اتفاقية انشاء خط حديدى من البحر المتوسط الى الكويت وتحت هذه المؤثرات تمت اتفاقية بين انجلترا والكويت وذلك فى سنة ١٨٩٩ م التزمت بموجبها الكويت بالا تتنازل عن أى جزء من أراضيها لأى قوة أجنبية بأى وسيلة من الوسائل الا بعد مشورة الحكومة البريطانية وموافقتها •

وفى سنة ١٩١٤ م أعلنت بريطانيا اعترافها باستقلال الكويت وأعلنت أيضا حمايتها على المشيخة المستقلة • ولكن الكويت فى الحقيقة كانت لها مظاهر الدولة المستقلة حتى وهى تحت الحماية البريطانية الى أن نالت استقلالها التام فى أوائل عام ١٩٦٠ م •

وقد نص دستور الكويت فى أولى مواده على أن الكويت دولة عربية مستقلة ذات سيادة تامة ولا يجوز النزول عن سيادتها أو التخلى عن أى جزء من أراضيها • وانضمت الكويت لعضويه الجامعه العربيه فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٦١ م وبذلك كان شعورها نحو أشقائها فى العروبة ، وما يزال ، موضع اهتمامها لاحساسها العميق بواجبها القومى نحو اخوة يجمعها واياهم اللغة والدين ووحدة المصير والآمال والآلام ووحدة التاريخ والدم والعروبة •

وقد ساهمت الكويت فى بعث صندوق الكويت للتنمية الاقتصادية العربية لتمويل وتنفيذ برامجها الاقتصادية من أجل زيادة دخلها القومى وازدهارها الاقتصادى بالاضافة الى مساهمتها ضمن نطاق الجامعة العربية فى كافة المشروعات التى قررها المجلس الاقتصادى للجامعة •

وفى يوم ١٥ مايو سنة ١٩٦٣ ارتفع علم الكويت ذو الألوان الأربعة : الأخضر والابيض والأحمر والاسود ، فوق مقر رئاسة هيئة الامم المتحدة ليخفق الى جانب ١١٠ علما آخر .. معلنا للعالم أن الكويت أصبحت العضو الحادى عشر بعد المائة فى هذه المنظمة الدولية •

كذلك اشتركت الكويت فى مؤتمرات القمة الثلاث التى تعتبر أول عمل تاريخى منظم اتخذ لانقاذ فلسطين •• وقد قامت الكويت بدورها كاملا فى هذا المضمار وقدمت لفلسطين كل العون المادى لمشاريع تحويل الروافد والتسلح وانشاء الكيان الفلسطينى •

كذلك اشتركت الكويت فى اكتوبر سنة ١٩٦٤م مع رؤساء ٥٧ دولة فى السعى لتحرير دول العالم من السيطرة الأجنبية وكان حضور الكويت لمؤتمر عدم الانحياز خطوة جديدة فى مجال سياستها الخارجية المستقلة •

وهكذا فالكويت دولة عربية اسلامية محبة للسلام وقد تمكنت بما تبذله من جهود مستمرة من التوصل الى مستوى مرموق فى الحياة - وقد سابقت هذه الدولة الزمن كى تمضى مع ركب الأمم المتحضرة وتسعى دائما للتقدم والحياة الأفضل •

والله الموفق •

المباني الحديثة في شارع فهد السالم بالكويت

ومن الآثار اليونانية التي وجدت في المنطقة تماثيل صغيرة منها رأس الاسكندر ، وتمثال أفروديت الهة الجمال ، وكل هذا يدل على وجود حضارة عريقة في الكويت القديمة .. وعلى مرور السفن اليونانية بها . كما أنها تؤيد الروايات التاريخية عن سلوك الاسكندر طريق الخليج العربي للسيطرة على الشرق .

أما الكويت فمدينة حديثة في تاريخ العرب الا أنها تقع في منطقة تاريخية قريبة من موقع كاظمة التي ورد ذكرها في حوادث الفتح الاسلامي العربي . وعندها وقعت معركة بين العرب والفرس وكان العرب بقيادة خالد بن الوليد والفرس بقيادة هرمز سنة ١٢ هـ (وقد سميت في المراجع باسم القرين ومايزال هذا الاسم يطلق على بعض المواقع في أطرافها وفي جزيرة فيلكا) .

وقد دخل النفوذ الأوربي الى الخليج العربي في القرن السادس عشر عندما وصلت السفن البرتغالية الى هذه المياه ودام النفوذ البرتغالي حوالي قرن ولم يكن أكثر من نفوذ بحري عبارة عن سلسلة من القلاع أقاموها على طول الشاطىء .

ثم برزت أهمية الكويت عندما احتل الفرس البصرة عام (١٧٧٦ - ١٧٧٩ م) ، وكانت البصرة في ذلك الوقت مركزا تجاريا هاما وكان من جراء ذلك الاحتلال أن انتقلت حركة التجارة من البصرة الى الكويت فازدهرت بذلك أهمية الكويت وازدادت نسبة الهجرة اليها من منطقة الخليج والجزيرة العربية .. وأطلق على سكان الكويت في ذلك الوقت (قبيلة بني خالد) ولكن بدأ نجم بني خالد في الأفول عندما دب الشقاق بين زعمائهم وكذلك بسبب حروبهم المستمرة مع الوهابيين .. كل ذلك كان السبب الرئيسي في القضاء على نفوذ بني خالد وتشتيت شملهم .

أما سكان الكويت المحدثون أي الذين قدر لهم الاستقرار منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي فهم ينتمون الى قبائل (العتوب) ، وهي فريق من قبائل (العنازة) من وسط بلاد العرب وهم جماعة مسالمين ركبوا البحر وتحملوا أهواله ومهروا في صناعة السفن ومزاولة التجارة . وكان (العتوب) شعبا نشطا استطاع عن طريق التزاوج مع قبائل أخرى عربية أن يدعم قوته ويعززها حتى فاقت قوة بني خالد الذين كان لهم النفوذ في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية في الجناح المتاخم للكويت وبذلك كتب للعتوب الغلبة والاستقرار في منطقة الكويت الحديثة .

وبدأت الأضواء تتركز على الكويت منذ سنة ١٨٢٩ م وكان يحكم الكويت في ذلك

لكونه مكيف الهواء تأمينا لراحة المسافرين .

أما من حيث النهضة التعليميـــة فان فى الكويت حياة علمية متوثبة وفرت لها الدولة كل ما تحتاج اليه، فأبنية المدارس فى الكويت هى آخر صورة فى الفن الهندسى للمبـانى المدرسية ففيها المرافق الكافيـة والملاعب والساحات الواسعة والحدائق وصـالات الألعاب وببعضها أحواض سباحة ممتازة .. وقد بلغ عدد المدارس فى الكويت حتى سنة ١٩٦٣ م ١٥٨ مدرسة ، ومراحل التعليم فى الكويت تبدأ برياض الاطفـال فالمدارس الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية .وتبذل الجهود حاليا لانشاء الجامعة الكويتية وفقها الله وكلل مسعاها بالنجاح .

كذلك تقدم دولة الكويت خدماتها الطبية كاملة غير منقوصة لكافة المواطنين والقاطنين فى الكويت .

كل هذا حرصا من الدولة على مسـايرة ركب التقدم العلمى فى ميـدان الطب حتى تقدم للمواطنين ولكل من فى الكويت أحدث وأعلى مستوى علاجى ووقائى .

كذلك تسهم الدولة اسهاما كبيرا فى ميدان الثقافة والاعلام ليس فى الكويت فحسب بل فى الوطن العربى كله ، ومن السبل التى تتخذها الدولة فى أساسها هذا ، الطباعة والاذاعـة والتليفزيون .

أما من حيث الخدمات العامة فان التطور الذى حصل فى خدمات وزارة الكهرباء والماء له اثر ايجابى فى عملية التقدم العمرانى فى الكويت ، فقد قامت الحكومة بتحويل مياه البحر المالحة الى مياه عذبة صالحة للشرب وكذلك قامت باكتشاف المياه الجوفية العذبة .. هذا بالاضـافة الى محطات القـوى الكهربائية التى استطاعت أن تسـد حاجة البلاد سـواء فى الاستهلاك المنزلى أم فى الصناعات المتعددة والى جانب ما تقدم فقد تطورت خدمات البرق فى الكويت وأصبحت تتصل مع جميع بلدان العالم ، كمـا ربطت جميع المدن والقرى بشبكات لاسلكية .

أما من الناحية الادارية فالكويت تنقسم الى ثلاث محافظات هى :

(١) الكويت - (٢) حولى - (٣) الاحمدى

وتعتبر مدينة الكويت عاصـمة الدولة ومركز محافظة الكويت وتقع على الضـفة الجنوبية من الجون الصغير .

ومدينـة الأحمدى أو مدينة البترول هى مركز محافظة الأحمدى وتبعد عن العاصمة بحوالى ٣٧ كيلومترا الى الجنوب ، وتقـع على البحر وميناؤها أكبر الموانى لتصـدير النفط فى العالم .

ثم مدينة حولى مركز محافظة حولى .

وفيما عدا ما تقدم نجد مدينة السـالمية وقد كانت من ضواحى مدينة الكويت الا أن التوسع العمرانى جعلها مدينة مستقلة .. هذا الى جانب بعض القرى وأهمها أبوحليفة والفنطاس والجهراء وكاظمة والروضتين .

وأهم الموانى فى الكويت ميناء الشـويخ ، وميناء الأحمدى ، وميناء عبد الله .

ويقع مطار الكويت فى منتصف الطريق بين مدينتى الكويت والأحمدى وهو معد لهبوط أحدث الطائرات .

ومن حيث الأمن الداخلى فان الدولة تعمل جاهدة بكافة امكانياتها للنهـوض بمختلف أجهزتها التى توفر الأمن والاستقرار لجميع المواطنين .

كذلك عملت الدولة على تدعيم جنسهـا الباسل وقواتها المسلحة ورفع مستواها الى جيوش الأمم الراقية .

والكويت كدولة محبة للسلام فان الجيش والقوات المسلحة فيها هما الوسيلة الدفاعية لحفظ استقلالها وكيانها الدولى .

تاريخ الكويت السياسى
والمشتركون فى المجال الدولى

لم تكن المنطقة التى تضم الكويت مجهولة للعالم القديم ، فقد دلت الحفريات التى أجريت فى جزيرة فيلكا وهى تبعد حوالى ٣٠ كيلومترا عن ساحل مدينة الكويت ، على أن هذه المنطقة كانت معروفة فى الآونة القديمة. فالسفن التجارية كانت تمر بسواحلها وخاصة بجزيرة فيلكا ويتضح ذلك من الأختام التى وجدتهـا البعثة الدانمركية للآثار ويرجع تاريخها الى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد .

أهم أعمال السكان بالكويت في الماضي والحاضر :

ان مشكلة المشكلات فى الكويت هى عدم وجود الماء العذب فيها ، وان كانت أرضها خصبة وصالحة للزراعة الا أنها ليست بلدا زراعيا • ولما كانت هذه المنطقة في الماضى وقبل كشف البترول فيها لا توفر موارد الرزق لأهاليها ، فقد ولوا وجوههم قديما شطر البحر يجوبونه متحملين أهواله حيث مهروا فى صناعة السفن والتجارة والصيد واستخراج اللؤلؤ من قاع البحر •

فقد كانت صناعة السفن على رأس الأعمال المزدهرة ، فالمراكب الشراعية الكويتية (كالبوم والبغلة والسمبوك) وغيرها المبنية من خشب الساج مشهورة بمتانتها وصلاحيتها للملاحة • وكانت تلك المراكب الشراعية تحمل التمور من البصرة الى شواطىء الهند والجزيرة العربية وأفريقيا وتعود محملة بأخشاب الساج من الهند وخشب المنجروف الاسطوانى الذى كان يستعمل فى تسقيف البيوت ويجلب من زنجبار •

وكان الربابنة الكويتيون مشهورين بمهارتهم كما كانت مراكبهم الشراعية معروفة بمزاياها البحرية •

وبالاضافة الى بناء السفن كانت فى الكويت صناعة أخرى تساعد على ازدهارها ألا وهى الغوص لاستخراج اللؤلؤ • وتوجد فى الخليج العربى أجمل لآلىء العالم •

والكويت احدى المراكز الرئيسية للغوص ومورد رئيسى لتلك المنطقة فى العصور السابقة وقد اشتهرت الكويت باللؤلؤ حتى عهد قريب ولكن تلك الشهرة اضمحلت بعد أن أصبح البترول المورد الرئيسى للبلاد ، ويعمل فى استخراجه حوالى ٣٫٥ ٪ من عدد السكان •

وفيما عدا البترول توجد بعض الصناعات الاخرى كالنجارة والحياكة والحدادة وصياغة الحلى من الذهب والفضة وعمل السكاكين والمطارق وآلات الهدم والبناء •• كذلك صناعة الصابون والأثاث ومواد البناء •• أما صناعة صيد السمك فى الكويت فعلى الرغم من نشاطها الا أنها ما زالت فى طور بدائى على الرغم من أن الخليج العربى ملىء بأنواع مختلفة من الأسماك •

وقد أكسبت الكويت موقعها الجغرافى الممتاز اهمية تجارية ، فان موقعها على ساحل الخليج العربى جعل منها ميناء طبيعيا هاما يربط بين امارات الخليج وجعل من أهلها تجارا يعتمدون الى حد كبير على البحر •• وعليه فتعتبر التجارة حرفة أساسية فى الكويت ••

وبعد اكتشاف البترول وارتفاع الدخل القومى بنسبة كبيرة وتجمع رءوس الأموال الطائلة تشعبت التجارة ونشطت حركتها الداخلية والخارجية وتوسعت علاقات الكويت التجارية حتى شملت معظم اقطار العالم •• ولما كانت صادرات الكويت اذا استثنى منها النفط محدودة جدا ، والتصنيع ما زال فى أولى مراحله ، فقد اتجه الكويتيون ونجحوا نجاحا كبيرا فى تجارة الترانسيت بصفة عامة •

نهضة الكويت الحديثة :

بدأت النهضة العمرانية فى الكويت منذ سنة ١٩٥١ م وخلال سنوات قليلة خطت الدولة خطوات واسعة تسابق الزمن بتنفيذ مخططها ولا نبالغ اذا قلنا أن الكويت بمبانيها وشوارعها تضاهى فى جمالها وانتظامها أحسن المدن • هذا بالاضافة الى أن ٩٠ ٪ من شوارعها ذات اتجاه واحد مما يسهل حركة المرور •

وقد تم بناء بيوت ذوى الدخل المحدود وكذلك بيوت الاسكان الاخرى للاطباء والمهندسين والمدرسين ، ثم المبانى الحكومية وكذلك المساجد والموانى ومراكز الضواحى ، ثم الاسواق •

وقد غرست الأشجار فى الشوارع وأنشئت الحدائق العامة •

هذا فضلا عن مطار الكويت الدولى التى تتوفر فيه جميع التسهيلات والخدمات المتوفرة فى أحدث الموانى الجوية فضلا عن

ولم تشأ الكويت الاقتصار على العائدات التى تحصل عليها من البترول وهى ضخمة بالقياس الى حجم البلاد وعدد السكان ، وانما قررت السير فى طريق التصنيع وبخاصة فيما يتعلق بتلك الصناعات التى تعتمد على البترول والغاز الطبيعى وما يتوافر فى البلاد من مواد البناء ٠

وسارت الحكومة فى اتجاه جديد هو الاشتراك فى تأسيس وتنفيذ المشروعات الانتاجية ٠ ومما هو جدير بالذكر أن الماء فى الكويت صناعة هامة وأن هذه الصناعة أول صناعة قامت على أكتاف النفط ، وكانت أكثر ما تشتد اليه حاجة البلاد وكانت معامل تقطير الماء فى الكويت والتى تقع على مقربة من شاطىء البحر بمنطقة الشويخ أولى مظاهر هذه الصناعة الحديثة فى الكويت ومياه البحر التى تستعمل فى الحصول على الماء العذب تحتوى على نسبة عالية من الطفيليات البحرية التى يجب التخلص منها باستخدام مادة الكلورين ٠ ولهذا تقرر فى عام ١٩٥٩ م انشاء مصنع لعمل الكلورين ، وكذلك اقامة مصنع للملح فى نفس المكان ، ذلك لأن الملح هو المادة الأولية اللازمة لعمل الكلورين ٠

كذلك تكونت شركة المصانع الحكومية الأهلية بقصد انشاء وشراء المصانع وتصريف منتجاتها فى داخل الكويت وخارجها ثم قررت الحكومة أن تقوم هذه الشركة بشراء مصنع الطابوق الرملى الجيرى وهو مصنع لصناعة الجير وخلط الجير بالرمل لعمل الطابوق اللازم للمبانى ٠

وفى سنة ١٩٦٠ م صدر قانون بانشاء مؤسسة عامة باسم بنك الائتمان بقصد توفير الائتمان العقارى والصناعى والزراعى بوجه عام ٠

وللاضطلاع بالمهام التالية على وجه الخصوص ٠

أ) تقديم القروض لبناء دور السكن الخاصة ٠

ب) اقراض الجمعيات التعاونية أو الهيئات المرخص لها قانونا وذلك بقصد بناء المساكن لأعضائها ٠

حـ) تقديم القروض الى أصحاب المصانع والمشروعات الصناعية بقصد عمليات الانشاء والتوسيع والتحسين ٠

د) تقديم سلفيات للمزارعين لشراء البذور والآلات وحفر الآبار وما الى ذلك من الأعمال التى تتصل بالاستغلال الزراعى ٠

كذلك قامت الدولة بارساء دعائم الاقتصاد القومى بانضمامها للمؤسسات الدولية مثل البنك الدولى للانشاء والتعمير ٠٠ وصندوق النقد الدولى ٠٠

والمؤسسة المالية الدولية والمنظمة الدولية للانماء حيث دعمت بذلك قيمة الدينار الكويتى فى الأسواق العالمية ، كما أرست الدولة قواعد مشاريع عديدة ضمن مخططها المرسوم للنهوض بالكويت ٠

ومن المشاريع التى استكملت مقوماتها وابتدىء التنفيذ فيها مايلى :

١ ـ مشروع صناعة الكيماويات البترولية
٢ ـ شركة الاستثمار الكويتية
٣ ـ شركة مصانع الأسبست
٤ ـ شركة مطاحن الدقيق
٥ ـ شركة المواصلات
٦ ـ شركة الخليج للتامين
٧ ـ صناعة الأثاث ـ صناعة الطابوق والرخام
٨ ـ تصنيع الحديد والمنتجات المعدنية
٩ ـ شركة الفنادق
١٠ـ الشركة الكويتية لصيد الأسماك
١١ـ شركة ناقلات النفط الكويتية
١٢ـ مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية
١٣ـ شركة الصناعات الكويتية

أما المشروعات التى مازالت موضع الدراسة ضمن برامج التصنيع المقررة للبلاد فهى الحديد والصلب والأسمنت ـ وصناعة الألومنيوم ـ والملاحة البحرية ـ وصناعة المنسوجات ـ ومصانع اطارات السيارات والبطاريات وبعض الصناعات الخفيفة ٠

الحكومه جاهدة الى توسيع وتكبير محطة التجارب الزراعية . ولقد بدأت المحطة سنة ١٩٥٣ م وكانت مساحتها خمسة أفدنة تستهلك يوميا ألفى جالون من الماء . اما فى الحاضر فقد توسعت وبلغت مساحتها مائة فدان تستهلك نصف مليون جالون من الماء يوميا .

والزراعة عامة فى الكويت ترتوى بمياه ترتفع فيها نسبة الملوحة الى ٤٠٠٠ جزء فى المليون ولا يمكن فى الوقت الحاضر توفير المياه العذبة للزراعة ذلك لأن كميتها محدودة لاستهلاك السكان . ولكن الأمل كبير فى أن يتوصل العلم الى ايجاد طريقة رخيصة لتوفير المياه العذبة كما أن الأمل كبير أيضا فى أن تصل مياه شط العرب الى الكويت من الجمهورية العراقية .

فيما عدا ما تقدم فان الكويت تعتمد فى اقتصادياتها اعتمادا كبيرا على انتاجها من **البترول** ، وتعتبر الكويت أولى دول الشرق الأوسط انتاجا للبترول ، ورابعة دول العالم بعد الولايات المتحدة وفنزويلا والاتحاد السوفييتى . كما أنها تعتبر الأولى من حيث الاحتياطى المقدر فى أراضيها .

وقد تم اكتشاف البترول فى الكويت قبيل الحرب العالمية الثانية ثم سدت هذه الآبار أثناء الحرب وبعد نهاية الحرب عدت اليها الشركة صاحبة الامتياز وهى انجليزية - أمريكية وأخذت تحفر الآبار حتى بلغت ٣١٩ بئرا فى نهاية سنة ١٩٥٩ م وكان مجموع انتاج الزيت لعام ١٩٦٢ م حوالى ٩٧ مليون طن والى جانب هذه الشركة الانجليزية - الأمريكية وهى شركة نفط الكويت توجد شركة أمريكية أخرى منحت امتياز التنقيب عن البترول فى المنطقة المحايدة . وقد بلغ عدد الآبار التى حفرتها فى هذه المنطقة سنة ١٩٦١ م ٢٠٠ بئر يقدر انتاجها بحوالى ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ طن .

وفى سنة ١٩٥٨ م حصلت شركة يابانية على امتياز التنقيب عن البترول فى المنطقة البحرية المقابلة للمنطقة المحايدة وقد نجحت هذه الشركة نجاحا باهرا فى استخراج البترول وبلغ انتاجها سنة ١٩٦٢ م ٢١مليون برميل . وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٠ م منحت الدولة شركة شل امتياز التنقيب عن البترول واستخراجه من مياه الكويت الاقليمية وفقا لشروط خاصة .

وأهم مناطق حقول البترول فى الكويت هى :

١ - حقل البرقان ، ويقع على بعد ٢٨ميلا جنوب مدينة الكويت ، وعلى بعد ١٤ ميلا من ساحل البحر وهو قريب من جبل وارة .

٢ - منطقة هضبة الأحمدى .

٣ - منطقة المقوع : وتقع شمال مدينة الأحمدى ببضعة أميال وما زالت أعمال الحفر مستمرة .

٤ - حقل الروضتين الكبير ، ويقع على بعد ٥٠ ميلا شمال الكويت .

٥ - حقل الصابرية بالقرب من الروضتين ثم حقل البحرية جنوب الصابرية بحوالى ١٤ ميلا .

٦ - المنطقة المحايدة وفيها حقل الوفرة .

٧ - وأخيرا منطقة المناقيش على بعد ٢١ ميلا الى الشمال الغربى من حقل البرقان ، وقد عثر فيها على النفط بكميات كبيرة ، ويجرى العمل حاليا للبحث عن حقول جديدة أخرى .

وتعمل الكويت على التوسع فى صناعة التكرير بدلا من تصدير الزيت على هيئة خام . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل عمدت شركة نفط الكويت الى انشاء معمل لغاز البترول المسيل بميناء الأحمدى .

وكان التوسع فى صناعة البترول والنشاط الكبير فى حركة الاستيراد دافعا على توجيه الاهتمام الى الموانى فأنشىء ميناء الأحمدى ، وهو أكبر ميناء فى العالم لتصدير البترول ، ويتسع لأكبر الناقلات . ولما كان ميناء الأحمدى يبعد عن الكويت بعشرات من الكيلو مترات فقد بدىء فى يناير سنة ١٩٥٨ م فى انشاء ميناء الكويت وانتهى العمل فيه فى مايو سنة ١٩٦٠ م ، ويعتبر أعظم ميناء فى منطقة الخليج العربى .

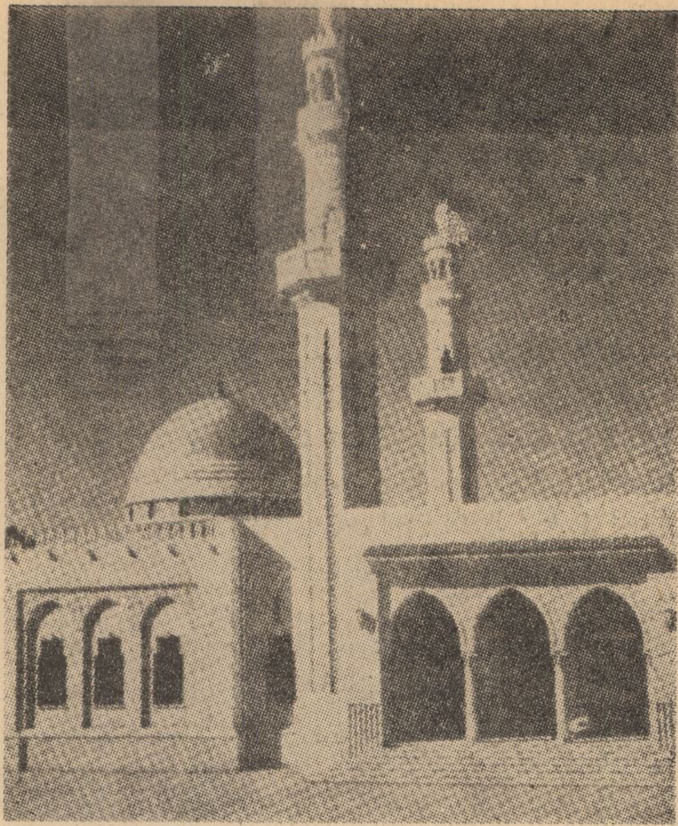

احد المساجد الحديثة بالكويت

أما الانخفاضات الجوية والأعاصير التى تصل الى الكويت آتية من البحر المتوسط فى الشتاء فهى التى يعزى اليها سقوط الامطار القليلة • كما أنها تسبب تغيير اتجاه الرياح ويصبح الجو أثناء مرورها غير مستقر •• وبالاضافة الى ما تقدم فان الكويت تتعرض لهبوب بعض العواصف الرملية فى أواخر الربيع وأوائل الصيف ، تستمر فى العادة فترة قصيرة •

بالنسبة للامطار فانها تسقط عادة فيما بين شهرى نوفمبر ومارس بكميات قليلة • يندر سقوطها فى أشهر اكتوبر وأبريل ومايو • ويتراوح معدل كمية الأمطار فى المتوسط بين ٥٠ ، ١٠٠ ملليمتر سنويا • وأمطار الكويت قليلة وغير منتظمة ولكنها اعصارية من النوع الطارىء وهى لا تكفى حاجة السكان ولذا فهم يجلبون الماء بالمراكب الشراعية من شط العرب حتى قامت الحكومة بمشروع عظيم لتقطير مياه البحر يضمن للسكان حاجتهم من الماء اذ يزودهم هذا المشروع بنحو ٦ مليون جالون يوميا •

اقتصاديات الكويت : الكويت فقيرة بوجه عام فى موارد الثروة الزراعية والحيوانية •• فنظرا لندرة المياه لا تنمو بها سوى الحشائش التى تستطيع مقاومة الجفاف وحرارة الصيف الشديدة • ويقوم الأهالى فى بعض القرى بزراعة مقادير قليلة من الشعير والخضر •

ولقد وصل الصراع بين الانسان والطبيعة فى الكويت الى مرحلة حاسمة فاصلة وتمكن الأهالى من التغلب على جميع الصعوبات الطبيعية التى تحول دون الزراعة وذلك بتجربة عملية (**الزراعة بدون تربة**) ، وهى طريقة حديثة لنمو النبات داخل أحواض خاصة تملأ بالحصى الناعم والميكا •• فتقوم مقام التربة يستنبت فيها النبات الذى يروى بمواد كيماوية هى أسمدة مذابة فى الماء وذلك على فترات متفاوتة • ولقد توصلت الكويت بعد تجارب ست سنوات الى نتائج ناجحة للزراعة بدون تربة فأصبحت المزرعة النموذجية تشترك فى تموين البلاد بأنواع عديدة من الخضروات الطازجة •• ولقد تم فعلا زراعة ٢١ نوعا مختلفا من النباتات والخضروات بنجاح فى الكويت ، وتسعى

وينحدر السطح انحدارا تدريجيا من الغرب الى الشرق على شكل تموجات خفيفة متباعدة، والقسم الأكبر من السهول تغطيه رواسب الحصى والرمال • والمياه على الشاطىء ضحلة على العموم وحركة المد والجزر واضحة قوية ومن المرتفعات التى تستحق الذكر جبال (الزور) فى الجهة الشمالية من الجون (خليج الكويت) وهى عبارة عن تلال من الصخور الرسوبية تمتد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى قرب قرية الجهراء • ثم تلال (اللياج) وهى أطول وأكثر اتساعا من جبال الزور وتمتد كذلك فى الاتجاه السابق وبينهما تلال (كراع المرو) المليئة بالحصى المختلف الأحجام والالوان• وفى الركن الغربى يمتد سهل الدبدبة الصحراوى • واشهر الوديان وادى (الباطن) وهو ملتقى الحدود الكويتية العراقية ووادى (الشق) ويمتد من الشمال الى الجنوب مخترقا المنطقة المحايدة •

وليس فى الكويت ماء جار ولكن بها آبار صغيرة فى الصحراء وربما كانت منطقة الجهرة أغزر المناطق مياها وعلى أى حال فان أرض الكويت لاتجود بالماء العذب فاذا حفرت خرج ماء ملح واذا أمعنت فى الحفر فربما تدفق الذهب الأسود فى كثير من المواقع •

وحول الكويت جزر كثيرة منها ما هو فى الخليج العربى ومنها ما هو فى جون الكويت أو فى مدخله • أما الجزر التى تقع فى مدخل خليج الكويت فهى (عوهة ومسكان وفيلكا) والأخيرة أهمها فيبلغ طولها نحو ثمانية أميال وعرضها ثلاثة وأغلبية أهلها من أصل فارسى (من الهولة) وفيها ماء عذب ولا يزيد عمق البئر فيها عن ذراع واحد وفيها آثار قديمة كما أن بها مزارع وبساتين ويشتغل أهلها بصيد السمك والزراعة • فيما عدا ذلك نجد جزيرة (بوبيان) وهى أكبر الجزر مساحة ثم جزر (كبر وقاروة وأم المرادم وأم النمل) ثم جزيرة (الشويخ) قرب ساحل الشويخ وتسمى أيضا الجزيرة الصغيرة • وقد اتخذ بعض الأثرياء من الكويتيين الجزيرة الصغيرة منتجعا لهم فى ليالى الصيف يروحون فيها عن أنفسهم لهوائها الطلق وجوها الصافى وسكونها المريح للنفس •

من حيث المناخ : تعتبر الكويت منطقة انتقال بين الاقليم الصحراوى واقليم البحر المتوسط ويمتاز هذا المناخ بفصلين رئيسيين هما :

صيف حار جاف وشتاء قصير دافىء لدرجة محدودة ••

وأما الرياح فتهب فى جميع فصول السنة منتظمة أحيانا ومتغيرة أحيانا أخرى•

ويمكن عرض المناخ بايجاز فيما يلى :

فمن حيث الحرارة نجدها تشتد صيفا من أواخر أبريل حتى أواسط اكتوبر وتبلغ أقصاها فى شهرى يولية واغسطس بحيث تصل أحيانا الى ٥٠ درجة مئوية ويبلغ المدى الحرارى اليومى الى حوالى ١٨ درجة مئوية ولذلك ينعم السكان بليال مريحة فى الغالب•

أما الشتاء فدافىء بصفة عامة وبخاصة فى النهار حيث تسطع الشمس لساعات طويلة ، أما الليل فيميل للبرودة وقد تصل درجة الحرارة فى شهر يناير فى المتوسط الى ١٥ درجة مئوية نهارا بينما تهبط ليلا وتقرب من الصفر المئوى • ويتركز الشتاء فى شهرى ديسمبر ويناير ثم بعد ذلك يعتدل الجو فى فبراير ومارس وتكتسى الارض حلة خضراء •

اذا انتقلنا بعد ذلك الى الرياح فاننا نجد أن الكويت تقع ـ معظم أيام السنة ـ فى مهب الرياح الشمالية الغربية وهى رياح جافة لها أثر واضح فى تخفيض درجة الحرارة • وهى فى الصيف منعشة وملطفة للحرارة ولكنها فى الشتاء تخفض من درجة الحرارة كثيرا فيشتد البرد •

وفيما عدا (الريح الشمالى) توجد رياح محلية كرياح (الكوس) وتهب عادة من الجنوب الشرقى وتحمل الرطوبة من البحر فاذا هبت شتاء اشاعت الدفء فى الجو واضعفت من حدة البرد • ثم هناك أيضا ريح (السهيل) وهو ريح جنوبى جاف حار عادة •

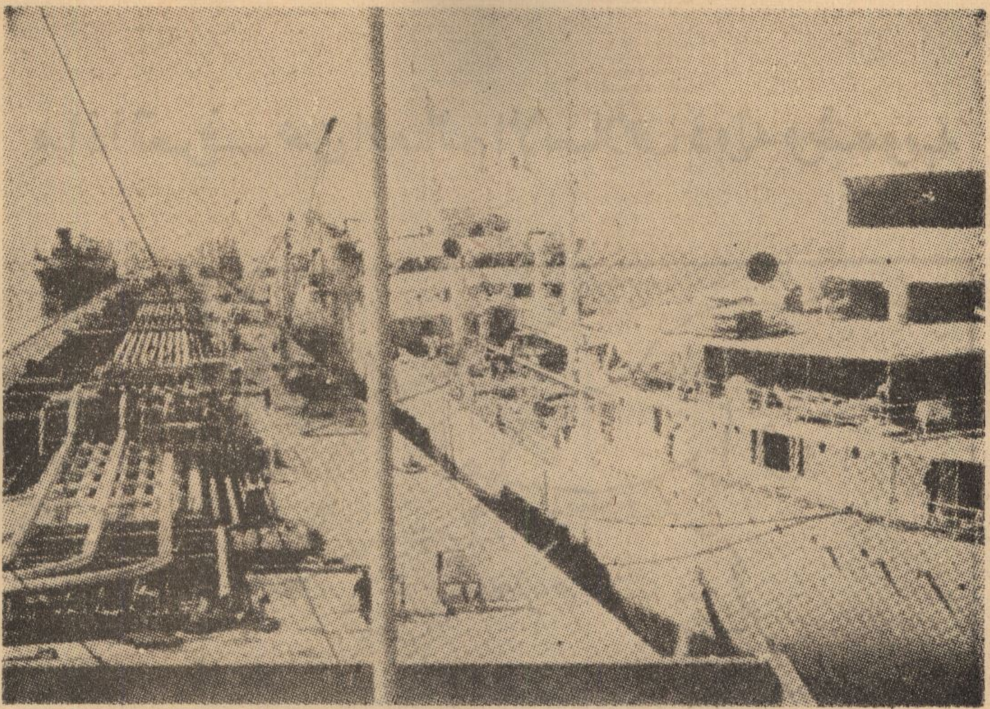

ميناء الاحمدى بالكويت

تعتبر الكويت درة من درر الخليج العربى، وبقعة من بقاعه العزيزة الكريمة • ولا يأتى ذكر الكويت الا ويتوارد الى الخاطر ذلك الصف الطويل من الامارات والمشيخات العربية التى توجد فى الجانب الغربى من الخليج العربى • وللكويت فى هذا الخليج أهمية خاصة كما أن لها تأثيرا كبيرا فى تاريخه فهى بحكم موقعها تعتبر منفذا الى البحر المتوسط بالرغم من أنها لا تقع مطلة عليه ولكنها مع ذلك تربط الخليج بدول البحر المتوسط ذلك لمجاورتها للدول العربية المؤدية الى ذلك البحر •

ولم تقف أهمية الكويت الجغرافية عند ذلك القدر فان موقعها فى الركن الشمالى من الخليج جعلها ذات أهمية خاصة من الناحية الاستراتيجية والتاريخية على السواء ، فهى قريبة من مدخل دجلة والفرات فى شط العرب وهى الممر الى المملكة السعودية ووسط الجزيرة •

ومن حيث الموقع الجغرافى : فالكويت تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربى بين خطى عرض ٢٨ ، ٣٠.٢ شمالا ، وخطى طول ٤٦ ، ٤٨ شرقا على وجه التقريب • جنوب العراق وشمال منطقة الأحساء التابعة للمملكة العربية السعودية • وقد أكسبها هذا الموقع أهمية تجارية منذ زمن بعيد كما أصبحت منفذا طبيعيا لشمال شرق الجزيرة العربية •

وتبلغ مساحة الكويت نحو ١٥ ألف كيلو متر مربع (ستة آلاف ميل مربع) وجنوبها تقع المنطقة المحايدة ومساحتها ٥٧٠٠ ميل مربع وهى تحت الادارة المشتركة بين المملكة السعودية ودولة الكويت وتعمل فيها شركتان للزيت وتوزع أرباحهما مناصفة بين الكويت والسعودية •

ويبلغ عدد سكان الكويت حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة تقريبا حسب تقديرات سنة ١٩٦٢ م ، ويسكن معظمهم مدينة الكويت عاصمة الدولة ويتوزع الباقون بين المدن المجاورة والقرى الداخلية •

وبالنسبة **للظاهرات الطبيعية** فان سطح الكويت يتألف بشكل عام من سهول رملية منبسطة تكتنفها بعض التلال القليلة الارتفاع

دولة الكويت

دكتورة عنايات الطحاوى

جمهورية ، يعرف الله ، ويؤدى فرائضه ، ليس كسبا دعاية ، ولكن من وحى الضمير .. ان هذا يبشربالخير الكثير لشبابنا .

الشباب والمسئولية

ويؤكد طه اسماعيل اللاعب العربى الذى عـــرف طريق الهداية فاتبعه ، أن الشاب اذا تحمل المسئولية منذ نعـــومة أظفاره ، كان ذلك حافزا له ، كى يسير فى الطريق القويم ، انه يقول :

ولما كانت أسرتى فقيرة ، فقد تحملت المسئوليـــة لاخفف العبء عن والدى ، لقد كسبت من الكرة الكثير ولكنى لم أستأثر به لنفسى ، بل كنت مسئولا كوالدى تماما يعطينى جزءا من مرتبه ، ثم أتولى شئون المنزل لأن أخى الاكبر متزوج ، وراتبه لايتجاوز مطالبـــه وضرورياته ، وقد اعتبرت نفسى حتى هذه اللحظة مدينا لاسرتى ، بالرغم من تحملى المسئولية ، ويكفى أن تعلم ـ كما قلت لك ـ أنه لم يكن فرضا على والدى أن يتحمل الكثير فى سبيل تعليمى. .لكنه جاهد وكافح ، وتحملت الاسرة جانبا كبيرا أيضا من الجهاد والـــكفاح ، لذلك كان لابد من قضاء دينى نحو أسرتى حتى وأنا متزوج .

وسائل التربية

ويمضى الشيخ طه اسماعيل يقول :

اننى بعد أن رأيت الكثير من الشباب ، ووقفت على طرائق عديدة من وسائل التربية ، أخـذت لابنى هانى الطريقة التى تكفل له الحياة الســعيدة ، انها التربية الدينية سأحاول جاهدا تحفيظه القرآن الـكريم ، لأعوض ما فقدته ، فقد حاولت كثيرا حفظه كاملا فلم أستطع ، وحفظت منه أجزاء فقط ، ولكننى سأسلك فى تعليمـــه الطرق العادية ، مع الزامه منذ الصغر باداء الصلوات وهو حتما ســـــيتأثر بالبيئة التى أعيش فيها ، والتى أثرت فى حياتى ، سأحمله المسئولية ، ليعرف الطـريق السليم الذى يتخذه فى معارك هذه الحياة .

وللشيخ طه كلمات ، وأدعية يحفظها ، يرددها دائما وقبل المباريات ، تنسيه أن الرياضة أحيانا ترفيـه ، انه يرددها دائما فى البيت والنادى فيقول :

« اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصـــمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى . واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر » .

ويشعر الشيخ طه براحة نفسية عقب هذا الدعاء. راحة لاتوفرها له وسيلة أخرى ، وينصح الشباب بأن يردد هذا الدعاء من قلبه فى الضراء والسراء .

انحراف الرياضى

وتحدث طه اسماعيل لاعب الكرة ، عن الرياضىالذى قد ينحرف ، فقال :

لابد أنه رياضى غير مخلص .. لأن الذى يمـــارس الرياضة باخلاص ، يتجنب الانحراف ، لاينزلق ولايذل اذا تدرب جادا بذل طاقة كبيرة ، تجعله ينام متعبا ، وهادئا فى نفس الوقت ، واذا تبارى بذل كل جهد حتى يحقق لنفسه ولفريقه النصر ، ثم انه لن يجد الطاقة التى تمكنه من الانحراف ولا فـــراغ الوقت الذى يساعده عليه ، لذلك كانت المعســكرات التى نظمتها الجهات المسئولة أخيرا من وسائل ارتفاع مستوىفريقنا الدولى ، لانها معسكرات جادة ، فيها بذل الجهدباخلاص وأداء المباريات بحماس .

مستوانا حاليا

ولم يفتنا فى حديثنا مع الشيخ طه ، أن نعقد مقارنة بين الشاب العربى ، والشاب الأجنبى ، وهل فىامكاننا أن نسجل انتصارات تتفق مع امكانياتنا وتاريخنا ،وهنا قال طه :

ليس صعبا على الشباب العربى أن يسجلانتصارات كبيرة فى كل مجال دولى ، اذا اتبع الوسائل العلميـــة السليمة ، وأدى كل لاعب واجبه باخلاص ، كما حدث فى لقائنا الاول ، ولقائنا الثانى مع بلغاريا فى الشـــهر الماضى ، لقد انتصرنا برغم استعداد فريق بلغاريا ،وما ذلك الا أننا نزلنا فى حماس بالغ للدفاع عن سمعتنا . ونستطيع فى كل مرة أن نكون كذلك ، مادمنا نتدرب بجد ، ونضحى فى سبيل رفع علم الجمهورية العربية المتحدة خفاقا فى ميدان الرياضة .

الرياضى العربى الذى نريده

وحديث مع الشيخ طه اسماعيل

محاولة أخرى أقوم بها فى هـذا الموضوع ، لوضع الاسس التى يجب أن تتـوفر فى اللاعب كى يكون رياضيا مثاليا ، وتحدد نموذجا ، لهذا الرياضى الـذى نريده فى ملاعبنا ، اذ ليس هناك شـك فى أن اللاعب المثالى فى سلوكه ، يرتبط باللاعب أطول فترة ممكنة ، ويعطى للرياضة ، ولبلده من جهده وفنه ، أكثرماياخذ من مكافآت ، وشهادات تقدير .

وليس خافيا اننا لاتهمنا النواحى الفنية فى اللاعب بقدر ماتهمنا النواحى الخلقية ، فاللاعب الفنان اذا لم يكن قوى الارادة ، متين الخلق ، لايستمر لاعبا ، بل تذوب موهبته مع انحرافه ، بعكس ذلك اللاعب الذى تربى تربية خلقية سليمة ، تتمشى مع تعـاليم الدين الاسلامى الحنيف ، فانه ان نقصته النواحى الفنيـة ، فانه بالصبر مدركها ، وبالممارسة الجادة لرياضة واصل اليها ، وهذا الرياضى الذى نعنيه هو الذى يشير اليه حديث الرسول عليه الصلاة والصلام « ليس القـوى بالصرعة وانما الذى يملك نفسه عند الغضب » . هو الذى يتحكم فى نزعاته كلها فيتصرف بحكمة وروية .

وفى حديث بنت سيدنا شعيب عليه السلام عن موسى فى قوله تعالى « ان خير من استأجرت القوى الامين » دليل على أن القوة بلا أمانة لاتزكى الانسان مهما بلغت قوته .

وعلى هذا الاساس بدأت أبحث عن رياضى عـربى ، يؤمن بهذه المثل ، لنضعه نموذجا حيا ، وقدوة صالحة للشباب الرياضى ، فوجدته بين لاعبى كرة القدم ، انه طه اسماعيل ، اللاعب الذى لقب « بالشيخ » وهـو دون الثامنة عشرة ، بالرغم من أنه ليس أزهريا ، ولم يضع فوق رأسه عمامة تكسبه هذا اللقب كما هـــو معروف .. ولـكنه دأب على أداء الفروض ، لا تحـول المباريات ولا التدريبات ولا مشاغل المعسكرات والرحلات دون تأديتها .. ولنبدأ الحديث مع الشيخ طه اسماعيل لنعرف هل النادى هو الذى أثر فى نشأته ، أم البيئة التى عاش فيها ، أم حادث معين ، جعله بين لاعبى اليوم شيخا وهو ليس من الشيوخ .

يقول طه اسماعيل :

أنا من أسرة فقيرة تسكن حى المعادى .. وجـدت نفسى فى هذا الحى أعيش مع أطفاله . وكان الاهالى منذ عشرين عاما ، يعرف كل منهم الاخر ، كنا كأهل قرية ، ولم تكن حالة والدى الموظف بسلاح المهمات تسمح بأن أتعلم ، ولكنه رجل مكافح مجاهد ، تشبث بتعليمى أنا وأخوتى ، دفعنى الى مدرسة المعادى الابتدائية ، ومنهـا انتقلت الى المعادى الثانوية ، وكان يكفى رجل مـوظف بسيط فى المهمات أن ينال ابنه التوجيهية ويعمل .. ولـكن والدى يصر على تعليمى ودخلت كلية الهندسة ، ولكنى لم أواصل التعليم فيها ، وما أدراك ما الهندسة وامكانياتها ، فاتجهت الى المعهد العالى للتربية الرياضية وحصلت فيه على البكالوريوس ، ثم قبلت فى الكليـة الحربية وأصبحت الان ضابطا برتبة الملازم .

كان هذا هو خط السير التعليمى للاعب الـكبير طه اسماعيل ، وكم تخلله من عقبات ، ومواقف وتضحيـات وكم دفعته الرياضة الى هذا المركز المرموق ، وقبل أن يكون رياضيا كان وما زال شابا دينا ، يغض الطـرف عما يرى فى الطريق ، ويكره عبث العابثين من شـباب جيله .

يحكى طه اسماعيل ، سر اطلاق لقب شيخ عليـه ، فيقول :

ـ كنت قبل عام ١٩٥٧ فى ناد مثلى فقير ..ومجهول اسمه النادى المصرى القاهرى ، ولما جاء عام ١٩٥٧ ، فتح اتحاد كرة القدم باب الانتقال من ناد الى اخر دون شرط ، فذهبت الى النادى الاهلى .. وكنت أواظب على الصلاة ، ومجتمع الاهلى غريب على واحد مثـلى ، كنت لا أنزل أرض الملعب للتـدريب الا اذا صليت ، وكان عمرى فى ذلك الوقت ثمانية عشر عاما ، فأثارذلك دهشة الكثيرين ، فقالوا : ده الشيخ طه .. وأصبـح اللقب ملازما لى .. وكم تغير الحال الان بين الشباب ، كنت عندما أصلى منذ سبع سنوات أكون شبه غريب ، أما اليوم ، فعدد كبير من الشبا ب يؤدى الفرائض عـلى أكمل وجه ، ليس فى النادى الاهلى فقط ، بل فى كـل الأندية ، عــدد كبير من اللاعبين معنا فى منتخب

باب الرياضة

إعداد : ناصف سليم

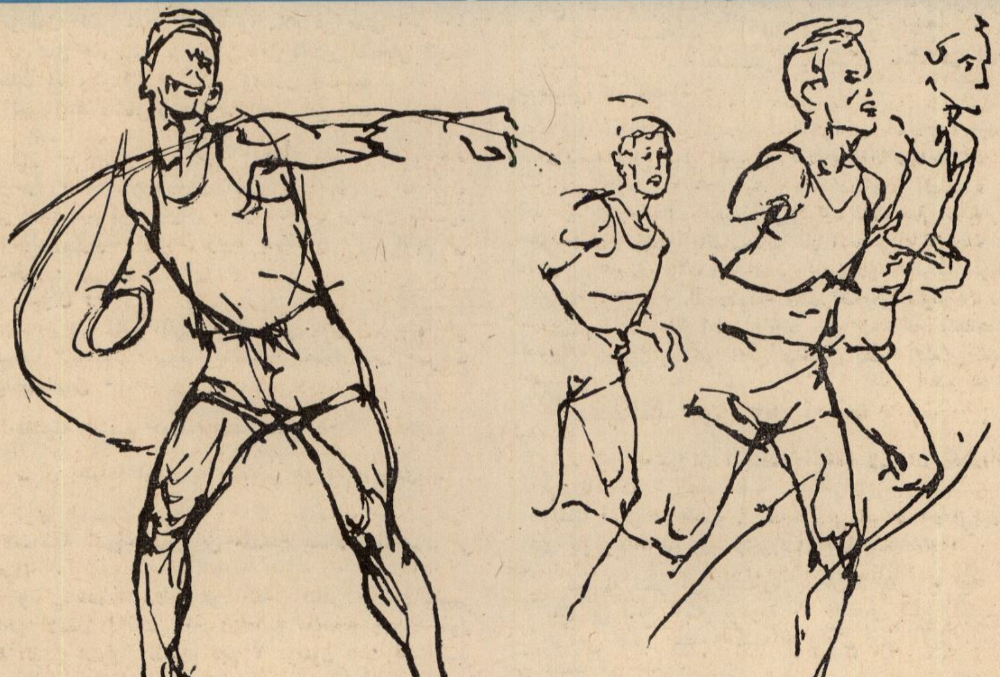

« لاتنزع الرحمة الا من شقى » وفى هذا لايكون معنى الرفق ان يساء فهمه من الابناء ، وانما علمنا الله سبحانه وتعالى انه يجب على الابناء ان يحسنوا فهم هذا فقال عن سيدنا يحيى « وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا »

وقال عن عيسى « وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » فجعل هنا البر وجبا على الابن كما جعل المرحمة واجبة على الاب وعلى الام .

ويقول النبى عليه الصلاة والسلام فى معنى البر .. « من عال جاريتين – اى من ربى ابنتين – حتى تبلغا دخلت انا وهو الجنة كهاتين واشار باصبعيه » ..

ثم قال « مانحل والد ولدا افضل من ادب حسن » .

ومن هنا نفهم ان ناحية التدليل مفسدة .. وناحية القسوة مفسدة .. وينبغى ان يربى الابن على ان تكون فى نفسه قيم قوية ثابتة .. واعتقد ان موضوع القسوة والتدليل يرتبط ارتباطا وثيقا بموضوع ثبوت القيم فى الاسرة .

سؤال :

– ما هى القيم الروحية التى يمكن ان نبثها فى شبابنا اليوم خصوصا بالنسبة للفتاة التى خرجت لميدان العمل .

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى :

– ان اهم ما اوصى به الشباب هو ثلاثة مبادىء :

اولها الايمان بالله .. لان الايمان هو الركيزة الاساسية التى تحل كل مشكلة تصادف الانسان فى حياته .

وثانى هذه الوصايا هو الثقة بالنفس .. او بتعبير اخر الايمان بالنفس .. لان الله سبحانه وتعالى يقول « الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون » . فاذا شعر كل شاب انه شىء مذكور له قيمة فى الحياة . وانه يجب عليه الا يهدر هذه القيمة . والا ينس فاعليتها فى مجتمعه ، وقوتها فى ذاتها فانه بذلك يحتفظ بثروة انسانية لوطنه ولشعبه .

الوصية الثالثة التى اوصى بها واشدد عليها هى الاعتراف بالمثل العليا .. لان هناك كثير من الشباب يظن انه لا داعى للارتباط بالمثل .. فمن شاء ان يحيد عن هذه المثل فله ان يحيد .. ومن شاء ان ينصرف فيها فله ان يتصرف .

طبعا لا يمكن ابدا ان نقول ان الكذب هو مثل الصدق .. ولا نقول أن الفحش يشبه العفاف .

ولانقول ان الاسراف يشبه القصد والاعتدال .. فاذا آمن الشباب بالمثل وبالاخلاق وبالفضيلة فانهم يكونون على حد قوله تعالى « فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى » .. فالتصديق بالحسنى معناه ان هناك حسنى فى الحياة .

فاذا آمنا بهذه المبادىء الثلاثة امكن ان يكون منها للشباب سلاح قوى يجابه به كل مشكلة فى الحياة .

سؤال :

– يقول الدكتور عبد العزيز كامل ان عدم الاستقرار فى الاسرة يؤدى بالشباب الى الانحراف ، والناحية الدينية تعتمد على فطرة الخير التى فطر الشباب عليها . كيف اذن نلقى مسئولية الانحراف على الوالدين رغم تمسكهما بالناحية الدينية ولا نلقى ذلك على المجتمع ككل باعتباره هو الذى يتغير بينما الدين ثابت لا يتغير .

الدكتور عبد العزيز كامل :

– نحن نعتبر ان المجتمع المنتظم لابد ان تكون فيه قيم ثابتة « وهذه القيم الثابتة اعلى من التغير .. ولعلنا نذكر ان الضمان الخامس فى الميثاق هو « ايمان لا يتزعزع بالله ورسله ورسالاته القدسية » .

فحينما ننظر الى عبارة ايمان لا يتزعزع نجد انه يدل على قيمة ثابتة موجودة .. فاساس قيام المجتمع هو على ايمان بالله سبحانه وتعالى وعلى القيم الدينية لاشك فى هذا .

وانما الذى يحدث من تغير فى المجتمع فهو تغير فى الناحية الاقتصادية او الاجتماعية او العلمية .. فالجزء الاول ثابت فى الايمان بالدين .. ويوضحه قول الله تعالى « ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق » .

ندوة الشهر

من مشكلات الأسرة

إعداد: عبد الرحمن الشرميتي

طبيعي ان تحدث في كل اسرة خلافات .. واحيانا تطرح الاسرة خلافاتها امام الاولاد فيكون لذلك اسوا اثر عليهم .. ومن اجل ذلك نرى انه ينبغي الا تطرح امام الاولاد مثل هذه الخلافات خصوصا اذا كانت مصحوبة بشيء من العنف لانها تعطى اسوا الاثر .. فكيف نعالج هذه المشكلة ؟

ومشكلة اخرى من عوامل التربية التي يتاثر بها الاولاد الى ابعد حد .. كالقسوة والتدليل في المعاملة.. ترى اين الصواب ؟

يجيب عن ذلك في ندوة الشهر :

١ ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

٢ ـ الدكتور عبد العزيز كامل

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني :

ـ المشكلات التي تقع في البيت لا يمكن التخلي عنها مطلقا ، وكل ما في الامر انه يجب ان تعالج هذه المشكلات والخلافات في الراى على نحو من الهدوء والسكينة والاحتفاظ بوقار الوالدين ، فاذا خرج الوالدان عن هذا النطاق فان ذلك من شانه ان يبعث في الاولاد خيبة امل عظمى.. لانهم ينظرون الى الزوجية والى الاب والام نظرة استغراب.. فكيف يمكن ان يكون الاب والام وهما في نظرهما المثال الذي يجب ان يحتذى ـ صورة تنقلب في اذهان الاولاد الى هذا النحو من السقط والعتاب والملامة على نحو جارح الى هذا الحد .

اذن لابد ان يجتنب الاب والام هذا اللون من النقاش والجدال .. لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » .. الزموا اولادكم .. صورة من الصور التي تجعل الاب والام حريصين على ان يكونا مع اولادهما ليمكن ان يكون لهما فيهما قدوة وتوجيه .. وفي رواية بدل الزموا .. اكرموا اولادكم .. لان معنى الاكرام هو ان يشعر الاولاد بان الاب والام يعزان اولادهما .. ومن الاعزاز ان يرتفعا بهما عن مستوى سماع الخلاف والشحناء والبغضاء . والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « واحسنوا ادبهم » وليس من احسان ادب الاولاد ان نسمعهم الشتائم ولا اوجه الخلافات العميقة .. لان هذا يودى بهذا الادب ويضيعه ولا يمكن ان يقبله الاسلام .

وهذا الموضوع قديم .. وسائر الموضوعات ينظر اليها الاسلام على حسب الطبيعة البشرية وعلى حسب القدرة الصالحة .. ذلك لان احسن مايمكن ان يؤثر في نفوس الاولاد هو ان يكون البيت مثاليا وان تكون علاقة الاب والام علاقة هدوء وسكينة .. فليحرص كل اب وكل ام على ان يجنبا اولادهما سماع الخلاف بينهما .

وهذا لا يمنع ان يعرضا نوعا من الخلاف في صورة هادئة على الاولاد حتى يمكن ان يجدا لهذا الخلاف حلا في محيط اسرى يشترك فيه الاولاد مع الام والاب فتكون النتيجة نتيجة مستحبة وليست نتيجة خلاف وتشاحن

الدكتور عبد العزيز كامل :

ـ لقد اوصانا النبي عليه الصلاة والسلام بالرفق .. ويقول حديث الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك « ان الرفق ماكان في شيء الا زانه ، ولا نزع من شيء الا شانه » .

وفي حديث آخر « من يحرم الرفق يحرم الخير كله »

وحديث ثالث .. كان النبي عليه الصلاة والسلام اذا بعث احدا في بعض امره قال بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » .

لا شك ان الرفق ليس مظهرا من مظاهر الضعف .. وانما هو مظهر من مظاهر القوة .. والقسوة احيانا قد تكون مظهرا من مظاهر الضعف ..

واذا كانت المسالة على اساس من الرفق فينبغي ان يكون فيها الرحمة ..ويقول النبي عليه الصلاة والسلام

ضرورة وطنية

ان الخطة البريطانية الجديدة هى الاتفاق مع مجموعة من العملاء على دستور لاستقلال المنطقة يجعلها تحصل على استقلال رمزى « علم » ورئيس دولة و « نشيد » وتقبض بريطانيا او احد عملائها على جميع المصالح داخل الدولة الجديدة .

ولقد حاولت بريطانيا فرض هذا الدستور فى مؤتمرين دستوريين عقدا فى لندن ، احدهما فى شهر يوليو ١٩٦٣ والاخر فى شهر مارس ١٩٦٥ والذى رفضهما الوطنيون

كما رفضت بريطانيا تنفيذ مقررات الامم المتحدة التى تقضى باستقلال المنطقة وتصفية القواعد العسكرية فيها .. ورفضت من قبل السماح للجنة تقصى الحقائق التابعة للجنة تصفية الاستعمار من الدخول الى المنطقة ثم رفضت عقب ذلك تقرير اللجنة الذى يفضح « كوثيقة دولية » اساليب الاستعمار البريطانى وبطشه بالوطنيين ونهبه للثروات البترولية ومقدرات البلد .

والآن :

وبعد ان فشلت جميع الخطط البريطانية الاستعمارية فى الجنوب اليمنى وظهور بريطانيا على حقيقتها بعد ان سقطت عنها جميع الاقنعة وتم فضحها فى جميع المحافل الدولية .

يثور سؤال :

ماهو الدور الذى يجب ان تقوم به القوى الوطنية المناضلة ؟! من اجل انتصار الثورة وتحرير الجنوب ؟

ان نظرة واقعية الى حقيقة الحركة الوطنية فى الجنوب اليمنى تثبت انه تقف على راس القوى التى تعمل فى الجنوب المحتل .. الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمنى المحتل .. وهى الجبهة التى قامت بصفة اساسية بالثورة المسلحة ضد القوات البريطانية وجيش الليدى من قوات الاتحاد .

الأستاذ إحسان بكر

ولقد قامت هذه الجبهة من اندماج سبعة منظمات داخل الجنوب المحتل ولعبت حركة القوميين العرب دورا رئيسيا فى اقامتها ..

وهناك منظمة تحرير الجنوب العربى المحتل وهى المنظمة التى تتكون من رابطة الجنوب العربى وهى اقدم الهيئات التى قامت فى المنطقة وتضم من بين اعضائها القيادات التقليدية للامارات كما تضم حزب الشعب الاشتراكى وهو الحزب الذى انبثق عن مؤتمر العمال فى عدن والذى يسيطر على بعض النقابات العمالية

كما ضمت المنظمة مجموعة من الشخصيات فى الجنوب المحتل مثل السلطان على عبد الكريم سلطان لحج الذى سبق ان عزلته بريطانيا لمواقفه الوطنية .. والسلطان احمد عبد الله الفضلى الذى خرج من مؤتمر لندن فى ١٩٦٣ ليكشف المسرحية التى كانت تقوم بها بريطانيا من اجل قبول الدستور الجديد .. والسلطان يافع بن عيدروس والشيخ محمد ابو بكر بن فريد .

وقد حددت المنظمة اهدافها بالحصول على الاستقلال والمطالبة بوحدة المنطقة وتنادى بتحقيق الارادة الشعبية لتختار نظام الحكم الذى يريده الشعب كما نادت المنظمة بالنضال الوطنى بكافة صوره كسبيل لتحقيق الاستقلال وكانت تؤمن بمبدا ان العمل السياسى ينبغى ان يسير جنبا الى جنب مع العمل العسكرى المسلح داخل المنطقة .

ولقد قامت عدة محاولات من اجل توحيد المنظمتين الوطنيتين داخل منظمة واحدة .. وبدات هذه المحاولات جامعة الدول العربية فحاولت تحقيق اتفاق كافة الاطراف على ميثاق عمل وطنى تلتزم به جميع هذه القوى وخاصة بعد ان وضعت الامانة العسكرية للجامعة مشروع خطة لدعم النضال المسلح فى المنطقة .

ولكن تتابع التطورات السياسية فى الجنوب العربى اخذ يلح على هذه القوى من اجل توحيد صفوفها وخصوصا بعد تضامن عبد القوى المكاوى رئيس وزراء عدن مع الوطنيين وخروجه من عدن بعد رئاسة الوزارة واعلانه انضمامه الى الحركة الوطنية .. ومن ناحية اخرى تنحية رابطة الجنوب العربى عن منظمة تحرير الجنوب وهى التنظيم الذى تتهمه الجبهة القومية بانه تنظيم رجعى يضم القوى التقليدية فى الجنوب والذى يمكن ان يقوم بالمحافظة على المصالح البريطانية فى ظل الاستقلال الشكلى الذى تزمع بريطانيا تقديمه

ان استراتيجية المعركة المقبلة بين العناصر الوطنية والاستعمار البريطانى تقرر ان مستقبل المنطقة مرتبطا بنجاح تحقيق شعار وحدة القوى الثورية القادرة على العمل والتى تقوم بنضال مسلح فى الداخل وممارسة العمل السياسى فى جميع عواصم العالم فى المحافل الدولية المختلفة .

كما ان الجبهة الموحدة التى تضم الجبهة القومية ومنظمة تحرير الجنوب تصبح قادرة على توسيع ميدان المعركة والدخول بها الى مرحلة جديدة مرحلة النصر الحاسم للثورة وهى القادرة على استمرار الثورة فى المدن ومن فوق قمم الجبال .

ولقد زاد شعار وحدة القوى الثورية الحاحا بعد فرض الاحكام العرفية فى عدن ووضع جميع الوطنيين فى السجون وزيادة الارهاب فبدا الانتقال الى مرحلة جديدة من الخطة الاستعمارية البريطانية وتعتمد هذه المرحلة على اللعب على الخلافات القائمة بين هذه القوى ، واعطاء اقل .. القوى .. تطرفا الحكم فى دول جديدة ذات استقلال ناقص لتتولى هذه تصفية القوى الاخرى لتسقط الدولة الجديدة لمدة طويلة بين براثن المخططات الاستعمارية البريطانية .

ومن الضرورى ان تواجه هذه المحاولة بعض الصعوبات ولكن بالصبر الثورى يمكن لهذه المحاولة ان تصل الى نهايتها .

ان الاجتماعات التى تعقد الان بدار الامانة العامة للجامعة العربية بين التنظيمات الوطنية فى الجنوب المحتل تتطلع اليها الانظار فى كافة انحاء الوطن العربى للوصول الى ميثاق عمل موحد يواجه المخطط الاستعمارى الجديد تحت راية واحدة وشعار واحد .

فلتبدا مرحلة جديدة فى تاريخ ثورة الجنوب وليعلن مولد الجبهة الوطنية الموحدة لتحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة لشعب الجنوب

وحدة القوى الثورية فى الجنوب العربى

دخلت المعركة فى الجنوب العربى المحتل مرحلة جديدة .. فبعد ان استنفدت الخطط الاستعمارية البريطانية جميع اساليبها بين المراوغة والضغط وقفت عاجزة عن تعيين ٢٤ ممثلا لعدن فى المجلس التشريعى الاتحاد من اجل الموافقة على مشروع دستور يعطى المنطقة استقلالها وينشىء دولة جديده على مشارف الوطن العربى تابعة للمملكة المتحدة يحكمها عملاؤها وتبقى المصالح الدفاعية والاقتصادية بعيدة عن ضربات الثوار .

لقد مر هذا الفشل بسلسلة طويلة من المحاولات التى يحاول فيها الاستعمار البريطانى التشبث بآخر جيوبه ويرمم قواعده العسكرية فى قاعدة عدن التى تمثل احدى ثلاثة قواعد رئيسية تعتمد عليها الاستراتيجية البريطانية وهى عدن وسنغافورة ومالطة . وتشكل الركائز الثلاث لبريطانيا للدفاع عن مصالحها الاستعمارية .

ان السلطات البريطانية هناك تعيش فى فراغ وبعيدة عن تاييد احد من ابناء المنطقة بعد ان انسحب اعضاء المجلس التشريعى وعددهم ١٠٣ اعضاء تضامنا مع عبد القوى المكاوى رئيس وزراء عدن .. وتولى المندوب السامى البريطانى السلطات كاملة .. وكانت هذه احدى نتائج الثورة المسلحة التى اعلنتها الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمنى المحتل منذ اكثر من عامين على جبهات طويلة وكبدت السلطات الاستعمارية خسائر فادحة ووضعت السياسيين موقف الاختيار الضرورى بين الوقوف فى صفوف الشعب او مع اعدائه .

وعندما اصبحت قواعد جيش التحرير تهاجم المعسكرات البريطانية والقواعد الحربية وتدمر مستودعات البترول ومخازن الذخيرة وتنزل بالجنود البريطانيين الخسائر الفادحة تمكن الثوار من نقل المعركة الى داخل عدن واصبحوا يهددون جميع العملاء مما يتهدد المخططات البريطانية بالفشل .

وقد خولت الحكومة البريطانية الحاكم البريطانى سلطات استثنائية تتيح له اعتقال الاشخاص وتحديد الاقامة واغلاق الطرق وحظر سير العربات ومصادرة الممتلكات ومصادرة اية سفينة او طائرة غير بريطانية وفرض عقوبة السجن عشر سنوات لكل من يساعد الثوار وتشديد الرقابة على دور النشر والمطبوعات .

وتركنا الكلام للامور العامة كان مراد ابن عربى ان الفعل يحدث اولا فى القلب قبل أن يظهر على الحركات الخارجية بصورة هاجس ، وهذا الهاجس على القلب يقابله نقر الخاطر عند أرباب الخواطر .

فاذا تردد هذا الخاطر أو الهاجس على الفهم والقلب فهو الارادة، فاذا الح وعاد فهو الهم· ولايقوى الهاجس ويتحول الى هم الا فى الدرجة الثالثة ثم لا يكون ذلك الا فى الأمر المهم ثم يصير عزما تصدر عنه النية أو القصد ، على خلاف فى الرأى بين النية والقصد وأيهما اسبق او انهما شىء واحد .

ولكن فى حالة الهم والعزم يحدث تردد سببه اعتراض الأفكار الشريرة الخاذلة عن الاقدام على الخير والعبادة محاولة ان تثنى الانسان عن المضى فى طريقه حتى تصدر منه النية والقصد أو النية ثم القصد الذى يتفق معه ظهور الفعل على الحركات الخارجية طبقا لما ينبعث عن القلب .

فاذا عدنا الى تطبيق ذلك على الصلاة كان لابد من مراعاة الاخلاص فيها والفناء عندها حتى يظهر القصد مع ثبوت النية فى الظهور ويكون نور على نور .

تعريف الشريف

ويقول فى لباس التقوى المقرب لابسه الى الله :

لبس التقى للنفس خير لباس
يزهو به المسعود بين الناس
ان الشريف هو التقى المرتضى
لا الهاشمى ولا بنو العباس
الا اذا اتقوا الاله فانهم
أهل المكارم والندى والباس
انى لبست بحمص أندلس وبالـ
ـحرم الشريف ومكة وبفاس
من سادة مثل الشموس أئمة
الله أكرمهم بخير لباس
بهدى هداتهم اهتديت لأنهم
فى الليلة الظلماء كالنبراس

تقوى الله ومخافته وتادية حقه وحقوق الناس هى خير ما يلبسه المرء ليتقى به لفح النار ، وهو باطن ما يطلب من خرقة الصوفية أما هى فلا قيمة لها ما لم يلبس المرء ثياب التقوى ـ وطالما ثار على ظاهرها ابن عربى ورفضها .

ومن حق المتقى السعيد بتقواه ان يزهى بملبسه على الناس ولكن زهو رضا عن النفس واقبالها على العبادة لا زهو بطر وكبر لئلا يتنافى مع التقوى .

وليس الشريف بالنسب وكونه منتميا لبنى هاشم او بنى العباس من قريش وانما الشريف هو المتقى الذى ارتضيت تقواه . ولن يحسب احد من قريش فى عداد الأشراف الا اذا لبس ثوب التقوى وحينئذ يعد من جامعى المكارم عملا وجودا وشجاعة لان التقوى هى جماع تلك الصفات .

ويفتخر ابن عربى بانه ارتدى ثوب التقوى فى كل بلد حل به فى الأندلس والمغرب والحجاز وما بينها وكان شيوخه فى تلك البلاد هم ناسجو أثوابه يقدونها مما يلبسون ويوشونها بما يحسنون .

وقد شبه ابن عربى أئمته الذين التقى بهم واخذ عنهم بالشموس مرة وبالنبراس أخرى ويريد بذلك أنهم كانوا هداية كل زمان من نهار وليل وصفاء وكدرة وسعة وضيق وفرج وكرب .

ومعنى هذا عند الصوفية انهم فى مقام ثابت لا يتاثرون فيه باختلاف الأحوال اى انهم ثابتون على الصدق والاخلاص لايحيدون عما ثبتوا عليه مهما جاءهم من رخاء ومهما اصابهم من بلاء .

روح الفاتحة

وقال ابن عربى فى تحقيق العظمة الالهية من روح الفاتحة أم الكتاب :

الحمد لله رب العالمين على
ما كان منه من الاحوال فى الناس
مما يسرهمو مما يسوءهمو
وكل ذلك محمول على الراس
له الثناء له التمجيد أجمعه
من قبل والدنا المنعوث بالناسى
عبدته وطلبت العون منه كما
قد قال شرعا على تحرير انفاسى
وأن يهيىء لى من أمرنا رشدا
وان يلين منى قلبى القاسى
حتى أكون على النهج القويم به
خلقا كريما باسعاد وايناس
الله نور تعالى أن يماثله
نور وقد لاح لى فى نور نبراس
لو قال خلق به من دون خالقه
لكفروه وما فى القول من باس
لانه مثل لو قلته قيل هل
لداء هذا الذى قد قال من آسى

فاتحة الكتاب وامه ومثانيه قد افتتحت باول كلمة علمها الله للناس فى حمده على خلق الناس على أحوال مختلفة من المسرة والمساءة ، وكلها أحوال مقبولة مرضية لانها صنعة العليم الخبير .

وقد استحق الله الثناء والتمجيد من بنى آدم لا بعد ولادتهم من آدم ولكن وهم ذر فى صلبه من قبل ان يولدوا ، بل استحق الله الثناء منذ الأزل وقبل كل حادث .

ويشير ابن عربى الى وجوب تخصيص الله بالعبادة واستعانته بالدعاء باللفظ نفسه الذى علمنا الله أن نقوله فى السورة « اياك نعبد واياك نستعين » وهو دعاء شرعى محرر اللفظ والصوت فلا يفضله كلم ولا دعاء .

ويترجم ابن عربى بقية دعاء السورة من « اهدنا الصراط المستقيم » الى آخرها بان يهديه الله ويلين من قساوة قلبه حتى يكون على الصراط المستقيم « صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وينتقل ابن عربى من سورة الفاتحة الى سورة النور ـ والقرآن وحدة واحدة ـ ليمنع أن يماثل نوره نور ، مع انه سبحانه رفقا بعباده تمثل نوره لموسى منبعثا من نبراس فى نور الشجرة لا ضوء الشمس، وهو تمثيل يدق عن الاذهان ، ولو كان من كلام الناس لأثار شكوك الجاحدين فامتنعوا عن التصديق بتمثل نور الله فى النار ، ولكن الله سبحانه هو الذى قاله فصار صدقا وحقا لا شبهة فيه ولا مراء .

وانما جاء هذا التصوير فى أذهان المصدقين لانه فى مثل مضروب من الله ليقربه للأذهان فصار مقبولا ، ولو كانت مثل هذه المحاولة من ابن عربى أو شبهه ابتداء لتصوره الناس مجنونا لا يصحو ومريضا لا يبرأ .

أما سر هذا التمثيل فهو أمر جليل اذ كان لابد من ذلك ليكون بين الله والعبد حجاب فلا يراه وكان الحجاب هذه المرة من النار . وابن عربى يصور هذا السر فى شعره فيقول :

كما جعلت لموسى النار حاجبة
حتى تكلمه من ذات مقباس

بقية قافية السين

الصلوات الخمس

قال ابن عربى فى فرض الصلوات الخمس على العباد :

فرض الصلاة على الغفول الناسى
خمسا فصارت فى الوجود لباسى
لما علمت بنشاتى ورايتها
تسرى مع الارواح والانفاس
ابقيت ظاهرها على ترتيبه
يجرى على احكامه فى الناس
وتركت باطنها على سلطانه
يغزو فيهلك عسكر الوسواس
ورحلت عنها رحلة ميمونة
فوجدت كل الخير فى الافلاس

يقول ابن عربى ان الصلاة انبعثت أمرا من الحضرة الصمدانية لتنبه ابن آدم من غفلته ونسيانه ، وفرضها الله خمسا لسر كامن فى هذا العدد — وان كان أبو حامد الغزالى ينعى على الصوفية الاسراف فى التعلق المتمادى بسر الأعداد — وقد جاءت باعمال وأقوال تنتظم سائر مافى الكون من حركات . فالافقيات فى القراءة أو الوقوف حركات مستقيمة انسانية والركوع للتعظيم حركة حيوانية والانتكاس عند السجود حركة نباتية وكل هذا لابتغاء القربة ورجاء التقديس .

ويقول انه حين عرف فضلها جعلها لباسه الذى لا يخلعه وتاجه الذى لا ينزعه لأنها بمبدأ الحياة من النبات وارتقائه الى الحيوان ثم الى روح الانسان ، وليس يذكر الانسان بكل هذه الادوار الا حركات الصلاة وأقوالها التى تسرى فى الروح والبدن ، وكانما يؤدى ابن آدم بحركاته واقواله فى الصلاة العبادة عن نفسه وعن كل ما استخلف عليه من المخلوقات والكائنات .

ويشترك فى تادية الصلاة صنفان من الناس : صنف يراها فى هذه الحركات والأقوال المرتبة المنظومة وهم أهل العناية بالظاهر الذين يكتفون بالتعبد بها ، وصنف يراها فناء فى الله وهم أهل العناية بالباطن الذين يرونها مهلكة للعسكر الجرار المسلط على الانسان لتحبيب اللذات واثارة الشهوات .

ويقول ابن عربى « والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » أفلا تبصرون عجبا ؟ الا ترون أن كل عبادة لا تمنع من قامت به وقام بها أن يتصرف فى بعض أسبابه الا الصلاة فانها تغلق على من تلبس بها جميع أبوابه ؟

وقال : ولما كانت الصلاة محل ادراك المنى طولب المكلف فيها بالفنا . وهكذا يجد المصلى فى صلاته رحلته المباركة الميمونة التى يفرغ اليها من كل طلب للكسب ويحيد فيها عن كل طريق للتجارة . وكل الخير فى هذا الفراغ والحيد ، وان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بعدها فائرها يمتد وخيرها لا يعد وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .

عجائب العلم

وقال يفخر بما خصه الله به من عجائب الكشف التى صانها عن اظهارها والبوح بها حفظا لها من أن تهان وعملا بآداب الصوفية فى الكتمان ، فقد تكون الكرامة امتحانا يجر الى اثم وندامة :

خصصت بعلم لم يخص بمثله
سواى من الرحمن ذى العرش والكرسى
واشهدت من علم الغيوب عجائبا
تصان عن التذكار فى عالم الحس
فيا عجبا انى اروح وأغتدى
غريبا وحيدا فى الوجود بلا جنس
لقد أنكر الاقوام قولى وشنعوا
على بعلم لا ألوم به نفسى
فلاهم مع الأحياء فى نور ما أرى
ولا هم مع الاموات فى ظلمة الرمس
فسبحان من احيا الفؤاد بنوره
وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا فى عالم الكون قد سرت
من المغرب الاقصى الى مطلع الشمس
تحلى بها من كان عقلا مجردا
عن الفكر والتخمين والوهم والحدس
واصبحت فى بيضاء مثلى نقية
اماما وان الناس منها لفى لبس

اشير قبل شرح هذه المقطعة الى أن ابن عربى ظل على أخلاق الصوفية فلم يظهر صفة الكشوف والأسرار التى رآها وانما افتخر بالوصول اليها ورؤيتها دون أن يعلنها فظلت سرا فى الضمير من غير ظهور .

ثم أعود فاقول انه يفتخر بما خص به من العلم دون الناس وكان هذا هبة له من اسم الرحمن المسيطر المهيمن ، أما وصفه بذى العرش والكرسى فمن معانيه عند الصوفية وعند ابن عربى خاصة « واهب الحياة » . وابن عربى يستنبط هذا من قوله سبحانه « وكان عرشه على الماء ليبلوكم » ومن قوله « وهو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم » ولما كان الابتلاء والاختبار جاء معقبا للحياة فى الثانية كان هو نفسه فى الأولى بعد ما يدل على الحياة وهو قوله « عرشه على الماء » .

ثم يقول انه اشهد تفضلا من الله عجائب من الغيوب فصانها عن أن تعلن لعالم الحس ولو أعلنها لشك الناس والتبست عليهم الأمور ولذا فقد انقلب عجبه واستغرابه من نفسه وكأنه ليس من جنس الناس وليسوا من جنسه . ومع أنه لم يعلن عليهم كل تفاصيل ما كشف ورأى الا فى رموز واشارات فقد أنكروا قوله وشنعوا على علمه الذى لم يكن سوى مفخرة له بفضل الله عليه فيه .

والمنكرون عليه المشنعون هم فى نظره أباس الناس لانهم ليسوا مع الاحياء الذين غمرتهم أنوار الهداية فيرون مايرى ولا هم معذورون بالموت الذى يواريهم فى ظلمة الرموس ولكنهم فى صورة الاحياء من غير موت او فى صورة الموتى من غير حياة ولهذا كانوا أباس وأشأم .

ويعود ابن عربى لتسبيح ربه وتنزيهه وشكره على انارة فؤاده وطمس قلوبهم ويقول انه سرى مع علوم كشفه من المغرب الى المشرق ومن الاندلس الى مكة مجردا عن الحس فانيا فى المحبة معتقدا مستسلما لايخطر بباله وهم ولا شك ان ذا نفس نقية بحيث صار اماما بينما خصومه فى لبس وشك وبعدعن المعبود برؤية الشهود .

اساس الأفعال

وقال ابن عربى فى الفروق بين النية والارادة وبين القصد والهمة وبين العزم والهاجس مبينا اساس وجود الأفعال فى القلوب :

أساس وجود الفعل فى القلب خمسة
فأولها عند المحقق هاجس
ومن بعده عين الارادة قائم
وهم وعزم صادفته الأبالس
ومن بعد هذا نية مستقيمة
تباشر فعل الشخص والقلب سائس
وقد قيل أيضا ثم قصد محقق
فان صح هذا القول والقصد سادس
ومن قال ان القصد معناه نية
فحسب فان القصد للقوم خامس

لو جردنا هذا الكلام عن الاشارات الصوفية للنية والارادة والعزم والقصد التى هى من لوازم اقامة الصلاة

الشعر الديني

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

ويخيل لى ان انفاسها تتعلق باجابتى ، واحس انا بيد باردة تعتصر قلبى ، وأتمنى فى تلك اللحظة لو استطعت أن اعثر على عم ابراهيم هذا لاعطيه كل ثروتى امام امى حتى تهدأ نفسها وتستريح .

ولكن ، من اين لى ان اعثر على رجل نكرة ، اختفى فى زحام الحياة اختفاء أمثاله من النكرات .

ولكن ، هل كان سيظل نكرة ، لو انه حقق امله ، وافتتح الدكان الذى كان يحلم به ؟

من يدرى ؟

ولعل امى المسكينة لم تكن تكف عن التفكير فيما كان يمكن ان تؤول اليه حالة الرجل لو انه حقق امله واصبح صاحب دكان حلاقة ..

ولعلها كانت تشعر أنها ضيعت عمر رجل ، هباء ..

وكنت انا كثيرا ما أفكر لماذا فعلت هذا ، مادام ضميرها مرهفا الى هذا الحد ؟

هل افقدها احتضار ابنها الرضيع العقل فى تلك اللحظة ؟

هل كانت تأمل عن يقين انها ستعيد للرجل الجنيه فى اقرب فرصة ممكنة ؟

وسواء كان هذا أم ذاك ، فلماذا لم تلجأ الى قريب أو جار تقترض منه بعض المال فى تلك المحنة ؟

وكنت فى كل مرة اهز راسى امام هذا السؤال الاخير ، لان امى ، كما عرفتها ، كانت تفضل الجوع والموت ،على أن تمد يدها الى جار او قريب .

ولم أكن اشك لحظة واحدة فى أنها ماكانت لتاخذ الجنيه من جيب معطف عم ابراهيم ، أيا كانت قسوة الظروف ، لو أنها علمت فى تلك الليلة أنه سيختفى تماما من حياتها فى صباح اليوم التالى .

حنانيك يا أماه .

اى شىء يمكن أن أقدمه اليك فى عيد الأم ؟ يعيد اليك ابتسامتك النابعة من القلب ، وينسيك ذكرى تلك الليلة ؟

اى شىء يمكن أن يشترى بالمال .. او بسنوات العمر ؟

وبدأت الكآبة تشيع فى حياتى كلما رايت ظلالها القائمة تتراكم فى حياة أمى ، وكلما سمعتها تكثر من الحديث عن أيام المحنة ، وعن عم ابراهيم الحلاق .

وفى يوم عيد الأم الماضى كانت تتحدث بيننا عن تلك الأيام ، وكنا جميعا بزوجاتنا وأبنائنا حولها ، وكانت تحاول أن تضع على شفتيها ابتسامة مفتصبة وهى تتحدث عن بعض الجيران فى تلك الأيام .

ولما ذكرت عم ابراهيم ، قلت لها بلهجة عادية :

– تصورى يا أمى انى التقيت بهذا الرجل اليوم ؟

وتوقفت يدها التى كانت ترفع بها قطعة حلوى الى فمها ، ونظرت الى بامعان وقد شحب وجهها المغضن ، وارتجفت شفتاها وغصت بريقها وهى تتمتم :

– بمن ؟

– بعم ابراهيم ؟

– الحلاق ؟؟

– طبعا ..

– وكيف عرفته ؟

– بحقيبة الحلاق فى يده .. والبقعة الحمراء التى على جانب وجهه الايمن .

ورأيت أمى تتنفس بعمق ، ثم اذا الدماء التى كانت قد انحسرت عن وجهها ترتد اليه حارة قانية واذا هى تقول :

– وماذا قلت له ؟

– انه لم يعرفنى طبعا ، ولكننى استطعت ان اعيد ذاكرته الى الليلة التى سرق فيها منه الجنيه .

وغمغمت أمى بكلمات غامضة بينما استطردت قائلا بلهجتى الطبيعية جدا رغم ما كان ينطوى فى نفسى من انفعالات :

– وتذكرنا الرجل ، وترحم على أبى ، وهو يهديك السلام .

وخيل الى أن أمى ارادت أن تسالنى لماذا لم آت به، ولكنها أشفقت من هذا السؤال الذى قد يبدو عجيبا أمام الجميع . ومن ثم قلت :

– والححت عليه فى الحضور ، ولكنه اعتذر قائلا انه ذاهب الى ابنته .

وقالت أمى فى همس :

– اذن فقد تزوج ؟

– نعم .. وقال ان الله عوضه عن الجنيه الذى سرق منه فسهل له الرزق وعاش ميسور الحال سنوات .

وأدرت وجهى حتى لا أرى الدموع تطفر فى عينيها وهى تهمس :

– ألم تعطه شيئا يامدوح ؟

فابتسمت لها وقلت :

– هل يجوز أن يتحدث الانسان عن شىء يتصدق به؟

– كل ما أرجوه أن يكون المبلغ .. لائقا ..

– يزيد على عشرة جنيهات .

ورأيت أمى تتنهد بعمق ..

ولاول مرة رأيت وجهها يشرق بابتسامة نابعة من القلب .

وكانت هذه الابتسامة هى خير هدية قدمتها لامى فى ذلك العيد ..

ولم يبق الا ان يغفر الله لى .

وفحص الرجل اخى الرضيع ، وكتب شيئا فى ورقة وقال شيئا لم اسمعه بوضوح ، واخذ منها شيئا لم اعرفه على وجه التحديد ، ثم انصرف .

ومرة اخرى طلبت منى امى أن آخذ بالى » من اخوتى حتى تعود .

وفى هذه المرة عادت ومعها شىء كثير من الطعام ، وعلبة او اثنين من الدواء للرضيع الذى كان قد كف عن الانين .. وعن كل شىء .

ولست انسى كيف جلسنا ، انا واختى واخى ، نلتهم الطعام بينما انتحت امنا ركنا فى الغرفة وراحت تغسل الرضيع الذى كف عن الانين بدموعها ونمت انا بعد ذلك ممتلىء البطن ، فلم أدر متى كفت الرياح عن الزئير او متى انقطعت الامطار عن الانهمار ، أو متى عاد أبى من الخارج .

ولكن خيل الى انى نمت لحظات فقط استيقظت بعدها على ضوء الصباح ، وعلى صياح عم ابراهيم الحلاق بصوته الاجش فى صالة المسكن المشترك .

كان الرجل يصيح لاعنا أولاد الحرام الذين سرقوا منه « تحويشة العمر » أى الجنيه الكامل الذى أمضى فى ادخاره عاما كاملا ، والذى كان ينوى أن يفتتح به دكان حلاقة ، يغنيه عن جلسة الرصيف والتجوال فى الشوارع بحثا عن الزبائن .

ولا تعجبوا يا أصدقائى من جنيه كان يمكن أن يغدو راس مال لحلاق .

فقد كنا يومذاك فى عام ١٩٣٢ ، اى فى الوقت الذى كان للمليم فيه القدرة على شراء رطل طماطم أو بيضة أو نصف رغيف .

وظل الرجل فى ثورته التى أنهاها « بيمين طلاق » أن يرحل عن غرفته الى غرفة أخرى بعيدا عن « الحرامية أولاد الحرام » الذين لايرعون حرمة جار فقير كادح .

وبر الرجل بيمينه ، وانتقل من الغرفة فى اليوم نفسه .

وحتى اليوم لا أملك نفسى من الابتسام كلما تذكرت يمينه هذا بالطلاق رغم انه لم يكن متزوجا .

وحتى اليوم لا أعرف كيف لم يفطن أبى الى « سارق » الجنيه رغم رؤيته لبقايا الطعام وعلبتى الدواء بعد عودته فى منتصف الليل .

لعله كان مشغولا بفرحته اذ وجد فى ذلك اليوم عملا كان السبب فى هذه العودة المتاخرة .

ولعله شغل بابنه الرضيع الذى كف عن الانين وعن كل شىء وباجراءات وضعه فى مثواه الاخير .

ولعله فطن ثم آثر الصمت .

اما أنا فقد فطنت ، رغم صغر سنى ، الى الحقيقة .

وكان يكفى أن أنظر الى وجه أمى لاذكر ما حدث فى تلك الليلة ، وكأنه حدث امس فقط .

فرغم انه لم تمر علينا بعد ذلك ليلة مثلها ، الا أن امى ، كما خيل الى ظلت تعيش فيها بقية عمرها .

لقد حاولت ما وسعها الجهد أن تعرف المسكن الجديد لعم ابراهيم ، ولكن كل جهودها باءت بالفشل ، وكأنما انشقت الارض وابتلعت الرجل . الا أنها عاشت دون أن تياس من العثور عليه يوما .

وعاشت ايضا وهى لا تعرف معنى الابتسام او الضحك الذى ينبع من الاعماق .

كانت تبتسم حقا ، وكانت تضحك احيانا ، ولكن ذكرى تلك الليلة كانت دائما الحاجز المنيع الذى يمنع الابتسام او الضحك من تجاوز الشفتين او الحنجرة .

وحتى عندما جئت ابشرها بنجاحى ، بامتياز فى دبلوم كلية الطب . لقد ابتسمت ، وقبلتنى ، ودمعت عيناها . ولكننى احسست فجاة ان ذكرى تلك الليلة حولت دموع

الفرح ، الى بكاء .

ومات أبى بعد أن تخرجت ، وكأنما أدرك أنه أدى رسالته على نحو ما فقرر أن يستريح .

واذا سألتمونى كيف استطعت أن أتخرج فى كلية الطب رغم كل هذه الظروف القاسية ، لعجزت أنا نفسى عن تقديم اجابة محددة .

حقا لم تمر علينا ليلة قاسية كتلك الليلة ، ولكن مرت علينا ليالى كثيرة قريبة منها ، وكانت أمى تصر على أن نستكمل مراحل تعليمنا على نحو ما ولو شبعنا يوما وجعنا يوما .

وكان هذا الاصرار من جانبها حافزا لنا على التقدم فى الدراسة والتمتع بالمجانية فى جميع المراحل الدراسية .

وفى نهاية المرحلة الثانوية ، كنت اشترك مع أبى فى التقاط الرزق للاسرة . ونجحت أنا كطبيب جراح ، ونجح اخى كمهندس معمارى ، ونجحت الأخت الصغرى كطبيبة امراض نساء وولادة .

واصبح الخير يجرى بين أيدينا بغير حساب .

وكان يحق لامنا أن تمتلىء نفسها سعادة وهى تسمع أسماءنا تتردد على كل لسان ، والاعجاب يحوطنا من كل جانب ، ورخاؤنا يزداد عاما بعد عام .

ولعل الذين كانوا يرونها ويتصلون بها يحسبونها اسعد أم فى الوجود ، لاسيما الذين كانوا يعرفون الطريق المظلم الطويل الذى قطعناه قبل أن نصل الى النور .

ولكنى كنت فقط الذى يعرف مبلغ ما كان ينوء به قلبها من آلام وأحزان منذ تلك الليلة .

وليس أدل على هذا أنها كانت ، كلما ، اجتمعنا معها يوما فى الاسبوع كالمعتاد تحدثنا عن ذكريات الكفاح ، وعن الجيران الذين عاشت بينهم فى أيام الشدة ، وعن عم ابراهيم الحلاق ، ثم تتوجه بنظراتها نحوى وتسألنى :

ـ انك تذكره يا ممدوح .

فأومىء برأسى وأقول :

ـ نعم ..

وتتظاهر هى بانها تتحدث عرضا وتقول :

ـ الم تره أبدا منذ انتقاله ؟

وجدت نفسى اعيش مع والدى واخوة ثلاث فى غـرفة واحدة بمسكن مشترك فى زقاق متفرع من حارة بشارع الجمالية .

وليس هنا مجال الاستطراد فى وصف تفاصيل هـذه الحياة .

ولكنها ليلة واحدة من هذه الليالى المظلمة بقيت ذكراها محفورة فى أعماقى حتى هذه اللحظة وأكبر الظن أنهـا ستبقى محفورة الى آخر لحظة من العمر .

كانت ليلة باردة قاسية تزار فيها الرياح ، ولا يكف المطر عن الانهمار . وضاعف من قسوتها اننا فيها كنا قد بلغنا القاع الذى لم يعد تحته شىء يمكن الانحدار اليـه .

وليس هناك بعد الجوع والمرض شىء .

كنت وامى لم نذق شيئا طيلة النهار ، وكان القليل جدا من الطعام قد تناوله أخى الأصفر وأختى الصغيرة .. أما الأخ الرضيع فكان يبكى حينا ، ويتلهى بالثدى الفارغ حينا ، ويغلبه النوم بين الحين والاخر . ومرت اللحظات بعد الغروب بطيئة ، والرياح تزار ، والامطار لا تكف عن الانهمار .

وكان أبى قد خرج فى الصباح الباكر يبحث عن عمل كما كان يفعل فى كل يوم خلال الشهور الثلاثة التى كان متعطلا فيها بعد آخر عمل .

واضاءت أمى المصباح البترولى وجعلت ضوءه خافتا حتى لا تنفذ قطرات البترول الباقية فيها فنقضى الليلة فى الظلام .

ورقدت أنا أتلوى من الجوع فى صمت ، لانى كنت أدرك الحقيقة رغم أنى لم أكن يومذاك قـد تجاوزت السابعة من عمرى .

ومن مكانى على الحصـيـر ، وتحت الغطاء الرقيق المهلهل ، كنت أرى أمى تروح وتغدو فى الغرفة كحيـوان سجين ، ثم تتوقف لترهف السمع كلما خيل اليها أن ثمة وقع أقدام على السلم المتهالك .

واستيقظ أخى الأصفر وراح يطلب طعاما .

وتبعته أختى الصغرى ، وشرعت تبكى ، ولعلهـا لم تكن تدرى لماذا ..

وأخذت أمى تروح عنهما ، وتلاطفهما ، وتؤكد لهما أن أباهما لن يلبث أن يعود حاملا الطعام .

وظلت الرياح تزار ، والمطر لا يكف عن الانهمار .

وكانت أبواب الغرف الاخرى فى المسكن المشترك تفتح، الواحد بعد الاخر ، ثم تغلق ، معلنة أن رب هذه الاسرة أو تلك قد عاد من عمله حاملا الطعام لزوجه واولاده .

حتى عم ابراهيم الحلاق ، سمعنا وقع أقدامه المتثاقلة وسعلته التقليدية وهو يمر بصالة المسكن فى طريقه الى غرفته الملاصقة لغرفتنا وهو يغمغم كعادته بصـوته الأجش :

ــ يا أكرم من كل كريم ..

وهدأت ثورة الجوع فى أمعائى ، ولم أكن أدرى لماذا ، وأردت أن أقول لامى اننى لم أعد جائعا ولـكننى لم أفعل ..

ولكن أخى الأصفر عاد يطلب طعاما ، وعادت الأخت الصغرى تبكى ــ ولعلها لم تكن تدرى لماذا تبكى ..

وفجأة صرخ الاخ الرضيع بعنف ، وراح يتـلوى ، فاسرعت أمى اليه تحمله ، وسمعتها تهمس فى جزع :

ــ الولد حرارته فوق الاربعين ..

واستمر صراخ الرضيع لحظات وأمى تهدهده وتروح به وتجىء وقد بدا وجهها فى ضوء المصباح الخافت رهيبا فى نظرى .

خيل الى أنها لم تعـد الانسانة التى عرفتها ، وانما تحولت فجأة الى أى شىء آخر لايمت للبشر بسبب .

كانت تتلفت حولها فى شبه خبل ، ولعلها كانت تبحث عن شىء يمكن أن تبيعه أو ترهنه . وذلك رغم انهـا كانت تعلم أنه لم يعد ثمة شىء يصلح للرهن أو للبيع .

فانا الان أذكر تماما أن كل الذى كان فى غرفتنا فى تلك الليلة لم يكن يساوى ثمن حمله للتخلص منه .

وكف أخى الاصفر عن طلب الطعام وهو يسمع صريخ الرضيع ، وتحول بكاء الاخت الصغرى الى تشنج خفيف متقطع .

ولكن الرياح لم تكف عن الزئير ، ولم تتوقف الامطار عن الانهمار .

وبدأ صياح الرضيع يخفت تدريجيـا حتى أمسى أنينا .

ورأيت أمى وهى تضعه فى مكانه من الفـراش ، ثم ترتدى ازارها وتتجه نحو باب الغرفة ، ثم تتوقف فجأة، ثم تعود وتخلع الازار ، وكأنما أدركت أنه لا جدوى من خروجها ، أو كأنما تذكرت أنهـا لا تدرى الى أين تذهب .

وعادت تروح وتجىء فى الغرفة كحيوان سجين وهى تحمل الرضيع الذى كان يئن بين يديهـا ، وتتحسس وجهه وجبينه وتتمتم بكلمات غامضة .

وفى خلال هذا كله لم تكن تكف عن تركيز سمعها فى اتجاه السلم كأنما تتوقع أن تسمع خطوات أبى فى أية لحظة ..

ولمحتها من وراء أهدابى تلتفت نحـوى وتهمس باسمى :

ــ ممدوح ..

ولست أدرى لماذا تظاهرت بالاستغراق فى النوم ، فلم أجب . لعـلى كنت أريد أن أطمئنها من جهتى حتى لا تزيد همومها بأمرى .

ولعلى كنت قد شـعرت ببعض الدفء فخشيت أن ترسلنى فى البرد والمطر الى القهوة التى اعتاد أبى أن يجلس عليها كلما تعطل عن العمل .

ولعلى أحسست بفريزتى أنها تريد أن تطمئن الى استغراقى فى النوم .

وبعد أن كررت النداء مرة أخرى بصوت أكثر ارتفاعا مضت الى الباب المغلق الذى يفصل بين غرفتنا وبين غرفة عم ابراهيم الحلاق ووضعت أذنها عليه تتسمع .

واعتقد أنه لم يكن بها حاجة لان تفعل هذا ، لان غطيط الرجل كان يصل الينا بوضوح .

وظل الرضيع بين يديها يئن .

ولم تكف الرياح عن الزئير ، ولم ينقطع المطـر عن الانهمار .

ورأيت أمى تضع الطفل برفق وقد بدا فى عينيهـا بريق مخيف .. بريق طالما رأيته فيما بعد ، كطبيب ، يلمع فى عيون الذين فقدوا عقولهم .

ومضت تتسلل الى الباب بلا ازار ، ثم تفتحه برفق وتطل برأسها على صالة المسكن المشـترك ، وترهف السمع .

وخرجت ..

وفزعت أنا وقد خطر لى أنها تركتنا الى الابد .

ولما كدت أنهض لالحق بها ، رأيتها تعود وهى تقبض بيدها على شىء لم أتبينه ، ثم تهزنى لتوقظنى فانتصبت جالسا أسمعها تهمس لى :

ــ خد بالك من أخوتك .. لن أغيب ..

واشتملت بازارها وانصرفت ، ولست أدرى كم لحظة أو ساعة غابتها ولكننى أذكر أن كل لحظة مرت عـلى أثناء غيبتها كانت عمرا .

وعادت أخيرا ومعها رجل فى يده حقيبة عرفت فيما بعد أنه طبيب .

قصة العدد

الهدية

الأستاذ حسين القباني

انها هدية عجيبة بلا شك ..

بل لعلها أعجب هدية يمكن أن يهديها الابن الى امه .. أو الى أى انسان آخر انها أكذوبة صغيرة .. صغيرة جدا ، وبيضاء جدا .

ومع ذلك فقد رفعت هذه الاكذوبة الصغيرة جدا ، البيضاء جدا ، أثقالا من الالام والاحزان وعذابات الضمير عن قلب أمى .

ولكن يبدو أنى نسيت نفسى وأخذت أكتب القصة من ذيلها بدلا من أن أبدأها من الأول .

ولعلى قبل أن أبدأها أحب أن اقول اننى كثيرا ما رأيت أمارات الدهشة والتساؤل تلمع فى عيون الذين يعرفون ماذا كنت فى طفولتى وصباى وكيف أصبحت الان .

ولست أشك فى أن هذه الامارات نفسها تلمع فى عيونهم وهم يرون أخى الاصغر المهندس واختى الصغيرة الطبيبة .

ولو أننا ترجمنا هذه الامارات الى كلمات ، لكانت هكذا :

كيف وصلتم الى هذه المكانة فى الحياة رغم كل ماكان يحيط بكم فى طفولتكم وصباكم من فاقة وضيق ؟

وأعتقد أنه قد آن لى أن أجيب على هذا التساؤل انها الام يا أصدقائى .

انها أمنا ولا أحد آخر ، بعد الله غيرها ..

ولعل خير هدية أقدمها اليها فى هذه المناسبة ، هى هذه الكذبة الصغيرة جدا .. البيضاء جدا .. والعجيبة جدا .

كان أبى رحمه الله انسانا فاشلا فى حياته .

ولم يكن له يد فى هذا الفشل ، لانه هكذا خلق .

ولعل أن يكون سر فشله ، أنه ولد « بلا خربوش » كما يقول العامة .

وهكذا عاش طيبا أكثر مما ينبغى فى عالم يرى الاسراف فى الطيبة بلها وغفلة .

وعاش مسالما أكثر مما ينبغى فى عالم يرى المسالمة ضعفا وجبنا .

وعاش كريما مبسوط اليد أكثر مما ينبغى فى عالم يرى الكرم تبذيرا وسفها .

وهكذا فشل فى الاحتفاظ بفدادينه الاربعة أوالخمسة التى ورثها عن ابويه .

وفشل فى الاحتفاظ بأى عمل يظفر به بعد الجهد والمشقة .

وكان قبل ذلك قد فشل فى دراسته بالازهر ، ولا أدرى لماذا .

وكاد أن يفشل فى الاحتفاظ بزوجته ـ أمنا ـ لولا أنها استماتت فى انقاذه من هذا الفشل .

لقد احتملت كل ألوان فشله لانها أدركت أن هذه هى طبيعته التى لا حيلة له فيها ، ولأنها كانت تعلم عن يقين أنه فى حقيقة الامر لم يكن مسئولا عن فشله الا اذا كان الانسان مسئولا عن وجوده فى هذه الحياة .

بل أنها فى بعض الأحيان ، كما علمت فيما بعد ،كانت ترى أن ما يظنه الناس فشلا ، لم يكن فى نظرها الا النجاح عينه .

فمثلا عرض عليه يوما أن يشترك فى مشروع يدرعليه ثروة طائلة بطرق غير مشروعة . ولو أنه قبل لاصبح موفور الثراء ، ولما اتهم بأنه فاشل . ولكن أمى اعتبرت فشله فى هذا الامر نجاحا .

وفى هذا الجو العائلى نشأت بين والد هذا شأنه ، وبين أم تحاول جاهدة أن تجعل من فشل زوجها نجاحا لأبنائها .

وكانت على شىء من العلم بسيط ، كما كانت وحيدة أبويها ، مثل أبى ، ابن عمها . وقد عاشت معه فى بيئة ريفية محافظة شديدة التدين الى حد التزمت .

ولا أدرى كيف أضاع أبى فدادينه القليلة التى ورثها عن أبويه ، ولكن الذى أدريه وأذكره ، أنى حين بدأت أشعر بالحياة وأعى ما حولى من الأحداث بصورة ما ،

لا فرق فى الاسلام بين شُعوبه ... المسلمون جميعهم أرحام
ليسِ المقام لأَبيض أو أَسود ... بالدين والتقوى يسود مَقام
وقويُّهم بالعسف أَضعفُ ماترى ... وضعيفُهم بالحق ليس يُضام
يا منكرين على النبى جهاده ... بالسيف حين عَدا عليه لِئَام
هل كان فى الإسلام «دنكركٌ» لكم ... تُشوى به الأَرواح والأَجسام
يامفترون وهل به من «كوريا ... مَثلٌ يَسِيرٌ أَيُّهَا اللُّوامُ
لِمَ كل هذا... ها هنا إجرامُهم ... فى «بورسعيد» يَعافه الاجرام
الأُم تترك طفلَها من ذُعرها ... وتعودُ تَنظرُ... الوليد حُطَامُ .
حَرَقُوا الصغير.. وكَلْبَهُ وقعيدةً! ... لم يُجْدِهَا دَمْعٌ ولا استرحام
إن الأُلى عَبدوا الحجارةَ قبلكم ... أَحْنى وأَرحَمُ.. أَيُّهَا الأَنعام !!
عُذْرًا إلى الأَنعام حَيْثُ وَصمتُها ... بـأَحَطِّ خَلْقِ اللهِ حَيْثُ أَقاموا
هذى صحائفهم وتلك صحائفى ... كل الصحائف عندهم آثام
يا قاهرًا فَوْقَ العباد لقد بَغَت ... وتـأَلَّهَتْ فى عصرنا الأَقزام
أَهديتَ أَرضَكَ نعمة كفرت بها ... هى «أَحمد» فعلى السلام سلام
تلك المجازر فى الحروب مَن الذى ... يدعو لها يا أَيها الأَقوام
أَيَشُنُّهَا الاسلام أَم هى ضده ... يا رب أَنت لنا فهم ظُلَّام ...
ما جرَّدَ الاسلام سيفًا باغيا ... بل سيفُه الاقناع والالهام
لاترهبوا الكفَّار مهما أرجفوا ... فهمو لما قد أَوقدوه ضِرام
اليوم قد يئسوا وخاب مِحَالُهم ... ومِحَالُهُمْ مُتَكَرِرٌ مادموا ...
اليوم أَكمل رَبُّنا إنعامَهُ ... وَأَتَمَّهُ ... وبِفَضْلِهِ الانعامُ
ولسوفَ تسطع بالقلوب شموسُهُ ... ولسوف يُشرق بالمنى الاسلام
ولسوف يُلقى المُتعَبون رِحالَهم ... فى ظلِّه وتُحقَقُ الأَحلامُ
ولسوفَ تهدأُ أَنفُسٌ كم راعها ... مِن قَارعات حولها وصِدام

وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا

صدق الله العظيم

الشاعر محمود جبر

رَوْضٌ يضوع وسامرٌ بَسّامٌ — وظِلالُ أَيْكٍ مِلؤه الأَنسامُ
وجلالُ وادٍ مُمْرِعٍ فى جَنَّة — عن زهرها تَتَفَتَّحُ الأَكْمامُ
وتَعاوُنٌ بين الشعوب وَوِحدَةٌ — وتَعارف وتَعاطفٌ وَوِئامٌ
وإباءُ ذى شَمَمٍ يَصونُ عَرينه — فَاذا اطمأَنَّ فرحمةٌ وسلامٌ
وإذا اسْتثير فَشِدَّةٌ وصرامَةٌ — لا تَنْتَهى ... هذا هو الاسلام

***

يَدعو إلى القسطاس بين شُعوبه — وكتابه الأَحكام والاحكام
جاءت شِريعَتُهُ مُتَممةً لما — لم تحوه الأَديانُ .. فهو إمامُ
كانت حياةُ الكون شركًا صارخًا — وإلَهه الأَوثان والأَصنام
والناس مَظلومٌ ينوءُ بثقله — أَو سادِرٌ مُتغطرس ظَلّامُ
والظُلْم شِرع الأَقوياءِ وجاههم — عصَبِيَّةٌ وَحَمِيَّةٌ وَحُسَامُ
والكونُ أشتاتًا تَراهُ وفُرْقَةً — ولكل صِنْفٌ قادةٌ وطغامُ
لا وَحْدَةٌ تُرجَى فَيُجْمَعَ شَمْلَهُ — كَلّا ولا سِلْمٌ هناك يُرامُ
وإذا تباشيرُ الصباح تلوح فى — أُفُق الوجود فينمحى الاظلام
ويجيئنا الاسلامُ ينشر نورَه — ولواءه فتُحقق الأَحلام
هذا كتاب الله يتلى هل به — شىء تحارُ لفهمهِ الأَفهام !
حَلَّ المشاكل وابتنى صَرْحَ العُلا — وهَدَى .. فهل بانى الهدى ! هدّامُ :
الناس فى الاسلام خَلْق واحِدٌ — العُرْبُ خلق الله والأَعْجامُ

الحلف المزعوم

الشاعر عبد الله شمس الدين

أَبِاسْمِ الدينِ قد رفعوا الشعارا وهُمْ عقدوا به حِلْفًا ضِرارا ؟ !
على أَضغان الاستعمار شادوا دعائم حلفهم حقدا مُثارا
وما خجلوا . وما خشعوا حياءً وهُمْ بالبيت قد نعموا جوارا
كَمَنْ دخَلَ المساجِدَ وهو لِصٌّ ليسرقها . وقد صلّى جهارا
كقطاعِ الطريق . وقد تزيَّوْا بزىّ الناسكين . وهم سكارى
وشرٌّ مصيبة للدين قومٌ له انتسبوا افتراءً واشتهارا
على البُسَطَاءِ هم خطَرٌ وبيلٌ إِذَا خُدِعُوا بهم ظلُّوا حيارى

***

وهل يرعى عهودَ الدين (شاهٌ) يرى صهيونَ كسْبًا وافْتِخَارا ؟
فحالفهُ . وباع له الأَمانى وقد عادى عروبتَنَا .. وجارا
كأَنَّ الدين لم يك غيْرَ إِسْمٍ لديْهِ .. ولم يكن إِلَّا ستَارا
يروم خلافةَ الإِسلام بغْياً ولم يرعَ الزمام ولا الذِّمارا
كأَنَّ المسلمين عموا وصَمُّوا فلم يروا الدهاءَ له أَشارا
تعالى اللهُ قد كشَفَ النوايا وأَظْهَرَ ما تَسَتَّرَ أَوْ توارى
سيحمى دينه حتْمًا بقوْمٍ لغير الحق ما راموا انتصارا
ومَنْ يك مخلصا لله حقا تسامى مَبْدَأً . وسَمَا شعارا

القطع التى عثر عليها من طبق غبن
متحف الفن الاسلامى بالقاهرة

نسبته الى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (١١ م) . وكان توقيع هذا الفنان يرد على انتاجه بصيغ مختلفة هى : « عمل الشريف أبو العشاق » ، و « أبو العشاق » ، و « شريف عشاق » ، و « شريف » وفى بعض الاحيان كان العمل الواحد يجتمع عليه صيغتان هما « عمل الشريف أبو العشاق » و « عمل الشريف » ، كما يتضح ذلك على جزء من قدر بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ١٩٦٩٨) .

ويلاحظ على أسلوب « الشريف أبو العشاق » أنه يجمع بين خصائص من أسلوب مسلم ومدرسته وأخرى من أسلوب سعد ومدرسته . فمن جهة تتضح محافظته على بعض مميزات الخزف الفاطمى المبكر مثل القواعد المنخفضة ، وكسوتها بالطلاء ، واستخدام علامة مسلم على ظاهر الاناء ، والجمع بين التلوين تحت الطلاء والبريق المعدنى ، وتقليد كل من مسلم والطبيب والصياد فى طريقة رسم الحيوان .

ومن جهة أخرى نلاحظ اقترابه من أسلوب سعد ومدرسته من حيث شكل الاوانى وأسلوب الصناعة : فنجد أن خزفه يتميز برقة الجدار ، وباستخدام الطلاء الازرق الفيروزى الذى يعزى استخدامه الى التأثر بنوع من البورسلين كان يستورد من الصين فى ذلك الوقت .

ويقودنا انتاج الشريف أبو العشاق الى مدرسة سعد التى تنسب الى أواخر القرن الخامس الهجرى (١١ م) وحوالى النصف الاول من القرن السادس الهجرى (١٢ م) . ويكاد سعد ومدرسته يعادلان من حيث الاهمية الصناعية والفنية مسلم ومدرسته . واذا كانت مدرسة مسلم تتميز بأنها لا تزال تحتفظ بكثير من خصائص الخزف الطولونى ذى البريق المعدنى فان مدرسة سعد تبدو وكأنها قد تخلصت تماما من هذه الخصائص القديمة .

وقد وصلنا مجموعة من الاوانى الخزفية تشتمل على توقيع سعد مكتوبا بخط كوفى مورق على ظاهر الاناء . وتتميز هذه الاوانى بأن طلاءها لا يغطى ظاهرها كله وانما يقف دون القاعدة بنحو ثلاثة سنتيمترات .

أما المينا التى كان يستخدمها سعد فهى اما قصديرية ذات لون أبيض نقى ، واما نحاسية ذات لون أزرق مائل الى الخضرة ، واما منجنيزية ذات لون أحمر وردى .

اما البريق المعدنى فكان اما نحاسى اللون أو زيتونى اللون مائلا الى الاصفرار .

وتمتاز الزخارف التى يستعملها سعد بالتنوع والثراء . كما كان سعد يكثر من رسوم الحيوان والطير التى تحف بها الأفرع النباتية والجدائل ، وكان سعد يهتم برسم زخارفه وصوره بعناية ودقة . أما رسومه الآدمية فكانت تبدو بمظهر الأنوثة والرقة .

وينتمى الى مدرسة سعد عدد من الخزافين نذكر منهم « ابن الساجى » ، وقد عثر فى أطلال مدينة الفسطاط على بعض قطع من الخزف تحمل توقيعه . ويتميز انتاج ابن الساجى بانه عبارة عن سلاطين صغيرة الحجم ذات جدران مائلة وقاعدة مرتفعة . وهو يستخدم طلاء زجاجيا أبيض تشوبه زرقة خفيفة لا يكسو ظاهر الاناء كله ، ولكنه يقف دون القاعدة . أما زخارفه ذات البريق المعدنى فتمتاز بأنها كبيرة الحجم وذات خطوط غليظة ، وتبدو كأنها قد نفذت بسرعة . ويتراوح لون البريق المعدنى بين البنى والاخضر والاصفر المخضر .

ويقترب أسلوب ابن الساجى كثيرا من أسلوب سعد كما يتضح من شكل الاوانى ، والطلاء الزجاجى الذى لا يغطى القاعدة ، واستخدام أشرطة رأسية تتجه نحو المركز تشتمل على كتابة كوفية أو شبه كتابة كوفية ، ورسم فروع نباتية تنتهى باشكال على هيئة ثمرة الرمان ، واستخدام رسوم لولبية رفيعة مخروزة فى الطلاء المعدنى ، وترك ظاهر الاناء خاليا من الزخارف فى كثير من الاحيان ، ووضع توقيعه فى منتصف الجدار من الخارج .

وبالاضافة الى الصناع الذين أشرنا اليهم وصلنا أسماء أخرى وجدت على نماذج من الخزف الفاطمى كما عثر على كميات كبيرة من القطع الخزفية الخالية من اسماء مما يدل بوضوح على ازدهار هذه الصناعة فى العصر الفاطمى .

وبفضل بحوث علماء الآثار والفنون أمثال الاساتذين على بهجت وماسول (الخزف الاسلامى فى مصر) ، والدكتور زكى محمد حسن (كنوز الفاطميين) ، والاستاذ عبد الرءوف على يوسف أمين قسم الخزف بمتحف الفن الاسلامى (طبق غبن والخزف الفاطمى المبكر ، وخزافون من العصر الفاطمى وأساليبهم الفنية) صار من الممكن دراسة روائع الخزف الفاطمى والتعرف على صناعه وأساليبهم .

وبعد فان صناع الخزف ذى البريق المعدنى الذين استعرضنا أساليبهم ، والذين كانوا يوقعون بأسمائهم على انتاجهم قد أثبتوا بما لا يترك مجالا للشك أنهم كانوا فنانين بحق لكل منهم أسلوبه المتميز وشخصيته الفنية الواضحة .

بعض وحدات زخرفية تنسب الى الفن الساساني مثل شجرة الحياة والحيوانات المجنحة والفرع النباتي في فم الحيوان أو الطائر والعصابة الطائرة من رقبة الحيوان أو الطائر .

وكان مسلم يميل الى زخرفة باطن الاناء بموضوع رئيسي يتالف في الغالب من حيوان أو طائر تحف به زخارف نباتية تساعد على ابرازه واظهاره .

أما ظاهر الاناء من عمل مسلم فكان يشتمل في معظم الأحيان على علامته مكررة أربع مرات حول جدار الاناء ، وكان يرسم بينها « تهشيرات » من خطوط غليظة متباعدة تشبه تلك التي في الدائرة الداخلية .

هذا وقياسا على ما عرف من أسلوب مسلم في انتاجه الذي يحمل توقيعه يمكن نسبة طبق غبن الى مسلم أيضا . ويؤيد هذه النسبة أنه قد عرف عن مسلم اهتمامه باستخدام طراز الكتابة الكوفية التي تلف حول الاناء ، بالاضافة الى استخدامه لوحدات زخرفية نباتية تشبه الزخارف النباتية على طبق غبن (متحف الفن الاسلامي سجل رقم ١٤٩٣٠) .

وفضلا عن ذلك فان هذا الطبق الكبير الذي يبلغ محيطه أكثر من ٥٠ سم ، والذي يمتاز بدقة زخارفه وروعة رسومها وجودتها واتقانها ، والذي عمل لقائد القواد في عصره يجدر به أن يكون من عمل أشهر صناع هذا العصر على الاطلاق وهو مسلم بن الدهان .

ويمكن أن نضيف الى ذلك أيضا أن ظاهر طبق غبن يشتمل على علامة مسلم التي سبقت الاشارة اليها ، ولو أنه مما يؤسف له أن القاعدة التي ربما كانت تحمل توقيع مسلم حسب العادة لا تزال مفقودة حتى الآن .

ومهما يكن من شيء فانه من المتعذر القطع بنسبة طبق غبن الى صانع معين على وجه التحديد ، وربما يكتشف أجزاء أخرى من هذا الطبق تشتمل على توقيع الفنان الذي صنعه .

وكما انتسب مسلم الى أبيه الدهان الذي يلاحظ من لقبه أنه كان يمتهن نفس الصنعة ، نجد أخا لمسلم اسمه « مترف » ينتسب الى مسلم نفسه : اذ يثبت توقيعه على طبق صغير بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة (سجل رقم ١٢٩٩٩) بصيغة « عمل مترف أخو مسلم الدهان » . ومن الملاحظ أن هذا الطبق يمثل جزءا من صينية تشتمل على عدة أطباق .

طبق من الخزف ذي البريق من العصر الفاطمي

ومن صناع الخزف المسلمين الذين من المحتمل أنهم عاصروا مسلم بن الدهان وربما كانوا من تلاميذه فنان وصلنا توقيعه على انتاجه واسمه علي البيطار . وكان توقيع هذا الصانع يرد أحيانا بصيغة كاملة « عمل علي البيطار بمصر » كما يتضح على جانب من قدر بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة (سجل رقم ١٤٨٠٤) . ومن الملاحظ أن علي البيطار قد استخدم أحيانا زخارف نباتية تشبه الوحدات الزخرفية التي استخدمها مسلم ، كما اعتاد أن يزخرف ظاهر أطباقه حسب أسلوب مسلم من حيث رسم علامة مسلم والتهشيرات بين الدوائر الخارجية الأربع ، وفي داخل الدوائر الداخلية .

ومن مدرسة مسلم أيضا فنان وصلنا توقيعه مصحوبا باسم مسلم . ذلك انه قد عثر بأطلال الفسطاط على قطع من أوان خزفية تحمل توقيع مسلم بصيغة «عمل مسلم» ومعه اسم « جعفر » مكتوبا بخط كبير . وهذا يرجح أن جعفر كان من تلاميذ مسلم ، وأنه كان يعمل حسب تقاليد مسلم ، وأنه بدأ انتاجه باثبات اسم مسلم مع اسمه كعلامة على ذلك . والحق أن أسلوب جعفر شديد الشبه بأسلوب مسلم ، وان كان أكثر تطورا من حيث الزخارف وكثرة التفاصيل ، ومن حيث جمعه في العمل الواحد بين لونين من البريق المعدني : هما النحاسي والذهبي المخضر . ولا شك أن ذلك يدل على أن جعفر كان أحدث عهدا من مسلم . هذا ومن الملاحظ أنه قد وصلنا قطع من الخزف ذي البريق المعدني تحمل اسم جعفر وحده ، كما أنه في بعض الاحيان كان جعفر يرسم على ظاهر الاناء علامة تختلف بعض الشيء عن علامة مسلم اذ كان يستعيض عن الدائرتين المتداخلتين بدائرة واحدة . ويظهر اسم جعفر على بعض انتاجه منسوبا أحيانا الى بلده الأصلي « جعفر البصري »

ويرجع الى عصر تال مباشرة لعصر مسلم أي الى حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (١١ م) صانع خزف وصلنا نماذج من انتاجه تحمل اسم « الطبيب » . ويستخدم هذا الفنان على ظاهر الاناء علامة مشابهة لعلامة مسلم ، كما أن أسلوبه الزخرفي قريب من أسلوب مسلم . ومع ذلك فانه يتضح في أسلوب الطبيب بعض التطور : ذلك أنه لا يقتصر على الزخارف ذات البريق المعدني بل يضيف اليها رسومات تحت الطلاء ذات ألوان كثيرة هي الأخضر والبنفسجي المنجنيزي والأزرق الفيروزي والاصفر الداكن .

ويمكننا أن ننسب الى عصر « الطبيب » أيضا صانعا آخر يتفق معه من حيث الجمع بين البريق المعدني والرسم بالالوان تحت الطلاء ونعني بذلك « احمد الصياد » . والحق أن التشابه بين أعمال احمد الصياد والطبيب لا يقف عند هذا الحد ، ولكنه يتعدى أيضا الى أسلوب الزخرفة نفسها .

واذا كان هؤلاء الخزافون الذين سبق ذكرهم ينتسبون الى مدرسة واحدة تمثل أسلوبا مبكرا في صناعة الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني فانه قد وصلنا انتاج آخر من الخزف يدل أسلوب صناعته وزخارفه على أنه يرجع الى أواخر العصر الفاطمي ونقصد بذلك الخزف الذي ينسب الى مدرسة سعد .

على أنه قد أمكن التعرف على بعض صناع يمثل أسلوبهم مرحلة انتقال بين أسلوب مسلم ومدرسته في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (١١ م) وبين أسلوب سعد ومدرسته في أواخر هذا القرن وفترة طويلة من القرن السادس الهجري (١٢ م) . وربما كان أبرز هؤلاء الصناع « الشريف أبو العشاق » الذي ترجع

قدر من الخزف ذى البريق المعدنى من العصر الفــاطمى بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة

المسلمين عن أوانى الذهب والفضة التى كان يتـــورع أتقياؤهم عن استعمالها ، والتى وعدهم بها الله سبحانه وتعالى فى الجنة حيث يقول ســبحانه : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب » (سورة الزخرف آية ٧١) « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير . قوارير من فضة قدروها تقديرا » (سورة الانسان آية ١٥ و ١٦) .

ولقد أثار البعض شيئا من الشك بصدد نسبة ما عثر عليه من هذا الخزف فى أطلال الفسطاط الى مصر زاعمين أنه ربما كان مستوردا من خارج مصر : من العراق مثلا أو ايران . غير أنه من بين القطع الخزفية التى عثر عليها من هذا النوع فى الفسطاط قطع تالفة اما نتيجـــة زيادة النضج أو قلته : مما يدل على أن الخزف ذا البـريق المعدنى الذى عثر عليه بمصر قد صنع فى مصر نفسها ، ولم يستورد من خارجها : اذ أنه ليس من المعقول اســتيراد خزف تالف . وفضلا عن ذلك فان توقيعات بعض صـــناع هذا الخزف قد اشتملت على مكان الصناعة وهو مصر .

والحق أن الخزف ذا البريق المعدنى المصرى قد انفرد بخصائص مادية وزخرفية وفنية تميـــزه عن سائر أنواع هذا الخزف فى شتى أنحاء العالم الاســـلامى . واهم ما يميز الخزف المصرى طينته التى تتميز بأنها رمليـــــة وهشة وسميكة ومائلة الى الاحمرار أو الاصفرار .

وظهر على هذا الخزف أنواع الزخارف المختلفة ولاسيما الزخارف النباتية والحيوانية والكتابية . كما رسمت عليه أحيـانا صور تمثل موضوعات بعض المتع مثل الصيد والعزف والشرب والرقص . ومما تجدر الاشارة اليـــه أيضا أن بعض الصـحون الخزفية الفاطمية اشتملت على صور ذات طابع شعبى مثل صورة بطلين يتصارعان وقد تجمع حولهما بعض النظارة ، أو صورة حمال يمشى فى خطوات وئيدة ، أو صورة رجلين يتبارزان بالعصى ، أو صورة مناقرة الديكة .

ولقد ورث صناع الخزف كثيرا من التقاليد التى كانت متبعة فى العصر الطولونى ، ثم طوروها وارتقوا بها حتى كادوا أن يصلوا بهذه الصناعة الى حد الكمال .

ولقد أمدتنا أطلال الفسطاط بقطع من الخـــزف ذى البريق المعدنى تمثل أجزاء من أنواع مختلفة من الاوانى مثل الاطباق المسطحة والعميقة والسلطانيات والقـدور وغيرها . وقد سبق أن أشرنا الى أن كثيرا من هــــذه القطع يشتمل على توقيعات الصناع الذين أنتجـوها . وقد استطاع العلماء بفضل هذه التوقيعات أن يتعرفوا على أسماء عدد من صناع الخزف الفاطمى كان لكل منهم أسلوبه الخاص من حيث الصناعة والزخرفة .

وقد أمكن عن طريق الدراسة العلمية لتطور أســاليب الصناعة والزخرفة فى انتاج هؤلاء الصناع ، ومقارنتهـــا بالزخارف الطولونية والفاطمية والايوبية بصفة عـامة أن تحدد الأزمنة التى اشتغل فيها كل منهم على وجـــــه التقريب ، بالاضافة الى مدارسهم الفنية ، وتطور أساليبهم ونسبة القطع الخزفية الخالية من التوقيع الى صناعها .

ومما ساعد على تأريخ المنتجات الخزفية الفاطمية أيضا الحصول على قطع من طبق بمتحف الفن الاســـلامى بالقاهرة (سجل رقم ١٢٩٩٧ و ١٤٣٨٩) عليه طراز من الكتابة الكوفية المعجمة باسم أستاذ الأستاذين « غبن » قائد القواد فى عهد الخليفة الفاطمى الحــاكم بأمر الله استطعنا تاريخه الى ما بين شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٢هـ (نوفمبر ١٠١١م) وجمادى الاولى سنة ٤٠٤هـ (نوفمبر ١٠١٣م) : اذ بدراسة زخارف هذا الطبق صار من الممكن أن نتعرف على الانتاج المتشابه والذى يرجع الى تاريخ معاصر أو مقارب لتاريخه ، وبالتالى أن نحدد الصـــناع الذين اشتغلوا فى تلك الفترة ، ثم بملاحظة التطور الزخرفى وتطور أساليب الصناعة صار من الممكن الى حد ما تحديد الانتاج الاقدم وكذلك الانتاج الاحدث وصناع كل منهما .

وربما كان مسلم بن الدهان هو أهم صناع الخزف ذى البريق المعدنى بحيث يمكن اعتباره صاحب مدرسة . وقد وصلنا مجموعة كبيرة من الخزف تشتمل على توقيع هذا الفنان بالاضافة الى العلامة التى يعتقد أنه اتخذها شعارا له أو لمصنعه . وفى معظم الاحيان يظهر اسم مسلم بخط كوفى بسيط على قاعدة الاناء ، ولو أنه وجد أحيانا مكتوبا بأسلوب زخرفى على باطن الاناء .

أما علامة مسلم فهى على ظاهر الاناء وعلى هيئـــة دائرتين متداخلتين متحدتى المركز تشتمل الداخلية منهما على خطوط متقطعة ومتوازية . ومن الملاحظ أن هــذه العلامة قد ظهرت - قبل مسلم - على الخزف المصرى فى القرن الثالث الهجرى (٩ م) ، وكذلك على انتـــاج صناع فاطميين آخرين من مدرسة مسلم مما يرجح أنهـا كانت من التقاليد التى ورثها الصناع الفاطميون من الخزف الطولونى .

وتتميز الاوانى الخزفية التى تنسب الى مسلم وتحمل توقيعه وعلامته بأنها ذات قاعدة منخفضة جدا ، وبأنهـا مدهونة بطلاء يغطيها كلها من الباطن والظاهر بما فى ذلك القاعدة .

كما تتميز أيضا بأن زخارفها ذات بريق معـدنى يغلب عليه اللون الذهبى المشوب بخضرة الناتج من مزيج من الفضة والقصدير ، ولو أنه من الملاحظ أن بعض هذه الزخارف يعطى أحيانا بريقا معدنيا أحمـر نحاسى اللون ، وذلك نتيجة لفحها بالحرارة أثناء الحرقة الاخيرة .

وقد استخدم مسلم فى تزيين انتاجه شتى أنــواع الزخارف من نباتية وحيوانية وآدمية وكتابية . ويتجلى فى رسومه كثير من الحرية وقوة التعبير مما يجعلها وثيقة الصلة بالرسوم الطولونية ، كما يتضح فى رسومه أيضا

وضوح شخصية الفنان فى الخزف الإسلامى فى مصر الفاطمية

الدكتور حسن الباشا

من الظواهر الملفتة للنظر فى الخزف الفاطمى وجود توقيعات صناعة على كثير من التحف الخزفية التى وصلتنا منه ، مما يدل على اعتداد هؤلاء الصناع بانفسهم ، واعتزازهم بمكانتهم ، وفخرهم بانتاجهم . وبدراسة انتاج هؤلاء الصناع اتضح لكل منهم أسلوبه الصناعى والخزفى المميز وطابعه الخاص الذى ينفرد به عن غيره . والحق أن تمسك هؤلاء الصناع والفنانين بالتوقيع على انتاجهم من جهة ، وتميز انتاج كل منهم بمميزات خاصة وأسلوب شخصى من جهة أخرى لما يدحض الافتراء الذى اعتاد البعض أن يوجهوه الى الفنانين المسلمين حين يتهمونهم بانعدام الشخصية الفنية ، وبارتباطهم جميعا بتقاليد فنية لا يستطيعون أن يحيدوا عنها أو يخرجوا عليها ، وبانعدام روح الابتكار لديهم ، وباللجوء الى التقليد والتكرار .

ولقد استطاع علماء الفنون والآثار أن يدرسوا انتاج صناع الخزف الفاطمى بفضل ما عثر عليه منه فى أطلال مدينة الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص بعد فتح مصر فى سنة ٦٤٢م . وعلى الرغم من أن بعض الولاة الذين حكموا مصر بعد عمرو قد عمدوا الى تأسيس مدن لهم مثل العسكر والقطائع والقاهرة فان الفسطاط ظلت مدينة مأهولة بالسكان عامرة بالنشاط والحياة تمثل جزءا مهما من عاصمة الديار المصرية حتى نهاية الدولة الفاطمية حين لجأ شاور الى احراقها فى سنة ١١٦٨ م (٥٦٤ هـ) حتى لا تقع فريسة سائغة فى يد الصليبيين الذين هاجموا مصر فى ذلك الوقت طمعا فى احتلالها والسيطرة عليها ، بعد أن ظهر ضعفها أثناء التنافس بين الوزيرين الفاطميين شاور وضرغام على السلطة ، واستعانة كل منهما بالقوى الاجنبية .

وكان من أثر حريق الفسطاط أن خربت هذه المدينة العظيمة وهجرها أهلها ، وصارت أطلالا ينعق فيها البوم والغربان ، كما أصبحت مباءة يلقى فيها سكان القاهرة بالمخلفات وأنقاض الهدم .

على أن هذه المدينة المخربة المهجورة صارت – من جهة أخرى – منذ ظهور العناية بالآثار الاسلامية قبلة علماء الآثار ، يجرون فيها أعمال الحفر والتنقيب بحثا عن الآثار التى تحتويها فى باطنها : سواء ما كان متخلفا من الحريق ، أو ما اشتملت عليه المخلفات والأنقاض التى كان يلقى بها فيها منذ أن صارت بقعة خربة .

وبالاضافة الى علماء الآثار فطن تجار العاديات القديمة الى ما تحويه أطلال هذه المدينة وأكوامها من كنوز فنية ، فانطلقوا هم وعملاؤهم ينقبون فيها ولا هم لهم الا الحصول على التحف ذات القيمة المادية أو الفنية ، بصرف النظر عن اتباع أسلوب علمى فى الحفروالتنقيب مما أفقد التحف المكتشفة كثيرا من أهميتها الأثرية والتاريخية .

طبق من الخزف ذى البريق المعدنى من العصر الفاطمى بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة

ومهما يكن من أسلوب الحفر والتنقيب فقد كان مما عثر عليه فى أطلال مدينة الفسطاط مجموعة كبيرة من نوع من الخزف الفاخر استطاع علماء الآثار والفنون أن ينسبوه الى مصر الفاطمية . ونظرا لما يزين هذا الخزف من زخارف ذات بريق معدنى فقد اصطلح على تسميته بالخزف ذى البريق المعدنى .

ويمثل الخزف ذو البريق المعدنى المصرى فرعا من نوع من الخزف شاع استخدامه فى العالم الاسلامى كله : اذ عرف – بالاضافة الى مصر – فى الشام والعراق وايران وشمال افريقية والأندلس .

وكان هذا النوع من الخزف يصنع بطريقة تختلف بعض الشىء عن باقى أنواع الخزف : فكان يحرق أولا كالعادة ثم يطلى بطلاء قصديرى غير شفاف ، وبعد ذلك يحرق مرة ثانية لتثبيت الطلاء ، وبعد ذلك يزخرف بأوكسيدات معدنية تعطى فى أغلب الاحيان لونا ذهبيا ، ثم يحرق مرة ثالثة فى درجة حرارة منخفضة جدا بحيث تثبت هذه الزخارف ، وتكتسب بريقا أشبه ببريق المعادن ، وربما استغنى عن الحرقة الأولى .

ويعتقد بعض العلماء أن صناع الخزف قد ابتكروا هذا النوع من الخزف ذى البريق المعدنى ليستعيض به أثرياء

متسترة بدعوة المسيح السمحة المسالمة .. لتحاربها تحت لوائها .. ثم انفصلت ايران وأخذت معها فى موجة الانفصال كل الجزء الشرقى من العالم الاسلامى ، ثم تنكرت للعروبة لغة وتنكرت لها عملا ، وحاولت الشعوبية الايرانية أن تفسد الاسلام نفسه . ولقد مدت لها المنطقة العربية يدها فى محنتها يوم أن غزاها التتار ، ولم تمد هى يدها للعرب يوم غزو الصليبيين ، أو يوم غزو الاستعمار الحديث لها ، ولا تزال مصرة على موقفها الخائن لأخوة الاسلام فى العصر الحديث حين يسعى العرب لحريتهم ، بل هى تحالف خصومهم وتسلمهم الى عدوهم .

فهل دعوتهم الآن تبشر بخير .. أو تسعى لخير ؟ .. أم تكرر دورها القديم ؟ ..

ونتناول الموضوع من ناحية ثالثة : وهى فكرة الحلف نفسه .

والأمر لايحتاج الى بيان طويل ، ولا الى تدليل كبير ، فان الفكرة نفسها نابعة من خصوم العروبة والاسلام . نابعة من دول كانت تحتل دول الاسلام وتستعمرها وتستنزف موادرها وثروتها وتعطل طاقاتها وتقدمها ، ثم هى لاتزال تحتل بعض أجزائها وتسلم بعضها الآخر الى عدو لدود تقيمه غصبا فى قلبها وتشرد فى الأرض جزءا من شعبها . وقد اصطدمت بها فى جولات حربية وسياسية واقتصادية ولا تزال للجولات بقية . والدول التى تدعو الى هذا الحلف حليفة لهذا العدو تمشى فى ركابه ويتخذها هو أداة لضرب كل تحرر عربى اسلامى وللوقوف فى وجه كل تقدم له ، فهى مخلب قط يخدش به العدو أرض العروبة والاسلام . وهل يتصور عقلا أن خصوم العروبة والاسلام يقيمون حلفا لتقوية العرب والمسلمين ؟ لايقول بهذا الا مأفون العقل فاقد الارادة ألقى بيده يصرفه مستعبده كيف يشاء وأين يريد .

وناحية رابعة ننظر منها الى الموضوع وهى الدول الداعية الى الحلف فى ذاتها : أهى حرة طليقة تفكر تفكيرا حرا وتفعل منطلقة الارادة أم هى دول خاضعة لغيرها تعمل بوحى المتسلط عليها ؟ . ثم أهى دول عاملة بالاسلام مستمسكة به ؟ .. ان كانت مسلمة اسما فليس الاسلام اسما يطلق وانما هو عمل وطريقة ونظام وسلوك . ولسنا فى حاجة الى التدليل على مجانبة حكام هذه الدول لكل عمل اسلامى وكل سلوك اسلامى فى داخلها بالنسبة لشعوبها ، وفى خارجها بالنسبة لغيرها من دول الاسلام وفى المجال العام بالنسبة للانسانية جميعا

أما بالنسبة لشعوبها : فالاستعباد والطبقية والاستغلال والضغط والاستنزاف . وبالنسبة لغيرها من دول الاسلام فهو الخيانة واسلامها للعدو ، وأما بالنسبة للعالم كله فهو تمكين للعدوان واعانة على جو الفرقة والتوتر واشاعة البغضاء بين الأمم .

من كل هذا العرض يستبين لنا معنى الحلف الاسلامى الذى يدعون اليه . فهو ليس حلفا لصالح المسلمين ، ولكنه مؤامرة عليهم يدبرها خصومهم ، ويتخذون من هؤلاء المساكين الغافلين منفذين لها . وحقا انهم مساكين فى نفوسهم وعقولهم وايمانهم ..

ولكنا نسأل الله ألا يحشرنا فى زمرة هؤلاء المساكين . ولا أجد كلمة توصف بها هذه الدعوة الحمقاء الا وصف الامام « على كرم الله وجهه » لدعوة الخوارج اذ يقول « كلمة حق اريد بها باطل »

نسأل الله لهؤلاء الهداية والرشد ، فان لم يكونوا على استعداد لتقبل الهدى فنسأله لهم العذاب ، وان بطش ربك لشديد ..

من أهل فلسطين ؟ ٠٠ انها لم تحس معهم بالشكوى ولم تتداع لهم بالسهر والحمى ٠ وقد أسلمتهم لعدوهم بل رضيت بما وقع عليهم من ظلم واعتداء حين اعترفت بعدوهم فكأنها اعترفت بحقه فى الاعتداء عليهم ٠ **ثم ماذا هى بالنسبة للدول العربية الاسلامية الأخرى ؟٠٠** انها لاتتعاطف معهم ولا تتراحم ولا ترعى لها حرمة ولا ذمة ، بل تسعى لضررها وتتحالف مع خصومها ٠ **ثم ماذا هى فى داخلها ؟ ٠٠** أترى الناس فيها كأسنان المشط سواسية ؟٠٠ وما نقوله عن ايران يمكن أن نقوله عن شركائها فى الدعوة ٠

(٢) وأما أوامر الاسلام بالنسبة لغيره من الناس والأمم : فقد اعتبر الاسلام الناس اخوة من حيث المبدأ الانسانى العام ، واعتبر الدين كله لله ، وتعايش الاسلام مع الأديان الأخرى فى وئام ٠٠ ولم يحارب الا من حاربه ولم يعاد الا من عاداه ٠٠ وكان موقفه دفاعيا فى كل وقت ٠ الا أن خصومه الذين يشنون عليه الحرب دائما ويقفون منه موقف العداء ٠٠ واذن هو فى غير حاجة الى التكتل ضد الآخرين الا أن يبادئوه بعدوان ٠ ولذلك فهو ضد كل حلف يجر الى عداء ، بل هو يسعى الى تسويد السلام بين العالم أجمع ٠٠ **ومن هنا نحن نقف ضد الأحلاف لأنها كلها عدوانية تهدف الى تحكم البعض فى الآخرين ، وما تجمع شمله الاسلام الا ليحول دون تصارع القوى وتطاحن الأمم ٠٠ ولكى ينهض بذلك انما يوحد كلمته ليصد عن نفسه وليحول بين الآخرين وبين العدوان ٠**

فما الحاجة اذن للحف الاسلامى ؟ ٠٠ ألللعدوان ، أم للخير ٠ ان كان للعدوان فهو مرفوض عند الاسلام ٠ وان كان للخير فنعما هو ٠٠

ولكن أصحاب الدعوة يسيرون فى ركاب العدوانيين على مقدرات الأمم ، بل على مقدرات الأمم الاسلامية نفسها ٠ واذن فهم يريدون تسخير المسلمين أو تحذيرهم أو الهاءهم عما يراد بهم ٠

ونعرض للموضوع من ناحية أخرى ، وهى تاريخ العالم الاسلامى نفسه ٠٠ ونتناوله من ناحيتين :

(١) أيام وحدته : يوم أن كان أمة واحدة ودولة واحدة ٠

فقد أقام الاسلام أمة واحدة مفتوحة الباب يدخلها الناس دون قيد أو شرط الا الدخول فى أمرها والايمان بمبادئها والخضوع لقانونها ٠ وهذا ثابت بنص صريح فى دستورها الأول الذى وضعه النبى على رأس سنة من هجرته حين أسس الدولة الأولى فى مدينة يثرب اذ كان أول بنود الصحيفة « **المؤمنون والمسلمون من قريش ويشرب ومن تبعهم ولحق بهم وشاركهم فى أمورهم أمة واحدة من دون الناس**» وعلى هذا دخل الاسلام الناس من كل لون وكل جنس وتمتعوا جميعا بحقوق المواطنة ورعاية الدولة وجرى عليهم قانون واحد وتمتعوا جميعا بفرص متكافئة أفرادا وشعوبا ، **وقامت دولة عالمية** : الاسلام دينها ٠٠ واللغة العربية لغتها والقرآن والسنة قانونها ٠ ثم قبلت فى داخلها الأديان الأخرى وتعايشت معها بنص صريح فى الدستور الأول كذلك ، وأعطت أصحابها نفس الحقوق ونفس الرعاية ونفس الفرص المتكافئة ٠ وبذلك نعم الناس جميعا فى ظلها بالخير والرفاهية والعدل ٠ وامتدت حدودها من حدود الصين الى غرب أوربا ومن جبال القوقاز الى وسط أفريقيا ٠ وكانت على استعداد لأن تظل العالم كله بعدلها وهداها لولا تعصب الآخرين ضدها ومحاولتهم اطفاء نورها ٠

وفى كل تاريخها يوم وحدتها لم تسع الى فرقة ولم تقم كتلا متطاحنة من عملها ، انما كانت دائما على استعداد للتفاهم والانصاف ٠

(٢) ثم حدثت بينها فرقة كانت ايران نفسها أول من أحدثها ، فأضعفت بذلك داخلية الأمة الاسلامية ٠ وهيأت بذلك لخصومها من أمم الغرب نفسه أن تهاجمها معتدية ظالمة

الحلف الإسلامى

أتحالف هو أم تآمر !!؟

- الحلف الإسلامى حرب على المسلمين .. ومؤامرة مكشوفة متكررة للحكام الرجعيين والاستعمار ...
- الحلف الإسلامى صورة جديدة من حلف بغداد هدفه وضع الشعوب العربية داخل مناطق النفوذ الغربية
- الحلف الإسلامى المزعوم دعوة استعمارية لضرب القومية العربية

الأستاذ محمد فتحى محمود

حين نناقش هذه الدعوة التى تقوم بها بعض الدول فى منطقة الشرق الأوسط لعقد حلف اسلامى نحب أن نناقش الموضوع مناقشة هادئة ونستعرضه من نواح متعددة ثم نخرج من كل ذلك برأى واضح سليم . ونرى من الضرورى أن نعرض للموضوع من ناحية تاريخية لنتبين جوانبه المختلفة ..

نعرض له أولا من ناحية الدين الاسلامى وأوامره بالنسبة لتعامل المسلمين داخليا فى مجتمعهم ، ثم بالنسبة لتعاملهم مع الآخرين ..

(١) ان أوامر الاسلام بالنسبة للمسلمين صريحة واضحة فى الكتاب والسنة . فقد اعتبر الدين المسلمين أخوة فيما بينهم وألغى من بينهم كل فوارق الجنس واللون وفوارق الطبقية الاجتماعية واعتبرهم لذلك كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. فالقرآن الكريم يقول « انما المؤمنون اخوة » والحديث الشريف يقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » و « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » و « كل المسلم على المسلم حرام .. دمه وعرضه وماله » .. و « الناس سواسية كأسنان المشط » .. واذا نحن نظرنا الى أصحاب هذه الدعوة بالنسبة لغيرهم من المسلمين .. وبالنسبة للأسرة الاسلامية الواحدة فهل نجدهم يوفون بشروط الاسلام فى داخل هذه الأسرة الواحدة ؟ .. أليس شعب فلسطين شعب مسلم ؟ .. فماذا فعلت ايران بالنسبة لأخواتها

يستعيد بها بعض صولجانه ، ويسترجع بها بعض سلطانه • ولكن فاتهم جميعا أن الدفع الثورى يحطم كلّ مايقف فى سبيله •

أيها الاغرار المخدوعين.ألم تكونوا المثبطين فى المؤتمرات العربية ! •• ألستم أنتم أذناب الاستعمار والرجعية ! •• من منكم لم يرتم فى أحضانه ويرضع من لبانه ويسير دائما فى ركابه ؟

نريد منكم موقفا واحدا فى المجامع الدولية يشهد لكم بصدق ما تدعون • بل نريد منكم موقفا واحدا فى المؤتمرات العربية • تدافعون به عن الاسلام الذى تزعمون •

دعوا هذا الحلف فانه ترهات باطلة ، دعوه لمن حمل اللواء ، واتركوا أنتم هذا الهراء • وقولوها كلمة صريحة واضحة• نريد أن نعيش لنحمى ما اخذنا من أسلاب شعوبنا • وما جمعناه من أقوات أمتنا لنحرمهم متع الحياة ، فانها لا تسوغ لغيرنا • نأمل الحفاظ على أبهة القصور الشاهانية وغير الشاهانية ، تلك هى أعز أمانينا ، وغايته مقصدنا• وهذا هو الهدف الأساسى الذى نرمى اليه •

لئن كنتم صادقين فى دعواكم • فهيا بنا نجمع أنفسنا فى ميدان الجهاد الاسلامى • لنعيد ما سلب من أرض عزيزة مقدسة • احاطت ببيت مقدس وفد اليه رسول الاسلام• وكان مقر أبيكم ابراهيم عليه السلام •

اليهود تجمع السلاح من كل صوب، وتتوثب للانقضاض • فما أعددتم ليوم اللقاء مع هؤلاء الأعداء ؟ أم انكم وهذا هو واقعكم ،تتجمعون لتقفوا فى صفوفهم •

اسمعوها صريحة مدوية •

لن يصدقّ ما تدعون حتى من الاستعمار نفسه الذى لبس عليكم دينكم • وأرداكم الى هذه الهوة صاغرين • لن يصدقكم ، وانما يريد أن يضرب بعضكم ببعض وتذيق بعضكم بأس بعض • أتجتمعون على الضلالة وتريدون أن تضلوا السبيل !..لئن كانت الأولى قضية مسلمة فالثانية مثلها • ولكن اضلال الناس ليس سهلا كما تظنون ، فارجعوا الى رشدكم؟ وأعلنوها افلاسة وانتكاسة وقولوا «آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين » ورددوا نحن مع الذين أنعم الله عليهم لا مع المستعمرين• فقد عرفنا أين النضج العقلى والوعى الاجتماعى، والدين الحقيقى • رددوها وأدركوا القافلة قبل فوات الأوان ؟ فما بعد اليوم من منجاة •

أيها المتحالفون مع الشيطان • نحن نشفق عليكم من العواقب • ولا نحب لكم أن تنحدروا الى هذا الحضيض • والعالم يطوف اليوم فوق الكواكب • ويبحث بين أجواز الفضاء عن أسرار الكون المودعة فيه ليصلوا الى عجيب صنع الله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » •

الناس يجدون وأنتم تعبثون أو يعبث بكم• فهيا نشيع هذا الحلف المفترى• الذى وأدتموه ونتعهد حلف الحق الذى أخذ الله عليكم العهد أن تناصروه يوم ان قال « ألست بربكم : قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين» .« أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » •

وأخيرا أيها المشاركون لنا فى الاسلام والذين تحملون اسمه • وتتكلمون باسمه نناشدكم الله ان تضعوا أيديكم فى أيدينا • تلك الأيادى البيضاء التى حطمت سواعدها الاستعمار وأعلنت عليه ألا هدنة بعد اليوم ؟ وألا بقاء له على أرضنا • نناشدكم الله أن تكونوا مع الصادقين الذين عرف العالم كله طريقهم فى الحياة • وأقرب المجامع الدولية بتجمعهم فى قيادة السلام • فتجمع من حولهم ويبغى رضاهم •

ساعدنا الشعوب المغلوب على أمرها فشبت عن الطوق وعرفت طريق الحياة • فسارت فى موكب النور • فسيروا معنا على بركة الله ان أردتم صفو الحياة وثواب الآخرة •

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين»

الحلف الإسلامي الوئيد

فضيلة الشيخ ابراهيم عطوة

دعوة هفت النفس اليها تو سماعها ، وأرهفت لها الآذان ، واستراح لها القلب ، وأصغى لها الوجدان . لأنها حملت اسم الاسلام عنوان السلام . وكان مظهرها مغريا لمن مس الايمان قلبه . ولكنها حينما اشرأبت لها الأبصار وارتفعت لها الرءوس . وجدت أن حاملي أعلامها لم يكن لهم ماض يشهد لهم بصدق ما يحملون . فحكمت عليها بأنها من القضايا التى تحمل دليل بطلانها معها ، فلا تحتاج فى تزييفها الى دليل .

أين كان دعاتها يوم أن قمنا نحمل راية الجهاد الحقيقى لانقاذ الوطن السليب . الذى سلمه الاستعمار للغاصبين فى غفلة من الزمن . وترك أبناءه فى الأرض مشردين . يلتمسون المأوى فما يجدونه . ويبحثون عن المساعد والمعين فلا يعثرون عليه .

هل تحرك شاه ايران واشياعه ؟ هل سمع صوتهم فى هذا الوقت ؟ أين كان رواد هذه الدعوة الخئون يوم أن عاث الاستعمار فى الجزائر ، واستمر نضالها عنيدا مريرا فى مقاومته ؟

هل مد هؤلاء المسلمون أيديهم الى هؤلاء ؟ هل لبى هؤلاء نداء الاسلام الذى يقول « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » .

ألم يصموا آذانهم عن النداءات المتكررة التى دوت فى أرجاء الدنيا ، وزلزلت كيان الوجود ، وحطمت كل الحجب . لقد كان أول ملبٍ للنداء تلك الجمهورية العربية الاسلامية . وساندت الثورة فى محنتها ، ووقفت الى جانبها فى حلكتها حتى انكشفت الغمة ، وزال كابوس الظلم والطغيان عن كاهلهم ، ورجع المستعمر بعد ادعاء ملكية الجزائر قرابة مائة عام الى حظيرته خاسئا مدحورا . مقرا للجزائريين الأبطال رغم أنفه بالحرية والاستقلال .

الدين ليس سلعة تعرض على الجماهير . وما هو بالعربة يغرر بها الأعياء الجهلة من الناس .

تلك فكرة فى رءوس مصطنعيها لا قيد لها مصدقا ولا مؤيدا لأن العالم الآن فى وعيه الحضارى ، وعصره التقدمى عصر الصواريخ والأقمار الصناعية . لن يضلل بهذه الألاعيب الصبيانية . ولذا هز كتفيه ساخرا من هذه الفرية المختلقة التى ألبست الباطل ثوب الحق . والتى ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب . العذاب الذى أحس به مروجوها .. أولئك الذين وجدوا العالم من حولهم يسيرون وهم نائمون . والأمواج من خلفهم تتلاطم متدافقة وهم جد وجلين من أن يلتهمهم المد الثورى . والوعى القومى الذى طوقهم من كل صوب . وأحاط بهم من كل جانب . فلم يدروا ما يفعلون ، ولا أى سبيل يسلكون . فجرهم الاستعمار من آذانهم ، والقى اليهم بهذا الغثاء والرأى الممجوج ، علَّه يجد له هو الآخر فرجة من كربته وخرجة من نكبته .

لم تبخل القاهرة خلالها بمال أو جهد لخدمة دين الله ، وأشهد أنه لم يكن فى ميدان النضال شخص واحد من غير الجمهورية العربية المتحدة ، وحملت القاهرة ولا تزال تحمل هذا العبء احساسا منها بمسئوليتها الروحية ، لا تبغى لذلك جزاء الا من الله الذى لا يضيع أجر المحسنين

ويقص علينا التاريخ أن العالم الاسلامى تعرض فى فترة واحدة لهجومين قاسيين ، كان أحدهما من المشرق على يد المغول ، وكان الثانى من المغرب على يد الفرنجة الذين انتصروا فى اسبانيا ثم زحفوا على الشمال الافريقى لينتقموا من سكانه الذين أيدوا ملك المسلمين من اسبانيا وساعدوه مساعدات كبيرة أطالت من عمره عدة قرون

وأمام هذين الزحفين المدمرين تراجع العلماء وفروا بما يحملون فى أذهانهم من أفكار وما يحملون فى حقائبهم من كتب أنقذوها من الدمار ، ووجد هؤلاء وأولئك فى مصر ملجا لهم وملاذا ، وانضموا الى علماء مصر مكونين مركزا فكريا عظيما ظل على مر الزمن يشع منه النور ويفيض منه العرفان

تلك هى مصر فى مختلف العصور ، منار الاسلام ومركز اشعاع له ومن العجيب بعد هذا أن نسمع أن هناك محاولة لاقامة حلف اسلامى ، وأن المشاورات تدور لانشائه فى طهران ، ويقف الشاه فى قمة المنادين لهذا الحلف ، وكل مسلم يتمنى مزيدا من الارتباط بين المسلمين ومزيدا من تكتلهم ، ويؤيد أية حركة صادقة لدعم قواهم ولكنا لا نحب أن نسمع دعوة لتلك التي قال عنها على بن أبى طالب رضى الله عنه « كلمة حق يراد بها باطل » والتاريخ يدلنا على أن كثيرين من الملوك الذين اهتزت عروشهم تحتهم أخذوا يلجئون لحيل مختلفة لتثبيت هذه العروش ولو بان يلبسوا الباطل ثوب الحق ، فالسلطان عبد الحميد الثانى الذى شغل منصب الخليفة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أحس بأن المسلمين ضاقوا به لكثرة ما عرف عنه من استبداد وطغيان وعسف وقتل بالباطل ، فراح ينادى بالجامعة الاسلامية ، وجذع العلامة جمال الدين الافغانى الذى كان يحب لكل المفكرين – اجتماع كلمة المسلمين ، فراح الى الاستانة مأخوذا ببريق هذه الدعوة ولكن السلطان وضعه كما يقول الأستاذ أحمد أمين فى قفص أحكم قفله ويقول المؤرخون الاجانب عن هذه الدعوة انها كانت تسمى بالجامعة الاسلامية مع أنها لم تتخذ لها أساس التجمع ولا أساس الاسلام أى لم تكن جامعة ولا اسلامية

ومن العجيب ان صحف الغرب هبت تستقبل خبر الحلف الاسلامى بتصفيق وتهليل كانها تستبشر بجمع كلمة المسلمين وليس فى تاريخ هذه الصحف ما يفيد حبها للاسلام ولا للمسلمين ، بل علي العكس انها تقف منهم موقف المناوىء الذى يهاجم آمالهم ويروج لامال الصهيونية ويدعو لها .

ومن العجيب كذلك أن أقلام الصحفيين المسيحيين تدعو لهذا الحلف وتؤيده ، وذلك أمر يدعو لمزيد من التفكير عن بواعث الحلف ودواعيه واننا نتهم هذه الاقلام بأن دوافع غير سليمة دفعت بها فى هذا المضمار وحببت لها ما كان دائما قذى فى عيون أصحابها .

وكان من سوء طالع هذا الحلف أن وقف شاه ايران فى قمة الداعين ، وليس للشاه تاريخ اسلامى يمكن ان يجذب الناس لهذه الدعوة ، ثم هو حليف الصهيونية وهيهات أن يكون الانسان حليفا للصهيونية ، وحبيبا للاسلام فى وقت واحد ، فهما ضدان لا يجتمعان ، ثم ان الشاه عدو العرب ، والعرب هم حماة الاسلام والذين يحملون لواءه ويذودون عنه ، والتسلل الايرانى لامارات الخليج العربى يوضح سوء نية هذا الشاه وأنه ألعوبة فى يد الاستعمار الأثيم

وهناك خلاف على الحدود الايرانية العراقية ، وليت شعرى أما كان من الأوفق أن يسوى هذا الخلاف أولا ثم تبدأ هذه الأسطورة ، ولكن سوء التوفيق حالف هذا الحلف فى جميع خطواته وسيخالفه حتى يقضى عليه ، والعرش يهتز تحت الشاه وقد انفلت العرش من تحته مرة ولم يعد له الا علي رماح الاستعمار ، وأغلب الظن أن العرش سينفلت مرة اخرى ولن يعود

حقيقة هذا الحلف واضحة هى محاربة المكاسب التى حققتها الاشتراكية لمعتنقيها فى الجمهورية العربية بوجه خاص ، فتيار الاشتراكية الذى يزحف ويوشك أن يقضى على فلول الرأسمالية هو الذى يقض مضاجع الملوك والرؤساء الذين عرفوا الترف وحياة الطبقات ولا يريدون ان ينصفوا الشعوب ، وهدف اخر هو ربط الشرق الأوسط بعجلة الغرب باسم الاسلام والاسلام برىء من هذا الصغار وهذه التبعية ، وقد نشط الشرق وعرف أصدقاءه وعرف أعداءه وهو يصادق من يصادقه ويعادى من يعاديه ولا يحيد عن هذه السياسة الرشيدة لأى سبب من الاسباب

وقد اعلنت الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية والجزائر والسودان ولبنان انها لن تشترك فى هذا الحلف ، وبهذا انهار الحلف قبل أن يوضع أساس له ، ولا يمكن أن يقوم حلف اسلامى بدون هؤلاء

يارب

ان دينك يتخذ وسيلة للاضرار باتباعه ، فاحمنا يارب من أعداء الاسلام الذين يحاولون ان يتخذوا منه سلاحا يضربون به المخلصين للاسلام المهتدين بهديه الداعين له فى أرجاء الارض ، ومنك يا رب نستمد القوة لنهزمهم فى هذه الجولة كما هزمناهم فى سواها من الجولات

الحلف الإسلامي كلمة حق أريد بها باطل

الدكتور أحمد شلبي

الاسلام ديننا الحنيف يربط بين أتباعه برباط الود والقربى ويكون منهم أمة واحدة ، قال تعالى « انما المؤمنون اخوة » وقال صلي الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفهم الاسلام على هذا يبدو واضحا فى الجمهورية العربية المتحدة ، نطق بهذا دستورها ، ودونه الرئيس جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة عند حديثه عن الدوائر التى ترتبط بها بلادنا كما دونه سيادته فى الميثاق الوطنى ، وانعكس هذا الفهم كذلك على فكر القاهرة وتصرفاتها فى جميع الأزمان فالأزهر قام شامخا أكثر من ألف عام يخدم الاسلام وينشر الفكر الاسلامى فى بقاع الارض كلها ، وقامت على هذا المنوال كذلك معاهد وكليات أخرى كثيرة فى الجمهورية ، وحفلت القاهرة بأقلام اوقفت جهدها على خدمة الفكر الاسلامي ورعاية الدعوة الاسلامية ، ومطابع القاهرة تخرج للمسلمين فيضا من الزاد الاسلامى الرفيع فى جميع فروع الثقافة الاسلامية ، وحدث ولا حرج عن المعلمين والمربين الذين تبعث بهم القاهرة الى مختلف الربوع والانحاء ينشرون الاسلام ويحملون دعوته ويشرحون أفانينه وقد كنت واحدا من هؤلاء بعثت بى القاهرة مع مجموعة من الرفاق الى الشرق الاقصى حيث أمضيا عدة سنوات

يستطيع أن يشد انتباه مائة مليون مسلم يعيشون فى الصين والاتحاد السوفيتى ؟ .

ويومها قلت للجنرال الأمريكى : ان الاقتراحات سهلة هنا على الخرائط فى واشنطن ، والأعلام والأزرار مكدسة فى الصناديق ، ولكن المشكلة هناك على الطبيعة، هناك أرض لها تاريخ ، وهناك بشر لهم عقائد وأمان ، والتاريخ والعقائد والأمانى التى تتحرك فى المنطقة جميعا تسير فى اتجاه مختلف .

وبعدها تطورت فكرة الحلف الاسلامى الى حلف بغداد ، وانضمت تركيا وباكستان ، وحلت الأسرة الهاشمية فى العراق محل الأزهر فى المخطط الأمريكى القديم ، ولما اتضح فشل حلف بغداد بعد السويس تجدد الحديث عن الحلف الاسلامى مرة أخرى ، وعاد الملك سعود من زيارة لواشنطن سنة ١٩٥٧ بخطة من جون فوستر دالاس تنصبه « بابا » للاسلام ، على أن تتحول مكة الى « فاتيكان » للمسلمين ، تحل محل الأزهر فى التفكير الأول الذى لم يتحقق ، ومحل الأسرة الهاشمية فى التفكير الثانى الذى لم ينجح . الفكرة اذن قديمة وتاريخها مشبوه »

ومن العجيب أن الأشخاص الذى يتحمسون لهذا الحلف المشبوه هم من الحاكمين الضالعين مع اسرائيل عدوة العرب والمسلمين فهم يعترفون بها ، ويتبادلون معها التمثيل السياسى والتجارة وغير ذلك ، ومنهم حاكمون عرفهم الناس بتواطئهم مع الاستعمار ومع الذين يتربصون بالمسلمين والعرب الدوائر والذين أذاقوا المسلمين والعرب ألوان الذل والاستعباد فى الماضى البغيض .

فكيف يدعو هؤلاء الحاكمون الآثمون الى حلف يسمونه باسم اسلامى ، وهم يضعون أيديهم فى أيدى أعداء العروبة والاسلام ، والقرآن الكريم يقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ويقول : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا لا **تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » ويقول : « ألم تروا الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ؟ ماهم منكم ولا منهم ، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون» ويقول : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » . ويقول : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .**

اذا كان التظاهر بالانتساب الى الاسلام كافيا وحده دون ايمان أو اخلاص ، كما يزعم شرار المستغلين لاسم الاسلام ، فلنتذكر جيدا أن هذا هو أسلوب أهل النفاق ، والله تعالى يقول : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، انهم ساء ما كانوا يعملون » .

وصدق رسول الله حين قال : « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » والأمة المؤمنة ستحرص جهدها على معرفة طريقها المستقيم الذى تميز فيه بين الطيب والخبيث ، وتفرق فيه بين الحق والباطل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

على مصر في مطلع القرن التاسع عشر هي التي صنعت اليقظة المصرية في ذلك الوقت ـ كما يقول بعض المؤرخين ـ فان الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر وجدت الأزهر الشريف يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه الى الحياة في مصر كلها ، كما وجدت الشعب المصري يرفض الاستعمار العثماني المقنع بأسم الخلافة ، والذي كان يفرض عليه دون ما مبرر حقيقي تصادما بين الايمان الديني الأصيل في هذا الشعب ، وبين ارادة الحياة التي ترفض الاستبداد » .

...

وحينما الغى الأتراك بقيادة مصطفى كمال أتاتورك منصب الخلافة في مارس سنة ١٩٢٤ حاول الحسين بن على ملك الحجاز أن ينال منصب « الخلافة » لنفسه ، وذلك بعد أن انتهى تضامنه مع انجلترا وفرنسا الى تقسيم العالم العربي الى مناطق احتلال وانتداب ونفوذ ، والأدهى من ذلك أن « الملك فؤاد » الذي كان يحكم مصر حينئذ حكمه المعروف دفع ببعض أتباعه الى محاولة تنصيبه « خليفة على المسلمين » ، ولكن الله تلطف فلم تتم المأساة .

نعم لم تتم المأساة ، وكذلك لم تتم « الملهاة » التي قيل انها كانت بسبيل أن تقع ، وهي محاولة « فاروق » ابن « فؤاد » التطلع الى منصب الخلافة مرتين ، ويقال ان الأولى كانت عندما أطلق لحيته ، والأخرى قبيل خلعه حين أعلن انه من سلالة الرسول !

فماذا يكون المصير لو أن مثل هذه « الملهاة » قد تمت على يد فاروق الذي تكشفت لنا خباياه وخفاياه في السنوات الأخيرة من عهده ؟! . وماذا يكون مدى الاستغلال لاسم الدين لو أن ذلك كان ؟!

ثم يأتي حديث « الحلف الاسلامي » في عصرنا ، وهو حديث يراد منه أن يكون هذا الحلف عنوانا براقا ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، وذلك لأن المحرك له والدافع اليه والمؤثر فيه هو الاستعمار الذي ذاق منه الاسلام والمسلمون سوء العذاب ، وها هو ذا الاستاذ محمد حسنين هيكل يقص جانبا من هذه المسرحية الكثيرة الفصول فيقول :

« انني سمعت بفكرة الحلف الاسلامي لأول مرة سنة ١٩٥٢ . في خريف هذا العام كنت في زيارة لواشنطن ، وذهبت بين ما ذهبت يومها الى البنتاجون مقر قيادة الجيش الأمريكي ، على موعد مع الجنرال أولمستيد الذي كان وقتها مديرا لمشروعات المعونة العسكرية ، وبينما أنا أتحدث مع الجنرال الأمريكي ضغط باصبعه على زر كهربائي ، فتحرك ستار كبير على أحد الجدران ، وظهرت من ورائه خريطة كبيرة للعالم تملؤها الأعلام والأزرار الصغيرة الملونة ، وقال لي الجنرال الأمريكي أولمستيد : هذه الأعلام والأزرار ترمز الى قواعدنا وتنظيماتنا الدفاعية ، وكما ترى فانها كثيرة على امتداد القارات كلها الا هنا في منطقتكم في الشرق الأوسط .

وظللت ساكتا واستطرد الجنرال الأمريكي ما رأيك لو امتلأ الفراغ هنا بحلف اسلامي . مثلث يرتكز على ثلاثة محاور : تركيا أقوى البلاد الاسلامية ، وباكستان أكثرها عددا ، ومصر أكثرها تأثيرا بحكم وجود الأزهر . . مثل هذا الحلف يقاوم الشيوعية ، بل انه

هذه بالاسلام ، أو أن يجدوا لها مسوغا منه ، ومع ذلك تبدى زيفهم ، وماز الله بين الخبيث والطيب ، وبقى العقلاء فى كل مكان يدركون الفرق الواسع بين دين الله بتعاليمه السمحة العادلة الواضحة وبين مفتريات المفترين ، وكيد الكائدين ، وتمويه المموهين : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

ولو تابعنا تاريخ الخوارج ، والشعوبية ، والزنادقة ، والمانوية ، والفرس ، والقرامطة ، وطغاة العثمانين ، وغيرهم ، لوجدنا الظلمات فوق الظلمات ، ووجدنا السيئات الى جوار السيئات . وهم ينسبون ذلك كله الى الدين أو يستغلون كلمته فيه ، وتمضى الأيام ، وينكشف المخبوء ، ويميز الله الخبيث من الطيب « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ، للذين استجابوا لربهم الحسنى، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ، ومأواهم جهنم وبئس المهاد » .

وقد يظن ظان أن محاولات الاستعمار المعاصرة لاستغلال الدين فى اقامة أحلاف مشبوهة ، أو اثارة نزعات مريبة ، بضاعة حديثة مبتكرة ، وهذا ظن عريق فى الوهم والخطأ ، فقد تكرر هذا الاستغلال عبر التاريخ مرات ومرات ، ومن أمثلته أن العثمانيين أقاموا « خلافة اسلامية » تزعموا بها البلاد العربية والاسلامية فترة طويلة ، وفعلوا خلالها ما فعلوا ، وقد اشتط هؤلاء فى التظاهر بخدمة الدين والاخلاص للمسلمين وحاولوا أن يستغلوا كل ما استطاعوا لتسويغ خلافتهم ، والباسها ثوب « الشرعية » .

ولما رأى هؤلاء أن الفقهاء يذكرون فى كتبهم ان الخليفة يجب أن يكون من سلالة « قريش » زعموا أن الخليفة العباسى الأخير تنازل عن الخلافة الى السلطان سليم ، وأنه كتب وثيقة بهذا التنازل ، ولكن المحققين من المؤرخين يقولون ان هذا افتراء ، فلم يحدث تنازل كتابى ولا شفوى ، ويقولون انه مضى وقت طويل جدا بعد قيام الخلافة العثمانية دون أن يذكر أى مصدر تاريخى شيئا عن هذه الوثيقة المزعومة ، ويظهر أن العثمانيين حينما وجدوا الناس ينقدونهم ويطعنون فى خلافتهم بشكل واسع أخذوا يذيعون ما يذيعون عن هذه الوثيقة المفتراة .

ويضيف بعض المؤرخين الى ذلك قوله انه حتى لو سلمنا جدلا بأن هذا التنازل قد تم فعلا ، لوجب علينا أن نلاحظ انه لم يحدث الا بعد استيلاء السلطان سليم على مصر ، وبعد تعريض الخليفة لأوضاع لا يمكن وصفها الا بالقسر والاكراه ، ولذلك يجب أن نعتبر هذا التنازل باطلا من الأساس .

ومهما يكن من امر فقد استغل طغاة العثمانيين هذا العنوان الجذاب البراق : « الخلافة » فى ارتكاب أعمال كثيرة ضج من هولها العرب والمسلمون ، وكانت هذه المآسى من أقوى الأسباب التى حركت فى الأمةالعربية روح القومية ، ونزعة التحرر والاستقلال عن العثمانيين ، لأنها لم تطق الصبر على هذا الاستغلال المعيب لاسم الدين فى مآثم لا يرضى عنها الدين .

ولم يفت ميثاق العمل الوطنى ان يشير الى هذه الحقيقة اكثر من مرة ، فذلك حيث يقول : « ثم كان رأى الشعب العربى فى مصر ـ قد تحمل المسئولية الأدبية فى حفظ التراث العربى الحضارى وذخائره الحافلة ، وجعل من أزهره الشريف حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت التى فرضتهاالخلافة العثمانية استعمارا ورجعية باسم الدين والدين منها براء » . وذلك حيث يقول فى موطن آخر : « ولم تكن الحملة الفرنسية

حول الحلف الإسلامي

استغلال اسم الدين عبر التاريخ

فضيلة الشيخ احمد الشرباصي

ان من أسطع الدلائل على أن هذا الاسلام هو دين الله الحق الخالد الباقي ، أن يصاب بكل هذه المحاولات التى أرادت أن تقضى عليه أو حاولت أن تنال منه ، ومع ذلك ظل سليما عظيما يردد على الأسماع قول الله عز من قائل : «انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»

وقوله : « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ، ولو كره الكافرون » .

وما أكثر المآسى والمهازل والكبائر التى ارتكبها جبابرة طغاة ، أو مجرمون بغاة ، حاولوا بكل ما استطاعوا أن يلصقوا أعمالهم

(يارسول الله : رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من أعراض الدنيا) ؟ فقال : (لا اجر له) ! .. فاعظم ذلك الناس وقالوا للرجل - سائل ذلك السؤال - : عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانك لم تفهمه .. فعاد وقال : (يارسول الله .. رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من أعراض الدنيا) ؟ فقال : (لا أجر له) !. فقالوا للرجل : عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما قال له الثالثة ، قال - لثالث مرة - (لا أجر له) !. - ذكره أبو داود -

فالعبرة والمعول ان تكون الدعوة - اية دعوة يراد بها خير الاسلام ، أو صالح الأمة - أن تكون خالصة لوجه الله ، ولوجه الاسلام ، ولوجه الصالح (الفعلى) العام .. أما اذا كان ظاهرها شىء .. وباطنها « شىء اخر ! » .. فهذا موطن العلة ، وبيت الداء ..

وفى حديث آخر . قال نبى الاسلام (محمد) صلاة الله وسلامه عليه : (ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه)

فالتلون ، واختيان النفس ، واصطناع الصفات والمسميات ، والتخفى وراء ملصقات مقدسة العناوين خاوية المضامين يحاولون تطويعها لخدمة ما يجيش فى أغوار صدورهم ، لا ولن يغنى - فى النهاية من الامر شيئا .. وسيحيق المكر بذويه .. (ولا يحيق المكر السىء الا باهله) .. اذ أن الاسلام بمقوماته التى لحمتها وسداها : النقاء والصفاء ، ستفضح ، وبمنتهى السرعة ، كل الدخائل والسخائم ، التي تعتمل فى السرائر ! .. وسيعلم الناس ، كل الناس ، ولو بعد حين ، حقيقة ما يندس فى طوايا اية دعوة مشبوهة ، مهما خالها الداعون الى التضليل والتغرير تخفى عليهم كما يقول - فى هذا المعنى - (زهير ابن سلمى) :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم !!

او علي حد قول مماثل (للمتنبى) فى وصف العلاقات التى تقوم على غير الوضوح والصفاء وابتغاء الخير الخالص المصفى من كل الشوائب والادران :

فان الجرح ينفر بعد حين
اذا كان البناء على فساد !

وفى احتفال الجمهورية العربية المتحدة بعيد الوحدة هذا العام (٢٢ فبراير ١٩٦٦) سلط السيد الرئيس أضواء كاشفة نفاذة على مكامن تلك الدعوة التى تواترت انباؤها .. فبين لابناء الأمة العربية فى كل أرجاء العالم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد رداء جديد ، أكثر مهابة ذى صبغة عربية ، ألبسوه - تغريرا وتمويها ! - دعوة استعمارية قديمة تنشد تفريق وحدة الصفوف ، وتسعى وراء تشتيت وتفريق الشمل الملتئم .. فبعد أن كان اسمه (حلف بغداد) .. وبغداد هذه (كلمة عربية) ، ومع ذلك أخفق الحلف .. عادوا يدفعون به الى مسرح المنطقة من جديد ، بالرداء المبتكر ، الاكثر مهابة ، : (حلف ... اسلامى) ! . ومن نص الخطاب التاريخى الذى أشرنا اليه آنفا ، قال رئيس الجمهورية بالمنطق البسيط المقنع القوى الصادق : (ليه سموه حلف بغداد ؟ .. علشان يا خد الطابع العربى ، الطابع اللى قال عليه دالاس : النمو من الداخل ، والرسم من الداخل ، وسموه اسم عربى : حلف بغداد) .

واخيرا وقد تغيرت (مودة الأزياء !) ، وان مسايرتها بالزى الحديث - مضمون التأثير ، أكيد المفعول ! - ، كما يتوهمون ، صار الرداء ، من ثم ، يحمل رسما ولونا يتمسحان بطراز : (اسلامي) !

ولا يحسبن مسلم .. عربيا كان أو مستوطنا أية رقعة من العالم ، أن موجة الاستنكار الجماعية التى جرفت فى غمارها همهمات أولئك الافاعى والهوام ، انما تعنى (الموضوع) وحده .. أو تستهدف شخوص (الصانعين) الذين هم وراؤه فحسب .. ولكن شعوب أقطارنا العربية الواعية ، فى غضبتها الضارية وزئير استيائها ، انما تستنكر المحاولة اليائسة المكشوفة للمواءمة والمطابقة بين (أشخاص) عرفوا بقدر معين محدود من الطاقات ، وميل مأثور الى (جهة ما !) من الجهات .. وبين (موضوع) قيل فيه الحكم الحاسم الحازم الذى قضى بوأده وتم (تنفيذ) ذلك فى وقته .. فاذا - اليوم - تجىء تلك الشخوص عينها لبعث (الموءود) - سالف الذكر - بلباس فضفاض مختلس وشكل مختلق ، وعنوان مغتصب حاشاه أن يكون (اسما) لذلك (المسمى) .

وفى الحق أن بيان فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر جاء : القول الفصل ، والحكم الموضوعي الحق .. فاطلق على ذلك الشىء المريب الموءود الذى تحاول فئة بعينها من الحكام احياءه والباسه ما أعدوا له من أردية و (قطع غيار) مستحدثة لا توائمه لانه قزم مشوه جد ضئيل . أطلق عليه اسم (حلف استسلام) فهيهات أن تكون له أوهى الأسباب أو أدنى الصلات بالاسلام .. ف : (ما شرع الله الاسلام الا ليرد الطغاة المستبدين والمستغلين الى مكانهم فى صف البشر) ! - الاهرام ٢٥-٢-١٩٦٦ - .

وسيردهم الاسلام بعون الله وبفضل يقظة الشعب العربى فى كل مكان .. وسيعودون الى وعيهم عما قريب .. وعند ذلك فقد يرتدعون ويكفون عن خداع الأمة التي أساءوا فهم عقليتها ، فما جرءوا بالطلوع عليها الا بالخديعة والضلالة ، ويرجعون الى الصواب والرشاد ، ويسيرون فى الركب الصحيح ، ركب التقدم ، وموكب الشمل المتكاتف الملتئم .

و .. وقد لا يفعلون ذلك ، فيحيق بهم ما يحيق بالأفاعى ذات الملمس اللين عندما تفتضح نواياها ، ويستبين - عند التقلب - ما فى أنيابها من عطب ، مثلما قال الشاعر العربى عنترة العبسى :

ان الأفاعى وان لانت ملامسها
عند التقلب فى أنيابها العطب !

الا أن الاسلام بعظمته وسموه وخلوده ، سواء تابوا وأنابوا ، أو ظلوا سادرين فى الغى والاستكانة الى جبلتهم : تمويها وتضليلا .. باق - بذات العظمة والسمو ، والخلود - الي يوم تقوم الساعة ، ليتصدى بنوره النافذ وصفائه الرائق لمثل هذه الشوائب ، فينفضها عنه بقوة ، ثم يسحقها تحت موطىء قدميه سحقا ، وهو يمضى قدما .. ساميا رفيعا ، أسمى وأعظم ، أنقى وأصفى ، من كل ما يحاولون الصاقه به من ظلال ومسميات .. وواجهات أمامية ، ولافتات !

مجموعة اسطوانات

الصلاة

تحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الآذان ☆ الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

في ٤٤ اسطوانة

ترقبوا في منتصف كل شهر عربي
سلسلتي

كتب إسلامية
و
دراسات في الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
باقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

شركة الاعلانات الشرقية